الدار العربية للعلوم ـ ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

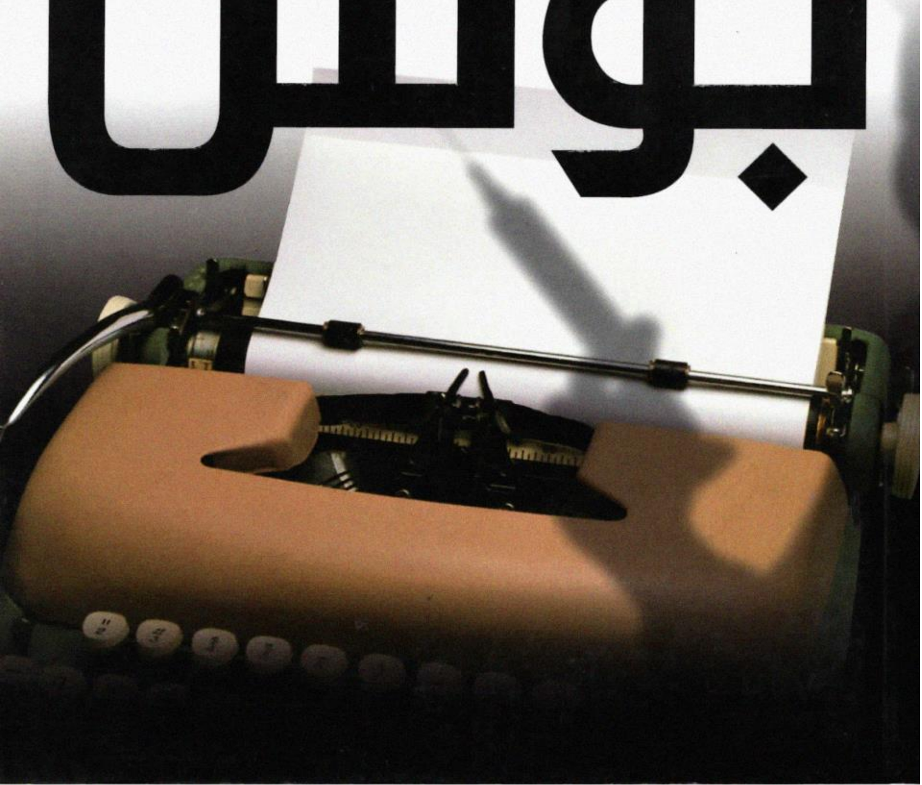
تُرجمت روايات ستيڤن كينغ إلى 36 لغة وبيع منها أكثر من 300 مليون نسخة!

Stephen King

ستيڤن كينغ

MISERY رواية

بؤس



بؤس
MISERY

بسم الله الرحمن الرحيم

بؤس

MISERY

رواية

ستيفن كينغ

ترجمة

بسام شيحا

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى

1428 هـ - 2007 م

ردمك 978-9953-87-187-5

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961)

ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفـــرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611)

الطباعـــة: مطابـــع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611)

إلهة

إفريقية

I

آني

عندما تنظر إلى الهاوية،

فإن الهاوية تنظر إليك.

فريدريك نيتشه

1

رقمم واااحد

أنت المعجبة رقمم واااحد

أصوات: تأتي حتى في حالة من التشوش.

2

بـيد أن الأصوات – مثل الألم – تتلاشى في بعض الأحيان، ولا يبقى بعدها سوى التشوش. تذكّرَ الظلمة، ظلمة حالكة داهمته قبل وقوعه في هذه الحالة. هل يعني ذلك بأنه كان يحرز بعض التقدم؟ هل كان ثمة ضـوء ما (حتى لو كان من النوع المشوش)؟ هل كانت تلك الأصوات تأتـيه في الظلمة؟ لم تكن لديه إجابة عن أي من هذه الأسئلة. وهل كان لطرح هذه الأسئلة أي معنى؟ لم يكن يملك إجابة عن هذا السؤال أيضاً.

كـان الألم يقبع في مكان ما تحت الأصوات، ذلك هو فقط كل ما كان يعرفه.

لمـدة من الزمن بدت طويلة جداً (وكانت كذلك بالفعل، لأن الألم والتشـوش العـارم كانا الشيئين الوحيدين الموجودين آنذاك) كانت تلك الأصـوات تمـثل الحقيقة الخارجية الوحيدة بالنسبة له. لم تكن لديه أية فكـرة عمّن كان، وعن مكان تواجده، ولم يكن يهتم بمعرفة ذلك أيضاً. كان يتمنى أن يكون ميتاً، لكنه في خضم التشوش المشبع بالألم الذي ملأ عقله مثل غيمة رعدية صيفية، لم يكن يعرف بأنه تمنّى ذلك.

مع مرور الوقت، أصبح يدرك بأنه كانت هناك مراحل من انقطاع

الألـــم، وأن هـــذه المراحل كانت ذات صفة دورية. وللمرة الأولى منذ خـــروجه مـــن الســـواد الكلي الذي أطال من أمد التشوش، برزت لديه فكـــرة، فكرة كانت متواجدة بمعزل عن أي وضع كان فيه. وكانت هذه الفكـــرة تتعلق بوتد مكسور وبارز من الرمل على شاطئ ريفير بيتش. غالباً ما كان أبواه يأخذانه إلى تلك المنطقة عندما كان طفلاً، وكان دائماً يصرّ على أن يبسطوا بطانيتهم حيث يمكنه مراقبة ذلكِ الوتد الذي كان يـــبدو له مـــثل ناب بارز من وحش مدفون تحت الرمل. كان يحب أن يجلـــس ويراقب الماء وهو يقترب شيئاً فشيئاً إلى أن يغمر الوتد تماماً. وبعـــد ســـاعات، بعـــد التهام كل الشطائر وسلطة البطاطا، ونجاحه في الحصـــول علـــى القطـــرات القليلة الأخيرة من مشروب **كوول إيد** من تـــرمس والده الكبير، وبالكاد قبل أن تقول أمه إن الوقت قد حان لحزم أغراضـــهم والعودة إلى البيت، كان رأس الوتد يبدأ بالظهور ثانية. في البداية، كان يسترق النظر لومضة قصيرة بين الموجات القادمة، لكنه ما يلبـــث أن يـــبدأ بالبروز أكثر فأكثر. ولم يكونوا يشرعون بجمع ألعاب بولـــي الشاطئية إلا عندما ينتهون من وضع نفاياتهم في البرميل الضخم المكتوب عليه **حافظوا على شاطئكم نظيفاً**.

(*"بولـــي هـــو اســـمي. أنا بولـي والليلة ستضع أمي زيت الأطفال جونسون على جلدي المحترق من جراء تعرضي للشمس*". قال في نفسه داخـــل الرأس الذي كان يعيش فيه الآن والذي كان يشبه الغيمة الرعدية الداكنة).

هكذا طُويت البطانية ثانية، وكان الوتد قد عاد إلى الظهور بشكل كامل تقريباً، وجوانبه المسودة اللزجة محاطة بزبد كثيف من الفقاعات. إنـــه المدّ، حاول أبواه أن يشرحا له ذلك، لكنه لطالما عرف بأنه الوتد. المـــدّ كـــان يأتي ويروح، لكنّ الوتد كان دائماً يبقى حيث هو. ببساطة، بدون الوتد لم يكن ثمة مدّ.

كانـــت هـــذه الذكـــرى لا تفتأ تدور وتدور في رأسه، وتدفعه إلى

الجـــنون، مثل ذبابة عنيدة. كان يحاول جاهداً معرفة ما يمكن أن تعنيه هذه الذكرى، لكنّ الأصوات كانت تقطع عليه سعيه هذا.

معععجبة

قرأت كلللل ششيء

رقم واااحد

فـــي بعـــض الأحيان كانت الأصوات تتوقف. وفي أحيان أخرى، كان هو من يتوقف.

أول ذكـــرى واضـــحة فعلاً له لهذا *الواقع*، *الواقع* الذي يقع خارج تشوشـــه العاصف، كانت تتمثل في إدراكه فجأة بأنه لم يعد يستطيع أخذ نفَـــس آخر، وكان ذلك أمراً جيداً. في الحقيقة، كان ذلك رائعاً، فقد كان باســـتطاعته تحمل درجة معينة من الألم. لكنّ السيل كان قد بلغ الذبى، وهو كان سعيداً لأنه أخيراً سيخرج من اللعبة.

إلـــى أن أطبق فم على فمه؛ من المؤكد أنه كان لامرأة بالرغم من الشفتين القاسيتين الجافتين. واندفعت الريح من فم هذه المرأة داخل فمه وعبر حنجرته، نافخة رئتيه. وعندما أفلتت تلك الشفتان شفتيه شم رائحة حارسته لأول مرة، شم رائحتها من اندفاع النفَس الذي أدخلته عنوة فيه، مـــزيج كريه الرائحة من كعك بنكهة الفانيليا، وآيس كريم الشوكولاته، ومرق الدجاج، وحلوى زبدة الفول السوداني.

سمع صوتاً يصرخ، "تنفَّس، اللعنة! *تنفَّس* يا بول!"

ثم أطبقت الشفتان ثانية. واندفع النفَس داخل حنجرته مرة أخرى، اندفـــع مـــثل هبة الريح الرطبة التي تلي مرور قطار سريع في النفق، وهي تجر أوراق الصحف وأغلفة السكاكر وراءها. ثم ارتدَّت الشفتان، ففكّـــر فـــي نفسه، "*حباً بالله لا تسمح لأي جزء منه بالمرور من خلال أنفك*". لكنه لم يستطع. اللعنة! يا *للقرف*، يا *للقرف*.

"*تنفس، عليك اللعنة!*" زعق الصوت غير المرئي، ففكّر في نفسه، "*ســـأفعل أي شـــيء، رجاءً، لا تقومي بذلك مرة أخرى، لا تلوِّثيني بعد*

الآن، وحـــاول ولكن قبل أن يبدأ بالفعل، أطبقت شفتاها على شفتيه مرة أخـــرى، شـــفتان جافتان وميّتتان كقطعتين من الجلد المملح، واغتصبته بنفَسَها مجدداً.

عـــندما أبعـــدت شفتيها هذه المرة *لم يُخرج* نفَسها بل *دفعه* داخلاً، وأخـــذ شـــهيقاً كبـــيراً صافراً من نفَسه هو، ثم زفره إلى الخارج بقوة. انـــتظر صدره لكي يعمل ثانية بنفسه كما كان يفعل طوال عمره بدون مســـاعدة مـــنه، وعـــندما لم يستجب، أخذ شهقة كبيرة صافرة أخرى. وأخـــيراً، عاد يتنفس بشكل تلقائي، وكان يفعل ذلك بأسرع ما يمكن كي يتخلص من رائحتها ومذاقها ويخرجهما من داخله.

لـــم يكـــن لمذاق الهواء الطبيعي طعم أطيب من ذاك الطعم على الإطلاق.

بـــدأ بـــالعودة إلى حالة التشوش ثانية، ولكن، قبل أن يذهب العالم المعتم الباهت تماماً، سمع صوت المرأة يدمم: "واو! كان قاب قوسين أو أدنى".

"*ليس بما يكفي*". فكَّر في نفسه، ثم غط في النوم.

حلـــم بالوتد، وكان الحلم حقيقياً إلى درجة أنه أحس أن باستطاعته أن يمدّ يده، ويزلق راحته على منحناه الأسود المخضرِّ المتشقق.

عـــندما عـــاد إلـــى حالته السابقة نصف الواعية، استطاع أن يقيم رابطـــاً بين الوتد ووضعه الحالي. لم يكن الألم ذا طبيعة مدّيّة وجذريّة؛ هـــذا هو المقصود من ذاك الحلم، بل في الواقع لم يكن حلماً وإنما كان ذكـــرى. فـــالألم كـــان يـــبدو – من الناحية الظاهريّة فقط – كأنه يأتي ويختفـــي، لكنه، في حقيقة الأمر، كان أشبه بالوتد الذي يكون مرئياً في بعـــض الأحيان ومُغطّى في أحيان أخرى، بيد أنه موجود على الدوام. كـــان يشـــعر بالامتنان الغبي في الأوقات التي لم يكن يغزوه فيها الألم وهو مغمور بسحابته الرمادية الباهتة، لكنه لم يعد مخدوعاً ومضللاً بعد الآن، فهـــو يعرف بأن الألم ما يزال موجوداً، يستعد للعودة من جديد.

ولم يكن هناك وتد *واحد* فقط، بل *اثنان* - الألم هو الوتدان - وجزء منه كـان يعلم أن الوتدين المتكسرين هما ساقاه المكسورتان بالذات، وذلك قبل فترة طويلة من تمكّن معظم دماغه من معرفة ذلك.

لكـنّ ذلـك حدث قبل فترة طويلة من تمكّنه من تكسير زبد لعابه المتجفف الذي ألصق شفتيه ببعضهما، وقوله بصوت متهدج إلى المرأة التي تجلس بجانب سريره وتحمل كتاباً بيدها: "أين أنا؟" كان اسم مؤلف الكتاب هو بول شيلدون، وقد أدرك دون أي استغراب بأن هذا الاسم هو اسمه هو بالذات.

قالـت عـندما أصـبح أخـيراً قـادراً على الكلام: "سايدويندر، كولورادو. اسمي آني ويلكس. وأنا..".

قال: "أعلم، أنت معجبتي الأولى".

أجابت مبتسمة. "أجل، هذا بالضبط ما أنا عليه".

3

عتمة، ثم الألم، فالتشوش. ومن ثم الإدراك بأن الألم - بالرغم من وجوده الدائم- كان يختفي بواسطة تسوية غير مريحة كان يفترض بأنها مجرد عملية إلهاء. الذكرى الحقيقية الأولى هي التوقف، وإرغامه على العودة إلى الحياة بواسطة نفَس المرأة الباعث على القرف.

الذكـرى الحقيقـية الثانـية: أصابعها تقحم شيئاً ما داخل فمه في أوقـات مـتقطعة، ولكن منتظمة؛ شيئاً يشبه كبسولات **كونتاك** المضادة للسـعال، وبمـا أنهـا لم تكن تُتبع بالماء فهي كانت تقبع في فمه فقط. وعـندما كانـت تـذوب، كانت تخلف طعماً مرّاً للغاية يشبه قليلاً طعم الأسـبرين. وقد كان من المستحسن بالنسبة إليه أن يبصق تلك المرارة خارجاً إلا أنه كان يدرك جيداً بأنه لا ينبغي عليه فعل ذلك، فذلك الطعم المرّ هو الذي كان يأتي بالمدّ العالي ليغطي الوتد.

(وتـــدان، إنهما وتدان، هناك اثنان، حسناً هناك اثنان جيد. والآن اهدأ هش جيد هششششش).

وجعلته يختفي لفترة من الزمن.

كانـــت كل هذه الأمور تأتي في أوقات متقطعة ومتباعدة. ولكن، فـــيما بعد، عندما لم يعد الألم يرجع بل بدأ بالتآكل (كما تآكل وتد ريفير بيتش، فكَّر في نفسه، *لأنه لا يوجد شـيء يدوم إلى الأبد*؛ رغم أن الطفل الـــذي كـــان علـــيه كان سيهزأ من مثل هذه الهرطقة). وبدأت الأشياء الخارجية بالتدخل بسرعة متزايدة إلى أن أعاد العالم الموضوعي، بكل ما يحمل من ذكريات، وتجارب، وأفكار مسبقة بناء ذاته إلى حدٍّ كبير. إنـــه بـــول شيلدون الذي كتب روايات ذات نوعين، جيدة ورائجة. لقد تزوج وطلَّق مرتين خلال حياته. وكان يدخن بشراهة. وقد حدث شيء بالغ السوء له لكنه ما يزال حياً. تلك الغيمة الرمادية الداكنة بدأت بالتبدد بشـــكل تدريجي؛ ولكن متسارع. ولكن، ستمضي فترة طويلة إلى حدٍّ ما قبل أن تأتي معجبته الأولى بآلته الكاتبة القديمة المطقطقة، بفمها الفاغر المكشِّر، وصوتها الذي يشبه صوت داكي دادلز (شخصية كرتونية). إلا أن بـــول كان يدرك قبل ذلك بمدة بأنه كان يعيش في حالة لا تطاق من التوقف والعطالة.

4

ذلـــك الجزء *العارف مسبقاً* من عقله رآها قبل أن يدرك بأنه كان يراها، ولا بد أنه فهمها قبل أن يدرك بأنه كان يفهمها. وإلا، لماذا ربط هذه الصور القاسية والمشؤومة بها؟ كلما كانت تدخل غرفته كان يخطر فـــي بالـــه تلـــك التماثيل المنحوتة التي كانت القبائل الإفريقية المؤمنة بالخـــرافات تعـــبدها في روايات هـــ. رايدر هاغارد، وكذلك الحجارة والقدر.

كانت صورة آني ويلكس كصنم إفريقي مأخوذ من رواياتي **هي** أو **مناجم الملك سليمان** سخيفة وملائمة على نحو غريب في آن معاً. كانت امرأة ضخمة الجسم، وباستثناء الانتفاخ الكبير والعدائي لصدرها الكامن تحـت البلوزة الرمادية ذات الكمّين الطويلين والتي كانت تلبسها دائماً، كانـت تـبدو كأنها لا تملك أي انحناءات أنثوية على الإطلاق. فلم يكن هـناك أي تكـوّر محـدد لورك، أو مؤخرة، أو حتى بطة ساق تحت الامـتدادات اللامتناهـية للتنانـير التي كانت تلبسها في المنزل (كانت تنسحب إلى غرفة نومها الخفية كي ترتدي بنطالاً من الجينز قبل القيام بمهامها الاعتيادية خارج المنزل). كان جسدها ضخماً لكنه غير لطيف. وكـان ثمـة شـعور يتولد لدى رؤيتها يذكّر المرء بالعوائق وحواجز الطـرقات أكثر مما يوحي بالثغرات المرحّبة، أو الفضاءات المفتوحة، والمناطق الفاصلة.

الأهم من ذلك كله هو أنها كانت تشعره بإحساس مزعجٍ *بالصلابة*، وكأنهـا كانـت بلا أوعية دموعيّة أو حتى أعضاء داخلية، مجرد آني ويلكـس جـامدة من الأعلى إلى الأسفل ومن كل جوانبها. كما أنه كان يـزداد اقتناعاً يوماً بعد يوم بأن عينيها – مع أنهما كانتا تبدوان بأنهما تـتحركان – كانـتا مجرد عينين مرسومتين في مقلتيها فقط، وأنهما لم تكونـا تتحركان إلا كما تبدو أعين الصور حين تنظر إليها وتشعر بأنها تتبعك من حيث هي معلقة إلى أي مكان تنتقل إليه في الغرفة. كان يعتقد بأنـه إذا ما جعل الإصبعين الأولين من يده على شكل حرف V وحاول أن يدخلهمـا فـي منخريها، فإنهما قد تصادفان بعد مليمترات قليلة فقط عائقاً صلباً (لكنه لين قليلاً)، وحتى بلوزتها الرمادية، وتنانيرها المنزلية غـير الأنـيقة، وبنطالها الجينز المخصص للعمل الخارجي؛ كلها كانت جزءاً من ذلك الجسد الليفي الصلب الذي لا يملك أي فجوات أو أخاديد. فـي الواقع، لهذا السبب، لم يكن يستغرب أبداً، شعوره بأنها كانت أشبه بصـنم في رواية تحبس الأنفاس. كالصنم، كانت توحي له بشيء واحد

فقط: شعور بعدم الارتياح يتحول شيئاً فشيئاً إلى رعب حقيقي. وكالصنم، أخذت كل شيء آخر.

لا، مهلاً، هذا ليس عدلاً تماماً. فهي *أعطت* شيئاً آخر بالفعل. أعطته أقراص الدواء التي جلبت المدَّ ليغطي الوتدين.

الأقراص هي المدّ، وآني ويلكس هي الكائن القمري الذي جذب تلك الأقراص إلى فمه مثل بقايا طافية فوق الموج. كانت تجلب إليه اثنين منها كل ست ساعات، في البداية كانت تعلن عن وجودها فقط من خلال دس زوج من أصابعها في فمه (سرعان ما تعلَّم أن يمص هاتين الإصبعين بقوة بالرغم من مذاقهما المرّ). وفي المرة الثانية، كانت تظهر في بلوزتها ذات الكمين الطويلين وواحدة من تنانيرها العديدة، عادةً مع نسخة ذات غلاف وُرقي من إحدى رواياته تحت إبطها. في الليل كانت تظهر له في عباءة وردية يكسوها الزغب، ووجهها يلمع من جراء دهنه بأحد المساحيق (كان باستطاعته معرفة اسم المكوِّن الرئيسي لهذا المسحوق بسهولة رغم أنه لم يرَ الزجاجة التي مسحت بها وجهها، وذلك من رائحة مادة اللانولين القوية والواضحة)، فتهزه من نومه المضطرب المليء بالأحلام وهي تحتضن حبتي الدواء في يدها، والقمر المزعج يسكن النافذة فوق إحدى كتفيها الصلبتين.

بعد فترة وجيزة – بعد أن أصبح فزعه أكبر بكثير من مقدرته على تجاهله – أصبح بمقدوره معرفة ما كانت تلقمه إياه: مسكن آلام مع دواء يُدعى نوفريل مكوَّن من مادة الكودايين القوية. ولأن النوفريل يسبب الإمساك أحياناً لدى المرضى الذين يتعاطونه، فقد كانت تضطر في مناسبات نادرة إلى جلب وعاء التبرّز، بالرغم من أنه كان يتغذى على حمية مكونة بالكامل من السوائل والجيلاتين (في السابق، عندما كان لا يزال يعيش في غيمته السوداء، كانت تغذيه عن طريق الوريد). كما أن هناك أثراً جانبياً آخر، وأكثر خطورة، وهو الهبوط التنفسي الذي يمكن أن يصيب المرضى الحساسين. ومع أن بول لم يكن من

أولـــئك المرضى - بالرغم من أنه كان مدخناً شرهاً لما يقارب الثمانية عشر عاماً - إلا أن تنفسه *توقف* في مناسبة واحدة على الأقل (قد تكون هـــناك مرات أخرى لا يتذكرها؛ خلال حالة التشوش). تلك كانت المرة التـــي أجرت له فيها التنفس الاصطناعي. لكنه فيما بعد أصبح يشك في أنهـــا كـــادت أن تقتله بإعطائه جرعة زائدة بالصدفة، ولعل ذلك حدث بالفعل، فهي لم تكن تعرف ما تفعله بالقدر الذي كانت تظنه، وهذا كان واحداً من الأشياء التي كانت ترعبه بخصوص آني.

اكتشـــف بول ثلاثة أشياء في وقت واحد تقريباً، وذلك بعد حوالى عشـــرة أيـــام مـــن خروجه من السحابة السوداء. اكتشف أولاً أن آني ويلكـــس كانـــت تملك كمية كبيرة من نوفريل (في الواقع، كانت تملك العديـــد مـــن الأدوية من مختلف الأنواع). واكتشف ثانياً أنه كان مدمناً علـــى دواء نوفـــريل. أمـــا الاكتشاف الثالث فهو أن آني ويلكس كانت مجنونة على نحو خطر.

5

كانـــت الظلمة هي بداية مرحلة الألم والسحابة التي تنذر بوشوك حـــدوث اضطراب عظيم. ولقد بدأ بتذكر ما مهَّد للظلمة عندما أخبرته بمـــا حـــدث له. لقد حصل ذلك عندما سألها السؤال التقليدي للنائم الذي يســـتيقظ فأخبرته بأنه كان في بلدة سايدويندر الصغيرة، في كولورادو. كمـــا أخـــبرته بأنها قرأت كل رواياته الثماني مرتين على الأقل، وأنها قرأت روايات *ميزري* "*Misery*" *المفضلة* لديها أربع أو خمس أو وربما ســـت مـــرات. لكنها كانت تتمنى فقط لو أنه كان يكتبها بسرعة أكبر. وأخـــبرته كذلك بأنها بالكاد صدّقت أن مريضها *هو بول شيلدون نفسه* حتى بعد تحققها من بطاقته الشخصية في محفظته.

سألها، "بالمناسبة، أين محفظتي؟"

أجابته، "لقد وضعتها في مكان آمن". وتحولت ابتسامتها فجأة إلى نظـرة ضـيقة متمعِّنة لم ترق له كثيراً؛ كان الأمر أشبه باكتشاف شق عمـيق مخفي بالكامل تقريباً بواسطة أزهار صيفية وسط مرج أخضر جميل. "هل اعتقدت بأنني *سأسرق* شيئاً منها؟"

"لا، بالطبع لا. الأمر ببساطة هو أن..". *الأمر ببساطة هو أن بقية حياتـي كلهـا موجـودة فيها،* قال في نفسه. *حياتي خارج هذه الغرفة. خـارج الألـم. خارج الطريقة التي يمتد فيها الزمن مثل شريط وردي طويل من لبانة تنتج فقاعات، يخرجها طفل من فمه عندما يكون سئماً. لأن هذا هو حالي منذ ساعة تقريباً قبل أن تأتي الأقراص.*

"الأمر ببساطة *ماذا* يا رجل؟" ألحت عليه، ولاحظ حينئذ أن النظرة المتمعـنة تزداد غضباً أكثر فأكثر. كان *الشق* يتسع وكأن زلزالاً يحدث في تلك اللحظة خلف جبهتها. كان باستطاعته سماع صفير الرياح الحاد والثابـت في الخارج، وفجأة تخيَّل بأنها تنتشله من فراشه، وترميه على كـتفها الصـلبة، فيـتدلى مثل كيس خيش معلَّق فوق حائط حجري، ثم تحمله إلى الخارج، وترميه فوق كومة من الثلج، فيتجمد حتى الموت.

قـال لهـا، مندهشاً من سهولة خروجه بهذه الكذبة: "لطالما طلب منـي والدي أن أحافظ على محفظتي". ففي الحقيقة، لقد تدبَّر والده أمر تربيته دون أن يعيره انتباهه إلا عند الضرورة القصوى، وطوال عمره لـم يقدم لبول – بقدر ما تسعفه ذاكرته – إلا نصيحة واحدة فقط. حدث ذلـك في عيد مولده الرابع عشر حين أعطاه والده واقياً ذكرياً من نوع ريـد ديفـل فـي مغلـف لامع. قال له روجر شيلدون: "ضع ذلك في محفظـتك، فإذا ما تهيَّجت يوماً وأنت تعمل في خدمة الزبائن، خذ ثانية قبل أن تستبد بك الرغبة، وارتدِ هذا الشيء. هناك الكثير من السفلة في هـذا العـالم، وأنا لا أريدك أن تنضم إلى ضحاياهم، وأنت في السادسة عشرة من عمرك".

هـنا، اسـتأنف بول كلامه: "أعتقد بأنه طلب مني المحافظة على

محفظتي مرات عديدة جداً لدرجة أن ذلك انحفر في داخلي إلى الأبد. فإذا أسأتُ إليكِ، أنا أعتذر بشدة".

أحست آني بالارتياح، وانفرجت أساريرها. ورُدم *الشق*، ومالت الأزهار الصيفية برؤوسها بمرح من جديد. تخيَّل بأنه يدفع بيده داخل ابتسامتها فلا يجد شيئاً سوى العتمة اللينة. "لا إساءة على الإطلاق. إنها في مكان آمن. انتظر... لديَّ شيء من أجلك".

خرجت قليلاً، ثم عادت وبيدها زبدية من الحساء الساخن. كانت الخضار طافية على وجه الحساء. صحيح أنه لم يكن قادراً على أكل الكثير، لكنه أكل أكثر مما كان يعتقد في البداية بأنه قادر على أكله. فبدت عليها أمارات الرضا. وبينما كان يتناول الحساء أخبرته بما حصل. أمّا هو فلقد تذكَّر ما قالته حرفياً، وقد اعتقد حينئذ بأنه من الجيد أن يعرف المرء كيف انتهى به الأمر بساقين مكسورتين. لكنّ الطريقة التي توصل بها إلى هذه المعرفة كانت غير مريحة، فقد بدا له الأمر وكأنه شخصية ما في إحدى القصص أو المسرحيات، شخصية لم يُسرَد تاريخها باعتباره تاريخاً بل ابتُدعت من وحي الخيال.

كانت قد ذهبت إلى سايدويندر بواسطة سيارة من أجل إحضار العلف للماشية وبعض الأشياء من البقالية... وإلقاء نظرة على الكتب ذات الأغلفة الورقية في مركز ويلسون للأدوية. وكان ذلك يوم الأربعاء أي قبل أسبوعين تقريباً من الآن، والكتب ورقية الغلاف تأتي يوم الثلاثاء.

قالت وهي تطعمه الحساء بالملعقة، ومن ثم تمسح بمهنية عالية نقطة سالت على زاوية فمه بواسطة منديل: "في الحقيقة، كنت *أفكّر* بك، هذا ما يجعل الأمر مصادفة رائعة، ألا ترى ذلك؟ كنت آمل أن يصدر أخيراً كتاب *طفل ميزري* بغلاف ورقي، ولكن لم يحالفني الحظ".

قالت آني: "كانت هناك عاصفة قادمة". ولكن، حتى منتصف ظهر ذلك اليوم، كان متوقعو حالة الطقس يزعمون بكل ثقة بأنها ستنحرف

جنوباً باتجاه نيو مكسيكو وسانغري دو كريستوس.

قـــال، متذكراً بينما كان يتحدث: "أجل، قالوا إنها ستحوّل وجهتها. ولهــذا السبب بالذات ذهبت". حاول أن يحرك ساقيه فكانت النتيجة أن تفجرت شرارة من الألم جعلته يئن من الوجع.

قالـــت آنـــي: "لا تفعل ذلك، إذا دفعت ساقيك للتحدث يا بول فلن تصـــمتا أبداً... ولن أستطيع إعطاءك المزيد من الأقراص قبل ساعتين من الآن. أنا أعطيك الكثير مسبقاً".

لمـــاذا لست في المستشفى؟ هذا هو السؤال البديهي الذي يجب أن يُطـــرَح، لكـــنه لم يكن متأكداً من أنه سؤال يودّ أي منهما طرحَه. ليس الآن على أية حال.

"عندما وصلت إلى مخزن العلف، أخبرني توني روبرتس بأنه من الأفضل لي أن أدخل إذا كنت سأرجع إلى هنا قبل أن تضرب العاصفة، فقلت له..".

سألها بول، "كم نبعد عن هذه البلدة؟"

أجابته بغموض مشيحة بنظرها نحو النافذة "مسافة". ثم مرّت فترة فاصـــلة من الصمت المريب. ارتعب بول مما رآه على وجهها، لأن ما رآه كان لا شيء، لا شيء لكنه أسود قاتم. *شق* عميق وسط مرج جبلي، ســـواد لا تنمو فيه أي أزهار والسقوط فيه قد يكون طويلاً. كان وجهاً لامـــرأة أصـــبحت فجأة متحررة من كل المواقف والمعالم البارزة في حـــياتها، امرأة نسيت ليس فقط الذكرى التي كانت في سياق سردها، بل نسيت الذاكرة نفسها. هو نفسه كان قد طاف في ملجأ ذهني ذات مرة – حدث ذلك منذ سنين، عندما كان يقوم بكتابة *ميزري*، أول الكتب الأربعة التـــي شـــكلت مصدر دخله الرئيس طوال السنوات الثمانية الماضية – وعرف هذه النظرة... أو، بدقة أكبر، هذه اللانظرة. الكلمة التي تعرّفها هـــي كَتَتونيا (حالة من الذهول والجمود قريبة من فقدان الوعي، تقترن عـــادة بانفصام الشخصية) لكن ما أخافه لم يكن هذه الحالة بالضبط، بل

كـــان مقارنـــة غريـــبة أجراها في ذهنه، فقد اعتقد في تلك اللحظة بأن أفكارهـــا أصـــبحت مشابهة إلى حدٍّ كبير لذاتها الجسمانية التي تخيلها: صلبة، ليفية، بلا انثناءات، وبلا مناطق فاصلة.

بعـــد ذلـــك، انفرج وجهها بشكل تدريجي. وبدت الأفكار وكأنها تتدفق إليها من جديد. لكنه أدرك بأن *التدفق* كان غير دقيق تماماً. فهي لم تكن تمتلئ، مثل بركة أو مكان تتجمع فيه مياه المدّ، بل كانت *تسخن*. *نعم... إنها تسخن، مثل أداة كهربائية صغيرة. محمصة، أو ربما وسادة تدفئة.*

"قلـــت لتونـــي، 'تلك العاصفة ستتجه جنوباً'". في البداية، تحدثتْ بـــبطء وبشكل غير متناغم إلى حدٍّ ما، لكن كلماتها بعد ذلك بدأت ترجع إلـــى إيقاعها الطبيعي وإلى قدراتها الطبيعية في المحادثة. بيد أنه أصبح يحس بالقلق الآن. *فكل* ما قالته كان غريباً بعض الشيء، وغير طبيعي. كـــان الاســـتماع إلـــى آني أشبه بالاستماع إلى أغنية معزوفة بالمفتاح الموسيقي الخاطئ.

"لكنه قال: 'لقد غيَّرتْ رأيها'".

قلـــت: "يـــا للهـــول، من الأفضل أن أركب سيارتي وأمضي في طريقي".

فأجابنـــي: "لـــو كنـــتُ مكانكِ لبقيت في البلدة سيدة ويلكس، إنهم يقولون الآن في الراديو بأنها قد تشتد ولا أحد مستعد لها".

"لكننـــي بالتأكـــيد كنـــت *مضطرة* للرجوع فليس هناك من يطعم الحيوانات غيري. وأقرب أناس هم آل رويدمان، وهم يبعدون أميالاً من هنا. أضف إلى ذلك أن آل رويدمان لا يحبونني".

رمقته بنظرة ثاقبة بينما كانت تقول هذه الكلمات الأخيرة، وعندما لم يجب نقرت على حافة الزبدية بطريقة آمرة.

"انتهيت؟"

"أجـــل، لقـــد اكتفيـــت، شكراً. كان لذيذاً.. هل تملكين الكثير من

الماشية؟"

لأنـــه لو كان ذلك صحيحاً – فكَّر في داخله – *فهذا يعني بالتأكيد بأن لديها من يساعدها، أو لديها رجلٌ يعمل بالأجرة على الأقل*. مساعد هي الكلمة المناسبة، فهو كان قد لاحظ مسبقاً بأنها لا ترتدي خاتم زواج في يدها.

أجابــت، "ليس الكثير، لديَّ نصف دزينة من الدجاجات البيَّاضات وبقرتان. وميزري".

رمش بعينيه مستغرباً.

ضـــحكت وقالـــت: "ستظن بأنني سمجة جداً لتسمية خنزيرة باسم المرأة الشجاعة والجميلة التي ابتدعتها. لكنه اسمها وأنا لم أتعمد الإساءة علـــى الإطـــلاق". ثم أضافتْ بعد لحظة من التفكير: "إنها ودودة جداً". تجعَّـــدت المـــنطقة فـــوق أنفها، وأصبحت للحظة هي نفسها خنزيرة، وخاصـــة مع الشعيرات القاسية القليلة التي نمت فوق ذقنها. وأصدرت صـــوتاً يشـــبه صـــوت الخـــنزير: *"ووينك! ووينك! ووهو – ووهو – ووينك!"*

نظر بول إليها بعينين جاحظتين.

لـــم تلاحـــظ آنـــي ذلـــك، فهي كانت قد ذهبت بعيداً مرة أخرى، وأصبحت نظرتها ضبابية ومتفكرة. ولم يكن ثمة أي انعكاس في عينيها باســـتثناء المصباح الموجود على الطاولة المحاذية للسرير، والذي سكن بشكل خافت في كل واحدة منهما.

أخيراً، استأنفت حديثها من جديد، فقالت بصوت ضعيف: "قطعت حوالى خمسة أميال ثم بدأ الثلج بالسقوط. جاء بسرعة؛ ما إن يبدأ الثلج بالانهمـــار هنا حتى يسقط بسرعة، هكذا كان الأمر دائماً. تقدمت ببطء وأنـــوار مصـــابيحي مضـــاءة، فوجـــدت سيارتك على جانب الطريق، مقلوبة". نظرت إليه شزراً. "لم تكن *مصابيحك* مضاءة".

"لقد حدث الأمر بشكل مباغت". قال ذلك متذكراً فقط كيف أنه أُخذ

على حين غرة. فهو لم يتذكر بعد أنه كان مخموراً أيضاً.

قالت آني: "توقفت، لو كنت على منحدر لما كنت قد توقفت. إنه ليس تصرفاً أخلاقياً، أعرف، لكن سماكة الثلج على الطريق كانت تبلغ ثلاثة إنشات مسبقاً، وحتى لو كنت تقود سيارة فليس بإمكانك أن تضمن الانطلاق من جديد عندما تتوقف عن الحركة. من الأسهل لك أن تقول لنفسك، 'لعلهم خرجوا من السيارة، وحصلوا على توصيلة' إلى آخره، إلى آخره. لكن سيارتك كانت على قمة الهضبة الكبيرة الثالثة بعد منزل آل رويدمان، وهناك يصبح الطريق منبسطاً لمسافة لا بأس بها. وهكذا أوقفت سيارتي، وحالما خرجت منها سمعت صوت أنين. كان صوتك *أنت* يا بول".

رمقته بنظرة أمومية غريبة.

عندئذ، اتضحت الصورة في ذهن بول شيلدون للمرة الأولى: *إنني واقع في ورطة هنا. هذه المرأة غير طبيعية.*

6

جلست بجانبه حيث كان يستلقي، في ما يمكن أن تكون غرفة نوم إضافية، للدقائق العشرين التالية وتكلمت. عندما امتص جسده الحساء، صحا الألم في ساقيه من جديد. أرغم نفسه على التركيز على ما كانت تقوله، لكنه لم يكن قادراً على النجاح في القيام بذلك بشكل كامل. كان ذهنه مقسوماً إلى قسمين؛ أحدهما كان يستمع إليها وهي تخبره كيف سحبته من سيارته الكامارو 74 المهشمة؛ وذلك هو القسم الذي ينبع منه الألم مثل زوج من الأوتاد المتكسرة اللذين يومضان ويختفيان بين موجات المدّ المنحسرة. أمّا في القسم الثاني فكان باستطاعته رؤية نفسه في فندق بولديرادو يكتب السطور الأخيرة من روايته الجديدة التي لا تضم ميزري تشاستين – شكراً لله على نعمه الصغيرة – بين

شخصياتها.

كان يملك من الأسباب، ومن كل الأنواع، ما يدفعه لعدم الكتابة عن ميزري، لكنّ أحد هذه الأسباب كان أكثر بروزاً من البقية، وغير قابل للدحض. لقد ماتت ميزري في النهاية؛ الحمد لله على نعمه *الكبيرة*. ولم تسقط دمعة جافة واحدة من أحد في البيت عندما حدث ذلك. ماتت قبل خمس صفحات من نهاية *طفل ميزري*: "وهكذا غادر إيان وجيفري باحة كنيسة دانثورب معاً، متّكلين على نفسيهما، عاقدين العزم على إيجاد حياتيهما من جديد". كان يضحك بشكل هستيري أثناء كتابته هذا السطر لدرجة *أنه* وجد صعوبة في نقر المفاتيح الصحيحة على الآلة الطابعة، واضطر لإعادة ما يكتب عدة مرات. الشكر لله على وجود القلم المصحِّح أي بي أم. كتب كلمة **النهاية** في الأسفل ثم راح يثب بفرح في أرجاء الغرفة – نفس الغرفة في فندق بولديرادو – صارخاً *أخيراً لقد تحررت! أخيراً لقد تحررت! يا الله، لقد أصبحت حراً أخيراً! لقد باعت السافلة التافهة المزرعة أخيراً!*

كانت الرواية الجديدة بعنوان **سيارات سريعة**. هذه المرة لم يضحك عندما انتهى منها، بل اكتفى بالجلوس بجانب الآلة الكاتبة لبرهة، محدِّثاً نفسه، *لعلك فزت للتو بجائزة الكتاب الأميركي للسنة القادمة يا صديقي*. ثم رفع –

"– كدمة صغيرة على صدغك الأيمن ليست بالأمر المهم على الإطلاق. إنهما ساقاك... كان باستطاعتي مباشرة رؤية – حتى مع ذلك الضوء الخافت – أن ساقيك لم –"

– الهاتف واتصل بخدمة الغرف من أجل طلب زجاجة **دوم بيريغنون**. تذكَّر أنه انتظر إحضارها؛ وهو يمشي ذهاباً وإياباً في الغرفة التي أنهى فيها كل كتبه منذ العام 1974؛ تذكَّر إعطاءه النادل ورقة من فئة الخمسين دولاراً كبقشيش له، وأنه سأله إذا ما استمع إلى النشرة الجوية؛ وتذكَّر النادل المرتبك، المبتسم، والمبتهج يقول له بأن العاصفة

المتجهة نحوهم في تلك الآونة يُفتَرض بأنها ستنحرف قليلاً نحو الجنوب باتجـاه نيومكسـيكو؛ تذكّـر إحساسـه بالقشعريرة لدى لمسه الزجاجة الـباردة، والصوت الأكتم الذي صدر عن الفلينة عندما حرّرها بلطف؛ والطعـم الحامضـي الجاف للكأس الأولى، وفتحه حقيبة سفره وإلقاءه نظرة على تذكرة الطائرة التي ستقله إلى نيويورك؛ كما تذكّر فجأة أنه، بتأثير تلك اللحظة، قرر –

"– بـأن من الأفضل أن آخذك إلى البيت في الحال! كان إيصالك إلـى الشاحنة أمراً مجهداً، لكنني امرأة ضخمة – لعلك لاحظت ذلك – وكنـت أملـك كومـة مـن البطانيات في الخلف. أدخلتك إلى الشاحنة وغطّيـتك بالبطانيات. وحتى في تلك اللحظة، مع الضوء الخافت وكل شيء، اعتقدت بأن وجهك كان يبدو *مألوفاً!* اعتقدت ربما –"

– إخـراج الكامـارو من المرآب والتوجه غرباً بدلاً من ركوب الطائـرة. ومـاذا بحـق... كان يوجـد في نيويورك على أيـة حال؟ المـنزل فـارغ، كئيب، عدائي، وربما مسروق. *تباً له!* فكّر في نفسه، وهـو يشـرب المزيد من الشراب. *اذهب غرباً يا رجل، اذهب غرباً!* كانـت الفكـرة مجـنونة إلى درجة جعلتها منطقية. لم يأخذ أي شيء باستثناء بَدَلاً من الثياب و –

"– وجـدت حقيـبة. وضعتها داخل السيارة أيضاً، ولكن لم يكن بمقـدوري رؤيـة أي شيء آخر وكنت خائفة من أن تموت عليَّ أو ما يشبه ذلك، لذا أدرتُ محرّك أولد بيسي وأخذتك –"

– ومخطوطة روايته **سـيارات سريعة** وانطلق باتجاه لاس فيغاس أو ريـنو أو ربمـا سـيتي أوف ذا انجلز. تذكّر أن الفكرة بدت سخيفة بالنسـبة إليه في البداية. لربما كانت الرحلة مناسبة بالنسبة لذلك الشاب الـذي كـان علـيه عـندما بـاع روايته الأولى ولم يكمل بعد الرابعة والعشـرين مـن عمره، لكنها ليست كذلك بالنسبة لرجل مضت سنتان على ذكرى مولده الأربعين. ولكن، بعد بضع كؤوس من الشراب لم تعد

الفكرة تبدو سخيفة أبداً، بل إنها في الحقيقة بدت أقرب لأن تكون مشوقة ومثيرة. نوع من رحلة طويلة إلى مكان ما، طريقة لتقديم نفسه من جديد إلى الواقع بعد عيشه الخيالي في الرواية. وهكذا، وقع –

"– أدخلـتك بسـرعة! كنت متأكدة من أنك ستموت... أعني، كنت مـتأكدة! أخرجت محفظتك من جيبك الخلفي ونظرت إلى رخصة القيادة الخاصة بك ورأيت الاسم، *بول شيلدون*، وقلت في نفسي: 'أوه، لا بد أنها مصـادفة'. لكـن الصورة الموجودة على الرخصة تشبهك أيضاً، بعدها أُصـبت بالذعـر حتى أنني اضطررت إلى الجلوس على مائدة المطبخ. اعـتقدت في البداية بأنه سيغمى عليَّ. وبعد فترة قصيرة، بدأت أفكر بأن الصورة قد تكون مصادفة هي الأخرى – إن صور رُخص القيادة لا تبدو بأنهـا تشبه أحداً – لكنني وجدت بعد ذلك بطاقتك الخاصة بنقابة الكتَّاب، وواحدة من جمعية الكتَّاب الدولية بن PEN فعلمت بأنك كنت –"

– في مشكلة عندما بدأ الثلج بالتساقط، لكنه – قبل فترة طويلة من ذلك – كان قد جلس في فندق بولديرادو وأعطى جورج عشرين دولاراً مـن أجل تزويده بزجاجة **دوم بيريغنون** ثانية، وشربها كلها بينما كان يقود باتجاه جبال روكي تحت سماء بلون البرونز الداكن، وفي مكان ما إلـى الشـرق مـن نفق آيزنهاور غيَّر وجهته لأن الطرق كانت جافة ومكشوفة، ولأنه كان يعتقد بأن العاصفة كانت تنحرف إلى الجنوب، كما أن الـنفق اللعيـن جعله عصبياً. كان يستمع إلى شريط بو دودلي ولم يشغِّل الراديو إلى أن بدأت الكامارو بالانزلاق والتزحلق بشكل خطير، عـندئذ بـدأ يـدرك بأنها لم تكن مجرد عاصفة ثلجية داخلية عابرة بل عاصـفة حقيقـية. لعـل العاصفة لم تكن تنحرف باتجاه الجنوب على الإطـلاق؛ لعلهـا كانـت مـتجهة نحوه مباشرة. ولذا كان في مشكلة عويصة.

(*كما هو حالك أنت الآن*).

لكـنه كـان مخموراً بما يكفي لكي يعتقد أن بإمكانه الخروج منها

بســلام. لــذا، بــدلاً من التوقف في بلدة **كانا** والبحث عن ملجأ له، قاد سيارته قدماً. كان باستطاعته أن يتذكر كيف تحوّل بعد ظهر ذلك اليوم إلى لونٍ رمادي كئيب، وكيف بدأ تأثير الشراب بالتلاشي تدريجياً. كان باســتطاعته أن يتذكر كيف انحنى إلى الأمام كي يأخذ علبة سجائره من على لوحة العدّادات، وحصل ذلك عندما بدأت الانزلاقة الأخيرة، وكيف أنه حاول التعامل معها، لكنّ الأمور استمرت بالتفاقم. وكان باستطاعته أن يــتذكر أيضاً صوت ضربة قوية مكتومة وانقلاب العالم رأساً على عقب. كان –

"– *صرخت!* وعندما سمعتك تصرخ، عرفت بأنك ستعيش. نادراً ما يصرخ المحتضرون، لأنهم يفتقدون إلى الطاقة. أنا أعلم، فقررت بأن *أساعدك* كي تبقى على قيد الحياة. جلبت بعضاً من الأدوية المسكِّنة لديَّ وجعلــتك تتــناولها. بعــد ذلك غفوت. وعندما أفقت من نومك وبدأت الصراخ من جديد، أعطيتك المزيد من المسكِّنات. داهمتك الحمَّى لبعض الوقــت، لكنني تمكنت من مداواتها أيضاً. أعطيتك دواء كيفليكس. لكن كل شيء انتهى الآن، أعدك". عندئذ، نهضت واقفة. "والآن حان الوقت لكي ترتاح يا بول. عليك أن تستعيد قوتك".

"ساقاي تؤلمانني".

"نعم، أنا متأكدة من ذلك. سأعطيك بعض الأدوية خلال ساعة".

"الآن، أرجــوك". أحــس بالخجل لأنه توسل إليها، لكنه لم يستطع منع نفسه من ذلك. فالمد انحسر والوتدان المتكسران وقفا عاريين.

قالــت بحزم: "خلال ساعة". ثم اتجهت نحو الباب وبيدها الملعقة وصحن الحساء.

"انتظري!"

عــادت أدراجهــا، وهــي تنظر إليه بتعبير فيه مزيج من الحزم والحب. لم يعجبه ذلك التعبير، لم يعجبه *أبداً*.

"انقضى أسبوعان منذ أن انتشلتني؟"

بدت غامضة مرة أخرى، ومنزعجة. لقد أحس بأن إدراكها للزمن لم يكن جيداً.

"شيء قريب من ذلك".

"هل كنت فاقد الوعي؟"

"كل الوقت تقريباً".

"ماذا أكلت؟"

حدَّقت فيه بإمعان ثم قالت بإيجاز: "أي في".

"أي في؟"

أخطـأت فـي فهم دهشته واستغرابه إذ اعتقدت بأنه يجهل معنى ذلك.

فقالت: "لقد غذَّيتك عن طريق الوريد. من خلال أنابيب. وهذا هو سـبب وجود تلك العلامات على ذراعيك". نظرت إليه بعينين أصبحتا فجأة كامدتين ومتفكرتين. "أنت مدين لي بحياتك يا بول. أتمنى أن تتذكر ذلك. آمل أنك لن تنسى ذلك".

ثم خرجت.

7

انقضت الساعة. وأخيراً انقضت الساعة.

تمـدد فـي سـريره، يتصبب عرقاً ويرتجف في آن واحد. ومن الغـرفة جـاءت فـي البداية أصوات هوك آي وهوت ليبس، ومن ثم أصوات العاملين على الأسطوانات الموسيقية في محطة و. ك. ر. ب، تلك المحطة المجنونة والطائشة في مدينة سينسيناتي. ثم جاء صوت أحد المذيعيـن، وقدَّم رقم 800 ثم أطرى على فرقة جينسو نايفز الموسيقية، وأبلغ المشاهدين في كولورادو الذين كانوا يتلهفون لسماع مجموعة جيدة من موسيقى جينسو نايفز بأن "العاملين كانوا يستعدون".

وبول شيلدون كان أيضاً يستعد.

ظهـرت فجأة عندما دقت الساعة في الغرفة الأخرى معلنة حلول الساعة الثامنة، مع قرصين من الدواء وكأس من الماء.

رفع نفسه بحماس على مرفقيه وقوّم نفسه على السرير.

قالت له: "حصلت *أخيراً* علي كتابك الجديد منذ يومين". كان الثلج يدق في الكأس على نحو مثير للإزعاج. "*طفل ميزري*. لقد أعجبني... إنه جميل كما هو حال بقية الكتب. بل أفضل منها! بل الأفضل!"

"أشـكرك". قالهـا بصـعوبة. كـان يحس بالعرق على جبهته. "رجاءً... ساقاي... تؤلمانني بشكل فظيع..".

قالت مبتسمة بشكل حالم: "كنت *أعلم* بأنها سوف تتزوج إيان. وأنا أعـتقد بـأن إيـان وجيفري سيصبحان صديقين مرة أخرى، في نهاية المطاف. *أليس كذلك*؟" لكنها قالت على الفور: "لا، لا تخبرني! أريد أن أكتشف ذلك بنفسي. أنا أقرأها ببطء عن قصد، لأنني أنتظر طويلاً قبل أن تصدر رواية أخرى".

ضـرب الألـم في ساقيه وعقد دائرة فولاذية صغيرة حول نهاية فخذه. كان قد لمس نفسه في تلك المنطقة لاعتقاده بأن حوضه لم يُصَب بـأذى، لكنه شعر بأنه ملتوٍ وغير طبيعي. أما ما تحت ركبتيه، فلم يكن يشعر بأن فيهما *أي شيء* سليم. لم يشأ النظر إليهما. كان بإمكانه رؤية الأشكال المتكتلة والملتوية التي ترسمها أغطية السرير، وكان ذلك كافياً بالنسبة إليه.

"أرجوك؟ آنسة ويلكس؟ الألم –"

"نادني آني. كل أصدقائي ينادونني بهذا الاسم".

ناولـته الكأس. كان بارداً تغطيه قطرات من الماء بفعل الرطوبة. لكـنها احتفظت بقرصي الدواء المسكن. كان القرصان الموجودان في يدهـا همـا المد. وهي القمر الذي جلب المد كي يغطي الوتدين. قرّبت القرصين من فمه، ففتحه على الفور... ثم سحبتهما.

"سمحت لنفسي بالنظر في حقيبتك الصغيرة. أنت لا تمانع، أليس كذلك؟"

"لا، لا، بالطبع لا. الدواء –"

كانت قطرات العرق المتصبب على جبهته تعطيه شعوراً بالبرودة والحرارة بشكل متناوب. هل كان سيبكي؟ اعتقد بأنه ربما سيفعل.

قالت آني: "أرى بأن هناك مخطوطة في الحقيبة". أمسكت بالقرصين في يدها اليمنى، ثم أمالتها ببطء لتسقطهما في يدها اليسرى. وكانت عيناه تتبعانهما. "إنها بعنوان **سيارات سريعة**. ليست جزءاً من روايات *ميزري*، أعلم ذلك". نظرت إليه بشيء من عدم الاستحسان – ولكن، كما في السابق – ممزوجاً بالحب؛ كانت نظرة *أمومية*. "ليس هناك سيارات في القرن التاسع عشر، سريعة أم غير سريعة!" قهقهت لهذه النكتة الصغيرة. "كما سمحت لنفسي بإلقاء نظرة عابرة عليها... أنت لا تمانع، أليس كذلك؟"

قال متأوهاً: "من فضلك، لا، ولكن، رجاءً –"

مالت يدها اليسرى، وتدحرج القرصان، تململا قليلاً، ثم سقطا ثانية في يدها اليمنى مصدرين صوت طقطقة خافتة.

"وماذا إذا قرأتها؟ لن تمانع إذا قرأتها؟"

"لا–" كانت عظامه محطمة، وساقاه مليئتين بشظايا متقيحة من الزجاج المكسور. "لا..". ثم رسم على شفتيه شيئاً أمل بأن يكون ابتسامة. "لا، بالتأكيد لا".

قالت بشكل جدي وصادق: "لأنني لن أسمح لنفسي بالقيام بمثل هذا الشيء بدون إذنك. إنني أحترمك بشدة. في الواقع، بول، إنني أحبك". احمرَّ وجهها بشكل مفاجئ ومثير للقلق. سقط أحد القرصين على غطاء السرير فحاول بول خطفه، لكنها كانت أسرع منه. فتأوه بول من الألم، لكنها لم تلاحظ ذلك، فبعد إمساكها بالقرص، غابت مرة أخرى عن الواقع وهي ترنو بنظرها نحو النافذة، وقالت: "*عقلك*، *إبداعك*. هذا ما

أعنيه فقط".

قال بول بيأس، لأنه الشيء الوحيد الذي كان يستطيع التفكير فيه: "أعرف. أنت معجبتي رقم واحد".

هـذه المرة، لم يبتهج وجهها فقط، بل أضاء وقالت بصوتٍ عالٍ: "هـذا هو! هذا هو *بالضبط*! وأنت لا تمانع إذا قرأتها بهذه الروح، أليس كذلـك؟ بروح... المعجبة المحبة؟ حتى لو كنت لا أحب كتبك الأخرى، إضافة إلى قصص ميزري؟"

"لا". قال وأغمض عينيه. *لا، حوّلـي أوراق المخطوطة إلى قبعات ورقية إذا أحببت، فقط... رجاءً... إننـي أموت هنا...*

قالـت بلطف: "أنت *طيِّب*، عرفت بأنك ستكون شخصاً طيِّباً. من قـراءة كتبك فقط، عرفت بأنك كذلك. رجل يمكنه أن يفكر في ميزري تشاسـتين، فـي البداية يفكر فيها فقط ثم ينفخ *الحياة* فيها، لا يمكنه أن يكون غير ذلك".

ثم أصبحت أصابعها في فمه فجأة، حميمة على نحو مثير للدهشة، ومفـرحة ولكن قذرة. مص القرصين من بين أصابعها وابتلعهما حتى قبل أن يتحسس انسكاب كأس الماء في فمه.

قالـت: "تمامـاً مثل الطفل الرضيع". لكنه لم يستطع رؤيتها لأن عينـيه كانـتا ما تزالان مغمضتين، والآن أصبح يشعر بوخز الدموع. "ولكن جيد، هناك الكثير مما أريد أن أسألك عنه... الكثير مما أريد أن أعرفه".

أصدرت نوابض السرير صريراً عندما نهضت عنه.

أضافت آني: "سنكون سعيدين جداً هنا". على الرغم من أن موجة من الرعب هزت قلبه، إلا أن بول لم يفتح عينيه.

8

تغيرت حالته تماماً. لقد جاء المد وحمله معه. ظل التلفاز يعمل في الغرفة الأخرى لفترة ثم توقف. كانت الساعة تصدر دقات في بعض الأحيان وكان يحاول إحصاء الدقات، لكنه كان دائماً يضيع بينها.

أي قي من *خلال أنابيب! هذا هو سبب وجود تلك العلامات على ذراعيك.*

رفع نفسه على مرفق واحد وحاول تلمس طريقه إلى المصباح إلى أن وصل إليه أخيراً وشغّله. نظر إلى ذراعه وفي الجزء الأمامي من مرفقيه شاهد ظلالاً متداخلة من اللونين الأرجواني والبني المصفرّ، وثقباً مليئاً بدم أسود في منتصف كل من الكدمتين.

اضطجع ثانيةً، وهو ينظر إلى السقف ويستمع إلى صوت الريح. كان يقبع بالقرب من قمة سلسلة جبال غريت ديڤايد في قلب الشتاء مع امرأة عقلها ليس سليماً، امرأة غذّته عن طريق الوريد عندما كان غائباً عن الوعي، امرأة من الواضح أنها كانت تملك مخزوناً لا ينضب من الأدوية، امرأة لم تخبر أحداً بوجوده هنا.

كانت هذه الأشياء مهمة، لكنه بدأ يدرك بأن هناك شيئاً أكثر أهمية منها: كان المد قد بدأ ينحسر من جديد. وهكذا، بدأ ينتظر انطلاق صوت منبه ساعتها في الطابق العلوي. صحيح أنه لن يرن إلا بعد وقت طويل، لكن الوقت قد حان بالنسبة إليه كي يبدأ بانتظاره.

صحيح أنها كانت مجنونة لكنه كان بحاجة إليها.

أوه، أنا واقع في مشكلة كبيرة، قال في نفسه، ثم حدّق في السقف دون أن ينظر إلى شيء وقطرات العرق بدأت تتجمع على جبهته ثانيةً.

9

فــي الصــباح التالي، جلبت إليه المزيد من الحساء وأخبرته بأنها قــرأت أربعين صفحة مما سمّته "مخطوطة كتابه". كما أخبرته بأنها لم تكن تعتقد بأنه بمثل جودة بقية أعماله.

"مــن الصــعب تتــبعه. إنه يقفز دائماً في الزمن تارة إلى الأمام وأخرى إلى الوراء".

فأجابهــا بول، "هذه تقنية". كان في منطقة وسطى بين التألم وعدم التألم، ولهذا السبب كان بمقدوره التفكير قليلاً في ما كانت تقوله. "تقنية، هــل هــذا كــل ما في الأمر. الموضوع... الموضوع هو الذي يحدد الشكل". افترض بأن مهارات المهنة هذه قد تهمها، أو ربما تفتنها. والله يعلــم بــأن تلك المهارات كانت تسحر الحضور في حلقات البحث التي كــان الأدباء يعقدونها، والتي كان يحاضر فيها أحياناً عندما كان شاباً. "إن عقل الفتى، كما ترين، مضطرب، ولهذا السبب –"

"صــحيح! إنه مضطرب جداً، وهذا ما يجعله أقل إثارة للاهتمام. ليس *مملاً* – أنا متأكدة من أنك لا تستطيع ابتكار شخصية *مملة* – لكنه *أقــل* إثــارة للاهتمام. والبذاءة! بين كل كلمة وأخرى هناك تلك الكلمة المقــرفة! إنهــا –" فكّــرت قليلاً، بينما كانت تلقمه الحساء بشكل آلي، وتمســح فمــه إذا سال عليه شيء دون أن تنظر إليه تقريباً، كما يفعل ضــارب الآلة الكاتبة الخبير دون أن ينظر إلى المفاتيح؛ وهذا ما جعله يــدرك، مباشــرة، بأنهــا كانت ممرضة. ولكن، ليست طبيبة. أوه لا، فالأطــباء لــن يعرفوا متى يسيل الطعام، ولن يقدروا على توقع مسار السيلان بمثل هذه الدقة المتناهية.

لــو كان خبير الأرصاد الجوية المسؤول عن تلك العاصفة ماهراً في عمله بمثل مهارة آني ويلكس في عملها، لما كنتُ قد علقتُ في هذه الورطة اللعينة، قال في نفسه بمرارة.

"لـــيس فـــيها أي شيء من *النُبل!*" صاحت فجأة، وهي تقفز واقفة حـــتى أنهـــا كادت أن تريق الحساء على وجهه الأبيض، المرفوع نحو الأعلى.

قـــال بصبر نافد: "نعم، أنا أفهم ما تعنينه يا آني. ذلك صحيح، إن تونـــي بوناســـارو لا يملك أي نبل. إنه فتىً يعيش في حي فقير يحاول الخـــروج مـــن بيئة سيئة، أتفهمين، وتلك الكلمات... الجميع يستخدمون تلك الكلمات في –"

قالـــت رامقة إياه بنظرة محرِّمة: "*غير صحيح!* ماذا تظنني أفعل عـــندما أذهـــب إلى مخزن العلف في البلدة؟ ماذا تظنني أقول؟ 'أعطني الآن يا توني كيساً من علف الخنزير الـــ... ذاك وكيساً من علف البقر الـــــ... وبعضـــاً من دواء قمل الأذنين الـــ...'؟ وماذا تظنه يقول لي؟ 'أنت محقة مـــ... يا آني، سآتي في الـــ... الحال'؟"

نظـــرت إليه، وبدا وجهها حينئذ مثل سماء ستولِّد أعاصير في أية لحظة. استلقى بول على ظهره، مرعوباً. كان صحن الحساء يتمايل في يديها، فسقطت قطرة منه، ثم قطرتان على غطاء السرير.

"وبعـــد ذلك، هل أذهب إلى المصرف وأقول إلى السيدة بولينغر، 'إلـــيك هذا الشيك الكبير المـــ... ومن الأفضل لك أن تعطيني خمسين دولاراً مـــ... بأسرع ما يمكنك'؟ هل تظن بأنهم عندما وضعوني هناك على المنصة في دن –"

ســـال بعضٌ من حساء لحم البقر على غطاء السرير. نظرت إلى الحســـاء المـــراق، ثـــم إليه، وانقلب وجهها. "انظر! انظر ماذا جعلتني أفعل!"

"أنا آسف".

"*بالتأكيد! يجب أن تأسف!*" صرخت في وجهه ورمت الصحن إلى الـــزاوية فتكسَّـــر إلـــى شظايا، وتلطَّخ الجدار بالحساء. فشهق بول من فزعه.

عندئذ، توقفت آني. وبقيت جالسة مكانها لما يقارب الثلاثين ثانية. وخلال ذلك الوقت بدا قلب بول شيلدون بأنه لا يدق على الإطلاق.

أفاقت قليلاً من نوبتها الهستيرية ثم قهقهت بعصبية قائلة: "لديّ مثل هذا *المزاج*".

قال بول بصوت جاف: "أنا آسف".

"*ينبغي* أن تكون آسفاً". ارتخى وجهها ثانية ثم نظرت بعصبية إلى الجدار. اعتقد بول بأنها سوف تغيب عن الواقع مرة أخرى، لكنها بدلاً من ذلك أخذت نفساً عميقاً، ثم رفعت جسدها الضخم عن السرير.

"لا حاجة بك لاستخدام مثل هذه الكلمات في كتب *ميزري*، لأنهم لم يكونوا يستخدمون أياً منها على الإطلاق في ذلك الحين. حتى أنها لم تكن قد وجدت بعد. العصور الحيوانية تتطلب ألفاظاً حيوانية، باعتقادي، لكن ذلك الزمن كان *أفضل* من زمننا هذا. عليك أن تلتزم بقصص ميزري يا بول. أنا أقول ذلك بصدق، باعتباري معجبتك الأولى".

ذهبت إلى الباب ثم نظرت إليه ثانيةً. "سأعيد مخطوطة هذا الكتاب إلى حقيبتك وأنهي *طفل ميزري*. قد أعود إلى الرواية الأخرى لاحقاً، عندما أنتهي منها".

قال بول محاولاً الابتسام: "لا تفعلي ذلك إذا كان سيغضبك. أفضّل ألا أغضبك. فأنا، كما تعلمين، أعتمد عليك".

لم تبادله ابتسامته! بل اكتفت بالقول: "أجل، بالتأكيد، بالتأكيد، أليس كذلك يا بول".

ثم غادرت.

10

انحسر المد. وعاد الوتدان إلى الظهور. وبدأ انتظار الساعة كي تدق. ثم جاءت الدقات. فاستلقى على الوسائد يراقب الباب، إلى أن

جـــاءت. كانـــت ترتدي مئزراً فوق كنزتها وواحدة من تنانيرها. وفي إحدى يديها كانت تحمل دلواً لمسح الأرض.

قالت: "أعتقد بأنك تريد دواءك المنتظر".

"نعم، من فضلك". حاول الابتسام لها مظهراً امتنانه وأحس بالعار ثانية؛ فلقد شعر بأنه قبيح أمام نفسه، وبأنه ليس هو.

فقالـــت له: "إنه بحوزتي، ولكن، أولاً عليَّ أن أنظف الفوضى في الـــزاوية. الفوضـــى التي أحدثتها *أنت*. عليك أن تنتظر حتى أنتهي من فعل ذلك".

اســـتلقى فـــي ســـريره، وســـاقاه ترسمان أشكالاً تشبه الأغصان المتكســـرة تحت الغطاء، والعرق البارد يتصبب على وجهه في جداول صغيرة بطيئة الحركة. استلقى وراقبها وهي تمشي نحو الزاوية وتضع الدلـــو على الأرض ثم تلتقط شظايا الصحن وتأخذها إلى خارج الغرفة، ثم تعود فتجلس على ركبتيها بجانب الدلو وتغمر يديها فيه لتخرج خرقة مليـــئة برغوة الصابون فتعصرها ثم تبدأ بتنظيف الحساء المراق على الجـــدار. استلقى وراقبها، وفي النهاية بدأ يرتعش، وزاد الارتعاش من الألـــم، ولكن لم يكن بيده حيلة. وعندما استدارت ورأته يرتجف ويبلل أغطـــية الفـــراش بالعرق، منحته تلك الابتسامة العارفة الماكرة التي لو كان قادراً، لقتلها بسهولة من أجلها.

قالت: "لقد جفَّ على الحائط". ثم أدارت وجهها ثانية نحو الزاوية. "أخشى بأن هذا سيتطلب وقتاً يا بول".

اختفت البقعة رويداً رويداً عن الجص، لكنها استمرت بنقع الخرقة وعصرها والفرك، ومن ثم إعادة العملية كلها من جديد. لم يكن يستطيع رؤية وجهها، لكنَّ اعتقاده – بل *جزمه* – بأنها غابت عن الوعي وأنها قد تستمر بفرك الحائط لساعات كان يعذبه.

أخـــيراً – بالكـــاد قبل أن تدق الساعة لمرة واحدة، معلنة الساعة الثانـــية والنصف – نهضت وألقت الخرقة في الماء. ثم أخذت الدلو من

الغـــرفة دون أن تنبس ببنت شفة. استلقى في السرير وراح يستمع إلى صرير الألواح الخشبية تحت وقع خطواتها الثقيلة الخرقاء، وإلى صوت المـــاء وهي تريقه من الدلو. ولم يصدق أذنيه عندما سمع صوت صمام الحنفية حين بدأت تملأ الدلو من جديد. فراح يبكي بصمت. صحيح أن المــد لــم يكــن قد انحسر بعد، لكنه لم يكن يرى إلا أرضاً طينية تأخذ بالجفاف وذينك الوتدين يلقيان بظلالهما المتكسرة الأبدية عليها.

عـــادت ثانـــية ووقفت للحظة فقط داخل الممر وحدّقت في وجهه الرطب بنفس ذلك المزيج من الصرامة والأمومة. ثم تحوّلت عيناها إلى الزاوية حيث لم يبقَ أي أثر للحساء المتناثر وقالت:

"الآن، عليَّ أن أمسح، وإلا فالصابون سيخلِّف بقعة كامدة. عليَّ أن أقوم بكل شيء. عليَّ أن أعمل على ترتيب كل شيء. العيش وحيدة كما هو الحال معي ليس عذراً على الإطلاق لإهمال العمل. كان لأمي شعار فـــي الحياة يا بول، وأنا أقتدي به دائماً. لقد اعتادت أن تقول 'إن فقدت أناقتك مرة فلن تكسبها ثانية'".

قال متأوهاً من الألم: "رجاءً. رجاءً، الألم، أنا أموت".

"لا، إنك لا تموت".

"سوف أصرخ". قال وقد بدأ يصرخ بصوت أعلى. من المؤلم أن يصـــرخ المـــرء. فالصراخ يؤلم ساقيه ويؤلم قلبه. "لا يمكنني أن أمنع نفسي".

أجابـــته، "فاصـــرخ إذن، ولكـــن، تذكَّر بأنك أنت من تسبب بهذه الفوضى، وليس أنا. إنه خطؤك وحدك".

بطـــريقة مـــا نجح في كبح نفسه عن الصراخ. وراقبها وهي تنقع وتعصر ثم تمسح. تنقع وتعصر ثم تمسح. إلى أن وقفت أخيراً – تماماً عندما بدأت الساعة في الصالون، حسب ظنِّه، تدق معلنة الساعة الثالثة – وأمسكت بالدلو.

إنهـــا ستخرج الآن. ستخرج وسأسمعها تسكب الماء في الحوض،

وربما سوف لن تعود قبل ساعات لأنها ربما لم تكتفِ بعد من معاقبتي.

ولكن، بدلاً من المغادرة، مشت باتجاه السرير ومدت يدها في جيب المئزر ثم أخرجت ليس فقط قرصين بل ثلاثة.

قالت برقة: "خذ".

حدَّق فيها وكأن وجهه كله كان عيوناً فقط.

وضعها بسرعة في فمه، وعندما رفع رأسه شاهدها ترفع دلو المسح البلاستيكي الأصفر باتجاهه. كان الدلو يقترب منه ويملأ مساحة الرؤية لديه مثل قمر ساقط. ومالت المياه الرمادية باتجاه حافة الغطاء.

قالت: "افعل ذلك. أعرف بأنك تستطيع ابتلاع الأقراص بدون ماء، ولكن صدِّقني إذا قلت بأنني أستطيع أن أجعلها تخرج من جوفك ثانيةً. على أي حال، إنها ماء للمسح فقط. إنها لن تؤذيك".

مالت نحوه مثل عمود ضخم، ومال معها الدلو قليلاً. كان باستطاعته رؤية الخرقة وهي تتحرك ببطء في قعره المعتم مثل شيء غارق. كما رأى طبقة رقيقة من الصابون على السطح. جزء منه تذمَّر، لكنه لم يتردد أبداً. شرب بسرعة وانزلقت الأقراص داخل جوفه. كان الطعم في فمه يشبه ذلك الطعم الذي كان يحسه عندما كانت أمه تجبره أحياناً على تنظيف أسنانه بواسطة الصابون.

تحركت معدته وأصدر صوتاً عالياً.

"لو كنت مكانك لما أخرجت الأقراص من جوفي، يا بول. فلن يكون هناك المزيد منها قبل الساعة التاسعة".

نظرت إليه للحظة بدون أي تعبير، ثم أضاء وجهها فجأة وابتسمت.

"إنك لن تغضبني ثانية، أليس كذلك؟"

قال بصوت هامس: "لا". أأغضب القمر الذي يجلب المد؟ يا لها من فكرة! يا لها من فكرة *سيئة*!

قالت آني: "أحبك". ثم قبَّلته على خده وغادرت دون أن تنظر إلى

الخلـف، حاملة دلو المسح كما تحمل المرأة الريفية القوية دلو الحليب، بعيداً قليلاً عن جسدها بحيث لا تريق أياً منه.

استلقى ثانية على ظهره وهو يشعر بطعم الجص والحصى في فمه وحلقه. وبطعم الصابون أيضاً.

لن أتقيأ... لن أتقيأ... لن أتقيأ!

أخيراً، بدأت هذه الفكرة الملحة بالتضاؤل، فأدرك حينئذٍ بأنه كان سينام. لقد فعل كل ما بوسعه، ولمدة لا بأس بها، من أجل أن يبدأ مفعول الدواء بالسريان.

لقد نجح.

هذه المرة فقط.

11

حلم بأن طيراً أكله. وهو ليس بالحلم الجيد. ثم خطر له خاطر، ففكر في نفسه، *نعم*، جيد، حسناً! *أطلق عليه النار! أطلق النار على هذا الشيء اللعين!*

ثم أفاق من نومه، عند سماعه صوت انغلاق الباب الخلفي، فعرف بأن آني ويلكس هي التي فعلت ذلك. كانت قد خرجت لتقوم بأعمالها الروتينية. سمع وقع أقدامها على الثلج. مرت بجانب نافذته وهي ترتدي معطفاً طويلاً ذا قلنسوة تغطي رأسها. زفرت بينما كانت تمشي فتجمَّع نفَسُها أمامها ثم تفرَّق حول وجهها المتحرك. لم تنظر إليه داخل الغرفة، لأنها كانت منهمكة بعملها في الحظيرة – حسب ظنه – تطعم الحيوانات، وتنظف المرابط، وربما تتمتم ببعض التعاويذ السحرية؛ كان يعتقد بأن ذلك ليس غريباً عليها. كانت الشمس تغرب في ذلك الحين وكانت السماء مصبوغة بلون أرجواني يزداد عتمة رويداً رويداً. وكانت الساعة حوالى الخامسة والنصف، وربما السادسة.

كان المد ما يزال موجوداً ومع ذلك فلم يتمكن من العودة إلى النوم – كان يريد العودة إلى النوم – بيد أنه كان مضطراً للتفكير في هذا الوضع الغريب طالما أنه ما يزال قادراً على التفكير بشيء قريب من التفكير العقلاني.

لكنّ أسوأ ما في الأمر، كما اكتشف أثناء إعمال فكره، هو أنه لم يكن يريد التفكير في الأمر حتى عندما كان قادراً على فعل ذلك، حتى عندما علم بأنه لا يستطيع إنهاء ذلك الوضع الغريب بدون التفكير فيه. وظل ذهنه يحاول إبعاد التفكير عنه، مثل طفل يدفع عنه وجبة طعامه بالرغم من إخباره بأنه لا يستطيع مغادرة المائدة إلا بعد أن يأكلها.

لم يكن يريد التفكير في الأمر، لأن مجرد عيشه لهذا الوضع كان قاسياً بما يكفي. وهو لم يكن يريد التفكير فيه لأنه كلما فعل ذلك اعترضته صور وخيالات بشعة؛ الطريقة التي كانت تغيب فيها عن الواقع، الطريقة التي كانت تجعله فيها يفكر في الأصنام والأحجار، والآن الطريقة التي اندفع فيها دلو المسح البلاستيكي الأصفر نحو وجهه مثل قمر ساقط. صحيح أن التفكير في *تلك* الأشياء لم يكن ليغيِّر شيئاً من وضعه – بل كان في الواقع أسوأ من عدم التفكير بها بتاتاً – ولكن ما إن يخطر بباله آني ويلكس، ووضعه هنا في بيتها حتى كانت تأتيه هذه الأفكار كلها، مبعدةً كل ما عداها. فتبدأ دقات قلبه بالتسارع، غالباً من الخوف، ولكن جزئياً من الإحساس بالخجل والعار أيضاً. فقد رأى نفسه يضع شفتيه على حافة الدلو الأصفر، ورأى ماء المسح تعلوه غشاوة من الصابون والخرقة تطفو فيه، رأى هذه الأشياء لكنه شرب بالرغم من ذلك، وبدون أي تردد. إنه لن يخبر أحداً بهذا الأمر أبداً – إذا كان هنالك من احتمال لخروجه من هذا المأزق – كما أنه كان يعتقد بأنه سيحاول أن يكذب على نفسه بشأن هذا الأمر، لكنه لن يكون قادراً على فعل ذلك.

على أي حال، فهو كان ما يزال يريد أن يعيش، سواء أكانت

حياته بائسة أم لا (وقد كانت بائسة بالفعل).

فكِّـــر فـــي الأمـــر، بالله عليك! هل أنت مرعوب إلى حد أنك لا تستطيع حتى أن تحاول.

لا، ولكن مرعوب إلى *ذلك الحد* تقريباً.

ثـــم خطرت له فكرة غريبة وغاضبة: *إنها لا تحب الكتاب الجديد لأنها غبية جداً إلى درجة أنها لا تستطيع فهم ما يذهب إليه.*

لـــم تكـــن الفكـــرة مجرد فكرة غريبة فقط، إذ كان شعورها حول روايـــة **سيارات سريعة**، في ظل تلك الظروف، بعيد الصلة عن الواقع تمامـــاً. لكـــن التفكير في الأشياء التي قالتها كان على الأقل يفتح درباً جديـــداً، والغضب *منها* كان أفضل من الخوف منها، ولهذا السبب تقبَّلها بشيء من الحماسة.

غبـــية جـــداً؟ لا. نمطـــية جداً. ليست فقط غير قابلة للتغيير، بل معادية لفكرة التغيير نفسها.

أجل. ولكن، مع أنها قد تكون مجنونة، فهل كانت مختلفة جداً في تقيـــيمها لعملـــه عن مئات الآلاف من الناس في مختلف أنحاء البلاد – تسعون بالمئة منهم نساء – الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر كل جزء جديـــد – مكوَّن من خمسمائة صفحة – من الحياة العاصفة للطفل اللقيط الـــذي تـــربَّى كـــي يتزوج ممن يشبهه في عالمه؟ كلهم كانوا يريدون ميزري، ميزري، ميزري. وكل مرة كان يأخذ فيها عاماً أو عامين كي يكتـــب واحدة من الروايات الأخرى غير ميزري – الروايات التي كان يحسبها عمله "الجاد" المقرون مع ما كان في البداية يقيناً، ومن ثم أملاً، وأخيراً نمطاً من اليأس الذي لا يتزعزع – كان يتلقى سيلاً من الرسائل المحتجة من هؤلاء النسوة، والعديد منهن كن يوقِّعن خطاباتهن بالكلمات "معجبـــتك رقـــم واحد". كانت نبرة هذه الرسائل تتنوع بدءاً من الحيرة (التـــي كانـــت، لســـبب ما، دائماً الأكثر إيلاماً)، إلى التأنيب، وانتهاءً بالغضـــب الصـــريح، لكن الرسالة كانت دائماً هي نفسها: *لم تكن كما*

توقعت، لم تكن كما أردت. من فضلك عد إلى ميزري. أريد أن أعرف مـــاذا تفعل ميزري الآن! وحتى لو أنه تمكن من كتابة أعمال من أمثال *تحت البركان*، أو *تيس سليلة عائلة أوبرفيل*، أو *الصوت والغضب*، فلن يشـــكل ذلـــك أي فرق، لأن الجميع سيظلون يريدون ميزري، ميزري، ميزري.

من الصعب تتبع الرواية... إنها غير مشوقة... والبذاءة!

اشـــتعل الغضـــب في داخله من جديد. الغضب من غبائها العنيد، الغضـــب من إمكانية أن تكون قد اختطفته وأبقته رهينة لديها هنا، ومن إجـــباره علـــى الاختـــيار بين شرب ماء مسح قذرة أو تحمّل ألم ساقيه المتكســـرتين، وفوق ذلك كله، الغضب من التجرؤ على *انتقاد* أفضل ما كتبه على الإطلاق.

قال لنفسه: "اللعنة عليك وعلى الكلمات البذيئة التي كتبتها". وفجأة أحـــس بأنـــه أفضـــل حالاً، وبأنه عاد إلى طبيعته، بالرغم من أنه كان يعـــرف بـــأن تمرده هذا كان تافهاً ومثيراً للشفقة وبلا أي معنى، فهي كانـــت فـــي الحظيرة حيث لا يمكنها سماعه، وكان المد ما يزال يغطي الوتدين المتكسرين. ما يزال...

تذكّـــر دخولها إلى الغرفة، وامتناعها عن إعطائه أقراص الدواء، وإكراهه على السماح لها بقراءة مخطوطة رواية **سيارات سريعة**. احمر وجهـــه مـــن إحساســـه بالعار والذل، لكنهما هذه المرة كانا ممزوجين بالغضب، الذي تفجَّر في داخله فجأة بعد أن كان مجرد شرارة صغيرة. لـــم يسبق له *أبداً* أن عرض مخطوطة له على أحد قبل أن يعيد تنقيحها وكتابتها. *أبداً*. حتى وكيله، برايس، *أبداً*. لماذا، حتى أنه لم –

لوهلة، انقطعت أفكاره تماماً. لقد سمع صوت بقرة تخور.

لمـــاذا، حـــتى أنه لم يكن يعدّ *نسخة* عن روايته إلى أن ينتهي من المسودة الثانية.

فـــي الواقع، كانت مخطوطة **ســـيارات سريعة**، التي كانت بحوزة

آني ويلكس حينئذ، هي النسخة الوحيدة الموجودة في العالم كله. بل أكثر من ذلك، لقد أحرق ملاحظاته الخاصة بالرواية كلها.

بعد سنتين من العمل المجهد، لم تعجبها الرواية، والأكثر من ذلك أنها كانت مجنونة.

ميزري هي الرواية التي *أعجبتها*، لأن شخصية ميزري هي التي أعجبــتها، ولــيس لــص السيارات الإسباني البذيء اللسان من هارلم الإسبانية.

تذكّر قوله: *حوّلي أوراق المخطوطة إلى قبعات ورقية إذا أحببت، فقط... رجاءً...*

تفجَّــر الغضب والذل في داخله من جديد، موقظين أول استجابة خفــيفة مــن الألــم فــي ساقيه. نعم. العمل، الفخر بعملك، قيمة العمل نفســه... كل هذه الأشياء اضمحلَّت وتحولت إلى مجرد ظلال لما كانت عليه فعلاً في السابق، وذلك عندما بدأ الألم يشتد مجدداً. أن تفعل هذا به – أن تكــون *قــادرة* على فعل ذلك به، وهو الذي أمضى معظم حياته الراشــدة معــتقداً بأن كلمة *كاتب* هي التعبير الأكثر أهمية عن نفسه – فذلــك جعلهــا تبدو شريرة إلى أقصى الحدود، وهو وضع *ينبغي* عليه الفرار منه. *كانت* وثناً بحق، وإذا لم تقتله فهي قد تقتل ما كان *بداخله*.

سمع في تلك اللحظة الخنزير يصأل بصوت عال. كانت تظن بأنه سوف يمانع إذا ما عرف بأنها أطلقت اسم ميزري على الخنزير، لكنها اعــتقدت بأنــه اسم رائع له على أية حال. تذكّر كيف أنها بدت للحظة بأنها تشبه الخنزير بالفعل؛ وكيف أنها قلدت الخنزير عندما التوت شفتها العليا باتجاه أنفها وبدت وجنتاها مسطحتين: *هوينك! هوينك!*

سمع صوتها آتياً من الحظيرة: "سووو – يي بيغ بيغ بيغ!"

اســتلقى علــى ظهره، ووضع ذراعاً فوق عينيه، وحاول التشبث بالغضب لأن الغضب جعله يشعر بالشجاعة. الشجاع بإمكانه أن يفكر، لكن الجبان لا.

كـــان يعيش مع امرأة عملت في السابق كممرضة؛ كان واثقاً من ذلـــك. فهل كانت ما تزال ممرضة؟ لا، لأنها لم تكن تذهب إلى العمل. ولمـــاذا لم تعد تمارس مهنتها؟ بدا الجواب واضحاً. لأن ليس كل خلايا دماغهـــا تعمل بشكل سليم. وإذا كان ذلك واضحاً بالنسبة إليه حتى في غشـــاوة الألـــم التي كان يعيش فيها، فمن المؤكد أنه كان واضحاً لكل زملائها.

لقـــد كـــان يملـــك القليل من المعلومات الإضافية التي أمكنه على أساســـها أن يقدِّر مدى سلامة عقلها، أليس كذلك؟ لأنها، بعد أن سحبته مـــن حطـــام سيارته، بدلاً من الاتصال بالشرطة أو بالإسعاف، أخذته ووضـــعته فـــي غـــرفة ضيوفها، ووضعت أنابيب وريدية في ذراعيه وشـــحنة قـــذرة من المخدر في جسده، وبكمية كافية لتجعله يعاني مرة واحـــدة على الأقل مما سمَّته هبوطاً تنفسياً. وهي لم تخبر أحداً بوجوده هنا، وإذا لم تفعل ذلك حتى الآن فهذا يعني بأنها كانت تقصد ذلك.

هل كانت ستتصرف على هذا النحو لو أن من سحبته من الحطام كان جو بلو من كوكومو؟ لا، لا، لم يكن يعتقد ذلك. لقد أبقته لأنه بول شيلدون، وهي كانت –

"هـــي كانـــت معجبتي رقم واحد". تمتم بول، ووضع ذراعاً على عينيه.

فجـــأة، انبثقت ذكرى رهيبة في الظلمة هناك: أخذته أمه ذات مرة إلـــى حديقة الحيوانات في بوسطن، فشاهد هناك طيراً كبيراً مهيباً. كان لذلـــك الطير ريشٌ من أجمل ما رأت عيناه – أحمر وأرجواني وأزرق غـــامق لماع – وعينان هما الأكثر حزناً في الكون كله. فسأل أمه عن موطـــن الطـــير الأصـــلي وعندما قالت *أفريقيا* أدرك بأنه قُدِّر عليه أن يموت في القفص الذي كان يعيش فيه، بعيداً عما أراد الله له أن يكون، فـــبكى بول، الأمر الذي دفع أمه إلى شراء مخروط من الآيس كريم له كي يتوقف عن البكاء، وهذا ما حدث فعلاً ولكن لفترة قصيرة فقط، لأنه

عندما تذكر الطير ثانية بكى من جديد فما كان من أمه إلا أن أخذته إلى البيـــت، ناعــتة إياه – أثناء رجوعهما بالحافلة إلى مدينة لين – بالطفل البكّاء والمخنث.

ريشه، عيناه.

بدأ النبض في ساقيه بالدوران من جديد.

لا. لا. لا.

ضغط بذراعه على عينيه بشدة أكبر. ومن الحظيرة سمع ضجيج ضـــربات مــتقطعة: مـــن المحال معرفة ماذا كانت، بالطبع، ولكن في مخيلته.

(عقلك، مخيلتك، هذا هو كل ما كنت أقصده).

كـــان باستطاعته تخيّلها وهي تدفع رزماً من القش بكعب جزمتها مـــن الغـــرفة العلوية في الحظيرة، كما كان باستطاعته تخيّل تدحرجها على أرض الحظيرة.

أفريقيا. ذلك الطائر أتى من أفريقيا. من –

وفجـــأة، جاء صوتها النزق، الصارخ، قاطعاً سلسلة خيالاته مثل سكين حادة: *هـــل تظن بأنهم عندما وضعوني هناك على المنصـــة في دن –*

على المنصة. عندما وضعوني على المنصة في دنفر.

هل تقسمين على قول الحقيقة، كل الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة، كي يساعدك الله؟

("لا أعرف من أين يأتي بها").

أقسم.

("إنه دائماً يكتب أشياء مثل هذه").

اذكري اسمك.

("لم يسبق أن امتلك أي فرد من عائلتي مخيلة كهذه").

آني ويلكس.

("نابضة بالحياة إلى درجة بعيدة").

اسمي آنـي ويلكس.

حثها على قول المزيد، لكنها لم تفعل.

"هـــيا". تمتم لنفسه، وذراعه ما زالت فوق عينيه. كان ذلك أقصى مـــا يمكنه التفكير فيه، أقصى ما يمكنه *تخيّله*. كانت أمه تحب أن تخبر الســيدة مولفانـــي التي تقطن في الجانب الآخر من السياج عن المخيلة الرائعة، النابضة بالحياة، التي كان يمتلكها، وعن القصص الجميلة التي يكتـــبها (بالطبع، ما عدا نعتها إياه بالمخنث والطفل البكّاء). "هيا، هيا، هيا".

كـــان باستطاعته رؤية قاعة المحكمة في دنفر، وآني ويلكس على المنصة، لكنها لا تلبس سروالها الجينز بل ثوباً أسود مائل إلى القرمزي باهـــتاً وقـــبعة مـــريعة. كـــان باســـتطاعته رؤية قاعة المحكمة تغص بالحاضـــرين، وأن القاضي كان أصلع، ويرتدي نظارات، ولديه شارب أبـــيض اللـــون. وتحت الشارب الأبيض كانت هناك شامة خلقية يغطي الشارب الأبيض معظمها، ولكن ليس كلها.

آنـي ويلكس.

("كان يقرأ منذ الثالثة! هل يمكنك تخيل ذلك!")

تلك الروح... روح حب المعجبين...

("إنه دائماً يكتب أشياء، ويختلق أشياء").

علـى أن أمسح الآن.

("أفريقيا، منها أتـى ذلك الطير").

"هيا". قال هامساً، لكنه لم يتمكن من المتابعة أكثر من ذلك. طلب مـــنها الحاجـــب أن تذكـــر اسمها، فقالت مراراً وتكراراً أن اسمها آني ويلكـــس، لكنها لم تتفوه بأي شيء آخر؛ لقد جلست هناك بجسدها الليفي الصـــلب المنذر بالخطر وقالت اسمها مرات ومرات لكنها لم تتفوه بأية كلمة أخرى.

وبينما كان ما يزال يحاول أن يتخيل ما الذي جعل الممرضة السابقة التي أبقته سجيناً لديها تقف على المنصة في دنفر، غلبه النعاس فنام.

12

إنه في جناح مستشفى. سرى فيه شعور غامر بالارتياح؛ غامر إلى درجة أنه أحس برغبة في البكاء. لا بد أن شيئاً ما حدث عندما كان نائماً، مثل مجيء شخص ما، أو ربما تغيُّر مفاجئ في قلب آني أو عقلها. ليس مهماً. لقد نام في بيت المرأة المتوحشة واستيقظ في المستشفى.

ولكن، من المؤكد أنهم لم يكونوا ليضعوه في جناح طويل كهذا الجناح؟ كان كبيراً بحجم صالة لمبيت الطائرات! صفوف متماثلة من الرجال (مع أكياس متماثلة من السوائل المغذية المتدلية من أدوات متماثلة للحقن الوريدي بجانب أسرَّتهم) ملأت المكان. جلس في سريره فرأى أن الرجال أنفسهم كانوا متماثلين أيضاً؛ كانوا كلهم هو نفسه. بعد ذلك، سمع صوت دقة الساعة آتياً من بعيد، فأدرك أنها كانت تدق من ما وراء جدار النوم. كان ذلك حلماً. فحلَّ الحزن محل الارتياح.

انفتح الباب الموجود في نهاية القاعة الضخمة ودخلت منه آني ويلكس مرتدية ثوباً طويلاً معقوداً عند الخصر ومعتمرة قبعة قطنية مهدَّبة. كانت تلبس مثل ميزري تشاستين في رواية حب *ميزري*، وكانت تحمل على ذراعها سلة مصنوعة من القصب. وكانت هناك منشفة تغطي محتوياتها. وعندما رأته ينظر إليها رفعت المنشفة ودست يدها لتأخذ من داخلها ملء قبضة من مادة ما وترمي بها وجه بول شيلدون الأول النائم. كان رملاً. لقد رآه؛ تتظاهر آني ويلكس بأنها ميزري تشاستين التي تدَّعي بأنها رجل الرمل. *امرأة الرمل*. [هناك

خرافة فولكلورية تتحدث عن *شخصية* تجعل الأطفال ينامون عن طريق رشهم بالرمل].

ثــم رأى وجـــه بول شيلدون الأول وقد تحوّل إلى اللون الأبيض الشـــاحب عـــندما أصـــابه الـــرمل، الأمر الذي جعله يستفيق من حلمه مذعـــوراً لـــيرى آني ويلكس في غرفة النوم واقفة فوقه. كانت تمسك بكتاب *طفل ميزري* السميك في إحدى يديها. وكانت العلامة التي تضعها في الكتاب تشير إلى إنهائها حوالى ثلاثة أرباع الكتاب.

قالت آني: "كنت تئن".

"رأيت حلماً".

"وعمّا كان الحلم؟"

فأجاب بأول شيء غير حقيقي خطر في باله:

"أفريقيا".

13

فـــي صباح اليوم التالي، جاءت متأخرة، وكان وجهها شاحباً بلون الرماد. كان غافياً، لكنه أفاق على الفور مستنداً على مرفقيه.

"آنسة ويلكس؟ آني؟ هل أنت بخ –"

"لا".

ربـــاه، لقد أصيبت بنوبة قلبية، فكّر في داخله، فسرى فيه للحظة شـــعور بـــالخوف سرعان ما حل محله شعور بالفرح والغبطة. *لتُصَب بـنوبة قلبية! واحدة كبيرة! ذبحة صدرية لعينة!* عندها سيكون أكثر من سـعيد للزحف إلى الهاتف، مهما كان ذلك مؤلماً. بل إنه سيزحف على زجاج مكسور، لو تطلب الأمر ذلك.

وقد *كانت* بالفعل نوبة قلبية... ولكن ليس النوع المطلوب.

توجهت نحوه، ليس على مهل بل *بسرعة*، كما يفعل البحّار عندما

يقفز من باخرته بعد رحلة طويلة.

"ماذا –" انكمش على نفسه محاولاً الابتعاد عنها، ولكن لم يكن ثمة مكـــان ليلتجئ إليه. إذ لم يكن هناك سوى لوح السرير الرأسي، وبعده، الحائط.

"لا!" وصـــلت إلى حافة السرير واصطدمت به، ثم وقفت مترددة. وللحظـــة بـــدت وكأنهـــا على وشك إلقاء كامل ثقلها عليه. لكنها اكتفت بـــالوقوف فوقه والنظر إليه بوجهها الشاحب مثل لون الورق الأبيض. كانـــت أوردة عـــنقها بارزة، وكان أحدها ينبض في منتصف جبهتها. فتحـــت يديهـــا بسرعة على كامل امتدادهما ثم أطبقتهما لتشكلا قبضتين صلبتين مثل الصخر، ثم فتحتهما من جديد.

"أيها... أيها... أيها *الطائر القذر!*"

"مـــاذا – أنـــا لا أعرف –" لكنه فجأة عرف بالأمر، عندها أحس وكـــأن القسم الأوسط من جسده أصبح في البداية فارغاً ومن ثم اختفى تماماً. تذكّر أين كانت علامة الكتاب في الليلة الماضية، في ثلاثة أرباع الكتاب. لقد أنهت قراءته. ولا بد أنها عرفت كل ما يجب أن تعرفه. لقد عرفـــت أن ميزري لم تكن هي العقيمة، بل *إيان* هو العقيم. هل جلست هناك في غرفة الضيوف، التي لم يرها بعد، بفم فاغر وعينين جاحظتين عندما أدركت ميزري الحقيقة أخيراً واتخذت قرارها بالتسلل خلسة إلى جـــيفري. هـــل اغرورقـــت عيناها بالدموع عندما أدركت بأن ميزري وجيفري، بعيداً عن إقامتهما علاقة غرامية سرية من خلف ظهر الرجل الـــذي أحـــباه كلاهمـــا، كانا يهبانه أعظم هدية ممكن أن يقدّماها؛ طفلاً سـيعتقد بأنـــه طفله؟ وهل خفق قلبها عندما أخبرت ميزري إيان بأنها كانـــت حـــاملاً فعانقهـــا إيـــان بقوة والدموع تنهمر من عينيه، هامساً "عزيزتـــي، آه يـــا عزيزتـــي!" مـــرات ومرات؟ كان متأكداً، في تلك اللحظـــات، بأن كل هذه الأشياء حصلت. ولكن، بدلاً من البكاء بحرقة مريـــرة كمـــا كـــان يجـــب أن تفعل عندما ماتت ميزري أثناء وضعها

مولودهـــا الــذي من المفترض أن يربيه كل من إيان وجيفري معاً، فقد جن جنونها.

"*لا يمكن أن تموت!*" زعقت آني ويلكس في وجهه ويداها تنبسطان وتنقبضان بوتيرة تزداد سرعة. "*ميزري تشاستين لا يمكن أن تموت!*"

"آني – آني، رجاءً –"

كـــان هـــناك إبـــريق ماء زجاجي على الطاولة. رفعت الإبريق ورشـــقت المـــاء فـــي وجهـــه فحطَّ مكعب من الثلج البارد بجانب أذنه اليسرى ثم انزلق المكعب على الوسادة لينزل في تجويف كتفه اليسرى. في ذهنه كان هناك صوت يقول:

("نابضة بالحياة!")

رآها تقرِّب الإبريق من وجهه، فتخيَّل نفسه يموت من جراء كسر فـــي الجمجمـــة ونزيف شديد في المخ وهو يسبح في بركة متجمدة من الماء المثلج، والبثور تغطي ذراعيه من شدة البرودة.

كانت تريد فعل ذلك، لا شك في ذلك أبداً.

لكـــنها لم تفعل، بل دارت على نفسها في اللحظة الأخيرة وقذفت الإبريق نحو الباب فتكسَّر مثلما تكسَّر صحن الحساء في ذلك اليوم.

نظـــرت إلـــيه ثانـــية ثم أزاحت شعرها عن وجهها – مجموعتان خفيفتان وقاسيتان من الشعر الأحمر الذي تحوّل الآن إلى اللون الأبيض – بمؤخرة يديها.

قالت له لاهثة: "أيها الطائر القذر! أيها الطائر القذر، كيف *أمكنك* فعل ذلك!"

تكلـــم بسرعة واستعجال، وعيناه كانتا مسمَّرتين على وجهها. كان مـــتأكداً في تلك اللحظة بأن حياته قد تعتمد على ما سيقوله في الثواني العشرين التالية.

"آنـــي، في العام 1871، كان أمراً *مألوفاً* موت النساء أثناء الولادة. لقد وهبت ميزري حياتها لزوجها ولصديقها المفضل ولطفلها. إن *روح*

ميزري ستبقى دائماً –"

"أنا لا أريد *روحها!*" صرخت، مقوِّسة أصابعها على شكل مخالب وملوِّحة بها في وجهه، وكأنها كانت تريد أن تفقأ بها عينيه. "أنا *أريدها!* أنــت *قتلــتها!* أنت *قتلتها!*" ثم أطبقت يديها من جديد وهوت بهما على جانبــي رأســه مــثل مكبسين من الحديد فانغرست قبضتاها عميقاً في الوســادة وارتد رأسه مثل دمية مصنوعة من الخرق البالية. تفجَّر الألم في ساقيه فصرخ قائلاً: *"أنا لم أقتلها!"*

تجمــدت في مكانها وهي تحدِّق إليه بتلك النظرة الضيقة الفارغة من أي تعبير؛ نظرة *الشق* العميق تلك.

قالــت بســخرية لاذعــة: *"بالطــبع* لا، وإذا لم تكن أنت، يا بول شيلدون، فمن قتلها إذن؟"

ردَّ بهدوء أكبر: "لا أحد، لقد ماتت وحسب".

أخــيراً، عرف بأن هذه هي الحقيقة بالفعل. كان يعرف تماماً بأنه لــو كانت ميزري امرأة حقيقية، لكان قد استُدعي "لمساعدة الشرطة في تحقيقاتهم"، إذا أردنا اللعب على الكلمات بالطبع. نعم، بالتأكيد، فهو كان يملــك الدافــع؛ كان يكرهها. قبل أربع سنوات، في يوم كذبة الأول من نيســان، طبع بول كتيِّباً صغيراً خاصاً به ثم أرسله إلى عدد من معارفه المقرّبيــن. كان عنوان الكتيب هو *هواية ميزري*. وفيه قضت ميزري عطلــة نهاية أسبوع سارَّة في الريف في ممارسة الجنس مع غراولر، المساعد الإيرلندي لإيان.

كان باستطاعته قتلها... لكنه لم يفعل. وفي نهاية المطاف، بالرغم مــن تنامي شعوره بالاحتقار نحوها، جاءت نهاية ميزري لتشكل نوعاً مــن المفاجأة بالنسبة إليه. فقد حافظ إلى حدٍّ كبير على صدقه مع نفسه في مسألة محاكاة الفن للواقع – مهما كان ذلك غير مقنع – حتى النهاية الأخيرة لمغامرات ميزري الطويلة والمملة. لقد ماتت ميتة غير متوقعة على الإطلاق. وسعادته الغامرة لم تغير شيئاً من الواقع.

قالت آني بصوت هامس: "أنت تكذب. كنت أعتقد بأنك رجل طيب، لكنك *لست* طيباً. إنك مجرد طائر عجوز قذر".

"لقد رحلت، ببساطة. هذا ما يحدث أحياناً. كما في الحياة، عندما يفقد شخص ما –"

قلبت الطاولة المحاذية للسرير فانقلب الدُرج الوحيد معها ووقعت ساعة يده والعملة المعدنية التي كانت موجودة في جيبه. لم يكن يعرف أصلاً بوجودها هناك. فانكمش على نفسه مبتعداً عنها.

"لا بد أنك تعتقد بأني وُلدت *البارحة*". قالت له ثم زمَّت شفتيها.

"لقد رأيت في عملي العشرات من الناس يموتون، أو بالأحرى *المئات* منهم. في بعض الأحيان، كانوا يموتون وهم يصرخون. وفي أحيان أخرى، كانوا يموتون وهم نيام. يرحلون، كما قلت، بالتأكيد.

لكن الشخصيات في القصص لا ترحل بهذه البساطة! إن الله يأخذنا عندما يعتقد بأن الوقت قد حان".

غابت عن الواقع بعد ذلك. قوَّمت وقفتها، لكنّ يديها بقيتا متدليتين برخاوة على جانبيها، وبصرها شاخص نحو حائط عُلِّقتْ عليه صورة لقوس النصر. وقفت هناك بينما ظل بول مستلقياً في سريره ينظر إليها وبجانب أذنيه كانت هناك علامتان دائريتان على الوسادة. كان باستطاعته سماع صوت قطرات الماء الذي كان موجوداً في الإبريق وهي تتساقط على الأرض. عندئذ، خطر بباله أنه كان قادراً على ارتكاب جريمة قتل. كان هذا السؤال يخطر بباله بين الحين والآخر، بالمعنى الأكاديمي البحت بالطبع، لكنه هذه المرة لم يكن كذلك، وكان يملك الإجابة عليه. فلو أنها لم ترم الإبريق، لكسره هو بنفسه بضربه على الأرض، وحزَّ عنقها بواحدة من قطع الزجاج المكسور بينما هي واقفة هناك بجمود مثل حامل مظلة.

نظر إلى الأشياء التي سقطت من الدُرج، ولكن لم يكن هناك إلا النقود المعدنية وقلماً ومشطاً وساعة يده. لم تكن هناك محفظة. والأهم

من ذلك، لم تكن هناك سكين عسكرية سويسرية.

في تلك اللحظة، عادت إلى الواقع قليلاً. كان الغضب، على الأقل، قد تلاشى. فرمقته بنظرة ملؤها الحزن.

"أعتقد بأنه من الأفضل لي أن أذهب الآن. لا أعتقد بأنه من الصائب أن أبقى بالقرب منك لبعض الوقت. لا أعتقد بأن ذلك سيكون... أمراً حكيماً".

"تذهبين؟ إلى أين؟"

"لا يهم. إلى مكان أعرفه. لأنني إذا بقيت هنا، فسأقوم بشيء غير متعقِّل. عليَّ أن أفكر. الوداع يا بول".

مشت آني بخطوات سريعة باتجاه الباب.

سألها مفزوعاً: "هل سترجعين كي تعطيني دوائي؟"

أمسكت بمقبض الباب وأغلقته دون أن تجيب. ولأول مرة سمع خشخشة مفتاح في ثقب الباب.

سمع صوت خطواتها تتجه نحو الممر. ثم أجفل لدى سماعها تصرخ بغضب – بكلمات لم يتمكن من فهمها – ثم سقط شيء آخر وتكسَّر. وصُفِقَ أحد الأبواب بقوة. ثم دار محرك سيارة، وأقلعت السيارة. ثم سمع صوت الإطارات وهي تدور فوق ثلج مرصوص. بعدئذ، بدأ صوت المحرك بالابتعاد شيئاً فشيئاً. شخر المحرك في البداية ثم تحوّل إلى صوت رتيب إلى أن اختفى نهائياً.

أصبح وحيداً.

وحيداً في منزل آني ويلكس، حبيس هذه الغرفة. حبيس هذا السرير. كانت المسافة التي تفصل بين هنا ودنفر تساوي تقريباً... حسناً، المسافة بين حديقة الحيوانات في بوسطن وأفريقيا.

استلقى في سريره شاخصاً ببصره نحو السقف. كان حلقه جافاً وقلبه ينبض بسرعة.

وبعد فترة، دقت ساعة الصالون معلنة حلول منتصف الظهر

وبدأ المد بالانحسار.

14

إحدى وخمسون ساعة.

عــرف ذلــك فقط بسبب القلم، القلم الأنيق ذي الخط الجميل الذي كــان يحملــه في جيبه عندما وقع الحادث. وقد تمكّن من الوصول إليه والاحــتفاظ به بعد رحيلها. وهكذا، بواسطة هذا القلم كان يكتب علامة علـــى ذراعــه كلما كانت الساعة تدق معلنة انقضاء ساعة من الزمن. أربـــع علامات شاقولية ثم خط قطري لإكمال الخماسية. وعندما عادت إلـــى البيــت، كان هناك عشرة مجموعات من هذه الخماسيات وواحدة إضـــافية. كانت المجموعات الصغيرة مرتبة في البداية، لكنها بعد ذلك بـــدأت تـــتعرج علـــى نحو متزايد عندما بدأت يداه ترتجفان. وهو كان مـــتأكداً مـــن أنه لم يخطئ في أي ساعة، لأنه لم ينم أبداً، بل كان يغفو إغفـــاءات بسيطة فقط، إذ كانت دقات الساعة توقظه في كل مرة كانت عيناه تغمضان.

بعـــد مضي فترة من الوقت، بدأ الجوع والعطش يغزوان جسده، بالـــرغم مـــن وجود الألم. وكان الأمر بين الأحاسيس الثلاثة يبدو مثل سباق للخيول. في البداية كان "ملك الألم" مبتعداً في المقدمة وكان "ملك الجـــوع" متخلفاً بمسافة طويلة. أما "العطش الجميل" فقد كان غائباً بين الغـــبار. ولكـــن، بعد يوم من مغادرتها، عند شروق الشمس، بدأ "ملك الجوع" ينافس "ملك الألم" بشكل قوي.

كـــان قد أمضى معظم الليل متناوباً بين الإغفاء والاستيقاظ مبللاً بالعرق البارد: من المؤكد أنه كان يحتضر. وبعد فترة بدأ يتمنـى لو أنه كـــان يحتضـــر. أي شيء يخلصه من معاناته. وفوق ذلك، لم تكن لديه أدنى فكرة عمّا سيؤول إليه الألم. كل ما كان يعرفه هو أن الوتدين كانا

يكبران. كان باستطاعته رؤية صدف البحر يغطيهما، وكان باستطاعته رؤيـــة أشـــياء شاحبة غارقة متمددة برخاوة بين شقوق الخشب. لكنها كانـــت الأشـــياء المحظوظة، فالألم كان قد انتهى بالنسبة إليها. حوالى الساعة الثالثة دخل من جديد في نوبة من الصراخ غير المجدي.

وبحلـــول منتصـــف الظهـــر مـــن اليوم الثاني – الساعة الرابعة والعشـــرون – أدرك بأن شيئاً آخر كان يؤلمه بشدة أيضاً، لا يقل سوءاً عن الألم الصادر من ساقيه وحوضه. كان تراجعاً. يمكنك أن تسمِّي هذا الحصـــان "انـــتقام المدمـــن" إن شئت. كان بحاجة لأقراص الدواء بكل وسيلة ممكنة.

فكَّـــر بمحاولة الخروج من سريره، لكن فكرة السقوط والارتطام، ومـــن ثم الألم المضاعف منعته من هذه المحاولة. كان باستطاعته تخيل كل ذلك بشكل جيد.

("نابضة بالحياة").

كـــان باستطاعته المحاولة بالرغم من كل ذلك، لكنها أقفلت الباب فـــي كل الأحوال. فماذا كان بمقدوره أن يفعل إضافة إلى الزحف حتى الوصول إلى الباب، مثل الحلزون، والتمدد هناك؟

بدافـــع من اليأس دفع بيديه البطانيات عنه للمرة الأولى، آملاً بأن يكـــون الأمـــر ليس سيئاً بمقدار ما توحي به الأشكال التي ترسمها تلك البطانـــيات. وهي لم تكن سيئة *بالفعل*، بل كانت أسوأ. نظر برعب إلى مـــا أصـــبحت علـــيه حاله ما تحت الركبتين. وفي ذهنه، سمع صوت صراخ رونالد ريغان في ممر *الملك*، *"أين بقيتـي؟"*

أمـــا بالنسبة إليه، فقد كانت بقيته هنا، وقد يخرج من هذا الوضع أيضاً. صحيح أن احتمالات قيامه بذلك كانت تبدو بعيدة، إلا أنها كانت ممكـــنة مـــن الناحـــية العملية... بيد أنه قد لا يتمكن من السير مجدداً. وبالتأكـــيد لـــيس قبل أن يعاد كسر ساقيه، وربما في عدة أماكن، ويُثبَّتا بقضـــبان مـــن الفولاذ، ويُرمَّما بشكل كامل وبدون أي رحمة، ويخضع

لخمسين إبرة مؤلمة إلى حد البكاء.

لقد جبَّرتهما، كان يعرف ذلك، فقد كان يشعر بالأشكال الصلبة غير المتناسقة، لكنه لم يكن يعرف كيف فعلت ذلك وبماذا. كان الجزءان السفليان من ساقيه ملفوفين بقضبان فولاذية غير سميكة كانت تبدو مثل بقايا عكازين من الألمنيوم مقصوصة بمنشار معدني. وكانت هذه القضبان مثبتة بقوة بواسطة شريط لاصق، بحيث إن ساقيه من الركبتين وإلى الأسفل كانتا تبدوان مثل جثة إمحوتب عندما اكتُشف في قبره. وكانت ركبته اليسرى – مصدر ألم شديد نابض باستمرار – تبدو وكأنها غير موجودة على الإطلاق. كانت تبدو مثل عقدة مقرفة تشبه قبة من الملح في الوسط بين بطن الساق والفخذ. أما فخذاه فقد كانا متورمين بشدة ويبدوان وكأنهما منحنيان قليلاً نحو الخارج. فيما كانت المنطقة التي تصل جسده برجليه، وحتى قضيبه، مبرقعة بكدمات آخذة في التلاشي.

كان يعتقد بأن ساقيه مكسورتان، لكنهما لم تكونا كذلك، كما تبيَّن له. كانتا *مسحوقتين*.

سحب البطانيات ثانية وغطى بها جسده وهو يئن ويبكي بمرارة. لا خروج من هذا السرير. من الأفضل لك أن تستلقي هنا، وأن تموت هنا، وأن تقبل بهذا المستوى من الألم، الذي كان مرعباً بما يكفي، إلى أن يتلاشى الألم نهائياً.

حوالى الساعة الرابعة من اليوم التالي، تقدَّم "العطش الجميل" إلى الأمام محسِّناً من موقعه في السباق. كان يحس بالجفاف في فمه وحلقه منذ مدة طويلة، لكنه أصبح الآن أكثر إلحاحاً. كان يشعر بأن لسانه ثقيل وكبير جداً. وعملية البلع كانت مؤلمة. بدأ يفكر في إبريق الماء الذي رمت به إلى الحائط.

غفا، ثم استيقظ، ثم غفا من جديد.

انقضى النهار، ثم أتى الليل.

كان بحاجة للتبول. وضع الشرشف العلوي تحت قضيبه، آملاً بأن يكوّن ما يشبه المصفاة، وتبوّل من خلاله على يديه المرتجفتين المتكورتين على شكل كوب. حاول التفكير في الأمر على أنه عملية إعادة تدوير فشرب ما نجح في الاحتفاظ به ثم لحس راحتي يديه. وهذا شيء آخر أدرك بأنه لن يخبر به أحد، فيما لو عاش بما يكفي ليخبر أي شيء.

بدأ يعتقد بأنها ماتت. كانت مضطربة إلى حدٍّ كبير، والمضطربون عادة يقتلون أنفسهم بأيديهم. فتخيلها

("نابضة بالحياة").

توقف سيارتها "أولد بيسي" على جانب الطريق ثم تتناول مسدساً من عيار 44 من تحت المقعد فتضعه في فمها وتقتل نفسها. *"لا أريد أن عيش بعد موت ميزري. الوداع أيها العالم القاسي!" بكت آني بدموع غزيرة ثم سحبت الزناد.*

ضحك من الابتهاج، ثم أنَّ، ثم صرخ. وصرخت الريح معه... لكنها لم تعره أي اهتمام آخر.

أو ربما حادث؟ هل ذلك محتمل؟ نعم يا سيدي! فتخيلها تقود سيارتها بوجه متجهم، ثم تزيد سرعتها إلى حدٍّ كبير، ثم

("لم يرث هذه المخيلة من طرف عائلتي!")

تغيب عن الوعي فتنحرف عن الطريق. ثم تهوي، وتهوي، وتهوي. ثم ترتطم السيارة بالأرض وتشتعل مثل كرة من النار، فتموت حتى قبل أن تدرك ذلك.

ولكنها لو ماتت، فسيموت هو أيضاً هنا، مثل جرذ عالق في فخ جاف.

ظل يعتقد بأن فقدان الوعي سيأتي ويريحه، لكنّ فقدان الوعي رفض الدعوة، وما جاء بدلاً منه كانت الساعة الثلاثون، ثم الأربعون. حينئذ، اندمج "ملك الألم" و"العطش الجميل" وأصبحا مثل حصان واحد

(كـــان "ملك الجوع" قد تخلَّف عنهما منذ وقت طويل وغاب في الغبار). فــبدأ يشــعر بأنــه ليس أكثر من قطعة من نسيج حي موضوعة على شــريحة ميكروسكوب أو دودة معلقة على خطّاف؛ شيء ما يتلوى دون توقف ولا ينتظر سوى الموت.

15

عندما دخلت إليه اعتقد في البداية بأنه كان يحلم، ولكن سرعان ما فــرض الواقع - أو مجرد الرغبة الغريزية في البقاء - نفسه، فبدأ يئن ويتوسل ويناشد. تحطم كل شيء فجأة، كل شيء كان آتياً من بئر عميق من الخيال. الشيء الوحيد الذي رآه بوضوح هو أنها كانت ترتدي ثوباً أزرق غامقاً، وتعتمر قبعة مزركشة؛ تشبه تماماً الثياب التي تخيَّل بأنها ترتديها على المنصة في دنفر.

كان لونها زاهياً وعيناها تشعان بالحياة والحيوية. كانت أقرب لأن تكون جميلة أكثر من آني ويلكس التي يعرفها، وعندما حاول أن يتذكر هــذا المشــهد فيما بعد، لم يعلق في ذهنه سوى صورتين وحيدتين هما خدَّاها المتوردان والقبعة المزركشة. فكَّر بول شيلدون المنطقي، مستعيناً بآخر معقل له للتفكير السليم والتقدير الصحيح: *تبدو مثل أرملة مارست الجنس للتو بعد عشر سنين من الامتناع.*

كانت تحمل في يدها كأساً من الماء، كأساً طويلة من الماء.

"خـــذ هـــذه". قالـــت له، ووضعت يداً ما تزال باردة من وجودها خـــارج البيـــت على مؤخرة عنقه حتى يتمكن من النهوض كي يشرب دون أن يختـــنق. أخـــذ ثـــلاث جـــرعات ســـريعة ملء فمه، فتوسعت المســـامات على سطح لسانه القاحل لدى صعقها بالماء مطالبة بالمزيد. ســـال بعض الماء على ذقنه وقميصه "التي شيرت" الذي كان يلبسه، ثم أبعدت الكأس عنه.

فنشج بول بصوت خافت وهو يمد يديه المرتجفتين نحو الكأس.

فقالت: "لا، لا يا بول. القليل منه في كل مرة، وإلا فستتقيأ".

وبعد قليل أرجعت الكأس إليه وسمحت له بالمزيد من الجرعات.

قـــال وهو يسعل: "الدواء". ثم مصَّ شفتيه ودار بلسانه عليهما ثم مــصَّ لسانه. تذكَّر بشيء من الضبابية نفسه وهو يشرب بوله، سخونته وملوحـــته. "الأقـــراص – ألـــم – مـــن فضلك، آني، رجاءً، حباً بالله ساعديني، *الألم بالغ الشدة* –"

"أعرف ذلك، ولكن يجب أن تصغي إليَّ"، قالت وهي ترمقه بتلك الـــنظرة الصارمة لكن الأمومية. "كان عليَّ أن أبتعد وأفكر. لقد فكَّرت ملياً وآمل أن يكون تفكيري صائباً. لم أكن متأكدة تماماً، فأفكاري غالباً ما تكون مشوشة، أعلم ذلك. أنا أعترف بذلك. ولهذا لم أستطع أن أتذكر أين كنت عندما كانوا يسألونني عن ذلك مراراً وتكراراً. لذا فقد صلَّيت. هـــناك *إله*، كما تعلم، وهو يستجيب للصلوات. إنه يفعل ذلك دائماً. لهذا السبب صلَّيت. قلت له، 'إلهي الحبيب، قد يكون بول شيلدون ميتاً عندما أعـــود'. لكن الجواب كان، 'لن يكون ميتاً. لقد أبقيت عليه، حتى تريه الطريق الذي يجب أن يسلكه'".

قالـــت كلمة **تريه** بطريقة آمرة، لكن بول كان بالكاد يصغي إليها على أي حال، فعيناه كانتا مسمَّرتين على كأس الماء. سمحت له بتناول ثلاث جرعات أخرى. فتجرَّعها مثل الحصان، ثم تجشأ، ثم صاح مطالباً بالمزيد بينما اعترت جسده رجفة متشنجة.

أثناء ذلك كله كانت آني تنظر إليه بحنو.

"ســأعطيك دواءك وأخفــف ألمــك، ولكن أولاً عليك القيام بأمر. سأعود في الحال".

نهضت ثم توجهت نحو الباب.

صرخ بول: *"لا!"*

لـــم تعره أي اهتمام. فاستلقى في السرير، مسربلاً بالألم، محاولاً

عدم إصدار أي أنين، لكنه كان يئن مع ذلك.

16

في البداية اعتقد بأنه دخل في حالة من الهذيان. لأن ما كان يشاهده كان من الغرابة بحيث لا يمكن اعتباره منطقياً. عندما عادت آني، كانت تدفع أمامها شوّاية فحم.

"آني، أنا أتألم بشكل فظيع". سالت الدموع على خديه.

"أعلم يا عزيزي". قبّلته على خده. وكانت لمسة شفتيها رقيقة مثل سقوط الريشة. "حالاً".

غادرت الغرفة، ونظر بول ببلاهة إلى شواية الفحم القابعة في غرفته بدل أن توضع في باحة صيفية خارج المنزل، الأمر الذي كان يستحضر صوراً عنيدة من الأوثان والأضحيات.

والتضحية هي ما كان يدور في ذهنها بالطبع، لأنها عندما عادت كانت تحمل في إحدى يديها مخطوطة **سيارات سريعة**، الناتج الوحيد الباقي لعمل سنتين. وفي اليد الأخرى كانت تحمل علبة ثقاب خشبية من نوع ديموند بلو.

17

قال بول باكياً ومرتجفاً: "لا". خطرت له فكرة كان لها مفعول الأسيد في داخله: كان بإمكانه تصوير المخطوطة لقاء أقل من مائة دولار في مدينة بولدر. لطالما أخبره الناس – برايس، وزوجتاه السابقتان، اللعنة، وحتى أمه – بأنه كان مجنوناً لعدم احتفاظه بنسخة واحدة على الأقل من عمله، ففي النهاية، كان من المحتمل أن يشب حريق في فندق بولديرادو، أو في منزله في نيويورك، أو قد يحدث

إعصار أو أية كارثة طبيعية أخرى. لكنه كان دائماً يقابل ذلك بالرفض، بلا أي سبب منطقي: كل ما في الأمر هو أن صنع نسخة من أعماله كان يبدو له فألاً سيئاً.

حسناً، هنا تجمَّع الفأل السيئ والكارثة الطبيعية في شيء واحد: هنا يوجد إعصار آني. ولجهلها، لربما لم يخطر في بالها قط أنه يمكن أن تكون هناك نسخة أخرى من **سيارات سريعة** موجودة في مكان ما. لو أنه فقط *أصغى* لنصيحة الآخرين، لو أنه فقط استثمر المائة دولار التافهة –

"نعم". أجابت، ثم مدَّت يدها لتعطيه علبة الثقاب. وكانت المخطوطة – المكتوبة على ورق أبيض من منتجات شركة هامرميل بوند – مستقرة في حضنها وصفحة العنوان على قمة صفحاتها. كان وجهها ما يزال صافياً ورائقاً.

"لا". قال بول وهو يدير وجهه المحمَّر بعيداً عنها.

"نعم. إنه قذر. هذا عدا أنه ليس جيداً أيضاً".

"إنك لن تعرفي الجيد حتى لو جاء إليك واقتلع أنفك!" صاح في وجهها غير مكترث.

ضحكت بهدوء. من الواضح أن مزاجها السيئ كان في إجازة حينئذ. ولكن، فكَّر بول في نفسه، من معرفته بآني ويلكس، فمن الممكن أن يعود مزاجها السيئ بشكل غير متوقع في أية لحظة حاملاً حقائبه بيديه: *لم أتحمل البقاء بعيداً! كيف الحال؟*

قالت آني: "أولاً، الجيد *لن* يقتلع أنفي. الشرير قد يفعل ذلك، أما الجيد فلا. ثانياً، أنا *بالتأكيد* أعرف الجيد عندما أراه؛ *أنت* جيد يا بول. كل ما أنت بحاجة إليه هو القليل من المساعدة. والآن، خذ علبة الثقاب".

هز رأسه بعناد قائلاً: "لا".

"نعم".

"لا!"

"نعم".

"لا، اللعنة!"

"استخدم كل ما تريد من كلمات بذيئة قد سمعتها من قبل".

"لن أفعل ذلك". ثم أغمض عينيه.

عندما فتحهما كانت تحمل علبة كرتونية مربعة الشكل مكتوب على رأسها كلمة نوفريل بأحرف زرقاء لامعة. وتحت العلامة التجارية كُتب بأحرف حمراء: عيِّنة مجانية، لا تُصرَف بدون وصفة الطبيب. وأسفل التحذير كان هناك أربعة أقراص مغلَّفة. حاول الإمساك بها، لكنها أبعدتها عن متناول يده.

قالت: "عندما تحرقها، سأعطيك الأقراص – الأربعة كلها على ما أعتقد – وسيزول الألم. ستبدأ بالشعور مجدداً بالهدوء، وعندما ستتمكن من السيطرة على نفسك، سأغير أغطية سريرك. أرى بأنك بللتها، ولا بد أنها أصبحت غير مريحة. وسأغير *لك* أيضاً. ولا بد أنك ستكون جائعاً، يمكنني أن أقدم لك بعض الحساء. وربما بعض الخبز المحمَّص غير المدهون بالزبدة. ولكن، قبل أن تحرقها، يا بول، لا يسعني فعل أي شيء. أنا آسفة".

كان لسانه يريد أن يقول *أجل! أجل، حسناً!* ولهذا السبب عض عليه. فأعرض عنها من جديد، بعيداً عن العلبة الكرتونية المغرية والمثيرة للجنون، والكبسولات البيضاء المغلفة بورق معدني شفاف ولامع. قال بول: "أنت الشيطان".

توقَّع مجدداً أن تثور ثائرتها لكنه لم يُقابَل إلا بضحكة متسامحة، تحمل في طياتها غضباً مكبوتاً.

"أوه نعم، *نعم!* هذا ما يعتقده الطفل عندما تدخل أمه إلى المطبخ وتراه يلعب بسائل التنظيف تحت المغسلة. إنه لن يقولها *بهذا* الأسلوب، بالطبع، لأنه لا يملك ثقافتك. بل سيقول ببساطة، 'مامي، أنت لئيمة!'"

أزاحت بيدها شعره من على جبهته الحارة. ثم مررت أصابعها

إلى خده ورقبته ثم ضغطت قليلاً على كتفه بحنو قبل أن تبعدها عنه.

"تشعر الأم بسوء بالغ عندما يقول طفلها بأنها لئيمة أو إذا بكى مطالباً بما أُبعد عنه، كما تفعل أنت الآن. لكنها تعلم بأنها محقة، ولذلك فهي تقوم بواجبها. كما أقوم أنا بواجبي".

نقرت آني بمفصل إصبعها على المخطوطة ثلاث مرات مصدرة ثلاث دقات مكتومة. 190,000 كلمة وخمس أرواح كان بول شيلدون يهتم لأمرها كثيراً عندما كان بحال جيدة وخالياً من الألم، 190,000 كلمة وخمس أرواح يجدها الآن قابلة للاستغناء عنها مع كل دقيقة تمر.

الأقراص. الأقراص. كان عليه أن يحصل على الأقراص اللعينة. الأرواح كانت مجرد أخيلة، أما الأقراص فلا. كانت أشياء *حقيقية*.

"بول؟"

قال باكياً: *"لا!"*

"بول؟"

"لا!"

"إنني أنتظر يا بول".

أوه، بحق الله لماذا تقوم بهذا الدور اللعين الذي يشبه دور "هوراتيو عند الجسر" ومن ذا الذي تريد التأثير عليه؟ هل تظن بأنه فيلم سينمائي أو برنامج تلفزيوني وأنت ستنال علامة على شجاعتك من قبل بعض المشاهدين؟ يمكنك أن تقوم بما تريده منك أو يمكنك المقاومة. وإذا قاومت فستموت وستحرق المخطوطة على أي حال. ماذا ستفعل إذن، تضجع هنا وتعاني من أجل كتاب سيبيع نصف عدد النسخ التي باعها أقل كتب ميزري نجاحاً؛ وأي منها سيرضى بيتر بريسكوت بالكتابة عنه بأسلوبه الاستخفافي الرفيع عندما سيراجعها لصالح إلهة الأدب العظيمة، نيوزويك؟ هيا، هيا، تعقّل! حتى غاليليو تراجع عندما عرف بأنهم كانوا سينفذون ما برؤوسهم!

"بول، إنني أنتظر. يمكنني الانتظار طوال اليوم. بالرغم من أنني

أشك بأنك قد تدخل في غيبوبة بعد فترة ليست بالطويلة. أعتقد بأنك تمر في حالة قريبة من السبات الآن، ولديَّ الكثير من..".

خفت صوتها بشكل تدريجي.

نعم! أعطني علبة الثقاب! أعطني مشعل الغاز؟ أعطني شحنة من النابالم! سأسقط قنبلة نووية تكتيكية عليها إذا كان ذلك هو ما تريدين، أيتها العجوز اللعينة!

هكذا تكلم الانتهازي، الراغب بالبقاء. لكنّ جزءاً آخر منه، كان يتداعى الآن، بدأ بالنواح في الظلمة: *مائة وتسعون ألف كلمة!* خمس *أرواح! سنتان من العمل! وماذا كانت النتيجة الفعلية: الحقيقة! ماذا* عرفت *عن الحقيقة اللعينة!*

صرّت نوابض السرير عندما نهضت آني.

"حسناً، *إنك* ولد صغير عنيد جداً، لا بد أن أعترف بذلك، وأنا لا أستطيع الجلوس بجانب سريرك طوال الليل، إلا بقدر ما أحب! على أي حال، كنت أقود سيارتي لمدة تقارب الساعة، محاولة الإسراع للعودة إلى هنا. سأمر بك بعد قليل لأرى إذا كنت قد غيَّرت رأ -"

صاح في وجهها: "فلتحرقيها *أنت* إذن!"

استدارت ونظرت إليه. "لا. لا يمكنني أن أفعل ذلك، مع أنني أود ذلك، كي أعفيك من العذاب الذي تشعر به".

"لم لا؟"

قالت بأسلوب بليغ: "لأنك، يجب أن تفعل ذلك بكامل إرادتك الحرة".

عندئذ بدأ بالضحك، فأظلم وجهها للمرة الأولى منذ رجوعها، ثم غادرت الغرفة حاملة المخطوطة تحت ذراعها.

18

عندما عادت بعد ساعة، أخذ علبة الثقاب.

وضعت ورقة العنوان على الشوّاية. حاول إشعال أحد الأعواد لكنه لم يستطع، لأن العود كان يخطئ الجانب الخشن أو يسقط من يده.

لذا أخذت آني العلبة وأشعلت العود ووضعت العود المشتعل في يده فلامسه مع طرف الورقة ثم ترك العود يسقط في حوض الشواية وراقب، مبهوراً، اللهب وهو يتذوق الورقة في البداية ثم يلتهمها. كانت تحمل شوكة خاصة بالشوي بيدها هذه المرة، دفعت بها الورقة عندما بدأت بالتجعد لتدخل في شقوق الشواية.

قال بول: "سيتطلب هذا الأمر العمر كله، أنا لا أستطيع –"

"لا، سنجعل العملية أسرع، ولكن، عليك أولاً أن تحرق بضع ورقات منفردة يا بول؛ كدليل على تفهمك".

وضعت حينئذ الصفحة الأولى من **سيارات سريعة** على الشواية، تذكّر كلمات كتبها قبل نحو أربعة وعشرين شهراً في منزله في نيويورك: "*'لا أملك عجلات' . قال توني بوناسارو، وهو يصعد باتجاه الفتاة التي كانت تنزل عبر درجات السلم، 'وأنا بطيء التعلّم، ولكنني سائق سريع'* ".

أوه، ما حصل استحضر ذلك اليوم كما تُستحضَر أغنية شهيرة قديمة في الراديو. تذكّر تجوّله من غرفة إلى غرفة في أرجاء الشقة، مليئاً بكتاب، بل أكثر من مليء، *حاملاً بكتاب*، هناك كانت آلام المخاض. تذكّر إيجاد إحدى حمالات الصدر الخاصة بجوان تحت وسادة المقعد في وقت سابق من ذلك اليوم، وكان قد مضى على غيابها ثلاثة أشهر كاملة، الأمر الذي يريك نوع العمل الذي تقدمه خدمة التنظيف؛ تذكّر سماع حركة المرور في نيويورك، وبشكل أضعف، صوت القرع الرتيب لجرس إحدى الكنائس يدعو المؤمنين للقداس.

تذكَّر جلوسه استعداداً للكتابة.

وكما هو الحال دائماً، الراحة المباركة التي يعطيك إياها البدء من جديد، شعور يشبه السقوط في حفرة مليئة بالضوء الساطع.

وكما هو الحال دائماً، الكآبة التي كانت تسيطر عليه لمعرفته بأنه لن يكتب بالجودة التي يريد أن يكتب بها.

وكمـــا هو الحال دائماً، الرعب من عدم تمكنه من الانتهاء، ومن اصطدامه بجدار صلب.

وكمـــا هـــو الحال دائماً، الشعور الرائع الباعث على البهجة الذي يمنحه الانطلاق في رحلة.

نظـــر إلـــى آني ويلكس وقال بوضوح، ولكن بصوت منخفض: "آني، أرجوك لا تجبريني على فعل ذلك".

أمســكت علـــبة الثقاب أمامه دون حراك وقالت: "يمكنك فعل ما تختاره".

وهكذا أحرق كتابه.

19

جعلـــته يحـــرق الصـــفحة الأولى، والأخيرة، وتسعة أزواج من الصفحات من أماكن متعددة من المخطوطة؛ لأن الرقم تسعة – على حد قولهـــا – يرمز إلى القوة، وضعف الرقم تسعة يرمز إلى الحظ. ولاحظ أنهـــا اســـتخدمت قلماً خاصاً لإخفاء المقاطع البذيئة، بقدر ما استطاعت قراءته من المخطوطة على الأقل.

"الآن". قالـــت، عـــندما انـــتهى مـــن إحراق الأزواج التسعة من الصـــفحات. "لقد كنت ولداً صالحاً وذا روح رياضية، وأنا أعلم بأن هذا الأمـــر يؤلمك بقدر ما تؤلمك ساقاك تقريباً ولهذا السبب لن أجعل الأمر يطول أكثر من ذلك".

نزعت الشواية ووضعت بقية المخطوطة داخل الحوض، وهي تسحق الأوراق المجعَّدة المسودَّة التي أحرقها بول سابقاً. امتلأت الغرفة برائحة الثقاب والورق المحروق الكريهة. فصارت *تشبه رائحة غرفة استراحة ...* - قال في نفسه - ولو كان هناك أي شيء في قشرة الجوز التي كانت ذات مرة تُسمَّى معدته، لتقيأه بالتأكيد.

أشعلت عوداً آخر ووضعته في يده. وبطريقة ما تمكَّن من الانحناء وإسقاط العود في حوض الشواية. لم يعد لذلك أهمية بعد الآن، لم يعد لذلك أهمية.

وكزته بيدها.

فتح عينيه بإعياء.

"لقد انطفأ". فأشعلت عوداً آخر ووضعته في يده.

وهكذا، تمكَّن مرة أخرى من الانحناء إلى الأمام، موقظاً منشاراً كهربائياً صدئاً في ساقيه بفعله ذلك، ولامس العود مع طرف كومة المخطوطة. هذه المرة، انتشر اللهب بدلاً من الانكماش والخمود حول عود الثقاب.

استند إلى ظهره، عيناه مغلقتان، مصغياً لصوت الطقطقة، ومستشعراً بالحرارة المصاحبة.

صاحت بفزع: "يا الله!"

فتح عينيه فرأى قصاصات الورق المتفحِّمة تتطاير فوق الشواية بفعل الهواء المسخَّن.

خرجت آني بتثاقل من الغرفة. ثم سمع صوت ارتطام ماء حنفيات حوض الحمام بدلو المسح. جلس يراقب بغير اكتراث قطعة سوداء من المخطوطة تطير في الغرفة وتحط فوق واحدة من الستائر الشفافة. انطلقت شرارة قصيرة - تساءل في نفسه في هذه المدة القصيرة إذا كانت الغرفة ستشتعل بالنار - ومضت لمرة واحدة ثم انطفأت، مخلِّفة ثقباً صغيراً يشبه حرق السيجارة. انتشر الرماد على السرير، وحط

بعـــض منه على ذراعه، لكنه لم يكترث للأمر. لسبب أو لآخر لم يعد يكترث.

عـــادت آني. كانت عيناها تحومان في كل أرجاء الغرفة محاولةً اقـــتفاء المسار المتأرجح لكل من القصاصات المتفحمة المتطايرة. كان اللهب يستعر ويضطرب فوق حافة الشواية.

"يـــا الله!" قالـــت مـــرة أخرى، وهي تحمل الدلو وتتلفت حولها، محاولـــة أخذ قرارها أين ستقذف بمحتواه، أو إذا كانت ثمة حاجة لقذفه أساساً. كانت شفتاها ترتجفان، مبللتين باللعاب. وبينما كان بول يراقبها، اندفع لسانها من بين شفتيها ولمَّعهما بسرعة خاطفة. "يا الله! يا الله!" بدا أن ذلك كان كل ما تستطيع قوله.

حـــتى وهـــو محصور بين فكّي ملزمة ألمه الضاغطة، شعر بول بسعادة غامرة؛ هذا هو شكل آني ويلكس عندما تكون مذعورة. لقد أحب ذلك المنظر.

طارت ورقة أخرى، هذه المرة كانت تطير مع ذيول صغيرة من اللهـــب الأزرق الخافت، الأمر الذي دفعها لاتخاذ قرارها. فصبَّت الماء في الحوض بحذر، مع "يا الله!" أخرى. صدر صوت فحيح بشع وارتفع عمود من الدخان. وانبعثت رائحة تفحّم رطبة وكريهة.

عندما خرجت من الغرفة، تمكّن من الانحناء لمرة أخيرة بالاستناد إلـــى مـــرفقه. نظـــر إلى حوض الشواء فشاهد شيئاً يشبه جذعاً خشبياً متفحماً طافياً في بركة مالحة.

بعد قليل، عادت آني ويلكس.

كانت تدندن، على نحو يثير الدهشة.

أجلسته ودفعت أقراص الدواء في فمه.

ابتلع الأقراص ثم استلقى على ظهره، مفكراً: *سأقتلها*.

20

"كُــلْ". قالــت من مكان بعيد، فشعر بألم واخز. فتح عينيه فرآها جالســة بجانبه. للمرة الأولى شعر بأنه كان على نفس المستوى معها، وجهــه مقابل وجهها. فأدرك بدهشة ضبابية أنه كان للمرة الأولى منذ دهر من الزمان جالساً أيضاً... كان يجلس بشكل حقيقي.

مــن يبالي؟ قال في نفسه ثم ترك عينيه تنغلقان مرة أخرى. كان المد موجوداً. والوتدان مغموران. لقد جاء المد أخيراً، وفي المرة المقبلة قد ينحسر إلى الأبد ولهذا السبب فهو سيركب الأمواج طالما أن الأمواج موجودة ليركبها. يمكنه أن يفكر في أمر الجلوس لاحقاً...

"كُلْ!" قالت مجدداً، وأعقب ذلك عودة للألم. طنَّ الألم في الجانب الأيسر من رأسه، فجعله يئن ويحاول الابتعاد عنها.

"كلْ يا بول! عليك أن تستيقظ من نومك كي تأكل وإلا..."

قرصت شحمة أذنه.

قال مهمهماً: "حسناً. *حسنًا!* لا تشديها، حباً بالله".

أرغــم نفســه علــى فــتح عينيه. كان يشعر بأن هناك كتلة من الإســمنت معلقة بكل جفن من جفنيه. وعلى الفور أصبحت الملعقة في فمه مفرغة حساء ساخناً داخل حلقه. ابتلعها كي لا يختنق.

فجــأةً، ومــن العدم، ظهر إلى العيان "ملك الجوع"؛ *لم يسبق أن رأيــت، سيداتي وسادتي، عودة أكثر مثاراً للدهشة من هذه العودة!* كأن تلك الملعقة المليئة بالحساء أيقظت أحشاءه من غيبوبتها. فأخذ يزدرد ما تــبقى من الحساء بقدر ما كانت تستطيع إفراغه في فمه، وكأن جوعه كان يزداد، بدلاً من أن يقل، كلما التهم المزيد من الحساء.

تذكَّــر بشكل ضبابي آني تُخرج بسرعة الشوّاية الشريرة والدخان يتصاعد منها ثم تأتي بشيء اعتقد بأنه – نظراً لحالته الخدرة والذابلة – عــربة تسوق. لم تدهشه هذه الفكرة، كما أنها لم تثر تساؤلاته، فهو في

النهاية *زائر* في بيت آني ويلكس. وفي بيت آني ويلكس يمكنك أن تتوقع أي شـــيء، شـــوّايات، عربات تسوق، وربما غداً آلة ضبط زمن ركن السيارات أو حتى رأساً نووياً.

ثم غاب عن الوعي بعد ذلك. لكنه أصبح يدرك في ذلك الوقت بأن عـــربة التســـوق لم تكن سوى كرسي متحرك مطوي. كان يجلس فيه، وكانـــت ســـاقاه المجـــبَّرتان بارزتين أمامه، ومنطقة حوضه المتورمة تشعره بعدم الارتياح، وهو لم يكن سعيداً بوضعه الجديد.

وضعتنـي فيه عندما كنت ما أزال غائباً عن الوعـي. فكَّر في نفسه. *كيف رفعت وزنـي الثقيل؟ يا الله، لا بد أنها قوية.*

قالـــت آنـــي: "انتهيـــت! أنا مسرورة لرؤيتك تتناول الحساء بهذه الطـــريقة يا بول. أعتقد بأنك ستتعافى. لا أقول بأنك ستعود إلى حالتك الســـابقة – للأســـف لا – ولكـــن، إذا لـــم نشهد مزيداً من هذه... هذه *المشـــاكل المؤسفة*... فأنا أعتقد بأنك سوف تتحسن بشكل جيد. والآن، سأغيِّر سريرك المقرف القديم هذا، وعندما أنتهي من فعل ذلك، سأغيِّر قرفك أنت أيضاً، وبعد ذلك، إذا لم تكن تشعر بألم كبير وما تزال تشعر بالجوع، سأدعك تتناول بعض الخبز المحمص".

قـــال بتواضـــع: "شـــكراً لـــك آني". وفكَّر: *رقبتك. لو بإمكانـي، سأعطيك فرصة لكي تلعقي شفتيك وتقولـي 'يا الله!' ولكن، لمرة واحدة فقط، يا آنـي.*

لمرة واحدة فقط.

21

بعد أربع ساعات عاد إلى سريره. كان باستطاعته حرق *كل* كتبه مقـــابل حـــبة نوفـــريل واحدة فقط. لم يزعجه الجلوس أبداً أثناء تناوله الحســـاء – ليس بوجود كمية كافية من القذارة في دمه – لكن الجلوس

يجعله يشعر الآن وكأن حشداً كبيراً من النحل أُطلق في النصف السفلي من جسده.

صـــرخ بصوت عالٍ. لا بد أن الطعام قد تسبَّب بشيء ما له، لأنه لـم يتذكر بأنــه كان قادراً على الصراخ بهذا الشكل منذ أن خرج من الغيمة السوداء.

أحــس بأنهــا كانت واقفة في الرواق خارج باب غرفة النوم لمدة طويلة قبل أن تدخل إلى الغرفة. كانت جامدة، فاقدة للحياة، تنظر بدون أي تعبير إلى مقبض الباب أو ربما إلى خطوط يديها.

"خذ". أعطته دواءه. كبسولتان فقط هذه المرة.

ابتلعهما، ممسكاً بمعصمها كي يحافظ على الكأس ثابتة.

قالت وهي تنهض: "جلبت لك هديتين من البلدة".

قال بصوت متحشرج: "صحيح؟"

أشــارت بــيدها إلى الكرسي المتحرك القابع في الزاوية بدوّاستيه الفولاذيتين البارزتين أمامه.

"سأريك الهدية الأخرى غداً. الآن، خذ قسطاً من النوم يا بول".

22

لكــن النوم لم يأتِه لفترة طويلة. راح يطوف بفعل الدواء المسكّن ويفكر في وضعه. بدا الأمر أكثر سهولة حينئذ. كان التفكير في وضعه أكثر سهولة من التفكير في الكتاب الذي ألّفه ثم حوّله إلى عدم.

أشــياء... أشياء منفصلة مثل قطع من القماش تُجمَع معاً من أجل صنع لحاف.

كانــا يــبعدان أمــيالاً عن الجيران الذين، على حدّ قول آني، لا يحــبونها. ماذا كان اسمهم؟ بوينتون. لا، *رويدمان*. هذا هو. رويدمان. وكم كانوا يبعدون عن البلدة؟ ليس بعيداً جداً، بالتأكيد. كان موجوداً في

دائرة يبلغ قطرها حوالى خمسة عشر ميلاً، أو خمسة وأربعين ميلاً كحدٍّ أقصى. كان منزل آني ويلكس يقع في تلك الدائرة، وكذلك آل رويدمان، ومركز البلدة في سايدويندر.

وسـيارتي. سـيارتي الكامـارو تقع في مكان ما من تلك الدائرة أيضاً. هل وجدتها الشرطة؟

لـم يعتقد ذلك. لأنه إذا وُجدت سيارة فيها بطاقات مسجلة باسمه، وهـو الكاتـب الشهير، فإن مجرد تحقيق أولي بسيط كان سيكشف بأنه كـان موجوداً في مدينة بولدر واختفى عن الأنظار منذ ذلك الحين. إن اكتشـاف سـيارته المحطمة والفارغة كان سيستدعي على الفور بحثاً واسعاً عنه، وقصصاً في الأخبار...

إنها لا تشاهد الأخبار أبداً على التلفاز، ولا تستمع إلى الراديو؛ إلا إذا كانت تملك واحداً بسماعتين.

كـان تلفازاً يشبه إلى حدٍّ ما ذلك الكلب في قصة شارلوك هولمز؛ الكلـب الـذي لم يكن ينبح. لم تُكتشَف سيارته لأن الشرطة لم تأتِ. لو أنهـم وجدوهـا، لفتشـوا كل شخص في دائرته الافتراضية تلك، أليس كذلك؟ وكم عدد الناس الذين يمكن أن يتواجدوا في مثل هذه الدائرة، هنا بالقرب من قمة منحدرات ويسترن سلوب؟ آني ويلكس، وآل رويدمان، وربما عشرة أو اثنا عشر شخصاً آخرين؟

ومجرد أنها لم تُكتشَف حتى الآن لا يعني بأنه *لن يُعثَر عليها*.

سـيطرت عليه مخيلته الخصبة (التي لم يرثها من أي طرف من عائلـة *أمـه*) الآن. كان الشرطي طويل القامة، ووسيماً ولكن بمظهر بـارد، وكان سالفاه أطول قليلاً من المعتاد. كان يرتدي نظارات سوداء يمكـن للشـخص المستجوَب أن يرى وجهه في كل عدسة منها. وكان يتكلم بلهجة الغرب الأوسط الرتيبة.

لقـد وجدنـا سيارة مقلوبة أسفل جبل همبغي تعود لكاتب مشهور يُدعـى بـول شيلدون. هناك بعض الدماء على المقاعد ولوحة القيادة،

ولكن لا يوجد أي أثـــر له. لا بد أنه زحف إلى الخارج، أو ربما ضل طريقه بفعل تشوشه –

كانـــت تلك نكتة بالطبع، نظراً لحالة ساقيه، ولكن، من أين لهم أن يعرفوا نوع الإصابات التي لحقت به. كانوا سيفترضون بأنه إذا لم يكن موجوداً هناك، فلا بد أنه كان بحالة تسمح له بالابتعاد قليلاً على الأقل. لـــم يكن سياق استنتاجاتهم ملائماً بحيث يوصلهم إلى احتمال بعيد مثل الخطف، ليس في البداية على الأقل.

هل تذكرين أنكِ شاهدت شخصاً على الطريق يوم العاصفة؟ رجل طويـــل القامـــة، في الثانية والأربعين من عمره، بني الشعر؟ ربما كان يـــرتدي بنطال جينز أزرق وقميصاً صوفياً أو قطنياً ناعماً ذا مربعات وسترة بقلنسوة؟ وربما بدا متورماً وعليه بعض الكدمات؟ اللعنة، لعله لم يكن يعرف من هو؟

قدمت آني القهوة في المطبخ، وحرصت على إغلاق كل الأبواب التي تفصل بين المطبخ وغرفة النوم الإضافية، لحجب أي أنين قد يصدر.

لماذا، لا يا سيدي، لم أرَ أي شخص على الإطلاق. في الواقع، لقد عدت من البلدة حالما أعلمني توني روبرتس بأن عاصفة قوية ستتحول باتجاه الجنوب في نهاية المطاف.

وضع الشرطي فنجان القهوة على الطاولة ثم وقف، وقال: حسناً، *إذا رأيـــت أي شـــخص تنطبق عليه هذه المواصفات، سيدتي، أرجو أن تتصـــلي بـــنا بأسرع ما يمكن. إنه شخص مشهور جداً. ظهر في مجلة بيبل، وفي بعض المجلات الأخرى أيضاً.*

سأفعل بالتأكيد يا سيدي!

ثم ذهب.

لربما حدث شيء يشبه هذا *من قبل* ولم يعلم به. لربما زار زملاء شـــرطيه التخيّلي الحقيقيون آني عندما كان مخدراً. يعلم الله كم أمضى مـــن الوقـــت وهو مخدر. إنه *ليس* جو بلو من كوكومو، مجرد شخص

مـــتفاخر لمع نجمه لفترة قصيرة ثم انطفأ. لكنّ المزيد من التفكير أقنعه بأن ذلك غير مرجح. لأنه ظهر في مجلة *بيبل* (أفضل القصص مبيعاً)، وفـــي مجلة *أس* (أول طلاق)، كما أُثيرت قضية حوله ذات يوم أحد في مجلـــة *برسونالتي باريد*. ولهذا السبب، لا بد أن تجري إعادة استقصاء عنه، ربما عن طريق الهاتف، أو ربما بواسطة رجال الشرطة أنفسهم. عـــندما يختفـــي أحـــد المشاهير – حتى شبه مشهور مثل كاتب – فإن الاهتمام يبلغ أقصاه.

إنك تخمّن فقط يا رجل.

ربما أخمن، وربما أستنتج. على أي حال، إنه أفضل من الاستلقاء هنا وعدم القيام بأي شيء.

وماذا عن حواجز الأمان التي توجد على جانبي الطريق؟

حـــاول أن يـــتذكر لكنه لم يستطع. استطاع فقط أن يتذكر محاولة الوصـــول إلى سجائره، ثم الطريقة الغريبة التي استبدلت فيها الأرض والســـماء موقعـــيهما، ومن ثم الظلمة. مرة أخرى، جعل الاستنتاج (أو التخمين المثقف، إذا أردت أن تكون متعجرفاً) الأمر يبدو وكأنه لم تكن هـــناك أيـــة حواجز أمان طرقية. لأن هذه الحواجز كانت ستثير انتباه دوريات الشرطة فيما لو تحطمت أو اقتُلعت من مكانها.

إذن، ماذا *حصل* بالضبط؟

لقد فقد السيطرة في مكان ما ليس فيه كثير من الانحدار، بل فقط مـــا يكفي من الانحدار للسماح للسيارة بالانقلاب. لأنه لو كان الطريق أكـــثر انحداراً، لتوجب وجود حواجز أمان طرقية. إضافة إلى ذلك، لو كان الطريق أكثر انحداراً، لوجدت آني ويلكس صعوبة، وربما استحالة، في الوصول إليه، دع عنك مسألة جرّه ثانية إلى الطريق بنفسها.

إذاً، أين كانت سيارته؟ مدفونة في الثلج، بالطبع.

وضع بول ذراعه على عينيه فشاهد كاسحة ثلج تصعد الطريق في المكـــان الذي تحطمت فيه سيارته قبل ساعتين فقط. الكاسحة تبدو مثل

بقعـــة برتقالـــية باهتة بين الثلج المتساقط في نهاية ذلك النهار. والرجل الـــذي يقـــود الكاســـحة ملفّحاً بالثياب حتى عينيه، ويعتمر قبعة زرقاء وبيضـــاء قديمـــة الطـــراز تشبه القبعات التي كان عمال سكك الحديد يعتمرونها فيما مضى. وعلى يمينه، أسفل منحدر غير عميق لكنه على مقـــربة من وادٍ أكثر عمقاً مثل الوديان التي تتميز بها المناطق الداخلية عـــادةً، تقبع سيارة بول شيلدون الكامارو، مع لاصقة زرقاء باهتة على المصـــد الخلفـــي كُتـــب عليها "هارت رئيساً" [أي غاري هارت رئيساً للولايـــات المتحدة]. والشخص الذي يقود كاسحة الثلج لا يرى السيارة، لأن لاصـــقة المصد باهتة جداً إلى درجة أنها لا تثير انتباه العينين. كما أن الأســـنان الموجـــودة على جناح الكاسحة تسد معظم رؤيته الجانبية، أضـــف إلى ذلك أن الظلام كان قد حل تقريباً وهو مرهق جداً. وكل ما يـــريده هـــو الانتهاء من هذه الدورة الأخيرة وإطفاء الكاسحة واحتساء كأس من الشراب الساخن.

يـــتجاوز الســـائق الكامـــارو، مفتتاً بكاسحته الثلج ودافعاً إياه إلى الـــوادي. والكامارو، المائلة باتجاه النوافذ، مغطاة الآن حتى خط سقفها. فـــيما بعد، في أحلك فترة من الغسق العاصف عندما تكون حتى الأشياء الواقعة مباشرة أمام عينيك تبدو غير حقيقية، يمر بها سائق النوبة الثانية في الاتجاه المعاكس ويدفنها تماماً.

فتح بول عينيه ونظر إلى السقف الجصّي. كانت هنالك تشققات دقـــيقة تبدو وكأنها حروف W متداخلة. كان قد اعتاد عليها على مر الأيام الطويلة التي أمضاها هنا مستلقياً منذ خروجه من غيمته، وها هـــو الآن يتعقبها بنظره ثانيةً، مفكراً بشكل عبثي بالكلمات التي تبدأ بحرف W.

نعم.

من الممكن أن يكون قد حصل الأمر على هذا النحو. من الممكن.

هل فكّرت في ما يمكن أن يكون قد حدث عندما وُجدت سيارته؟

ربما فعلت ذلك. صحيح أنها مختلة، ولكن، كونها مجنونة لا يعني بأنها غبية.

مع ذلك، فهي لم يخطر ببالها قط أنه ربما يملك نسخة ثانية من سيارات سريعة.

أجل. وهي كانت محقة. العاهرة كانت محقة. أنا لا أملك نسخة أخرى.

طافت بذهنه صور الصفحات المتفحمة وهي تتطاير في الهواء، وألسنة اللهب، والأصوات، ورائحة العدم. فصرَّ على أسنانه وأغلق عينيه محاولاً صرف ذهنه عنها؛ لم تكن المخيلة *النابضة بالحياة* جيدة على الدوام.

لا، لم تفعل ذلك. لكن تسعة من بين عشرة كتّاب يعدّون نسخاً إضافية عن أعمالهم؛ على الأقل كانوا سيفعلون ذلك فيما لو كانوا يتقاضون الأجر الذي كنت تتقاضاه حتى على الروايات الأخرى غير ميزري. إنها لم تفكر بذلك أبداً.

إنها ليست كاتبة.

ولا هي غبية أيضاً، أعتقد بأنني وأنت اتفقنا على ذلك. إنها مليئة بذاتها؛ إنها لا تملك مجرد أنا متضخمة، بل أنا معقدة بالمعنى الإيجابي للكلمة. لقد بدا أمر إحراق المخطوطة مناسباً بالنسبة لها، وفكرة الأمر المناسب قد تكون تعرضت لهفوة تافهة كما يحصل مع ماكينات زيروكس المصرفية عندما يدخل في ثقبها زوج من أرباع الدولارات معاً... هذه النقطة لم تخطر ببالها ببساطة يا صديقي.

قد تكون استنتاجاته السابقة أشبه بأبنية شُيِّدت فوق رمال متحركة، لكنّ رأيه هذا في آني ويلكس بدا بالنسبة إليه مقنعاً وصلباً مثل جبل طارق. كان بول يملك، بفضل أبحاثه التي أجراها أثناء كتابة رواية ميزري، فهماً أكثر عمقاً للاضطرابات النفسية والاضطرابات الذهانية من فهم الإنسان العادي، وكان يعلم بأنه على الرغم من أن المريض

النفسي الذي يقع بين كلتا الفئتين قد يمر بفترات متناوبة من الإحباط العميق والمرح الأقرب إلى العدائية، إلا أن **الأنا** المصابة أو المنتفخة تعاني من كل هذه الاضطرابات معاً، فهي تكون على يقين بأن كل الأعين تلاحقها، أو تكون متيقنة من أنها نجم في مسرحية عظيمة، وماذا تكون النتيجة، شيئاً ينتظره ملايين المتلهفين بأنفاس محبوسة.

مثل هذه **الأنا** منعت ببساطة مثل هذه الطرق في التفكير. كانت هذه المقاربات قابلة للتكهّن بها لأنها كلها تمتد في الاتجاه نفسه: من الشخص المضطرب إلى الأشياء، أو الظروف، أو الأشخاص الآخرين خارج نطاق سيطرته (أو الخيال: بالنسبة للمريض النفسي قد تكون هناك بعض الفوارق لكنها كلها متشابهة بالنسبة للمريض الذهاني).

كانت آني ويلكس تريد تدمير **سيارات سريعة**، ولهذا السبب لم يكن هناك، بالنسبة لها، إلا نسخة واحدة عنها.

لربما كان بإمكاني إنقاذ المخطوطة اللعينة لو أنني أخبرتها بوجود المزيد من النسخ. لأنها كانت ستجد إحراق المخطوطة أمراً عبثياً.

انحبس نفَسَه – الذي كان يتباطأ جراء شعوره بالنعاس – فجأة في حلقه وفتح عينيه مشدوهاً من فكرته هذه.

نعم، إنها كانت ستجد الأمر عبثياً. كانت ستُرغَم على التسليم بواحدة من طرق التفكير تلك التي ستؤدي إلى مكان يقع خارج نطاق سيطرتها. ستتأذى **الأنا** حينئذ.

لديَّ مثل هذا المزاج!

ولو أنها وُوجهت بحقيقة أنها لا *تستطيع* تدمير "كتابه القذر"، ألا يمكن أن يدفعها ذلك إلى تدمير مبتدع الكتاب القذر بدلاً منه؟ فليس هناك سوى نسخة واحدة من بول شيلدون، على أي حال.

كان قلبه ينبض بسرعة. وفي الغرفة الأخرى، بدأت الساعة تدق، وسمع صوت وقع أقدامها فوق سقف غرفته. ثم صوت تبولّها الخافت. وتدفق الماء في المرحاض. ووقع أقدامها الثقيلة أثناء رجوعها إلى

السرير. وصرير النوابض.

إنك لن تغضبني ثانية، أليس كذلك؟

بدأ ذهنه يحاول الجري بسرعة، مثل مهرول منهك يحاول تسريع خطواتـــه. مـــا علاقة كل هذا التحليل النفساني الضعيف بسيارته؟ متى وُجدت؟ ماذا كانت تعني بالنسبة إليه؟

"انـــتظر لحظـــة". همـــس لنفسه في الظلام. "انتظر لحظة، انتظر لحظة، أبقِ الخط مرفوعاً. انتظر قليلاً".

وضع ذراعه على عينيه مرة أخرى، ومرة أخرى استحضر حالة الشـــرطي ذي النظارات السوداء والسالفين الطويلين. لقد *وجدنا سيارة مقلوبة أسفل جبل همبغي*، يقول الشرطي، إلخ...

هـــذه المـــرة *فقط* لم تدعُه آني للبقاء من أجل شرب القهوة. هذه المرة، إنها لا تشعر بالأمان حتى يخرج من منزلها ويمضي بعيداً. حتى وهمـــا فـــي المطـــبخ، حـــتى بوجـــود بابين مغلقين بينهما وبين غرفة الضيوف، حتى والضيف مخدر كلياً، قد يسمع الشرطي تأوهاً.

لـــو وُجـــدت السيارة، لكانت آني ويلكس ستشعر بأنها في ورطة، أليس كذلك؟

همس بول: "أجل". بدأت ساقاه تؤلمانه من جديد، لكنه بالكاد لاحظ ذلك في ظل الرعب الذي تولَّد من اكتشافه هذا.

إنهـــا ستكون في ورطة ليس لأنها جلبته إلى منزلها، وخاصة إذا كـــان أقـــرب من سايدويندر (وهذا ما يعتقده بول). كانوا سيقدمون لها، مقـــابل ذلـــك، ميدالـــية تقديرية وعضوية دائمة لمدى الحياة في "نادي المعجبين بميزري تشاستين" (وقد كان هناك شيء من هذا القبيل بالفعل، الأمـــر الـــذي كان يزعج بول كثيراً). لكن المشكلة *تكمن* في أنها جلبته إلـــى مـــنزلها ووضـــعته في غرفة الضيوف دون أن تخبر أحداً بذلك. المشـــكلة هي أنها ملأته بالمخدرات التي لم يكن من المفترض أن تملك الحق باستخدامها بهذه الحرية، وخاصة لأنه ليس ذلك المدمن الذي كان

يعـــتقد. المشـــكلة هي أنها اتبعت مع التخدير معالجة من نوع غريب، حيث غرزت إبراً وريدية في ذراعيه، وثبتت ساقيه بقضبان منشورة من عكازيـــن مصـــنوعين من الألمنيوم. المشكلة هي أن آني ويلكس كانت موجـــودة على المنصة في دنفر... *وليس كشاهدة داعمة*، فكَّر بول في داخله، *سأراهن بكل ما أملك على ذلك*.

وهكـــذا، ها هي تراقب الشرطي وهو يقود سيارته النظيفة مبتعداً (النظيفة باستثناء قطع متكتلة من الثلج والملح متعشعشة فوق الإطارات وتحـــت المصـــدات)، ثم تشعر بالأمان ثانية... ولكن ليس ذلك الأمان الكبير، لأنها أصبحت الآن مثل حيوان يشعر بالخطر.

رجال الشرطة سيبحثون، ويبحثون ويبحثون، لأنه ليس مجرد جو بلـــو العجوز الطيب من كوكومو، بل لأنه بول شيلدون، زيوس الأدب الـــذي ابتكر ميزري تشاستين، حبيبة واجهات العرض وعزيزة المحال الـــتجارية. لعلهم سيوقفون البحث عنه عندما لا يجدونه، أو على الأقل سيبحثون في مكان آخر، ولكن، لربما شاهدها أحد أفراد عائلة رويدمان وهـــي تمر في تلك الليلة وشاهدوا شيئاً غريباً في مؤخرة "أولد بيسي"، شيئاً ملفوفاً في بطانية، شيئاً يشبه شكل رجل. وحتى لو لم يشاهدوا أي شـــيء، إنهـــا لن تُري آل رويدمان ما يجعلهم يختلقون قصة تزجها في مأزق، فهم لا يحبونها.

ولكـــن، قـــد يعود رجال الشرطة، وفي المرة القادمة قد لا يكون الضيف هادئاً كثيراً.

تذكَّـــر عينيها وهما تحومان على غير هدىً في كل أرجاء الغرفة عـــندما أوشـــكت الـــنار المشتعلة في حوض الشواء على الخروج عن السـيطرة. كـــان بإمكانه رؤية لسانها وهو يرطِّب شفتيها. كان بإمكانه رؤيـــتها وهـــي تـــذرع الغرفة ذهاباً وإياباً، عاقدة يديها ثم حالَّةً إياهما بالتـــناوب، مسترقة النظر بين الحين والآخر إلى غرفة الضيوف حيث كـــان يـــرقد غائـــباً في غيمته، قائلة بين الحين والآخر "يا الله!" للغرفة

الفارغة.

كانـــت قد سرقت طيراً نادراً يملك ريشاً باهر الجمال؛ طيراً نادراً آتياً من أفريقيا.

وماذا كانوا سيفعلون لو أنهم وجدوها؟

لمـــاذا، سيضـــعونها علـــى المنصة ثانية بالطبع. يضعونها على المنصة ثانية في دنفر. وهذه المرة قد لا تفلت من العقاب.

أبعـــد ذراعه عن عينيه. نظر إلى أحرف الـــ W المتشابكة على نحـــو غـــير متناسق في السقف. لم يكن بحاجة إلى وضع ذراعه على عينيه كي يتخيل ما تبقى. لعلها احتفظت به ليوم أو أسبوع. لربما تطلّب مـــنها اتخاذ القرار بالتخلص من *صيدها الثمين* مجرد اتصال هاتفي ثانٍ أو زيـــارة تحققية. لكنها في النهاية كانت ستقوم بفعلتها، تماماً كما تدفن الكلاب البرية فرائسها غير الشرعية بعد اقتناصها بفترة قصيرة.

قـــد تعطـــيه خمس كبسولات من الدواء بدلاً من اثنتين، أو ربما تخـــنقه بواســـطة الوسادة، أو ببساطة تطلق عليه النار. من المؤكد أنه كانت هناك بندقية موجودة في مكان ما - جميع الناس الذين يعيشون في المـــناطق الجبلية تقريباً يملكون بنادق في منازلهم - وكانت هذه ستحل المشكلة.

لا. ليس البندقية.

إنها تحدث فوضى في المكان.

قد تترك أدلة.

لا شيء من ذلك حدث على أي حال، لأن السيارة لم يُعثَر عليها. لعلهـــم كانوا يبحثون عنه في نيويورك أو لوس أنجلوس، ولكن، لا أحد كان يبحث عنه في سايدويندر، كولورادو.

ولكن، في الربيع.

تاهت أحرف الـــ W على السقف.

ازداد نبض الألم في ساقيه إلحاحاً. أتت في المرة الثانية التي رنت

فيها الساعة. كان خائفاً من أن تقرأ أفكاره من مجرد رؤية وجهه، مثل مقدمة قصة مرعبة. فشاح ببصره إلى الجهة اليسرى. كان هنالك تقويم علـــى الجدار، فيه صورة صبي يركب زلاجة على منحدر. وفقاً للتقويم كـــان الشـــهر هو شباط، ولكن إذا كانت حساباته صحيحة فإن التاريخ الصـــحيح هـــو أوائـــل آذار. ببساطة، لقد نسيت آني ويلكس أن تقلب الصفحة.

كـــم سيمضـــي مـــن الوقـــت قبل أن يكشف الثلج الذائب سيارته الكامارو بلوحاتها التي تحمل اسم مدينة نيويورك وأوراق تسجيلها التي تشـــير إلى أن مالكها هو بول شيلدون؟ كم سيمضي من الوقت قبل أن يزورها ذلك الشرطي، أو قبل أن تقرأ الخبر في الصحيفة؟ كم سيمضي من الوقت قبل أن يذيب الربيع الثلج؟

ستة أسابيع؟ خمسة؟

يمكـــن أن تكون هذه الفترة هي ما تبقى من حياتي، فكر بول في نفسه، وبدأ بالارتجاف. في ذلك الوقت كانت ساقاه متيقظتين تماماً، ولن يتمكن من النوم إلا بعد أن تأتي وتعطيه جرعة أخرى من الدواء.

23

فـــي مســـاء اليوم التالي أحضرت له الآلة الكاتبة ماركة رويال. كانـــت من النوع الذي يُستخدَم في المكاتب، وتعود إلى عصر كانت فيه الطابعات الإلكترونية وأجهزة التلفزيون الملونة والهواتف الرقمية مجرد خـــيال علمـــي. كانت اللوحات الزجاجية مرفوعة إلى الجانبين، كاشفة أذرع ونوابض وسقّاطات وقضبان الآلة الكاتبة. كان أحد مفاتيح الإعادة الفولاذية – الصدئ من قلة الاستعمال – ناتئاً إلى أحد جانبيه مثل إصبع مـــن يطلب توصيلة على الطريق. وكانت ناقلة الحركة مكسوة بالغبار، وقطعـــتها المطاطية القاسية مليئة بالحفر والندوب. كانت أحرف رويال

مكـــتوبة بشكل نصف دائري على مقدمة الآلة. نخرت آني بينما كانت تضعها أسفل السرير بين قدميه بعد أن أمسكت بها للحظة كي تسمح له بتفحصها.

حدَّق في الآلة.

هل كانت تكشر؟

يا الله، بدت وكأنها كانت تكشر.

علـــى أي حـــال، كانـــت مســـبقاً تبدو بأنها من النوع الذي يخلق المشاكل. الأنشوطة مكونة من لونين باهتين، الأحمر والأسود. لقد نسي أنـــه كانت هناك مثل هذه الأنشوطة، لكن منظرها استحضر حنيناً غير سار.

"حسناً؟" كانت آني تبتسم بحماس. "ما رأيك؟"

قال في الحال: "جميلة! أنتيكة حقيقية".

تلاشت ابتسامتها. "لم أشترها كأنتيكة. اشتريتها من أجل أمر آخر. أمر آخر جيد".

رد بســـرعة وبمكـــر. "هاي! لا توجد آلة كاتبة *كأ*نتيكة. إن الآلة الكاتـــبة الجـــيدة تـــدوم إلى الأبد تقريباً. هذه الجميلات المكتبيات مثل *الدبابات!*"

لو كان بإمكانه الوصول إليها لربَّت بيده عليها، *وقبَّلها* أيضاً.

عادت ابتسامتها من جديد. فانخفضت سرعة نبضات قلبه قليلاً.

"لقد حصلت عليها من محل **القطع المستعملة الجديدة**. أليس اسماً سخيفاً لمخزن؟ لكن نانسي دارتمونغر، السيدة التي تديره، امرأة سخيفة بالفعل". ظهرت عليها بعض ملامح الحزن، لكنه عرف مباشرة أنها لم تكن غاضبة *منه*. قد تكون غريزة البقاء الغريزة *الوحيدة* القائمة بذاتها، هـــذا مـــا كان يكتشفه، لكنها فيما يبدو ابتكرت طرقاً مختصرة مدهشة بـــالفعل للـــتفهم. لقـــد وجد نفسه يتأقلم أكثر فأكثر مع مزاجها المتقلب ونوباتها المتكررة.

"وإضافة إلى كونها سخيفة، إنها *سيئة*. دارتمونغر! ينبغي أن يكون اسمها *عاهرة مونغر*. طُلِّقت مرتين والآن هي تعيش مع *عامل بار*. لهذا السبب هي أنتيكة –"

"تبدو جيدة".

سكتت لبرهة ثم قالت، وكأنها كانت تعترف: "ينقصها حرف النون".

"صحيح؟"

"نعم، أترى؟"

أمالت الآلة الكاتبة إلى الأعلى كي يتمكن من النظر إلى صفوف المفاتيح نصف الدائرية ورؤية الحرف الناقص مثل ضرس ناقص في فم مليء بالأسنان البالية ولكن المكتملة باستثناء هذا الضرس.

"رأيته".

أعادتها إلى وضعها السابق. فاهتز السرير قليلاً. خمَّن بول بأن الآلة الكاتبة قد تزن خمسة أرطال. لقد صُنعت في زمن لم تكن فيه خلائط معدنية، ولا مواد بلاستيكية... ولا مقدم أتعاب كتاب مكون من ستة أرقام، ولا جريدة *يو. أس. إي. تودي*، ولا برنامج *إنترتيمنت تونايت*، ولا مشاهير يقومون بتصوير إعلانات لبطاقات اعتماد أو الشراب الروسي.

كشَّرت الآلة الكاتبة في وجهه، متوعدة بخلق المشاكل له.

"أرادت خمساً وأربعين دولاراً، لكنها حسمت خمس دولارات بسبب الحرف الناقص". ابتسمت له بمكر وكأنها كانت تقول بأنها ليس غبية.

فابتسم لها. كان المد قد عاد حينئذ. وهذا ما جعل الابتسام والكذب أمراً سهلاً. "منحتك *حسماً*؟ تعنين بأنك لم تساومي؟"

تباهت آني بنفسها قليلاً. "أخبرتها بأن حرف النون هو حرف مهم".

"أحســـنت! *اللعنة!*" هنا اكتشف شيئاً جديداً. يصبح التملق يسيراً ما إن تتقنه.

تحولت ابتسامتها إلى ابتسامة ماكرة وكأنها كانت تريد أن تشاركه سراً مثيراً للفضول.

"أخـــبرتها بـــأن حرف النون هو أحد الأحرف الموجودة في اسم كاتبي المفضل".

"إنه موجود *مرتين* في اسم ممرضتي المفضلة".

تحولـــت ابتســـامتها إلى إشراقة. وبشكل لا يصدق، احمرَّ خداها القاســـيان مـــن الخجل. *هكذا* سيبدو الأمر *عندما تصنع فرناً في فم أحد الأصنام الموجود في قصص هـــ. رايدر هاغارد*.

"أيها *المخادع!*" ابتسمت بتكلّف.

قال بول: "لست مخادعاً! مطلقاً".

"حســـناً!" أشـــاحت ببصـــرها لبرهة. لم تشرد بفكرها، بل كانت مبتهجة فقط ومرتبكة قليلاً، تريد أن تأخذ بعض الوقت لتجمع أفكارها.

قالـــت: "كـــان الكرسي المتحرك أغلى ثمناً منها بكثير. لقد نفدت معـــدات القســـطرة منذ أن –" صمتت فجأة، وعبست، ثم تنحنحت. ثم نظـــرت ثانية إليه مبتسمة. "ولكن، *حان الوقت* كي تبدأ بالجلوس. ومن المؤكد أنك لا تستطيع الكتابة وأنت مستلق".

"لا..".

"لديَّ لوح... لقد قصصته كي يناسب... وورقة... انتظر!"

اندفعـــت خارجة من الغرفة مثل بنت صغيرة، تاركة بول والآلة الكاتـــبة ينظران إلى بعضهما البعض. اختفت ابتسامته في اللحظة التي أدارت فيها ظهرها. لكن الآلة الكاتبة بقيت مكشرة. اعتقد لاحقاً بأنه كان يعـــرف تمامـــاً مـــاذا يعني كل ذلك، تماماً كما اعتقد بأنه يعرف كيف ســـيكون صوت الآلة الكاتبة، وكيف ستطقطق من خلال تكشيرتها التي تشبه تلك الشخصية الكرتونية الهزلية، داكي دادلز.

عـــادت إلى الغرفة مع رزمة من الورق من ماركة كورسبل بوند ملفوفة بورق سولوفان، ولوح بطول أربعة أقدام وعرض ثلاثة أقدام.

"انظـــر!" وضعت اللوح على ذراعي الكرسي المتحرك الذي كان يقـــف بجانـــب سريره مثل زائر نحيل رصين. كان باستطاعته منذ تلك اللحظة أن يتخيل نفسه وراء ذلك اللوح، محصوراً مثل سجين.

وضـــعت الآلـــة الكاتـــبة على اللوح، بمواجهته، ووضعت رزمة كورســـبل بوند – أكثر أنواع الورق الذي يكرهه في العالم وذلك بسبب الطريقة التي تتشوه فيها الكلمات المطبوعة عليه عندما تُجمَع الصفحات مـــع بعضـــها البعض – بجانبها. لقد انتهت الآن من تكوين شيئاً يشبه غرفة دراسة لمعاق.

"ما رأيك؟"

"تـــبدو جيدة". قال بول، لافظاً أكبر كذبة في حياته بيسر كبير، ثم سأل سؤالاً كان يعرف جوابه مسبقاً. "ماذا سأكتب هناك، برأيك؟"

"أوه، ولكن يا بول!" قالت وهي تستدير نحوه، وعيناها تتراقصان بحيوية في وجهها المحمرّ خجلاً. "*لا أعتقد، أعرف!* إنك ستستخدم هذه الآلـــة الكاتـــبة مـــن أجـــل كتابة رواية جديدة! روايتك الأفضل! *عودة ميزري!*"

24

عـــودة *ميزري*. لم يشعر بشيء على الإطلاق. افترض بأن رجلاً قطـــع للتو يده بمنشار كهربائي قد يشعر بنفس شعوره الآن بينما ينظر إلى معصمه الناتئ بدهشة فاترة.

"نعـــم!" أضاء وجهها مثل ضوء كشاف. ثم شبكت يديها القويتين بيـــن نهديهـــا وقالت: "سيكون الكتاب لي فقط يا بول! إنه أجري على رعايتـــي لـــك كـــي تســـتعيد عافيتك! النسخة الوحيدة لأحدث روايات

ميزري! سوف أمتلك شيئاً لن يمتلكه أي شخص في العالم، مهما كانت شدة رغبتهم بامتلاكه! فكّر في الأمر!"

"آني، ميزري ماتت". لكنه، وعلى نحو يثير الدهشة، كان يفكر في الأمر، *بإمكاني أن أعيدها إلى الحياة*. أثارت الفكرة الاشمئزاز في نفسه، ولكن بدون أية دهشة حقيقية. في النهاية، إن الرجل الذي يمكنه الشرب مــن دلو مخصص لمسح الأرض ينبغي أن يكون قادراً على الكتابة مع قليل من التوجيه.

أجابــت آنـــي بشكل حالم: "لا، غير صحيح. حتى عندما كنت... عــندما كنت غاضبة منك، علمت بأنها لم تكن ميتة فعلاً. علمت بأنه لم يكن بإمكانك أن تقتلها فعلاً. لأنك شخص *طيب*".

قال بول: "هل أنا كذلك؟" ونظر إلى الآلة الكاتبة، التي ابتسمت له مكشرة. *إننا سنرى كم أنت طيب بالفعل، أيها الصديق القديم*، قالت الآلة الكاتبة بصوت هامس.

"نعم!"

"آنـــي، لا أعلـــم إن كنـــت أســـتطيع الجلوس على ذلك الكرسي المتحرك. في المرة السابقة –"

"المرة السابقة آلمك، ذلك مؤكد. وسيؤلمك في المرة المقبلة أيضاً. وربما أكثر من ذلك قليلاً. ولكن، سيأتي يوم – ولن يكون بعيداً، بالرغم مــن أنـــه قـــد يبدو بالنسبة لك طويلاً أكثر مما هو في حقيقة الأمر – سيصبح الألم أقل، فأقل، فأقل".

"آني، هل يمكنك أن تخبريني بأمر واحد فقط؟"

"بالطبع يا عزيزي!"

"لو كتبت هذه القصة لك –"

الـــرواية! واحـــدة جميلة وعظيمة مثل الروايات الأخرى؛ ربما أعظم!"

أغمـــض عينـــيه للحظة، ثم فتحهما. "حسناً؛ لو كتبت هذه *الرواية*

لك، هل ستدعينني أرحل عندما أنتهي منها؟"

لوهلـــة، غطت وجهها سحابة من عدم الارتياح، لكنها ما لبثت أن نظـــرت إلـــيه بتمعن وحنو. "أنت تتكلم وكأنني أحتفظ بك سجيناً هنا يا بول".

لم يقل شيئاً، واكتفى بالنظر إليها.

"أعتقد بأنه عندما ستنتهي من كتابتها، لا بد أنك ستكون... ستكون قادراً على مقابلة الناس من جديد. أليس هذا ما تريد سماعه؟"

"هذا ما أردت سماعه، نعم".

"حسناً، بصدق! أعرف بأن الكتّاب يملكون ذوات متكبرة، ولكنني أعتقد بأنني لم أفهم أن ذلك يعني جحوداً أيضاً!"

استمر بالنظر إليها. لكنها أشاحت بنظرها عنه، بنفاد صبر وبشيء من العصبية أيضاً.

أخـــيراً قـــال لهـــا: "ســـأحتاج إلى كل روايات ميزري، إذا كنت تملكينها، لأنني لا أملك دليلي".

قالت: "بالتأكيد أنا أمتلكها! ما هو الدليل؟"

"إنـــه دفـــتر أحتفظ فيه بكل المعلومات الخاصة بروايات ميزري. الشخصـــيات، الأماكن، في الغالب، لكنني أضيف ملاحظات أخرى من خلال ثلاث أو أربع طرق مختلفة. جداول زمنية وأمور تاريخية..".

لاحـــظ أنها بالكاد تستمع إليه. هذه هي المرة الثانية التي أظهرت فـــيها اهتماماً ضئيلاً جداً بمهارات المهنة التي كانت تأخذ بألباب صف مـــن الكتّاب المستقبليين. والسبب في ذلك، باعتقاده، هو البساطة نفسها. كانـــت آنـــي ويلكس عيّنة مثالية للجمهور، امرأة كانت تحب القصص بـــدون أدنـــى اهتمام بآليات ابتكارها. إنها تجسيد للنموذج الفيكتوري، القارئ المخلص. لم تشأ الاستماع إليه وهو يتحدث عن دليله وملاحظاته لأن ميزري والشخصيات المحيطة بها كانت بالنسبة إليها حقيقية تماماً. لـــم تكـــن الملاحظات تعني لها شيئاً. لو أنه كان يتكلم عن إحصاء عدد

سكان قرية ما في ليتل دنثورب، لربما أظهرت له بعض الاهتمام.

"ســـأحرص على أن تحصل على الكتب. إنها بالية قليلاً، لكن ذلك دليل على أنها قُرأت بشكل جيد وأنها محبوبة، أليس كذلك؟"

قال بول: "نعم". لا حاجة للكذب هذه المرة. "فعلاً".

قالـــت بشـــكل حالم: "سأحاول أن أقرأ حول تغليف الكتب. سأقوم بتغلـــيف *عـــودة مـــيزري* بنفسي. باستثناء إنجيل أمي، سيكون الكتاب الحقيقي الوحيد الذي أملكه".

"هذا جيد". كان يريد فقط أن يقول شيئاً ما. كان يشعر بألم قليل في معدته.

"سأذهب الآن كي تتمكن من التفكير بشكل جيد. إنه أمر مثير! ألا تعتقد ذلك؟"

"نعم آني، بالفعل".

"سأعود ومعي قليل من صدر الدجاج والبطاطا المهروسة وبعض الـــبازيلاء خلال نصف ساعة. وأيضاً القليل من الحلوى الهلامية لأنك كنـــت ولداً مطيعاً. وسأحرص على أن تحصل على الدواء المسكّن في الوقت المناسب. ويمكنك أن تحصل على كبسولة إضافية في الليل إذا ما احتجتها. وسأحرص على أن تنام جيداً، لأنك سوف تضطر للعودة إلى العمل غداً. سوف تتعافى بشكل أسرع عندما تعمل. أراهن على ذلك!"

اتجهت نحو الباب، ثم توقفت للحظة، وبعد ذلك، وعلى نحو مثير للاستغراب، أرسلت له قبلة.

أغلقـــت الـــباب وراءهـــا. لم يشأ النظر إلى الآلة الكاتبة، ولفترة وجـــيزة قـــاوم النظر إليها، ولكن في نهاية المطاف اتجهت عيناه بشكل غير إرادي نحوها. كانت جالسة على المكتب، مكشرة. كان النظر إليها يشبه قليلاً النظر إلى أداة تعذيب – جزمة لسحق القدم، طاولة الشد، أداة التعليق – قابعة في مكانها دون أي حركة، ولكن لفترة قصيرة فقط.

أعتقد بأنه عندما ستنتهي من كتابتها، لا بد أنك ستكون... ستكون

قادراً على مقابلة الناس من جديد.

آه يـا آني، كنت تكذبين على كلينا. كنت أعرف ذلك، وأنت كذلك أيضاً. رأيت ذلك في عينيك.

كانـت الصورة التخيلية المحدودة التي انفتحت أمامه الآن مزعجة إلـى حـدٍّ كبـير: ستة أسابيع من الحياة سيجدد فيها معرفته بميزري تشاسـتين – اسـم عائلتها قبل الزواج كارميكايل – وسيعيشها مع الألم الـنابض مـن عظامـه المكسورة، تليها عملية دفن شريرة في الحديقة الخلفية. أو ربما سوف تطعم بقاياه إلى الخنزيرة ميزري.

لا تفعل ذلك إذن. ادفعها دفعاً كي تفقد صوابها. إنها أشبه بزجاجة نتروغليسيرين تسير على قدمين. حركها قليلاً. اجعلها تنفجر. أفضل من الاستلقاء هناك والتألم.

حاول أن ينظر إلى أحرف الـ W المتداخلة، لكنه سرعان ما عاد للـنظر إلى الآلة الكاتبة من جديد. كانت منتصبة على المكتب، صامتة ومليئة بالكلمات التي لم يكن يرغب بكتابتها، ومكشرة مع سنّها الناقص.

لا أعتقد بأنك تصدق ذلك، يا صديقي القديم. أعتقد بأنك تريد البقاء حـياً حـتى لو كان ذلك مترافقاً مع الألم. إذا كان ذلك يعني استرجاع مـيزري من أجل ظهور ثان، فستفعل. ستحاول على أية حال. ولكن، سيتوجب عليك التعامل معي أولاً... ولا أعتقد بأنني أحب وجهك.

قال بول بصوت أجش: "هذا يجعلنا متعادلين".

هذه المرة حاول أن ينظر إلى النافذة حيث كان الثلج قد بدأ يتساقط مـن جديد. ولكن، سرعان ما عاد للنظر إلى الآلة الكاتبة بانجذاب آسر رغم محاولاته للمقاومة، حتى دون أن يدرك متى تحولت نظرته إليها.

25

لـم يكـن الوصول إلى الكرسي المتحرك مؤلماً كما كان يخشى،

وذلـــك كان أمراً جيداً، لأن تجربته السابقة جعلته يعتقد بأنه سوف يتألم كثيراً فيما بعد.

وضـــعت صينية الطعام على المكتب، ثم جرَّت الكرسي المتحرك حـــتى وصـــل إلى السرير. ساعدته كي يجلس بشكل مستقيم – سرت قشعريرة من الألم النابض في منطقة حوضه لكنها ما لبثت أن تراجعت بالتدريج – ثم انحنت فوقه، كان الطرف الجانبي من عنقها يضغط على كتفه مثل عنق حصان. لبرهة استطاع سماع دقات قلبها، فالتوى وجهه مـــن القـــرف. وبعـــد ذلك وضعت ذراعها اليمنى القوية حول ظهره، واليسرى تحت مؤخرته.

قالت آني: "حاول ألا تحرك ما تحت الركبتين بينما أقوم بذلك". ثم أجلسته على الكرسي ببساطة ويسر. لقد فعلت ذلك بالسهولة التي تضع فـــيها امـــرأة كتاباً في خزانة كتبها. نعم، كانت قوية. حتى لو كان في صحة جيدة، فإن نتيجة عراكه مع آني لن تكون مضمونة.

وَضعت اللوح أمامه. "أرأيت كم هو مناسب؟" قالت ذلك ثم ذهبت إلى المكتب لتحضر الطعام.

"آني؟"

"نعم".

"أتساءل لو أمكنك أن تديري الآلة الكاتبة كي تواجه الجدار".

عبست. "لماذا بحق الله تريدني أن أفعل ذلك؟"

لأنني لا أريد أن تكشر في وجهي طوال الليل.

قـــال بـــول: "إنهـــا خرافة قديمة خاصة بي. إنني دائماً أدير آلتي الكاتـــبة نحو الحائط قبل البدء بالكتابة". سكت قليلاً ثم أضاف: "في كل ليلة عندما كنت أكتب، أصدقك القول".

قالت: "إنها مثل 'ابتعد عن الشر وغنِّ له'. سأبتعد عن الشر طالما أقدر على ذلك". فأدارت الآلة الكاتبة نحو الحائط. "أفضل؟"

"كثيراً".

"يا لك من سخيف". واقتربت كي تطعمه.

26

حلم بآني ويلكس في قصر أسطوري، تخرج العفاريت والجن من القوارير ثم تطير في أرجاء القصر فوق بساط سحري. عندما مر البساط بجانبه (تطاير شعرها وراءها، وكانت عيناها لامعتين ومليئتين بالتصميم مثل عيني قبطان يبحر بين قطع هائلة من الجليد العائم)، رأى أن البساط كان محاكاً كله باللون الأخضر والأبيض؛ مثل لوحة تسجيل تعود لسيارة من كولورادو.

كان يا ما كان في قديم الزمان، كانت آني تصيح. *كان يا مكان في قديم الزمان. حدث ذلك عندما كان جد جدي ما يزال صبياً. هذه قصة تتحدث عن صبي. سمعت هذا من رجل. كان يا مكان. كان يا مكان.*

27

عندما استيقظ من نومه، كانت آني تهزه وكانت شمس الصباح مائلة، وكان تساقط الثلج قد توقف.

قالت وكأنها كانت تغرّد: "استيقظ، أيها النعسان! لقد جلبت لك لبناً وبيضة مسلوقة جميلة، وبعد ذلك سيكون الوقت قد حان لكي تبدأ".

نظر إلى وجهها المتحمس فأحس بشعور جديد غريب؛ أمل. حلم بأن آني ويلكس كانت شهرزاد، وجسدها الصلب مغطى بأثواب شفافة، وقدميها الكبيرتين محشورتان في حذاء وردي مزركش مقدمته ملتفة نحو الأعلى. كانت تطير على بساطها السحري وتنشد العبارات السحرية التي تفتح أبواب أفضل القصص. ولكن، بالتأكيد ليست آني هي شهرزاد، بل هو. وإذا كان ما سيكتبه جيداً بما يكفي، إذا لم تستطع

قــتله حتى تكتشف كل ما سيكتبه مهما صرخت بها غرائزها الحيوانية كي تفعل ذلك، قائلة لها بأنها يجب أن تفعل ذلك...

هل يمكن أن لا تكون أمامه أي فرصة؟

نظر وراءها فرأى أنها قلبت الآلة الكاتبة قبل إيقاظه. كانت تكشر له بسنّها المفقود، وكأنها كانت تقول له: لا بأس بأن يأمل المرء؛ وأمر رائــع أن يكــافح، ولكــن في نهاية المطاف، القدر وحده هو من يحدد المصير.

28

جــرَّته نحــو الــنافذة فسقطت أشعة الشمس عليه لأول مرة منذ أسابيع، وبدا له أنه يستطيع سماع بشرته البيضاء الشاحبة، المنقَّطة في أماكــن متفرقة من جسده بتقرّحات صغيرة ناتجة عن النوم الطويل في الفــراش، تتمــتم بكلمات تعبر عن شكرها وسعادتها. كان زجاج النافذة محاطاً من الداخل بخط مزخرف من الجليد، وعندما مدّ يده شعر بفقاعة باردة أشبه بقبة تحيط بالنافذة. كان شعوراً منعشاً وباعثاً على الحنين في آن معاً، مثل رسالة من صديق قديم.

للمرة الأولى منذ أسابيع – بدت له سنيناً – كان قادراً على النظر إلــى تفاصــيل مكانية مختلفة عن تفاصيل غرفته غير المتغيرة؛ ورق جــدران أزرق اللــون، صورة قوس النصر، شهر شباط الطويل جداً، الذي يجسده الصبي الذي ينزلق فوق جبل على زلاجته (كان يعتقد بأن ذهنه سيذهب إلى صورة وجه ذلك الصبي وقبعته الصوفية في كل مرة يــتحول فيها كانون الثاني إلى شباط، حتى لو عاش ليرى تغيّر الشهور خمسين مرة أخرى). كان ينظر إلى العالم الجديد بنفس الحماس والتوق الذي شاهد بهما أول فيلم سينمائي – *بامبي* – عندما كان طفلاً.

كان الأفق قريباً؛ إنه كذلك دائماً في جبال روكي، حيث تُقطَع فيه

المـــناظر بشـــكل حتمي بواسطة كتل مائلة من الصخور. كانت السماء زرقاء، خالية تماماً من الغيوم. وهناك غابة خضراء تغطي جانب أقرب جـبل إلـــى المكـــان. ويفصل بين المنزل وحافة الغابة حوالى خمسين هكـــتاراً من الأرض المفتوحة المغطاة بالثلج الأبيض البرّاق. كان من المســتحيل معــرفة مـــا إذا كانت الأرض التي تحته محروثة أم مرجاً أخضر. ولم يكن يقطع هذه الساحة المفتوحة سوى مبنىً واحداً: حظيرة حمـــراء جميلة. عندما كانت تتحدث عن ماشيتها أو عندما رآها تمشي بتثاقل بجانب نافذته ونَفَسُها يتقطّع في مقدمة وجهها غير المبالي، تخيَّل مبـنىً متداعـــياً مـــثل صورة مأخوذة من كتاب للأطفال عن الأشباح؛ عـــوارض سقفية منحنية ومتدلية بفعل سنوات من الثلج المتراكم، نوافذ تكســـوها الغـــبار، بعضـــها مكسور ومسدود بواسطة قطع من الورق المقوى، أبواب مزدوجة طويلة ومتخلِّعة تتأرجح نحو الخارج. لكنّ هذا البناء المرتب والأنيق بطلائه الأحمر الغامق ونوافذه وأبوابه ذات اللون الأبيض المائل إلى الصفرة بدا مثل مرآب للسيارات في ساحة بلدة ثرية متنكر على شكل حظيرة. أمام المبنى كانت تقف سيارة جيب شيروكي، تـــبلغ ربما خمس سنوات من العمر ولكن من الواضح أن الاعتناء بها كـــان ممتازاً. وعلى جانبها كان هناك محراث من نوع فيشر موضوع علـــى حـــامل خشبي منزلي الصنع. لوصل المحراث مع الجيب، كانت تحـــتاج فقط إلى قيادة الجيب بحذر نحو الحامل حتى تشتبك الخطافات الموجـــودة علـــى الهيكل مع المقابض الموجودة على المحراث. سيارة مثالـــية لامرأة تعيش لوحدها بدون أي جار يمكنها استدعاؤه لمساعدتها (باســـتثناء آل رويدمان السيئين بالطبع، وآني لن تأخذ صحناً من اللحم مـــنهم حتى لو كانت تموت من الجوع). كان الطريق الفرعي محروثاً بشـــكل أنـــيق، ممـــا يدل على أنها استخدمت المحراث بالفعل، لكنه لم يستطع رؤية الطريق لأن المنزل كان يقطع مجال الرؤية.

"أرى بأنك معجب بحظيرتي يا بول".

أجفــل لدى سماعه صوتها المباغت، فتلفَّت حوله مفزوعاً. أيقظت الحركة السريعة وغير المحسوبة ألمه المخدَّر، الذي زمجر في ما تبقى مــن ســاقه وقبة الملح المتورمة التي حلت محل ركبته اليسرى. وخزه الألــم من داخل كهفه العظمي الذي كان يقبع فيه محصوراً، ثم عاد إلى النوم مجدداً.

كان الطعام على الصينية. طعام خفيف، طعام منتهي الصلاحية... لكــنّ معدتـــه زعقت لدى رؤيته. عندما سارت نحوه، لاحظ أنها كانت تنتعل حذاء أبيض ذا كعب رقيق.

قال بول: "نعم. إنها جميلة جداً".

وضعت اللوح الخشبي على ذراعي الكرسي المتحرك ثم وضعت الصينية على اللوح. ثم سحبت كرسياً بجانبه وجلست عليه، تراقبه وهو يهم بالتهام الطعام.

"الجمـــال يصنعه الجميل، هذا ما كانت أمي تقوله دائماً. أنا أحافظ على جمالها، لأنني لو لم أفعل، فإن الجيران سوف يثرثرون. إنهم دائماً يبحـــثون عــن طريقة للنيل مني، أو لإثارة إشاعة عني. ولهذا السبب أحافظ على كل شيء جميلاً ومرتباً. الحفاظ على المظاهر أمر في غاية الأهمية. بالنسبة للحظيرة، لا يوجد الكثير من العمل، طالما أنك لا تدع الأشياء تتراكم. منع الثلج من تكسير في السقف هو الجزء الأصعب من العمل".

"قــبل سنتين طلبت من بيلي هافرشام أن يضع قضبان تسخين في الســقف. مـــا عليك إلا أن تضغط مفتاحاً حتى تسخن ويذوب الثلج. مع أنني لن أحتاجها كثيراً هذا الشتاء. هل ترى كيف يذوب الثلج من تلقاء نفسه؟"

كانـــت بـــيده شوكة مليئة بالبيض في منتصف طريقها إلى فمه. توقفت الشوكة في الهواء عندما نظر إلى الخارج باتجاه الحظيرة. شاهد صفاً من النوازل الجليدية على طول مقدمة السقف. وكانت رؤوس هذه

النوازل تتقطر بسرعة قطرات تتلألأ عند سقوطها على قناة ضيقة من الثلج تشكّلت بجانب الحظيرة.

"تبلغ درجة الحرارة خمساً وأربعين ولم نصل إلى الساعة التاسعة بعد!" تابعت آني كلامها بمرح عندما تخيَّل بول المصد الخلفي لسيارته الكامارو يظهر عبر الثلج المذاب ويلمع تحت ضوء الشمس "بالتأكيد إنها لن تستمر – ما زال أمامنا فترة قصيرة قاسية أو ثلاث فترات، وربما عاصفة كبيرة أخرى أيضاً – لكنّ الربيع قادم يا بول، وأمي اعتادت أن تقول بأن الأمل في الربيع مثل الأمل في الجنة".

أعاد شوكته إلى الصحن ثانية والبيض ما يزال معلقاً عليها.

"ألا تريد تلك اللقمة الأخيرة؟ اكتفيت؟"

قال موافقاً: "اكتفيت". وفي عقله تخيل آل رويدمان يقودان سيارتهما قادمين من سايدويندر. شاهد شعاعاً لامعاً من الضوء يضرب وجه السيدة رويدمان، مما جعلها تنكمش وتضع يدها لتحمي وجهها. *ماذا يوجد هناك، يا هام؟ ... لا تقل لي إنني مجنونة، يوجد شيء ما هناك! الانعكاس قريب، لقد أحرق عيني! ارجع قليلاً، أريد أن ألقي نظرة أخرى!*

قالت آني: "إذاً، سآخذ الصينية. وأنت يمكنك أن تبدأ". منحته نظرة في غاية الدفء. "لا يمكنني أن أخبرك كم أنا متحمسة يا بول".

خرجت من الغرفة وتركته جالساً على الكرسي المتحرك ينظر إلى الماء المتقطر من النوازل الجليدية المتعلقة بحواف سقف الحظيرة.

29

قال لها عندما عادت لتضع الآلة الكاتبة والورق على اللوح الخشبي: "أفضّل نوعاً مختلفاً من الورق، إذا استطعت الحصول عليه".

"مختلف عن هذا؟" سألته، وهي تنقر بأصابعها على رزمة الورق

الملفوفة بورق السولوفان. "لكنه أغلى أنواع الورق *على الإطلاق!* لقد سألت عندما ذهبت إلى مخزن الورق بايبر باتش!"

"ألم تخبرك أمك يوماً أن الأغلى ثمناً لا يعني دائماً أنه الأفضل؟"

اسودَّ جبين آني. وحل الامتعاض محل موقفها الدفاعي الأولي. خمَّن بول بأن الغضب سيلي ذلك.

"لا، *لم تفعل*. ما أخبرتني إياه، أيها السيد المتذاكي، هو أنك عندما *تشتري* شيئاً رخيصاً *عادة يكون قليل الجودة*".

اكتشف بول بأن وضعها الداخلي كان يشبه الربيع في منطقة الغرب الأوسط. كانت امرأة مليئة بالأعاصير التي تنتظر هبوبها. ولو كان مزارعاً ينظر إلى سماء تبدو مثلما يبدو وجه آني الآن، لذهب في الحال لجمع عائلته ووضعهم في ملجأ مخصص للأعاصير. تحوَّل جبينها إلى اللون الأبيض الشديد البياض. وكان منخراها يتوسعان بشكل منتظم، مثل منخري حيوان يشتم رائحة نار. وبدأت يداها تنفتحان بمرونة ومن ثم تنقبضان بسرعة، وكأنهما تقبضان الهواء ثم تسحقانه.

كانت حاجته إليها ووضعه الضعيف أمامها يصرخان فيه طالبين منه التراجع، واسترضاءها طالما أن الوقت لم يفت بعد – إذا لم يفت فعلاً – كما كانت ستفعل أية قبيلة من القبائل المذكورة في قصص رايدر هاغارد مع آلهتها عندما تكون غاضبة، بأن تقدم الأضاحي إلى صنمها.

ولكن، كان هناك جزء آخر منه، أكثر ذكاء وأقل جبناً، ذكَّره بأنه لن يستطيع لعب دور شهرزاد إذا ما ارتعب منها وحاول استرضاءها كلما ثارت ثائرتها. لأنه إن فعل ذلك، فإنها سوف تزداد غضباً في كل مرة. *لو لم تكن تملك شيئاً تريده بقوة، لأخذتك بنفسها إلى المستشفى أو قتلتك لاحقاً من أجل حماية نفسها من آل رويدمان. لأنه بالنسبة لآني، العالم مليء بآل رويدمان، بالنسبة لها، إنهم يكمنون لها خلف كل أكمة. فإذا لم تكبح هذه العاهرة الآن، يا حبيبي يا بولي، فقد لا تستطيع فعل*

ذلك أبداً فيما بعد.

كانت قد بدأت بالتنفس بشكل متسارع، إلى حد اللهاث تقريباً، وازدادت سرعة إيقاع انفتاح وانقباض يديها، فعلم حينها بأنها سوف تنقض عليه خلال لحظات.

جمع القليل مما تبقى له من شجاعة، محاولاً بيأس استحضار النبرة المناسبة تماماً في مثل هذه الحالات من الانفعال الحاد والظرفي: "وأنت أيضاً عليك أن توقفي هذا الأمر. الغضب لن يغير في الأمر شيئاً".

تسمَّرت في مكانها وكأنها تلقت للتو صفعة منه، واكتفت بالنظر إليه، مجروحة النفس.

قال بشكل صبور: "يا آني، إنها ليست قضية عظيمة".

قالت آني: "إنها حيلة. أنت لا تريد كتابة روايتي ولهذا أنت تقوم ببعض الحيل من أجل عدم الشروع بها. أنا متأكدة بأنك سوف تفعل. أوه، يا الله. لكن ذلك لن يجدي. إنها –"

فأجابها، "ذلك سخيف. هل قلت بأنني لن أبدأ؟"

"لا...لا، ولكن –"

"ذلك صحيح. *لأنني* سوف أبدأ. وإذا أتيت إلى هنا وألقيت نظرة على هذا الشيء، سأريك ما هي المشكلة. أحضري صندوق ويبستر معك، رجاءً".

"صندوق ماذا؟"

"تلك العلبة الصغيرة من أقلام الحبر وأقلام الرصاص. في الصحف يدعونها أحياناً صناديق ويبستر، تيمناً بدانييل ويبستر". كانت هذه كذبة اختلقها بتأثير اللحظة، لكنها أدت التأثير المرغوب، حيث بدت أكثر ارتباكاً من أي وقت مضى، تائهة في عالم الاختصاصيين الذي لم تكن لديها أدنى معرفة به. والارتباك بدد غضبها أكثر فأكثر، حتى أنها بدت بأنها لم تعد تعرف إذا كان لديها *الحق* بأن تغضب أساساً.

أحضرت علبة الأقلام ووضعتها بقوة على اللوح ففكر في داخله: *اللعنة! لقد ربحت!* لا؛ ذلك ليس صحيحاً. *ميزري* هي التي فازت. *لكن ذلك غير صحيح أيضاً. فشهرزاد هي التي ربحت. إنها شهرزاد.*

قالت بنزق: "ماذا".

"راقبي".

فتح رزمة الورق وأخرج صفحة منها. أخذ قلم رصاص مبرياً بشكل جيد ورسم خطاً على الورقة. ثم أخذ قلم حبر ورسم خطاً آخر موازياً للخط الأول. ثم زلق إبهامه على سطح الورقة، فتلطخ الخطّان مع اتجاه سير إبهامه. وكان خط قلم الرصاص أكثر تلطخاً بقليل من الخط المرسوم بقلم الحبر.

"أرأيت؟"

"ماذا يعني؟"

"حبر الأنشوطة سوف يتلطخ أيضاً. ليس بقدر خط الرصاص، لكنه أسوأ من خط الحبر".

"هل كنت ستجلس وتحك كل صفحة بإبهامك؟"

"مجرد تقليب الأوراق فيما بينها لأسابيع، أو حتى أيام، سوف يسبب الكثير من اللطخات، وعندما تكون المخطوطة قيد العمل، فإن الأوراق تتقلب كثيراً. ستكونين دائماً بحاجة إلى الرجوع إلى الوراء من أجل إيجاد اسم أو تاريخ. يا آني، من أوائل الأشياء التي ستكتشفينها في هذه المهنة هي أن المحررين يكرهون قراءة المخطوطات المطبوعة على ورق كروسابل بوند تقريباً كما يكرهون المخطوطات المكتوبة بخط اليد".

"لا تدعُها كذلك. أكرهها عندما تدعوها كذلك".

نظر إليها مندهشاً فعلاً. "أدعو ماذا *بماذا؟*"

"عندما تسيء إلى الموهبة التي وهبك إياها الله بتسميتها مهنة. أنا

أكره ذلك".

"أنا آسف".

قالت ببرود: "ينبغي أن تكون آسفاً. يمكنك أيضاً أن تدعو نفسك عاهراً".

لا يا آني، فكّر في نفسه وقد أحس بالغضب فجأة، *أنا لست عاهراً. لم تكن* سيارات سريعة *تتعلق بشخص عاهر. إن الأمر كله يتعلق بقتل تلك العاهرة اللعينة ميزري. كنت أقود سيارتي باتجاه الساحل الغربي كي أحتفل بتحرري من حالة العهر. وما فعلته أنت هو انتشالي من حطام سيارتي ووضعي في المهد من جديد. بدولارين أستطيع إيقافك بشكل مستقيم، وبأربعة دولارات ألفّ بك العالم. وبين الحين والآخر أرى ومضة في عينيك تخبرني بأنه في أعماق أعماقك تعرفين ذلك أيضاً. قد تطلق سراحك هيئة من المحلفين بداعي الجنون، ولكن ليس أنا يا آني. ليس هذا الصبي.*

قال بول: "نقطة جيدة. والآن، بالعودة إلى موضوع الورق –"

قالت بعدائية: "سأحضر لك ورقك العظيم. أخبرني فقط أي نوع تريد مني أن أحضر وسأجلبه لك".

"طالما أنك تفهمين بأنني إلى جانبك –"

"لا تجعلني أضحك. لم يكن أحد إلى جانبي منذ وفاة أمي قبل عشرين سنة".

"صدقي ما شئت. إذاً، إذا كنت عديمة الثقة إلى هذا الحدّ، فلن يمكنك أن تصدقي بأني ممتن لك لإنقاذ حياتي، هذه مشكلتك".

كان يراقبها بمكر، فرأى في عينيها مجدداً ومضة من الشك، ومضة من الرغبة بالتصديق. جيد. جيد جداً. نظر إليها بكل ما يستطيع استجماعه من صدق، لكنه تخيّل نفسه، مرة أخرى، يقحم شظية من الزجاج في حلقها، سافكاً الدم الذي يبقي عقلها المجنون حياً مرة واحدة وإلى الأبد.

"علـــى الأقل يجب أن تكوني قادرة على التصديق بأنني أقف إلى جانــب *الكـــتاب*. تحدثـــت عـــن تغليفه. أعتقد بأنك كنت تعنين تغليف المخطوطة؟ الصفحات المطبوعة؟"

"بالطبع، هذا ما عنيته".

نعـــم، بالتأكيد. لأنك إذا أخذت المخطوطة إلى المطبعي، فقد يثير هـــذا الأمر الأسئلة. قد تكونين ساذجة في ما يتعلق بعالم الكتب والنشر، ولكـــن لـــيس إلـــى هـــذا الحدّ من السذاجة. إذ إن بول شيلدون مفقود، والمطبعـــي قـــد يـــتذكر تلقـــيه مخطوطة بحجم كتاب تدور حول أكثر شخصيات بول شيلدون شهرة، وفي وقت قريب من الوقت الذي اختفى فـــيه الـــرجل نفســـه، قد يتذكر، أليس كذلك؟ ومن المؤكد أنه سيتذكر الإرشـــادات؛ إرشادات غريبة إلى درجة أن أي مطبعي سوف يتذكرها. نسخة مطبوعة واحدة فقط من مخطوطة بحجم كتاب.

نسخة واحدة فقط.

"كـــيف كـــان شكلها، أيها الضابط؟ حسناً إنها امرأة ضخمة. تبدو تقريـــباً مـــثل صنم حجري في واحدة من قصص هــــ. رايدر هاغارد. لحظـــة، لـــديّ اسمها وعنوانها هنا في الملفات... دعني فقط أنظر في النسخ الكربونية عن الفواتير..".

قـــال بول: "لا يوجد أي عيب في الفكرة أيضاً. المخطوطة المغلفة قد تكون أنيقة أيضاً. تبدو مثل نسخة جميلة على شكل ملف. لكن الكتاب يـــدوم لفـــترة طويلـــة، يـــا آني، وإذا ما كتبت هذا الكتاب على ورق كوراســـابل، فستحصلين على مجموعة من الورق الممسوح خلال عشر سنوات تقريباً. إلا إذا اكتفيت بوضعه على الرف، بالطبع".

لكنها لا تريد ذلك، أليس كذلك؟ بالتأكيد لا. إنها ستنزلها عن الرف كل يوم، ربما كل عدة ساعات. ستنزلها وتقلِّب فيها.

غطـــى وجهها تعبير متصلب غريب. لم تعجبه هذه النظرة العنيدة التي جعلته عصبياً. كان باستطاعته الشعور بغضبها الشديد، ولكن كان

هناك شيء غامض وطفولي أيضاً في هذا التعبير الجديد.

"لست مضطراً للتكلم أكثر. أخبرتك مسبقاً بأنني سأحضر لك ورقك. ما هو نوعه؟"

"في هذا المخزن الذي ذهبت إليه –"

"ذا بايير باتش".

"نعم، ذا بايبر باتش. أخبريهم بأنك تريدين ماعونيْن. الماعون رزمة مؤلفة من خمسمائة صفحة –"

"أعرف ذلك. لست غبية يا بول".

"أعرف أنك لست غبية". كان يزداد عصبية. وكان الألم قد بدأ يهمس في ساقيه من جديد، لكنه كان يصرخ بصوت عالٍ في منطقة حوضه. فلقد مضى على جلوسه في الكرسي المتحرك حوالى ساعة، والخلع في تلك المنطقة كان يشتكي من هذا الوضع.

حافظ على هدوئك، بحق الله، لا تفقد كل ما اكتسبته!

ولكن، هل اكتسبت شيئاً بالفعل؟ أم أنها مجرد تمنيات؟

"اطلبي ماعونين من الورق الأبيض الطويل الذي يُستخدم في الناسخات. همرمل بوند ماركة جيدة، وكذلك ترايد مودرن. ماعونان من هذا النوع من الورق سوف يكلف أقل من رزمة واحدة من ماركة كوراسابل، وينبغي أن يكونا كافيين لإنجاز العمل كله، أي الكتابة وإعادة الكتابة".

"سأذهب في الحال". وقفت بشكل مفاجئ.

نظر إليها فزعاً، لعلمه بأنها كانت تعني بأنها ستتركه دون إعطائه الدواء. وهذه المرة كان جالساً. الجلوس بحدّ ذاته كان مؤلماً، فكيف إذا طال الأمر، عندها سيكون الألم فظيعاً.

قال بسرعة: "لست مضطرة للقيام بذلك. ورق كوراسابل جيد بما يكفي لكي نبدأ به، في النهاية، سوف أضطر إلى إعادة الكتابة في كل الأحوال".

"الشخص الغبي وحده من يبدأ عملاً جيداً بأداة سيئة". أخذت رزمة الـــورق ثم انتزعت الصفحة التي تحمل الخطين المشوهين وحوّلتها إلى كرة مجعدة. رمت بها في سلة المهملات ثم استدارت نحوه. ذلك التعبير القاســـي العنيد غطى وجهها مثل قناع. كانت عيناها تبدوان مثل قطعة عشرة سنتات فقدت بريقها.

"أنـــا ذاهـــبة إلـــى البلدة الآن. أنا أعرف بأنك ستبدأ بأسرع وقت ممكـــن، بمـــا أنك *تقف إلى جانبي*" – قالت الكلمتين الأخيرتين بسخرية لاذعة – "ولهذا السبب لن أضيع وقتاً حتى في إعادتك إلى الفراش".

ابتسمت – مطت شفتيها فقط، كما تبتسم الدمية تماماً – ثم انزلقت بخفة بحذاء التمريض الأبيض الصامت حتى وصلت إليه. لمست شعره بأصابعها، فأجفل رغم أنه حاول ألا يفعل، إلا أنه لم يستطع منع نفسه. فاتسعت ابتسامتها الميتة – الحية.

"رغم أنني أشك في أننا قد نضطر إلى تأجيل البداية الفعلية لرواية *عودة ميزري* ليوم... أو يومين... وربما ثلاثة. نعم، قد يمر ثلاثة أيام قبل أن تتمكن من الجلوس ثانية. بسبب الألم. الألم الشديد. لديَّ زجاجة شراب باردة في الثلاجة. عليَّ أن أعيدها إلى السقيفة".

"آني، يمكنني فعلاً أن أبدأ إذا كنت فقط سوف –"

"لا يـــا بـــول". ذهبـــت إلى الباب ثم استدارت ونظرت إليه بتلك الـــنظرة القاســـية المتحجرة. وحدهما عيناها كانتا تنبضان بالحياة تحت جبيـــنها. "ثمة فكرة واحدة أريد أن أتركك معها. بإمكانك الاعتقاد بأنك تستطيع خداعي، أو التحايل علي؛ أعرف بأنني أبدو بطيئة الفهم وغبية. ولكنني لست غبية يا بول. ولست بطيئة الفهم".

انقلـــب وجهها فجأة. وتبدد التعبير العنيد والقاسي ليحل محله وجه طفل غاضب على نحو مجنون. ظنّ بول بأن درجة الرعب الذي يحس به قد تقتله. هل فكّر بأنه امتلك السيطرة؟ هل اعتقد ذلك فعلاً؟ هل يمكن لشخص أن يلعب دور شهرزاد عندما يكون آسره شخصاً مجنوناً؟

اندفعــت نحــوه بعــنف. الســاقان تنثنيان عند الركبتين، القدمان الثقيلــتان تضــربان الأرض بقــوة، والمرفقان يشقّان الهواء الفاسد في الغــرفة مــثل مكبسين فولاذيين. اهتز شعرها وتمايل حول وجهها مع سقوط المشابك التي كانت تمسك به. هذه المرة لم يكن مرورها صامتاً، بــل كــان أشــبه بوقــع خطوات جالوت وهو ينزل إلى وادي العظام. طقطقت صورة قوس النصر على الجدار من الفزع.

"*جبييــي - يــاااااه!*" صرخت ثم هوت بقبضتها على قبة الملح المنتفخة التي كانت تمثل ركبة بول شيلدون اليسرى.

رمــى برأسه إلى الخلف وصرخ من الألم، وانتفضت الأوردة في عنقه وجبهته. كان الألم ينبثق من ركبته، مثل نجم توهج بشكل مفاجئ، وينتشر في كامل جسده.

انتزعــت الآلة الكاتبة من على اللوح، ورمت بها بقوة على إطار الموقد، رافعة وزنها المعدني كما ترفع صندوقاً من الورق المقوى.

"إذاً، فلــتجلس عندك". مطّت شفتيها لتظهر تلك الابتسامة المخيفة مــن جديد. "وفكّر في من هو المسؤول هنا، وكل الأشياء التي يمكن أن أفعلهــا بك إذا ما تصرفت بشكل سيئ أو حاولت خداعي. اجلس عندك واصــرخ إن شئت، لأنه لن يسمعك أحد. لا أحد يتوقف هنا لأن الجميع يعــرفون أن آني ويلكس مجنونة، كلهم يعرفون ماذا فعلت، بالرغم من تبرئتي".

مشــت حــتى وصلت إلى الباب ثم استدارت، فصرخ ثانية عندما فعلت ذلك، متوقعاً هجمة أخرى شبيهة بهجمة الثور، فاتسعت ابتسامتها.

قالــت بــنعومة: "ســأخبرك شيئاً آخر. يعتقدون بأنني أفلتُ من العقــاب، وهــم محقــون. فكّر في ذلك يا بول أثناء وجودي في البلدة لأجلب لك ورقك المفضل".

غــادرت صافقة باب الغرفة وراءها بقوة كانت كافية لتهز البيت كله. ثم سمع صوت دوران المفتاح في القفل.

أسند ظهره على الكرسي مرتجفاً من أعلاه إلى أسفله، ومحاولاً في الوقت نفسه ألا يرتجف لأن ذلك كان يسبب له الألم، إلا أنه لم يستطع منع نفسه. انهمرت الدموع بغزارة على خديه. ومرة بعد مرة رآها تهجم بسرعة عبر الغرفة، ومرة بعد مرة رآها تهوي بقبضتها على بقايا ركبته بكل القوة التي يهوي بها سكير غاضب بهراوة على بار مصنوع من خشب البلوط. مرات ومرات ابتلعته نجمة الألم المشعة الفظيعة تلك.

"أرجوك يا الله، أرجوك". ناشد ربه عندما اشتغل محرك الشيروكي في الخارج. "أرجوك يا الله، أرجوك، أخرجني من هنا أو اقتلني... أخرجني من هنا أو اقتلني".

خفَت صوت هدير المحرك تدريجياً مع ابتعاد السيارة، وتُرك لوحده مع دموعه والألم الذي يعصف في جسده.

30

اعتقد لاحقاً بأن العالم، بلا عقلانيته غير المحدودة، سوف يعتبر تلك الأشياء التي فعلها تالياً بأنها بطولية. لكن ما فعله، في الواقع، لم يكن أكثر من تشبث مترنح أخير بالحياة.

بدا له بأنه يسمع معلقاً رياضياً متقد الحماس – هاورد كوسل، أو وورنر وولف، أو ربما أفضلهم على الإطلاق جوني موست – يصف المشهد، وكأن محاولته للحصول على مخزونها من الدواء قبل أن يقتله الألم كان حدثاً رياضياً غريباً. وماذا يمكن أن نسمي مثل هذه الرياضة، على أية حال؟ *سباق من أجل دواء مخدر؟*

"لا يمكنني أن أصدق هذه الشجاعة التي يظهرها هذا الفتى شيلدون اليوم!" المعلق الرياضي في رأس بول شيلدون يقول محمساً. "لا أعتقد أن أي شخص في ستاد آني ويلكس – أو بين المشاهدين في منازلهم –

كان يظنّ بأنه يملك *أدنى فرصة* لجعل هذا الكرسي المتحرك يتحرك بعد الضربة التي تلقاها، لكنني أعتقد... نعم، إنه يتحرك! إنه يتحرك! دعونا ننظر إلى الإعادة!"

سال العرق من جبهته ونزل على عينيه فأحرقهما. لعق شفتيه فأحس بمزيج من الملح والدموع. ولم يتوقف الارتجاف أبداً. كان الألم يشبه نهاية العالم. ففكّر في نفسه: *جاء وقت أصبحت فيه مناقشة الألم أمراً عبثياً. لا أحد يعرف بوجود ألم في العالم بمثل حجم هذا الألم. لا أحد. وكأن الشياطين تتحكم به.*

كانت فكرة الكبسولات وحدها – النوفريل الذي تحتفظ به في مكان ما في البيت – هي التي تحفزه على الحركة. باب غرفة النوم المقفل... احتمال ألا يكون الدواء موجوداً في حمام الطابق السفلي كما كان يخمّن بل في مكان آخر... احتمال أن تأتي وتمسك به... كل هذه الأشياء لم تكن ذات أهمية، كانت مجرد ظلال تختبئ خلف الألم. وهو كان سيتعامل مع كل مشكلة منها حال حدوثها.

التحرك جعل حلقة النار تحت خصره وفي ساقيه تغوص أكثر، مطوّقة ساقيه مثل أحزمة مزودة بمسامير حارة موجهة رؤوسها نحو الداخل. لكنّ الكرسي *تحرّك* بالفعل، وإن ببطء شديد.

نجح في التقدم حوالى أربعة أقدام لكنه أدرك بأن ذلك لم يكن مفيداً ما لم يتمكن من إدارة الكرسي، لأنه كان يدحرج الكرسي المتحرك باتجاه الزاوية بعيداً عن الباب.

أمسك بالعجلة اليمنى، مرتجفاً،

(فكّر في الكبسولات، فكّر في الراحة التي ستجلبها الكبسولات).

ثم ضغط بكل ما استطاع من قوة. أصدر احتكاك الإطار المطاطي بالأرضية الخشبية صوتاً خفيفاً يشبه صوت الفئران. ضغط بقوة أكبر فارتعشت عضلاته الهزيلة كما يرتعش الهلام، وامتطّت شفتاه إلى الخلف كاشفتين عن أسنانه الصارّة على بعضها... واستدار الكرسي

ببطء.

أمسك بالدولابين معاً وحرّك الكرسي مرة أخرى. هذه المرة قطع خمســة أقدام قبل أن يتوقف ليعدّل نفسه. وما إن انتهى من قيامه بذلك حتى غاب عن الوعي.

عـــاد إلـــى وضعه السابق بعد خمس دقائق، سامعاً صوت المعلق الرياضـــي المحمّـــس الخافت في رأسه: "إنه يحاول المضي قدماً مرة أخرى! لا يمكنني أن *أصدق* شجاعة هذا الفتى شيلدون!"

بالقرب من الباب، رأى أحد مشابك الشعر التي سقطت من رأسها عــندما هجمــت علــيه، فتقدم نحوه. حاول الوصول إليه، لكنّ رؤوس أصــابعه توقفت على بعد بضعة سنتمترات منه. عضّ شفته، ولم ينتبه إلى العرق الذي كان يسيل من وجهه ورقبته ويبلل قميص بيجامته.

"لا أعتقد بأنه يستطيع الوصول إلى الدبوس، لقد قام بجهد عظيم، يا أعزائي، ولكنني أخشى بأن تلك هي نهاية المحاولة".

وربما لا.

ترك نفسه يتدلى على الجهة اليمنى من الكرسي المتحرك، محاولاً تجــاهل الألم المشتعل في جانبه الأيمن لكنه ما لبث أن استسلم وصــرخ بصوت عال. كما قالت، ليس هناك من يسمعه على أية حال.

مـــا تـــزال أصابعه معلقة على بعد سنتمترين من الأرض، تمشّط الهـــواء فـــوق المشبك مباشرة. كان يحس بأن وركه الأيمن على وشك الانفجار.

يا الله، رجاءً ساعدني رجاءً.

انحنى أكثر بالرغم من الألم. لمست أصابعه الدبوس لكنه لم ينجح إلا فـــي دفعـــه قليلاً إلى الأمام. انزلق قليلاً داخل الكرسي، مع الحفاظ علـــى ميلانه نحو جانبه الأيمن، وصرخ مجدداً من الألم الذي انبثق من أســـفل ســـاقيه. كانـــت عيناه منتفختين، وفمه فاغراً، ولسانه متدلياً بين أســـنانه مثل شريط السحب الخاص بستائر النوافذ. فسالت قطرات قليلة

من اللعاب من مقدمة لسانه وسقطت على الأرض.

قرص المشبك بين أصابعه... حاول إمساكه كما يمسك الملقط... فكاد أن يفقده ثانية... لكنه مالبث أن أطبق عليه وأمسكه في قبضته.

تسببت محاولته لتقويم جلسته بانبثاق دفقة جديدة من الألم جعلته يكتفي بالجلوس واللهاث لبعض الوقت، مميِّلاً رأسه إلى الخلف بقدر ما كان يسمح له ظهر الكرسي غير المريح. كان المشبك قابعاً على اللوح بين ذراعي الكرسي. أحس بأنه على وشك أن يتقيأ، لكن ذلك الإحساس زال بعد ذلك.

ما الذي تفعله؟ جزء من عقله حاول السخرية من الوضع بأكمله. *هل تنتظر رحيل الألم؟ إنه لن يرحل. إنها تستشهد بأمها دائماً، فلم لا تستشهد بأمك أنت أيضاً؟ كانت تملك بعض المقولات الخاصة بها أيضاً، أليس كذلك؟*

نعم، صحيح.

وبينما هو جالس هناك، برأسه المائل إلى الوراء، ووجهه المضاء بالعرق، وشعره الملتصق بجبهته، قال بول بصوت عالٍ واحدة من تلك المقولات، وكأنه كان يترنم بتعويذة سحرية: "قد يكون هناك عفاريت، وقد يكون هناك جن، لكن الله يساعد أولئك الذين يساعدون أنفسهم".

صحيح. *فلتوقف الانتظار إذاً، يا بولي، لأن الجني الوحيد الذي سيظهر هنا هو ذلك الجني الثقيل الوزن، آني ويلكس.*

تحرك مرة أخرى، دافعاً الكرسي المتحرك ببطء نحو الباب. كانت قد أقفلته، لكنه ظنّ بأنه قد يكون قادراً على فتحه. كان توني بوناسارو - الذي أصبح الآن مجرد ذرات متناثرة من الرماد - لص سيارات. عندما كان يحضر لكتابة روايته **سيارات سريعة**، درس بول آليات سرقة السيارات مع شرطي عجوز سابق يدعى توم تويفورد. علَّمه توم كيف يشغِّل السيارة بدون مفتاح، وكيف يستخدم قطعة المعدن الرقيقة والمرنة التي يسميها لصوص السيارات "طفَّاشة" من أجل فتح قفل باب

السيارة، وكيف يبطل مفعول جهاز إنذار السرقة في السيارة.

قال له توم ذات يوم ربيعي في نيويورك قبل سنتين ونصف تقريباً، *لنفترض أنك لا تريد أن تسرق سيارة على الإطلاق، بل حصلت على سيارة، لكنك تملك القليل من البنزين فقط. ولديك خرطوم، لكن السيارة التي انتقيتها من أجل المخصصات المجانية من البنزين تملك غطاء بنزين مقفول. هل هذه مشكلة؟ ليس إذا كنت تعرف ماذا ستفعل، لأن معظم أقفال أغطية خزانات البنزين قابلة للفتح بسهولة. كل ما أنت بحاجة إليه هو مشبك شعر.*

تطلب إيصال الكرسي المتحرك إلى المكان الذي يريده بالضبط خمس دقائق بدت وكأنها دهر. كان الدولاب الأيسر بالكاد يلامس الباب.

ذكَّر ثقب المفتاح – الذي يتموضع في منتصف إطار معدني متسخ قديم الطراز – بول برسومات قصة جون تينيل، *أليس في بلاد العجائب*. انحنى إلى الأمام قليلاً – مصدراً آهة عميقة بصوت عال – ونظر داخل الثقب. استطاع أن يرى ممراً قصيراً مفضياً إلى ما كان واضحاً له أنها صالة الاستقبال: بساط أحمر غامق على الأرض، أريكة قديمة الطراز مفروشة بقماش ووسائد متشابهة، مصباح ذو شراريب متدلية من ستاره.

وعلى يساره، في منتصف الممر، كان هناك باب نصف مفتوح. تسارعت دقات قلب بول. من المؤكد، على الأغلب، أن هذا الباب كان يؤدي إلى الحمام. لقد سمعها مراراً تسحب الماء منه (بما فيها تلك المرة التي ملأت فيها دلو المسح الذي شرب منه بحماس). وألم يكن هو نفس المكان الذي كانت تأتي منه دائماً قبل إعطاءه الدواء؟.

كان يظن ذلك.

أمسك بالمشبك، فأفلت من بين أصابعه وسقط على اللوح وانزلق باتجاه الحافة.

"*لا!*" زعق بول ثم بالكاد أطبق يده عليه قبل أن يسقط. أمسكه في

قبضته ثم غاب عن الوعي ثانية.

أحس بأن غيابه عن الوعي هذه المرة كان أطول من المرة الأولى؛ رغم عدم امتلاكه أي دليل يثبت إحساسه هذا. بدا بأن الألم – باستثناء الألم المعذِّب الصادر من ركبته اليسرى – قد هدأ قليلاً. كان المشبك مستلقياً على اللوح بين ذراعي الكرسي المتحرك. هذه المرة مرَّن أصابعه عدة مرات قبل الإمساك به.

الآن، فكَّر في نفسه، وهو يقوِّم المشبك بيده اليمنى، *لن ترتجف. ضع هذه الفكرة في ذهنك. أنت لن ترتجف.*

اقترب بجسده من الباب ثم وضع المشبك في ثقب الباب، سامعاً صوت المعلق الرياضي في عقله (*نابضة بالحياة!*) وهو يصف الواقعة.

انساب العرق من وجهه مثل الزيت. كان يستمع إلى صوت المعلق... بل أكثر من ذلك، كان يشعر به.

إن الذراع المتحرك في قفل رخيص ليس أكثر من كرسي هزاز، قال توم تويفورد، مؤرجحاً يديه للمزيد من الإيضاح. *هل تريد أن تقلب كرسياً هزازاً؟ إنه أسهل أمر في العالم، أليس كذلك؟ ما عليك إلا أن تقلبه بيدك... وهذا كل ما عليك فعله مع قفل كهذا. ارفع الذراع المتحرك إلى الأعلى ثم افتح غطاء خزان البنزين بسرعة، قبل أن يرتد إلى مكانه.*

رفع الذراع المتحرك مرتين لكن المشبك انزلق في كلتا المرتين وارتد الذراع بسرعة إلى مكانه. كان المشبك بدأ ينحني، فخشي أن ينكسر بعد محاولتين أو ثلاث.

"أرجوك يا الله". قال بينما كان يزلقه مجدداً في الثقب. "أرجوك يا الله، مجرد فرصة صغيرة لهذا الصبي، هذا كل ما أطلبه".

سيداتي وسادتي، لقد أدى شيلدون اليوم أداء بطولياً، لكن هذه المحاولة سوف تكون فرصته الأخيرة. لا يمكنني أن أسمع همسة واحدة من الجمهور...

أغمــض عينيه، تلاشى صوت المعلق الرياضي بينما كان يصغي بكــل جوارحه لخشخشة الدبوس الخافتة داخل القفل. الآن! ثمة مقاومة الآن! الــذراع المــتحرك! بإمكانه رؤيته يقبع في الداخل، مثل الرجل المقوّسة لكرسي هزاز، يضغط على لسان القفل، ويبقيه في مكانه.

إنه قابل للفتح بسهولة يا بول. ما عليك إلا أن تبقى هادئاً.

عندما تكون متألماً إلى هذه الدرجة، من الصعب أن تبقى هادئاً.

مــدّ يــده اليسرى تحت يده اليمنى وأمسك بمقبض الباب، ثم بدأ بتطبيق ضغط خفيف على الدبوس... ثم أكثر قليلاً... ثم أكثر قليلاً...

بدأ الدبوس ينحني وينزلق في الوقت نفسه. كان يحس بذلك، وفي لحظة يأس ضغط إلى الأعلى بأقوى ما يستطيع، ثم أدار مقبض الباب، ودفــع الــباب. ســمع صــوت *فرقعة* خفيفة عندما انكسر الدبوس إلى نصفين، وارتد الجزء الداخلي من القفل إلى مكانه. صعقه إدراكه بالفشل للحظــة قصيرة رهيبة قبل أن يرى الباب ينفتح ببطء ويبرز لسان القفل من الغطاء المعدني مثل إصبع فولاذي.

قال هامساً: "لك الشكر يا الله".

لــنعد إلــى شريط الفيديو! صرخ وورنر وولف بابتهاج شديد في ذهن بول، بينما ضج آلاف الحاضرين في ستاد آني ويلكس – دون أن نذكر ملايين المشاهدين في المنازل – بالهتاف.

"لــيس الآن، يا وورنر". قال بصوت أجش، ثم بدأ العملية الطويلة المتمثلة بإرجاع وتعديل الكرسي المتحرك حتى يتمكن من التموضع في مواجهة الباب مباشرة.

31

مرت عليه لحظة سيئة – لا، ليست سيئة فقط، بل مرعبة، فظيعة – عــندما بــدا له أن الكرســي المتحرك لم يكن يناسب عرض الباب.

صحيح أن عرضه لم يكن يزيد عن عرض الباب بأكثر من خمسة سنتمترات، لكن تلك الخمسة سنتمترات كانت مع ذلك عريضة جداً. *لقد أدخلته مطوياً، هذا ما جعلك تعتقد في البداية بأنه عربة تسوق،* حدَّثه عقله بكآبة.

ولكن، في نهاية المطاف، تمكّن بول من التموضع – بمشقة – بشكل مستقيم في مواجهة مدخل الباب ومن ثم الانحناء بما يكفي لإمساك إطار الباب بيديه. احتكت أغطية محور الكرسي المتحرك مع الخشب، لكنه تمكّن في النهاية من المرور.

وبعد ذلك، غاب عن الوعي.

32

أيقظه صوتها من غيبوته. فتح عينيه فرآها توجه فوهة بندقية نحوه. كانت عيناها تشعان بغضب دفين. وكان ثمة لعاب على أسنانها.

"إذا كنت تريد حريتك بشدة يا بول فسأكون سعيدة بمنحك إياها".

سحبت إلى الخلف زندي البندقية.

33

انتفض مذعوراً، متوقعاً صوت إطلاق رصاص. لكنها لم تكن هناك بالطبع، فأدرك بأن ذلك لم يكن سوى حلماً.

ليس حلماً، بل إنذاراً. إذ إنها قد تأتي في أي وقت.

تغيَّرت نوعية الضوء المنتشر عبر باب الحمام نصف المفتوح فأصبح أكثر إضاءة. يبدو أنه كان ضوء وقت الظهيرة. تمنّى أن تدق الساعة لتخبره كم كان صائباً في تخمينه، لكنها بقيت صامتة بعناد.

لقد بقيت خارج البيت لخمسين ساعة في المرة الماضية.

لقــد فعلت ذلك حقاً. وقد تبقى هذه المرة ثمانين ساعة، أو أنك قد تســمع وصول سيارة الشيروكي بعد خمس ثوانٍ من الآن. في حال أنك لا تعــرف، يــا صــاحبي، بإمكان مكتب الطقس أن يضع لافتات تنذر بحدوث إعصار، ولكن في ما يتعلق بمتى وأين سيضرب هذا الإعصار، فإنهم لا يعلمون أبداً.

قــال بول: "صحيح". ودفع الكرسي المتحرك باتجاه الحمام. نظر إلى الداخل، فشاهد غرفة بسيطة، أرضيتها مُبلّطة ببلاط أبيض سداسي الشــكل. وحــوض اســتحمام بحنفيات صدئة، بجانبه خزانة للمناشف. ومقابل الحوض هناك مغسلة، وفوقها خزانة للأدوية.

كــان دلــو المســح فــي الحوض. استطاع رؤية جزئه العلوي البلاستيكي.

لحســن الحــظ كان الممر عريضاً بما يكفي بالنسبة إليه كي يدير الكرســي المــتحرك ويواجــه الــباب، لكنّ ذراعيه كانتا ترتجفان من الإرهــاق. فــي طفولته كان بول ضعيفاً ونحيلاً، الأمر الذي دعاه إلى الاعتــناء بنفســه جــيداً عــندما أصبح راشداً وذلك بالجري وممارسة التماريــن الرياضية على جهاز نوتيلوس، لكن كل تلك العضلات التي نمّاها في تلك الفترة باتت الآن أشبه بعضلات شخص عاجز، وكأن كل تلك التمارين الرياضية لم تكن سوى حلماً قطعته شمس الصباح.

على الأقل كان هذا الباب أكثر اتساعاً؛ ليس كثيراً، ولكن بما يكفي لــيجعل مــروره فــيه أقل رعباً. تخطّى بول العتبة بكرسيه ثم سارت الدواليــب المطاطــية الصــلبة بــنعومة فوق البلاط. شم رائحة شيء حامضــي ارتــبط أتوماتيكياً برائحة المستشفيات؛ لعله الليسول. لم يكن هناك مرحاض في الحمام، مع أنه كان يعتقد سابقاً بوجوده. إذاً، فصوت المــاء المتدفق المتكرر كان يأتي من الطابق العلوي فقط، ومن المرات التي كان يسمع فيها هذا الصوت كان يأتي مباشرة بعد استخدامه وعاء التــبرز. ولكــن، كــان هناك فقط حوض الاستحمام والمغسلة وخزانة

المناشف ببابها المفتوح.

نظـــر لوهلـــة إلى الكدسات المرتبة للمناشف الزرقاء واسفنجات تنظـــيف الجســـم - كان يعرفها من المرات التي نظّفته فيها - ثم حوّل انتباهه إلى خزانة الأدوية الواقعة فوق المغسلة.

كانت بعيدة عن متناول يده.

رغـــم محاولـــته الجاهدة للوصول إليها إلا أنها كانت تبعد حوالى عشـــرين ســـنتمتراً عـــن أطراف أصابعه. مع ذلك، استمر في محاولة الوصـــول إلـــيها، غير قادر على التصديق بأن القدر أو أي شيء آخر يمكن أن يكون بهذه القسوة.

أصـــدر بول صوتاً مجروحاً، مكتوماً، ثم أنزل يده وأسند ظهره، لاهـــثاً. تلفَّت حوله محاولاً إيجاد أي شيء يمكن استعماله من أجل فتح بـــاب خزانة الأدوية فشاهد ممسحة ذات عصاً زرقاء طويلة تستند إلى زاوية الحمام.

هـــل ستستخدم هذه؟ حقاً؟ حسناً، أعتقد أن ذلك ممكن. افتح خزانة الأدويـــة بواســـطتها ثـــم أســـقط بعضاً من الأدوية إلى المغسلة. لكن الـــزجاجات ســـوف تنكسر، وحتى لو لم يكن هناك من زجاجات، فإنك ســـوف تضـــطر إلـــى إعادة ما أنزلته من الخزانة. فماذا ستفعل عندما سترجع وترى الفوضى؟

قال بصوت متحشرج: "سأقول لها بأنها كانت ميزري. سأقول لها إن ميزري مرَّت إلى هنا لتبحث عن دواء يرجعها من الموت".

ثـــم انفجر بالبكاء... لكنّ عينيه، حتى من خلال الدموع المنهمرة مـــنهما، كانتا تتفحصان الغرفة بحثاً عن شيء ما، أي شيء، فرصة ما، مجرد فرصة لعينة.

نظـــر ثانية إلى خزانة المناشف، وفجأة انحبست أنفاسه السريعة، وتوسعت حدقتاه.

أول نظـــرة خاطفة له توجهت إلى الرفوف حيث توجد الشراشف

المطوية وأغطية الوسائد واسفنجات تنظيف الجسم والمناشف. بعد ذلك نظر إلى *الأرضية* وهناك شاهد عدداً من الصناديق الكرتونية المربعة الشكل. بعضها كان يحمل اسم أبجون، وبعضها الآخر اسم ليلي، وبعضها الآخر كام فرمستيكلز.

أدار الكرسي المتحرك بعجلة ودون انتباه، متسبباً بالألم لنفسه.

أرجوك يا الله لا تجعله يكون مخبأها الخاص بعبوات الشامبو الإضافية أو فوط الحيض أو صور أمها العزيزة المقدسة أو –

سحب أحد الصناديق ثم فتحه. لم يكن هناك شامبو أو أي عيِّنات مجانية من ماركة ايفون. ولكن كان هناك خليط فوضوي من الأدوية، معظمه موجود في علب صغيرة مكتوب عليها عيِّنات مجانية. وفي أسفل الصندوق كان هناك عدد قليل من الأقراص والكبسولات، بألوان مختلفة، ملفوفة بشكل غير ثابت. كان يعرف بعض هذه الأدوية، مثل موتريم ولوبريسور، الدواء الخاص بارتفاع الضغط الشرياني الذي تناوله أبوه في السنوات الثلاث التي سبقت وفاته، لكنه لم يسمع بالأدوية الأخرى أبداً.

تمتم بول وهو يفتش بغضب في العلبة: "نوفريل، نوفريل، أين النوفريل اللعين؟"

لم يكن هناك أي نوفريل. أغلق الصندوق الكرتوني ثم دفعه إلى داخل خزانة المناشف مجدداً، ثم حاول وضعه في مكانه الأصلي.

مال نحو جهته اليسرى وتمكَّن من التقاط صندوق كرتوني آخر. عندما فتحه لم يستطع أن يصدق ما كان يراه.

درافون. دارفوسيت. دارفون كومباوند. مورفوز ومورفوز كومبليكس. ليبريوم. فاليوم. ونوفريل. عشرات وعشرات وعشرات من العلب المجانية. العلب الجميلة. العلب العزيزة. فتح واحدة منها ورأى الكبسولات التي كانت تعطيه منها كل ست ساعات.

كُتب على العلبة، **لا تُصرَف بدون وصفة الطبيب.**

قال بول متنهداً: "آه يا الله، إن الطبيب *موجود!*" مزّق ورق السولوفان بأسنانه ثم ابتلع ثلاثاً من الكبسولات معاً، غير آبه بطعمها المر. توقف قليلاً وحدق في الكبسولات الخمس الباقية تحت ورق السولوفان الممزق، ثم ابتلع كبسولة رابعة.

تلفّت حوله بسرعة، بعينين ماكرتين وخائفتين، وذقنه تكاد تلامس عظم صدره. بالرغم من أنه *كان يعرف* تماماً بأن الوقت كان ما يزال مبكراً لزوال الألم، إلا *أنه* شعر بالراحة فعلاً. يبدو أن *امتلاك* الكبسولات كان أكثر أهمية من *تناولها*.

- *إذا جاءت الآن*

"حسناً، حسناً. وصلتني الرسالة".

نظر داخل الصندوق الكرتوني، محاولاً حساب عدد علب العينات المجانية التي يمكنه أخذها دون أن تلاحظ أن فأراً صغيراً يُدعى بول شيلدون كان يقضم من مؤونتها.

قهقه بصوت حاد، ومسترخ. أدرك حينئذ بأن الدواء لم يكن يريح ساقيه فقط. لقد حصل على جرعته من المخدرات، إذا شئنا الدقة.

تحرّك أيها الغبي. ليس هناك وقت للاستمتاع باسترخائك الآن.

أخذ خمساً من العلب؛ أي ما مجموعه ثلاثون كبسولة. كان يتوجب عليه منع نفسه من أخذ المزيد. حرّك بقية العلب والزجاجات بيده، آملاً بأن تبدو تماماً كما بدت عندما نظر إليها أول مرة داخل الصندوق. طوى أغطية الصندوق ثم دفعه داخل خزانة المناشف.

كانت هناك سيارة قادمة.

انتصب جسده وتوسعت عيناه. أرخى يديه على جانبي كرسيه المتحرك وقبض عليهما بقوة. إذا كانت آني هي القادمة، فقد انتهى أمره. فهو لن يستطيع إعادة ذلك الكرسي الضخم، صعب الحركة، إلى غرفة النوم في الوقت المناسب. ربما قد يتمكن من ضربها بعصا المسح الغليظة قبل أن تلوي عنقه كالدجاجة.

جلس في كرسيه المتحرك، وعلب نوفريل في حضنه وساقاه المكسورتان بارزتان أمامه، وانتظر لعل السيارة تمر أو تغيِّر وجهتها.

علا صوت السيارة لمدة بدت وكأنها لن تنتهي... ومن ثم بدأ يخبو تدريجياً.

حسناً. هل تريد إنذاراً أكثر رعباً من هذا يا عزيزي بول؟

في الحقيقة، لم يرد ذلك. ألقى نظرة أخيرة إلى الصناديق. بدت له كما رآها في المرة الأولى - بالرغم من أن الألم كان يعتصره حين نظر إليها، وبالتالي فهو لم يكن متأكداً من ذلك تماماً - ولكنه كان يعرف بأن أكوام الصناديق قد لا تكون مبعثرة بالشكل الذي كانت تبدو عليه. كلا، على الإطلاق. كانت آني تملك الملاحظة الدقيقة للمريض النفسي ولعلها كانت تحفظ موقع كل منها بدقة. قد تلقي نظرة واحدة عابرة داخل الخزانة فتعرف ما حدث. لكن إداركه هذه الحقيقة لم يتسبب له بالخوف؛ بل بنوع من تقبل الواقع. وإذا كان هناك من عواقب، أو عقاب، فإنه قد يتمكن من مواجهتها بإداركه بأنه لم يكن بمقدوره أن يفعل أفضل مما فعل.

أرجع كرسيه ببطء داخل الحمام وهو ينظر إلى الخلف بين الفينة والأخرى ليتأكد بأنه يسير في الطريق الصحيح. كانت تلك الحركة لتسبب له الكثير من الألم في السابق، لكن الكبسولات، فيما يبدو، كانت قد تكفلت بأمر الألم هذه المرة.

اتجه صوب الممر ثم توقف فجأة، عندما خطرت له فكرة رهيبة: ماذا لو كانت أرضية الحمام مبللة قليلاً، أو متسخة؟

نظر إلى الأرضية، ولبرهة بدا له أن فكرة أنه لا بد أن يكون قد ترك آثاراً على البلاط الأبيض النظيف كانت مقنعة إلى درجة أنه *رأى* آثار عجلاته بالفعل. هزّ رأسه ونظر ثانيةً، فلم يجد أي أثر. لكنّ الباب كان مفتوحاً أكثر مما كان من قبل. اتجه إلى الأمام، وأدار الكرسي قليلاً إلى اليمين كي يتمكن من إمساك قبضة الباب ثم سحبه حتى أصبح

نصف مغلق. نظر إليه مجدداً، ثم جذبه قليلاً، ليكون أقرب إلى الإطار. بدا ذلك أفضل.

مدّ يديه إلى العجلات ليدفعها فيرجع إلى غرفته، عندما أدرك بأنه كـــان يقف قبالة غرفة الجلوس تقريباً، وغرفة الجلوس هي المكان الذي يضع فيه معظم الناس أجهزة الهاتف و –

شعَّ ضوء في رأسه كشعلة فوق مرج ضبابي.

"مرحباً، مركز بوليس سايدويندر، الشرطي هامبغي يتكلم".

"أصغ إليَّ، أيها الشرطي هامبغي. أصغ جيداً ولا تقاطع، لأني لا أعلـــم كم من الوقت لديَّ، اسمي بول شيلدون. أتصل بك من منزل آنـي ويلكس، أنـــا سجين لديها منـــذ أسبوعين على الأقل، وربما منذ شهر. أنا –"

"آني ويلكس!"

"تعـــال إلى هنا في الحال. أرسل سيارة إسعاف. بالله عليك، تعال إلى هنا قبل أن تأتي..".

ولكـــن، مـــا الذي جعلك تعتقد بأنها تمتلك هاتفاً؟ هل سمعت بأنها تتصـــل بأحد من قبل؟ وبمن يمكن لها أن تتصل؟ بأصدقائها الطيبين آل رويدمان؟

لمجـــرد أنها لا تملك شخصاً لتثرثر معه طوال اليوم فهذا لا يعني بأنها لا تعي حقيقة أن الحوادث يمكن أن تقع. قد تسقط من أعلى الدرج فتكسر يدها أو ساقها. أو قد تشتعل النار في الحظيرة –

إنك تختبر حظك ليس إلا. إنك تختبر حظك وأنت تعرف ذلك.

أجـــل. كان يعرف ذلك، لكن فكرة وجود ذلك الهاتف، والإحساس المتخـــيَّل بملامســـته بأصابعه، وصوت طقطقة قرصه الدوار أو النغمة الصـــادرة عنه لدى نقره على الرقم 0؛ كان إغراء هذه التخيلات أقوى من قدرته على مقاومتها.

أدار الكرسي المتحرك حتى أصبح في مواجهة غرفة الجلوس، ثم

اتجه نحوها.

كانت الغرفة منعدمة التهوية، وتفوح منها رائحة عفنة. ورغم أن الستائر التي كانت تغطي النوافذ المقوسة كانت نصف مسدلة، سامحة بالإطلالة على منظر الجبال الجميل، إلا أن الغرفة كانت تبدو مظلمة جداً، وقد عزا ذلك إلى ألوانها الغامقة. كان اللون الأحمر الغامق هو اللون السائد، وكأن شخصاً ما أراقَ كمية كبيرة من الدم الوريدي فيها.

فوق رف الموقد، كانت هناك صورة فوتوغرافية ملونة لامرأة متجهمة ذات عينين صغيرتين غائرتين، وفم دقيق مزموم، ووجه سمين. كانت الصورة، المحاطة بإطار مذهَّب مزخرف على الطراز الروكوكي، بحجم صورة الرئيس المعلقة في مراكز البريد في المدن الكبرى. بالطبع، لم يكن بول بحاجة إلى تصريح مصدَّق يخبره بأنها كانت صورة الأم المبجلة لآني ويلكس.

دفع كرسيه إلى الأمام أكثر، فاصطدم الجزء الأيسر منه بطاولة صغيرة الحجم عليها قطع تزيينية خزفية. اهتزت القطع وسقطت إحداها - بطريق خزفي يقف على كتلة جليدية خزفية - من على الحافة.

دون تفكير، مدّ يده وتلقف البطريق. كانت الحركة غير إرادية... لكن ردة الفعل بدأت بعدها. أمسك البطريق بقوة في قبضته المضمومة، محاولاً السيطرة على جسده المرتعش. *لقد أمسكت به، وبدون صعوبة. إضافة إلى ذلك، هناك سجادة على الأرض، ربما لم يكن سينكسر في كل الأحوال -*

ولكن، ماذا لو انكسر! عمل ذهنه بسرعة. *لو انكسر! عليك أن تعود إلى غرفتك قبل أن تترك شيئاً ما وراءك... أثراً ما...*

لا، ليس بعد. ليس بعد، بالرغم من الرعب الذي كان يعتريه. لقد تكبد الكثير من المشقة من أجل الوصول إلى هنا، وإذا كان هناك من مردود لعمله فهو سيحصل عليه.

نظر في أرجاء الغرفة، المليئة بأثاث يفتقر إلى الأناقة فشاهد على

طاولة موجودة إلى جانب الطرف البعيد من الأريكة، حيث تجلس ربما لمشاهدة التلفزيون، هاتفاً بسيطاً ذا قرص دوار.

أعاد البطريق الخزفي برفق - بالكاد تجرأ أن يتنفس - إلى طاولة التحف ثم دفع كرسيه باتجاه الهاتف.

كانت هناك طاولة أمام الأريكة - حرص على تفاديها هذه المرة - عليها مزهرية خضراء قبيحة الشكل تحتوي على مجموعة من الأزهار الجافة. وكانت المزهرية تبدو وكأنها ستنقلب من مجرد لمسها لأن ثقلها كان يتركّز في القسم العلوي منها.

لم تكن هناك سيارات قادمة؛ ولا يُسمَع سوى صوت الريح.

أمسك قبضة الهاتف بيده ورفعها ببطء.

إحساس غريب مسبق بالفشل ملأ عقله حتى قبل أن تلمس قبضة الهاتف أذنه فلا يسمع شيئاً. أعادها على مهل، وفجأة خطر بباله سطراً من أغنية قديمة لروجر ميلر بدا بأنه يقدم معنىً فارغاً من أي معنى: *لا هاتف، لا مسبح، لا حيوانات مدللة... ليس لديَّ سجائر...*

تتبع سلك الهاتف بعينيه فشاهد القابس في نهايته موصولاً مع المأخذ المربع قديم الطراز على الحائط. كل شيء كان يبدو بأنه يعمل بشكل نظامي.

مثل الحظيرة وقضبان التسخين على السقف.

الحفاظ على المظاهر أمر في غاية الأهمية.

أغمض عينيه فرأى آني ويلكس تنزع المأخذ الكهربائي وتضع صمغاً لاصقاً في الفراغ. رآها تعيد غرز المأخذ في الصمغ الأبيض حيث سيقسى ويتجمد فيه إلى الأبد. ولن تعرف شركة الهاتف بوجود أي مشكلة ما لم يحاول أحدهم الاتصال بآني والإبلاغ بأن خطَّها لا يعمل، إلا أن أحداً لم يتصل بها، أليس كذلك؟ وهي ستتلقى الفواتير الشهرية على خطها الميت وستدفعها مباشرة. أما الهاتف، فلم يكن سوى ديكوراً خارجياً، كجزء من معركتها الدائمة *للحفاظ على المظاهر*، مثل الحظيرة

الأنيقة المرتبة بطلائها الأحمر النظيف وأبوابها وشبابيكها المطلية باللون الأبيض المائل إلى الصفرة وقضبان التسخين لإذابة ثلج الشتاء. هل عمدت إلى تعطيل الهاتف تحسباً لظرف كهذا؟ هل توقعت بإمكانية خروجه من الغرفة؟ شكٌّ في ذلك. إذ لا بد أن الهاتف - الهاتف *الذي يعمل* - كان يزعجها قبل فترة طويلة من وصوله. لا بد أنها استلقت في سريرها في الليل، تحملق في سقف غرفة نومها، وتصغي إلى صفير الرياح الجبلية، متخيلة بأن الناس الذين يكرهونها أو يحقدون عليها - كل من هم مثل آل رويدمان في العالم - أناس قد يخطر ببالهم، في أي وقت، أن يتصلوا بها بواسطة الهاتف ويصرخوا: *أنت من فعلتها يا آني! لقد أخذوك إلى دنفر، ونحن نعلم بأنك فعلتها! إنهم لن يأخذوك كل هذه المسافة إلى دنفر مالم تكوني مذنبة!* بالطبع، لا بد أنها طلبت وحصلت على رقم غير مسجل في دليل الهاتف - أي شخص يُحاكَم ويُبرَّأ من جريمة كبيرة (وإذا كانت المحكمة في دنفر، فلا بد أن الجريمة كبيرة) سيفعل ذلك حتماً - ولكن، حتى الرقم غير المسجل لن يريح شخصاً عصابياً مثل آني ويلكس لفترة طويلة. *فالجميع* كانوا ضدها، *وكان بإمكانهم* الحصول على الرقم إذا ما أرادوا ذلك. ولعل المحامين الذين رافعوا ضدها في المحكمة سيكونون سعداء لتمريره إلى أي شخص يطلبه منهم، والناس سوف يطلبونه بالتأكيد. إنها ترى العالم مكاناً مظلماً مليئاً بحشود بشرية تموج مثل البحار، تراه كوناً حقوداً يحيط بخشبة مسرح وحيدة سُلِّطت عليها بقعة مضيئة وحيدة... تضم آني ويلكس وحدها. إذاً، من الأفضل لها أن تزيل الهاتف، أن تسكته، كما ستسكته هو لو علمت بأنه وصل إلى هنا.

سمع صوتاً مذعوراً في عقله يحثه على الخروج من ذاك المكان والعودة إلى غرفته وإخفاء الكبسولات في مكان ما والعودة إلى مكانه بجانب النافذة كي لا تلاحظ *أي فرق* حين تعود. هذه المرة كان متفقاً مع ذلك الصوت. أرجع كرسيه منتبهاً إلى الهاتف، وعندما أصبح في

الفسحة الخالية الوحيدة في الغرفة، بدأ عملية دوران الكرسي المتحرك المجهدة متحاشياً المساس بالطاولة التي اصطدم بها قبل قليل.

كان بالكاد قد انتهى من الالتفاف عندما سمع صوت سيارة مقتربة، *فعلم* أنها كانت سيارتها العائدة من البلدة.

34

كاد أن يغشى عليه من فرط الرعب الذي أحس به، رعباً مليئاً بإحساس عميق بالذنب يفقده شجاعته. وفجأة تذكَّر الحادثة الوحيدة في حياته التي كانت تشابه تقريباً هذه الحادثة من ناحية بعدها العاطفي اليائس. كان في الثانية عشرة من عمره، أثناء العطلة الصيفية. وكان أبوه يعمل، وأمه ذهبت لتمضية يومها في بوسطن برفقة جارتهم في الحي السيدة كاسبراك. رأى علبة سجائر أمه فأشعل واحدة منها. دخنّها بحماس، شاعراً بالارتياح وعدم الارتياح في وقت واحد، متخيلاً بأنه نفس الشعور الذي يحسه اللصوص عند سرقة مصرف ما. وفي منتصف السيجارة – كانت الغرفة قد امتلأت برائحة الدخان – سمع أمه تفتح الباب الأمامي. *"بولي؟ هذه أنا، لقد نسيت حقيبتي!"* بدأ بالتلويح بيديه بجنون محاولاً تبديد الدخان، عارفاً بأن ذلك لن يجدي، عارفاً بأن أمره قد اكتُشف، عارفاً بأنه سوف يُصفَع عقاباً له.

تذكَّر الحلم الذي جاءه خلال إحدى فترات غيبوبته: *إذا كانت تريد حريتك بشدة يا بول، فسأكون سعيدة بمنحك إياها.*

بدأ صوت المحرك يخبو مع إبطاء السيارة المقتربة لحركتها. إنها هي.

وضع بول يدين بالكاد كان يشعر بهما على العجلات ودفع الكرسي باتجاه الممر، ملقياً نظرة واحدة إلى البطريق الخزفي القابع على قاعدته الثلجية. هل كان في المكان نفسه الذي وجده فيه؟ لم يكن

متأكداً. ولكن، لم يكن أمامه إلا أن يأمل في أن يكون كذلك.

دفـــع الكرسي بسرعة في الممر باتجاه باب غرفة النوم. أمل بأن يدخل الكرسي مباشرة وبدون صعوبة، لكن هذا الأمل كان ناقصاً قليلاً؛ قلـــيلاً فقـــط لقد اصطدم الكرسي بالجانب الأيمن من إطار الباب وارتد قليلاً إلى الخلف.

هـــل خدشت الطلاء؟ أوه، يا الله، هل خدشت الطلاء؟ هل تركت أثراً؟

لا، لم يكن هناك أي خدش. الحمد لله. بل مجرد ثلم صغير. أرجع كرسيه إلى الخلف قليلاً ثم عدّل اتجاهه، محاولاً المرور من فتحة الباب الضيقة.

بـــدأ صوت المحرك بالتموج مع اقتراب السيارة المتباطئ. والآن ها هو يسمع صوت الإطارات المخصصة للسير على الثلج.

دفـــع الكرســـي إلى الأمام فعلق محورا العجلتين بين جانبي باب غرفة النوم. دفع بقوة أكبر، وهو يعلم بأن ذلك لن يجديه نفعَاً. كان عالقاً بيـــن جانبي الباب مثل سدادة زجاجة شراب، غير قادر على النفاذ من كلتا الجهتين.

دفـــع الكرســـي دفعة قوية أخيرة، فارتجفت عضلات ذراعيه كما تـــرتجف الأوتار في آلة الكمان، وعبر الكرسي أخيراً من خلال الباب مصدراً صوت صرير مزعج.

دخلت الشيروكي إلى الطريق الفرعي المؤدي إلى مدخل المنزل.

لا بد أنها تحمل رزماً، ورق الطباعة، وربما أشياء أخرى أيضاً، ولا بد أنها ستمشي عبر الممر المرصوف بحذر بسبب الثلج، وأنت هنا الآن، لقد انقضى الأسوأ، هناك وقت، ما زال هناك وقت...

تقـــدم أكثر داخل الغرفة، ثم دار نصف دورة فأصبح موازياً لباب الغـــرفة المفتوح، عندها سمع صوت محرك الشيروكي وقد توقف عن الدوران.

مال قليلاً وأمسك مقبض الباب وحاول إغلاقه. فارتد لسان القفل، الــذي كان ما يزال بارزاً مثل إصبع فولاذي، من الإطار. دفعه بمقدمة إبهامـــه، فبدأ يتحرك... ثم توقف. توقف تماماً، رافضاً السماح بإغلاق الباب.

حدّق فيه بغباء للحظة من الزمن، مفكراً بتلك الحكمة القديمة التي تقول: *أي شيء يُحتمَل أن يسوء حاله سوف يسوء حاله.*

أرجـوك يـا الله، لا مـزيد من المصاعب، ألا يكفي أنها عطّلت الهاتف؟

تــرك لسان القفل فارتد كالنابض وبرز من الباب مجدداً. ثم دفعه ثانــية فواجــه نفــس الإعاقة. داخل القفل سمع صوت خشخشة غريبة فعــرف أنها صادرة عن ذلك الجزء الذي انكسر من الدبوس. لقد سقط على نحو منع لسان القفل من الرجوع بشكل كامل.

ســمع صــوت باب السيارة ينفتح. حتى أنه سمع صوت نخيرها وهــي تخــرج منها. كما سمع خشخشة أكياس ورق فعرف أنها كانت تجمع رزمها.

قــال بصــوت هامس: "هيا". وبدأ يحرك اللسان برفق إلى الأمام والخلــف. كــان يدخل لمسافة قصيرة جداً في كل مرة ثم يقف. وكان يسمع صوت الدبوس اللعين يخشخش في الداخل. "هيا... هيا... هيا..".

بكــى ثانية فاندمجت دموعه المنهمرة مع قطرات العرق المنسكبة علــى خديه. كان يدرك – دون أن يدري كيف – أنه كان ما يزال يتألم بالرغم من الجرعة الكبيرة من المسكنات التي ابتلعها، ويدرك كذلك أنه سوف يدفع ثمناً باهظاً لقاء عمله الصغير هذا.

ولكــن، ليس بقدر الثمن الذي ستجعلك تدفعه إذا لم تستطع إغلاق هذا الباب اللعين يا بولـي.

ســمع صــوت وقــع خطواتهــا الحذرة وهي تمشي عبر الممر المرصــوف. ثــم خشخشة الأكياس... ومن ثم خشخشة مفاتيح المنزل وهي تخرجها من محفظتها.

"هيا... هيا... هيا..".

عـــندما دفع اللسان هذه المرة، سمع صوت طقّة خفيفة داخل القفل وانزلق اللسان البارز أكثر بقليل من سنتمتر واحد داخل الباب، لكن ذلك لم يكن كافياً لإغلاق الباب... بقي القليل فقط.

"رجاء... هيا..".

بـــدأ يحرك اللسان بسرعة أكبر، يتحايل عليه، مصغياً إليها وهي تفـــتح بـــاب المطـــبخ. بعد ذلك – مثل إعادة مرعبة لذلك المشهد الذي أمســـكته فـــيه أمه وهو يدخن – صاحت آني بفرح: "بول؟ هذه أنا! لقد حصلت على أوراقك!"

لقد أمسكت بي! لقد أمسكت بي! أرجوك يا الله، لا تجعلها تؤذينـي يا الله –

ضـــغط إبهامـــه بشـــكل لا إرادي على لسان القفل، فسمع صوت انكســـار الدبـــوس في الداخل. وانزلق اللسان بشكل كامل داخل الباب. وفي المطبخ سمع صوت احتكاك أسنان سحّاب معطفها وهي تفتحه.

أغلق باب الغرفة. *هل سمعت هذا الصوت؟ لا بد أنها سمعته!* بدا صوت ارتداد اللسان أشبه بصوت طلقة المسدس الذي يعلن بدء السباق في ألعاب القوى.

أرجـــع الكرســـي المـــتحرك باتجاه النافذة، وكان ما يزال يرجعه ويعـــدّل موضـــعه عـــندما سمع صوت خطواتها في الممر المؤدي إلى غرفته.

"لقد حصلت على أوراقك يا بول! هل أنت صاح؟"

لوى ذراع التوجيه مرة أخيرة ثم دفع الكرسي باتجاه النافذة عندما سمع صوت مفتاحها يخشخش في القفل.

لن ينجح الأمر... الدبوس... سوف تشك...

ولكن، لا بد أن ذلك الجزء المتبقي من الدبوس قد سقط واستقر في أســـفل القفل، لأن مفتاحها عمل بشكل طبيعي. جلس في كرسيه، بعينين

نصف مغمضتين، آملاً بأن يكون قد أرجع كرسيه إلى حيث كان في الأصل (أو على الأقل قريباً منه بحيث لا تلاحظ ذلك)، وبأن تعتبر وجهه المبلل بالعرق وجسده المرتعش مجرد ردة فعل على حاجته الماسة للدواء، والأهم من ذلك كله، آملاً بأن لا يكون قد ترك وراءه أي أثر.

وفي اللحظة التي انفتح فيها الباب نظر إلى الأسفل فأدرك أنه أغفل أمراً في غاية الأهمية، وذلك بسبب قلقه الشديد من إمكانية أن يكون قد خلَّف وراءه أثراً ما؛ كانت علب النوفريل ما تزال في حضنه.

35

كانت تحمل رزمتين من الورق، فرفعت إحداهما في يد واحدة وابتسمت، ثم قالت: "كما طلبت بالضبط، أليس كذلك؟ ترايد مودرن. لديَّ ماعونان هنا، وهناك اثنان آخران في المطبخ، في حال احتجت للمزيد. إذاً، فأنت ترى –"

توقفت فجأة، وعبست وهي تنظر إليه.

"إنك *تتقطر* عرقاً... *ولونك* محموم". ثم سكتت قليلاً. "ماذا كنت تفعل؟"

رغم أن سؤالها هذا جعل صوته الداخلي المذعور يزعق ثانية طالباً منه أن يستسلم ويعترف بما فعله ويطلب منها السماح، إلا أنه نجح في الرد على نظرتها المتشككة بتبرّم ساخر.

"أعتقد بأنك تعرفين ماذا كنت أفعل. كنت أعاني من الألم".

أخرجت من جيب تنورتها منديلاً ورقياً مسحت به جبهته فتبلل كله بالعرق. ثم ابتسمت له تلك الابتسامة الأمومية الزائفة.

"هل كان شديداً جداً؟"

"نعم. نعم، كان بالغ الشدة. والآن، هل يمكنني أن –"

أخبرتك عن إثارة غضبي. عش وتعلَّم. أليس هذا ما يقولونه؟ حسناً، إذا كنت ستعيش، فأعتقد بأنك سوف تتعلم".

"هل يمكنني الحصول على دوائي الآن؟"

قالت آني: "خلال دقيقة". لم تفارق عيناها وجهه الشاحب المليء بالبقع الحمراء التي تشبه الطفح الجلدي. "أولاً، أريد أن أتأكد من أنك لا تريد شيئاً *آخر*. شيئاً آخر نسيته آني ويلكس الغبية لأنها لا تعرف كيف يتعامل السيد الذكي مع تأليف الكتب. أريد أن أتأكد من أنك لا تريدني أن أعود إلى البلدة لأجلب لك مسجلة، أو ربما خفّاً منزلياً خاصاً بالكتابة، أو شيئاً من هذا القبيل. لأنك إن كنت تريد مني ذلك، فسأذهب. أمنيتك هي بمثابة أمر بالنسبة لي ويتوجب عليَّ تلبيتها. حتى أنني لن أنتظر كي أعطيك دواءك، بل سأقفز إلى سيارتي ثانية وأذهب. فما هو قولك أيها السيد الذكي؟ هل كل شيء موجود؟"

"كل شيء موجود. آني، رجاءً –"

"ألن تثير غضبي ثانية؟"

"لا. لن أثير غضبك ثانية".

"لأنني عندما أغضب، أفقد السيطرة على نفسي". ثم أخفضت عينيها ناظرة إلى حيث كانت يداه تطوّقان بقوة علب النوفريل. وبقيت تنظر لفترة طويلة.

سألته بنعومة، "بول؟ لماذا تمسك يديك بهذا الشكل؟"

بدأ بالبكاء. كان بكاؤه ناجماً عن إحساسه بالذنب، وهو أكثر ما كان يكرهه في الأمر. لقد جعلته يشعر بالذنب بالرغم من كل ما فعلته به هذه المرأة الشريرة.

رفع عينيه ونظر إليها والدموع تنهمر منهما وتنساب على خديه، ولعب آخر ورقة في يديه.

"أريد دوائي. وأريد كذلك وعاء التبول. لقد حبسته طوال الوقت الذي كنت فيه خارج المنزل يا آني، لكنني لا أستطيع أن أحبسه أكثر

من ذلك، وأنا لا أريد أن أبلل نفسي مجدداً".

ابتسمت له بلطف، وأشرق وجهها، ثم رفعت شعره من على جبهته. "عزيزي المسكين. لقد تركتك آني لفترة طويلة، أليس كذلك؟ فترة طويلة! أيتها العجوز اللئيمة يا آني! سأحضره في الحال".

36

لم يجرؤ على وضع الكبسولات تحت السجادة بالرغم من اعتقاده بأنه كان يملك الوقت الكافي لفعل ذلك قبل عودتها، وذلك لأن النتوءات ستكون ظاهرة للعيان رغم صغر حجم العلب. عندما سمعها تذهب إلى الحمام، أخذ العلب ومدّ يده بصعوبة وراء جسده وحشرها في مؤخرة سرواله الداخلي فوخزته الزوايا الكرتونية الحادة في شق مؤخرته.

عادت تحمل بيدها وعاء التبول، وهو علبة من الصفيح قديمة الطراز بدت مثل مجفف الشعر. وباليد الأخرى كانت تحمل قرصين من النوفريل وكأساً من الماء.

قرصان آخران من تلك الأقراص التي تناولتها قبل نصف ساعة من الآن قد تسقطك في غيبوبة ومن ثم تقتلك، فكّر في نفسه، ثم أجابه الصوت الآخر على الفور: *ذلك أفضل.*

أخذ القرصين وابتلعهما مع الماء.

مدت يدها لتعطيه وعاء التبول. "هل تحتاج إلى مساعدة؟"

"لا، يمكنني القيام بذلك لوحدي".

أدارت وجهها مراعاة له في الوقت الذي أخرج فيه قضيبه ووضعه داخل الأنبوب البارد وتبوّل. نظر إليها مع بداية انبعاث صوت طرطشة بوله داخل الوعاء فشاهدها تبتسم.

"هل انتهيت؟" سألته بعد بضع دقائق.

"نعم". كان في الواقع بحاجة ماسة إلى التبول، لكنه في خضم تلك

اللحظات المثيرة لم يكن لديه الوقت للتفكير في مثل هذه الأشياء.

أخـذت وعـاء التبول منه ووضعته بحذر على الأرض. "والآن، لنرجعك إلى السرير. لا بد أنك مرهق... ولا بد أن ساقيك تغنيان أوبرا مأساوية".

أومـأ برأسـه موافقـاً، بالرغم من أنه لم يكن يشعر بشيء على *الإطلاق*، فهذه الجرعة التي تناولها منذ قليل إضافة إلى تلك التي أخذها بنفسـه كانت تسير به إلى فقدان الوعي على نحو مثير للقلق، وقد كان بالفعل بدأ يرى الغرفة من خلال طبقات من الضباب الرمادي. فحرص علـى التركـيز علـى فكرة واحدة. عندما ستحمله إلى السرير ستكون مغمضـة العينين بحيث إنها لن تلاحظ أن سرواله الداخلي كان محشواً بالعلب الصغيرة.

دفعت الكرسي إلى طرف السرير.

"دقـيقة واحدة أخرى يا بول وسيكون بإمكانك أن تأخذ قسطاً من النوم".

"آني، هل يمكنك الانتظار خمس دقائق أخرى؟"

نظرت إليه، ثم ضيَّقت نظرتها قليلاً.

"اعتقدت بأنك كنت تعاني ألماً مروعاً أيها المحتال".

"بـالفعل. إنني أتألم بشدة... وخصوصاً ركبتي. حيث... آه، حيث فقـدت أعصـابك. لست مستعداً للرفع بعد، فهل يمكنك الانتظار خمس دقائق حتى... حتى..".

كـان يعـرف ما يريد قوله لكن الكلمات كانت تهرب منه. فنظر إليها بيأس، عارفاً بأنها سوف تكتشف أمره في النهاية.

"حتى يأخذ الدواء مفعوله؟" سألته فأومأ برأسه ممتناً.

"حسناً، سآخذ بعض الأشياء ثم أعود في الحال".

حالمـا خرجـت من الغرفة مدّ يده وراء ظهره وأخرج العلب ثم وضـعها تحت الفراش واحدة تلو الأخرى. كانت طبقات الضباب تزداد

كثافة أمام عينيه وتتحول باطراد من اللون الرمادي إلى الأسود.

ادفـــع العلب إلى أبعد مكان تستطيع الوصول إليه. تأكد من قيامك بذلـــك حـــتى لا تسحبها مع الغطاء السفلي عندما تغير أغطية الفراش. أبعدها بقدر ما... ما...

دفع العلبة الأخيرة تحت الفراش ثم أسند ظهره ونظر إلى السقف، حيث كانت أحرف الـــ W ترقص سكرى على الجص.

أفريقيا.

الآن علـيَّ أن أمسح.

أوه، أنا واقع في ورطة كبيرة هنا.

آثار، هل خلَّفت ورائـي أية آثار؟

غـــاب بول شيلدون عن الوعي. وعندما استفاق، كان قد مرَّ على نومه أربع عشرة ساعة، وكان الثلج يسقط مجدداً في الخارج.

II

ميزري

الكتابة لا تولّد التعاسة،

إنها تولد من التعاسة.

مونتان

1

عودة ميزري

بول شيلدون

إلى آني ويلكس

الفصل الأول

اعترف إيان كارميكايل لنفسه بأن الأمطار في كورنوول كانت أشد وأغزر من أي منطقة أخرى في إنكلترا، بالرغم من أنه لم يكن ليغادر ليينل دانثورب مقابل كل مجوهرات المملكة لولا الضرورة القصوى.

كانت هناك قطعة قماش قديمة معلقة على علاقة موجودة في المدخل، فاستخدمها لتنشيف شعره الأشقر الغامق، بعد انتهائه من تعليق معطفه الذي يقطر ماءً وخلع جزمته.

وبينما هو في صالة الاستقبال، وصلت إلى مسامعه من بعيد نغمات شوبان الجميلة، فوقف يصغي

إليها والمنشفة ما تزال في يده اليسرى.

لم تعد القطرات التي تنساب على خديه الآن هي من ماء المطر بل كانت دموعه المنسكبة من عينيه.

تذكر جيفري حين قال له عليك ألا تبكي أمامها يا صديقي العزيز. هذا هو الشيء الذي ينبغي ألا تفعله أبداً.

كان جيفري محقاً بالطبع - نادراً ما كان جيفري العزيز يخطئ - لكنّ نجاة ميزري من ملاك الموت جعل من المستحيل بالنسبة إليه أن يحبس دموعه من الانهمار. كان يحبها حباً جماً، وبدونها كان سيموت. بدون ميزري ستفقد الحياة معناها بالنسبة إليه، وستموت في داخله.

صحيح أن مخاضها كان طويلاً وقاسياً، لكنه لم يكن أطول وأشد قساوة من مخاض العديد من الشابات اللواتي رأتهن، حسبما قالت القابلة، التي لم يشتد قلقها إلا بعد منتصف الليل - عندما بدأ النزيف - وذلك بعد ساعة من مغادرة جيفري على حصانه من أجل إحضار الطبيب، بالرغم من أن الطقس كان ينذر بقرب هبوب العاصفة.

"عزيزي جيفري!" قالها بصوت عال هذه المرة وهو يخطو باتجاه المطبخ الريفي الدافئ الذي يسبب النعاس.

"هل قلت شيئاً يا سيدي الشاب؟" سألته السيدة راميج، مدبرة منزل آل كارميكايل الصعبة الإرضاء ولكن المحببة، وهي تدخل من مخزن الأطعمة بقبعتها

المنزلية المائلة، كالعادة. ثم تنشقت من مسحوق الدخان، الذي ما تزال تعتقد بأنه، بعد كل تلك السنين، عادة سرية سيئة.

قال إيان: "ليس عن قصد، سيدة راميج".

"من صوت تقطّر الماء عن معطفك المعلق هناك في المدخل، لا بد أنك مبلل بالماء من رأسك حتى أخمص قدميك!"

قال إيان: "بالفعل". ثم فكّر في داخله: لو عاد جيفري مع الطبيب متأخراً عشر دقائق فقط، فإنني أعتقد بأنها كانت ستموت. حاول إبعاد هذه الفكرة عن ذهنه - لأنها كانت بلا طائل ومثيرة لليأس في آن واحد - لكن فكرة الحياة بدون ميزري كانت مرعبة إلى درجة أنها كانت لا تفارقه.

ثم جاء صوت صراخ طفل معافى - ابنه - معلناً استعداده لتناول وجبته المسائية ليقطع عليه هذه التأملات الكئيبة. وبعد ذلك سمع صوت ممرضة توماس القديرة، آني ويلكس، وهي تحاول تهدئته وتغير له منديله.

قالت السيدة راميج: "إن صوت الطفل الصغير جيد هذا اليوم". عندئذ سنحت لإيان لحظة قصيرة للتفكير مجدداً في مسألة كونه أباً لطفل، لكن صوت زوجته الآتي من الممر قطع عليه تفكيره من جديد.

"مرحباً عزيزي".

رفع عينيه ونظر إلى محبوبته ميزري. كانت تقف بهدوء في الممر، وشعرها الكستنائي يشع على نحو غامض مثل قطع صغيرة من الجمر تتدفق بغزارة

فاتنة فوق كتفيها. كانت بشرتها ما تزال شاحبة، لكن إيان شاهد في وجنتيها ما ينبئ بعودة اللون إليهما. أما عيناها السوداوان العميقتان فقد كانتا تتلألآن بفعل انعكاس وهج المصابيح في المطبخ في كل منهما مثل ماسّتين صغيرتين ثمينتين.

"عزيزتي!" صاح إيان ثم ركض إليها، تماماً كما فعل في ذلك اليوم في ليفربول، عندما بدا له أن القراصنة سوف يخطفونها بالتأكيد بعد أن أقسم له ماد جاك ويكرشام بأنهم سيفعلون ذلك.

فجأة تذكرت السيدة راميج شيئاً لم تنهه في صالة الاستقبال فغادرت وتركتهما معاً وابتسامة عريضة على وجهها. والسيدة راميج بدورها لم تستطع منع نفسها من التساؤل كيف ستكون الحياة لو وصل جيفري والطبيب متأخرين ساعة واحد في تلك الليلة العاصفة الحالكة السواد قبل شهرين من هذا اليوم، أو لو لم تنجح تجربة نقل دماء السيد الشاب الشجاع إلى أوردة ميزري الناضبة.

"دعك من هذا يا فتاة". قالت لنفسها وهي تمشي مسرعة عبر الصالة. "بعض الأشياء لا تتحمل التفكير". يا لها من نصيحة جيدة أعطاها إياها إيان. لكنهما اكتشفا معاً فيما بعد بأن إسداء النصح في بعض الأحيان كان أسهل من تقبله.

في المطبخ، ضم إيان ميزري بقوة إلى صدره، شاعراً بأن روحه تحيا ثم تموت ثم تحيا من جديد من رائحة جلدها الدافئ.

لمس صدرها الناهد وتحسس نبضات قلبها القوية

والثابتة.

همس لها: "لو مت لكنت قد مت معك".

وضعت ذراعيها حول عنقه، فالتصقت يده أكثر بصدرها المتين. همست ميزري: "هش، عزيزي. ولا تكن سخيفاً. أنا هنا... هنا. قبِّلني الآن! إن مت، فأخشى أن السبب سيكون من شدة رغبتي فيك".

أطبق شفتيه على شفتيها وغرز يديه في وهج شعرها الكستنائي، ولبضع دقائق اختفى كل شيء في الوجود، ولم يبقَ إلا هما فقط.

2

وضعت آني الصفحات المطبوعة الثلاث على الطاولة بجانبه وانتظر ليعرف ماذا ستقوله عنها. كان يحس بالفضول لكنه لم يكن قلقاً، فلقد كان مندهشاً بحق من سهولة انزلاقه ثانية إلى عالم ميزري. كان عالمها بسيطاً وحسياً، لكن ذلك لم يغير حقيقة أن العودة إلى ذلك العالم لم تكن كريهة كما كان يتوقع، كانت في الواقع باعثة على الارتياح. ولهذا السبب، فغر بول فمه مشدوهاً عندما قالت آني:

"إنها ليست منطقية".

"لِمَ؛ لم تعجبك؟" لم يكن يصدق. كيف أُعجبت بروايات *ميزري* الأخرى ولم تعجبها هذه؟ إنها شديدة الشبه بنمط روايات *ميزري*. ماذا عن السيدة العجوز الأمومية راميج وهي تستنشق دخانها في مخزن الطعام، وماذا عن مداعبة إيان وميزري لبعضهما البعض مثل شاب وشابة مثارين جاءا إلى البيت للتو من حفلة راقصة لشباب المدرسة الثانوية، و –

هنا بدت آني هي المحتارة.

"أعجبتنـــي؟ بالطـــبع أعجبتني. إنها *رائعة*. عندما ضمها إيان بين ذراعـــيه، بكيـــت. لـــم أتمكن من منع نفسي". في الواقع، كانت عيناها حمراويـــن قلـــيلاً. "وسمَّيت ممرضة الطفل توماس باسمي... كان ذلك غايةً في اللطف".

فكَّر بول: *وذكية أيضاً؛ أو على الأقل، آمل ذلك. وبالمناسبة، كان اسم الطفل فـي البداية شين، إذا كنت مهتمة، لكنني غيَّرته لأننـي وجدت بأن هناك الكثير من حرف النون مسبقاً.*

قال بول: "أعتقد بأنني لم أفهم".

"أنا لم أقل شيئاً عن عدم *إعجابي* بها، بل قلت بأنها ليست *منطقية*. يوجد فيها غش. عليك أن تغيِّرها".

يبدو أن القارئة المواظبة قد تحولت إلى محرر عديم الرحمة.

دون أي انتباه منه، غطَّى وجه بول تعبير يوحي بأنه كان يصغي بكـــل جوارحـــه. كـــان يســـتخدم هـــذا التعبير دائماً عند استماعه إلى المحرريـــن، لأن الإيحـــاء بالإصغاء والتركيز إلى ما يقولونه يطريهم ويرضيهم، وإذا أحس المحررون بالإطراء، فإنهم قد يتخلون أحياناً عن بعض أفكارهم المجنونة.

سألها: "أين الغش فيها؟"

"حســـناً، امتطى جيفري حصانه وذهب إلى الطبيب. *هذا* جيد. لقد حصل ذلك في الفصل 38 من رواية *طفل ميزري*. لكن الطبيب لم يأتِ، كمـــا تعلـــم بالتأكيد، لأن الحصان تعثر عندما حاول جيفري القفز فوق بوابة السيد كرانثورب الحقير – آمل يا بول *بأن* ينال هذا القذر العقاب الـــذي يســـتحقه في *عودة ميزري*، هذا ما أرجوه بالفعل – فكُسر كتفه وبعـــض أضـــلاعه واستلقى هناك معظم الليل تحت المطر إلى أن مرَّ بالصدفة صبي راعي الغنم ووجده. إذاً فالطبيب لم يأتِ أبداً. أرأيت؟"

"نعم". وجد نفسه فجأة غير قادر على إبعاد عينيه عنها.

ظـــنّ بأنهـــا كانت تعتمر قبعة محرر، وأنها كانت على وشك أن

تملــي عليه ما يكتب وكيف يكتبه. لكن الوضع لم يكن على هذا النحو. لـنأخذ الســيد كرانثورب على سبيل المثال: كانت *تأمل* بأن ينال السيد كرانــثورب العقــاب الذي يستحقه، لكنها لم تطلب ذلك. لقد نظرت إلى المسار الإبداعي للقصة على أنه أمر يقع خارج نطاق سيطرتها، بالرغم من سيطرتها الواضحة *عليه* هو نفسه. إلا أن بعض الأشياء ببساطة لا يمكن القيام بها. إن الإبداع أو عدمه لا علاقة لهما بهذه الأشياء، والقيام بهــا فعل أحمق يشبه إعلان إلغاء قانون الجاذبية أو لعب تنس الطاولة بقطعة من القرميد. صحيح *أنها* كانت قارئة مواظبة، ولكن هذا لا يعني بأنها كانت قارئة فهلوية.

فهــي لم تقبل بأن يقتل ميزري، وها هي ترفض أن يعيد ميزري إلى الحياة من جديد.

يا الله، لكننـي قتلت ميزري بالفعل. فماذا عساي أفعل؟

قالت آني: "عندما كنت طفلة، اعتادوا أن يعرضوا أفلاماً متسلسلة فــي دور الســينما. حلقــة في كل مرة. مثل 'المنتقم المقنّع'، و'فلاش غــوردون'، وذلك الذي يتحدث عن فرانك باك؛ الرجل الذي ذهب إلى أفريقــيا مــن أجل صيد الحيوانات البرية والذي كان يستطيع إخضاع الأسود والنمور بمجرد التحديق فيها. هل تذكر تلك الأفلام المتسلسلة؟"

"نعم أذكرها، ولكن لا يمكن أن *تكونـي* كبيرة السن إلى هذه الدرجة يا آني، لا بد أنك شاهدتها على التلفزيون، أو أن أخاً أو أختاً أكبر منك أخبروك عنها".

ظهــرت غمّازتـــان صغيرتان على جانبي فمها ضمن تلك الكتلة اللحمية الصلبة لفترة قصيرة ثم اختفتا. "استمر في خداعك أيها المحتال! لقــد *كان* لي أخ كبير بالفعل، واعتدنا على الذهاب لمشاهدة تلك الأفلام مساء كل سبت. حدث ذلك في بيكرزفيلد، كاليفورنيا، حيث ترعرعت. وبالــرغم مــن أننــي كنــت أستمتع بالمشاهد التي تُعرض قبل الأفلام وبالرســوم المتحركة الملونة والأفلام السينمائية الطويلة، إلا أن ما كنت

أتطلع لمشاهدته فعلاً هو الحلقة التالية من تلك الأفلام المتسلسلة. وغالباً ما كنت أجد نفسي أفكر فيها طوال الأسبوع وخاصة في الأوقات غير المناسبة؛ إذا كان الدرس مملاً، أو إذا اضطررت إلى رعاية أطفال السيدة كرينميتز الأربعة المملّين والمتطلّبين. كم كنت أكره أولئك الأطفال".

صمتت آني، وأشاحت بنظرها إلى الزواية. كانت هذه هي المرة الأولى التي يحصل معها ذلك منذ أيام، وقد تساءل بول بشيء من القلق ما إذا كانت ستفقد سيطرتها على نفسها ثانية. لأنه إذا كان ذلك صحيحاً، فمن الأفضل له أن يحصّن نفسه.

وأخيراً، خرجت من غيبوتها تلك، وعلى وجهها، كما هو الحال دائماً، تعبير ينم عن استغراب خفيف، كأنها لم تكن تتوقع بأن العالم ما يزال موجوداً.

"كان 'الرجل النفاث' هو المفضل بالنسبة لي. كما في الفصل السادس مثلاً، 'موت في السماء'، حيث تراه غائباً عن الوعي بينما كانت طائرته تسقط بشكل منحدر وبالسرعة القصوى باتجاه الأرض. أو في نهاية الفصل التاسع، 'موت مشتعل' حيث تراه مقيداً إلى كرسي في مخزن تلتهمه النيران. وفي بعض الأحيان يكون في سيارة بلا مكابح، أو يتعرض لغاز سام، أو لخطر الكهرباء".

"مواقف مشوقة، كما يسمونها". تجرأ بول على التعليق.

لوّحت بيدها في وجهه دلالة على نفاد الصبر، ففهم بأن من الأفضل له - اليوم على الأقل - أن لا يقاطعها. "كنت أستمتع بالتفكير في كيفية خروجه من تلك المواقف الصعبة. كنت أصيب أحياناً، وأخطئ في أحيان أخرى. لم أكن أهتم في الواقع، طالما أنهم كانوا يكتبونها بشكل منطقي. أقصد الناس الذين ألّفوا القصة".

نظرت إليه بحدة للتأكد من أنه فهم القصد. وقد فهم بول ما ترمي إليه تماماً.

"علـــى ســـبيل المثال، عندما كان فاقداً وعيه في الطائرة. استيقظ فوجد مظلة تحت المقعد. فلبسها وقفز من الطائرة وكان ذلك منطقياً بما يكفي".

الآلاف مـــن مدرسي مادة الإنشاء سيخالفونك الرأي يا عزيزتـي، فكَّر بول في داخله. *فما تتحدثين عنه يُسمَّى "الإله المنقذ"، وكان الإغريق أول مـــن استخدمه في مسارحهم الدائرية. عندما يضع مؤلف المسرحية بطله في مأزق يستحيل الخروج منه، تأتي تلك الكرسي المزينة بالزهور مـــن فوق رأسه، فيجلس عليها ثم تُسحَب الكرسي وتخلصه من الخطر. حتى أغبى الأغبياء سيفهم الرمزية هنا؛ لقد تم إنقاذ البطل من قبل الله. لكـــن هذه التقنية، التي تعرَف في اللغة الاختصاصية أحياناً بـــ "خدعة المظلـــة الموجـــودة تحت مقعد الطائرة"، بَطُل استخدامها أخيراً حوالى العام 1700. بالطبع، باستثناء تلك القصص السخيفة مثل مسلسل الرجل النفاث وكتب نانسي درو. أعتقد بأنك لم تسمعي بذلك يا آنـي.*

للحظـــة لن ينساها طوال عمره، ظنّ بول بأنه سينفجر بالضحك. ونظـــراً لمزاجها في ذلك الصباح، فإن هذا سوف يؤدي به بالتأكيد إلى نـــيل عقوبـــة مؤلمـــة. لكنه رفع يده بسرعة ووضعها على فمه مغطياً ابتسامة كانت على وشك الظهور، وتظاهر بأنه يسعل.

خبطته بيدها على ظهره بقوة إلى درجة مؤلمة.

"هل هذا أفضل؟"

"نعم، شكراً".

"هـــل يمكننـــي الذهاب الآن يا بول، أو هل تريد أن تعطس؟ هل أجلب لك الدلو؟ هل تشعر بأنك سوف تتقيأ؟"

"لا، آني. أرجوك تابعي. ما تقولينه في غاية اللطف".

بدت راضية قليلاً؛ ليس كثيراً، بل قليلاً. "عندما وجد تلك المظلة، كان ذلك منطقياً. ربما ليس *واقعياً*، لكنه منطقي".

فكَّـــر فـــي ما تقوله، فتفاجأ – إن آراءها العرضية الثاقبة لم تكف

عن إدهاشه – ثم قرر بأن ما قالته كان صحيحاً. قد تكون كلمتا *منطقي* و*واقعي* مترادفتين في أحد المجالات، لكن ليس في هذا المجال.

قالت آني: "ولكن، خذ جزءاً آخر. وهذا هو *بالضبط* مكمن الخطأ في ما كتبته أمس يا بول، فأصغ إليَّ".

"كلي آذان صاغية".

نظـــرت إليه بحدة لترى إذا كان يمزح. غير أن وجهه كان شاحباً وجدياً، ويشبه إلى حدٍّ كبير وجه طالب مجتهد. تبدَّد الدافع إلى الضحك عـــندما أدرك بـــأن آني يمكن أن تكون عارفة بكل شي عن تقنية *"الإله المنقذ"* باستثناء الاسم.

قالـــت: "حسناً، هذا هو الجزء الذي لم يكن فيه مكابح. لقد وضع الأشـــرار الرجل النفاث في سيارة لم يكن فيها مكابح، ثم لحموا أبواب السيارة كي لا يتمكن من فتحها، ثم شغَّلوا السيارة فبدأت تسير في ذلك الطـــريق الجبلـــي المتعرج. يمكنني أن أقول لك بأنني كنت أجلس على حافة مقعدي آنذاك".

كانت تجلس على حافة سريره، فيما كان بول يجلس على كرسيه المـــتحرك. كانـــت قد مرَّت خمسة أيام على رحلته السريعة إلى الحمام وصـــالة الاستقبال، وقد تعافى من تلك التجربة بأسرع مما كان يتوقع. في الحقيقة، إن مجرد عدم اكتشافها لأمره كان بمثابة دافع رائع للتعافي واستعادة النشاط.

نظـــرت بشـــرود إلى التقويم المعلق على الحائط، حيث يقود ذلك الصبي المبتسم زلاجته خلال شهر شباط الذي لا ينتهي.

"إذاً، كـــان الـــرجل الـــنفاث المسكين عالقاً في تلك السيارة بدون حقيبـــته النفاثة أو حتى خوذته الخاصة، ويحاول توجيه وإيقاف السيارة وفـــتح الباب الجانبي في وقت واحد. بإمكاني أن أقول بأنه كان منهمكاً مثل رجل بذراع واحدة يقوم بإلصاق ورق جدران".

نعـــم، اســـتطاع بـــول فجأة أن يتخيل المشهد ويفهم كيف استُخدم

للإثـارة والتشويق. كان المشهد بأكمله مائلاً بشكل يوحي بوجود خطر داهـم ويُظهر اندفاعاً سريعاً في منحدر قاس. لقطة إلى دواسة الفرامل، التـي تغوص بسهولة إلى آخرها عندما تطأ قدم الرجل عليها (استطاع تخـيل الحـذاء بوضـوح تـام، حـذاء من النوع الذي كان شائعاً في الأربعينـيات). لقطة إلى كتفه يخبط الباب. ثم لقطة من الخارج تُظهر نـتوءاً غـير منـتظم من اللحام يغطي قفل الباب. غباء، بالتأكيد، لكن يمكنك توظيفه في أشياء معينة؛ يمكنك تسريع نبضات القلب بواسطته.

"وهكذا، بعد ذلك ترى أن الطريق ينتهي عند ذلك الجرف"، تابعت آني وصفها، "والجميع في السينما كانوا يعرفون بأن الرجل النفاث إذا لم يخـرج مـن سيارته الهادسون القديمة قبل أن تصل إلى الجرف، فإنه سـيهلك لا محالة. ثم تأتي تلك السيارة، والرجل النفاث ما يزال يحاول تشـغيل الفرامل أو فتح الباب، ثم... تصعد فوقها! وتطير في السماء ثم تهـوي وتضـرب جانب الجرف عند منتصف سقوطها تقريباً ثم تنفجر ويشـب الحـريق فيها، ثم تسقط في المحيط، وبعد ذلك تظهر الرسالة الختامية على الشاشة تقول: الأسبوع المقبل الفصل 11، طيران التنين".

جلسـت علـى طـرف السرير ويداها متشابكتان بقوة، وصدرها الضخم يرتفع ويهوي بسرعة.

"حسناً!" قالت دون أن تنظر إليه، موجهة نظرها إلى الجدار فقط، "بعـد ذلـك، بالكاد استطعت *مشاهدة* الفيلم. وخلال الأسبوع التالي، لم أسـتطع *الكـف* أبـداً عن التفكير في الرجل النفاث. كيف سيتمكن من النجاة؟ لم أستطع حتى التخمين.

وفـي السبت التالي، كنت أقف أمام السينما منذ منتصف الظهر، رغـم أن شباك التذاكر لن يفتح حتى الواحدة وخمسين دقيقة والفيلم لن يـبدأ حـتى الثانية. ولكن، بول... ما حدث... حسناً، لن يمكنك أبداً أن تخمن!"

لـم يتفوه بول بأية كلمة، ولكن كان بإمكانه أن يخمن. فهو يعرف

كـيف أنهـا أُعجبت بما كتبه بالرغم من أنها تعرف بأنه ليس منطقياً؛ عرفـت ذلك وقالته، ليس بذلك التعقيد الأدبي المزيف أحياناً للمحررين، بـل بيقيـن بسـيط وغير متناقض لقارئ دائم. لقد عرف ذلك وأحس بالخجل من نفسه. كانت محقة. *فهو* كتب شيئاً غير منطقي.

"كانـت الحلقـة الجديـدة تبدأ دائماً بنهاية الحلقة *السابقة*. وهكذا، عرضـوا الـرجل الـنفاث وهو يقود السيارة في المنحدر، وعرضوا الجـرف الصـخري، وعرضوه وهو يخبط باب السيارة محاولاً فتحه. ومـن ثـم، فجأة، انفتح الباب فخرج منه وسقط على الطريق! وتابعت السـيارة طـريقها إلى الجرف. كان جميع الأطفال يهتفون فرحاً بنجاة الرجل النفاث، إلا أنا يا بول. كنت *غاضبة!* فبدأت بالصراخ 'هذا ليس الـذي حـدث في الأسبوع الماضي! هذا ليس الذي حدث في الأسبوع الماضي!'"

وثبت آني من مكانها وبدأت تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً. كان رأسها منخفضـاً، وشعرها الأجعد يهتز حول وجهها، وعيناها تقدحان شرراً، ضاربة قبضة إحدى يديها في راحة اليد الأخرى بشكل متواصل.

"حاول أخي إيقافي. وعندما لم أستجب لـه حاول وضع يده على فمي لإسكاتي فعضضتها ورحت أصرخ من جديد 'هذا ليس الذي حدث في الأسبوع الماضي! هل كلكم أغبياء كي لا تتذكروا؟ هل أصبتم جميعاً بالنسيان؟' فقال لي أخي 'أنت مجنونة يا آني'. لكنني كنت أعرف بأنني لسـت مجـنونة. ثم جاء المدير وقال بأنني إذا لم أصمت فإنه سيتوجب علـيَّ المغـادرة فقلت له 'بالتأكيد سأغادر لأن هذا غش قذر، هذا ليس الذي حدث في الأسبوع الماضي!"

نظرت إليه فشاهد بول جريمة واضحة في عينيها.

"إنـه لـم يخـرج من تلك السيارة اللعينة! كانت في طريقها إلى الحافة وهو ما يزال في داخلها! هل تفهم ذلك؟"

أجاب بول: "نعم".

"هل تفهم ذلك؟"

فجأة هجمت عليه، وبالرغم من أنه أحس بأنها كانت تريد إيذاءه، كما فعلت في السابق، ربما لأنها لم تتمكن من النيل من ذلك المؤلف الذي أخرج الرجل النفاث من سيارة الهادسون بشكل مخادع قبل أن تسقط من فوق الجرف، إلا أنه لم يتحرك على الإطلاق. لقد استطاع رؤية بذور اضطرابها الحالي من خلال نافذة الماضي التي فتحتها له منذ قليل. إن الظلم الذي شعرت به – بالرغم من طفوليته – حقيقي تماماً، بدون أدنى شك.

لم تضربه، بل أمسكت به من مقدمة العباءة التي كان يرتديها وجذبته إليها حتى كاد وجهاهما يتلامسان.

"هل فهمت؟"

"نعم، آني، نعم".

حدقت إليه بتلك النظرة السوداء الغاضبة، لا بد أنها رأت حينئذ الحقيقة في وجهه، لأنها بعد لحظات رمت به باحتقار في كرسيه.

تغضن وجهه من جراء شعوره بالألم، لكنه بعد قليل بدأ يخف.

"إذاً فأنت تعرف ما هو الخطأ؟"

"أعتقد ذلك". *بالرغم من أنني سأكون ملعوناً إذا كنت أعرف كيف سأصلحه.*

فردَّ عليه الصوت الآخر في الحال: *لا أعرف إذا كان الله سيلعنك أم سينقذك يا بولي، لكنني أعرف شيئاً واحداً فقط: إذا لم تبتكر طريقة لإعادة ميزري إلى الحياة – طريقة تقنعها بالطبع – فإنها سوف تقتلك.*

"فلتقم بعملك إذن". قالت بشكل مقتضب، ثم غادرت الغرفة.

3

نظر بول إلى الآلة الكاتبة القابعة في الغرفة أمامه. حرف النون! لـــم يكـــن يعرف بعد ما هو معدل ورود حرف النون في كل سطر مما كتب.

قالـــت الآلـــة الكاتبة: *"ظننت بأنه من المفترض أن تكون ماهراً".* مـــنحها ذهنه صوتاً ازدرائياً لكنه فتي، صوت مراهق يحمل مسدساً في أفلام الكاوبوي الهوليودية، فتىً مصمم على كسب شهرة سريعة هنا في ديـــدوود. *أنـــت لســـت ماهراً كفاية. اللعنة، لا يمكنك حتى أن ترضي ممرضة سابقة مجنونة ثقيلة الوزن. لعلك كسرت عظمة الكتابة في ذلك الحادث أيضاً... وهي العظمة الوحيدة التي لا تتماثل للشفاء.*

أرجـــع ظهره إلى الخلف إلى آخر حدٍّ يسمح به كرسيه وأغمض عينيه. كان سيسهل عليه تحمّل رفضها لما كتبه لو أن بإمكانه عزو ذلك إلى الألم، إلا أن الألم في الحقيقة كان قد بدأ بالتراجع أخيراً.

كانـــت الكبسولات المسروقة موضوعة بأمان بين الفراش وحامل النوابض. لم يكن قد تناول أياً منها؛ معرفته بأنها موجودة وتحت الطلب كانـــت كافـــية بالنســـبة له. صحيح أنه كان هناك احتمال بأن تجد آني الكبسولات فيما لو خطر ببالها فقط أن تقلب الفراش، إلا أنه كان مستعداً للإقدام على هذه المجازفة.

لـــم تحدث بينهما أية مشكلة منذ ثورة غضبها حول مسألة الورق. كـــان دواؤه يأتيه بانتظام، وهو كان يتناوله راضياً. لكنه تساءل ما إذا كانت تعرف بأنه قد أدمن على المادة.

يا رجل، هذه مبالغة بعض الشيء، أليس كذلك؟

لا، هذا ليس صحيحاً. فقبل ثلاث ليال، عندما تأكد بأنها كانت في الطـــابق العلوي، أخذ خلسة إحدى علب الدواء المجانية وقرأ كل شيء مكتوب على الورقة بداخلها، وعرف المادة الأساسية في النوفريل.

الحقــيقة هـــي أنك تتماثل للشفاء يا بول. صحيح أن ساقيك تحت الركبتين تبدوان مثل صورة رسمها طفل في الرابعة من عمره بواسطة عــود خشبي، إلا أنك تتماثل للشفاء. يمكنك أن تصمد على الأسبرين أو الإمبرين الآن. إنك لست بحاجة إلى النوفريل.

كان عليه أن يقلل من تناولها، عليه أن يتفادى بعض الكبسولات. ولكــن، إلـــى أن يتمكــن مـــن فعل ذلك، فإنها سوف تستمر بإعطائه الكبسولات بشكل منتظم.

حسناً، سأتفادى واحدة أو اثنتين من الكبسولات في كل مرة تجلبها إليَّ. سأضع واحدة تحت لساني وأبلع الأخرى، ثم سأدسها تحت الفراش مع الكبسولات الأخرى عندما تعيد كأس الماء. ولكن، ليس اليوم. فأنا لا أشعر بأنني مستعد للبدء اليوم. سأبدأ غداً.

هوهــو، بولي، *إنك مضحك فعلاً*، قالت الآلة الكاتبة بصوت ذلك الكاوبوي الأجش.

تمتم بول بصوت خافت: "إن الطيور القذرة من الأميركيين ليست كلها مضحكة، لكننا لا نكف عن المحاولة. عليك أن تتقبلي ذلك".

حســناً، مـــن الأفضل لك أن تبدأ التفكير فـي كل المخدرات التـي تتناولها يا بول. من الأفضل لك أن تبدأ بالتفكير بها بشكل جدي.

قرر فجأة، بتأثير تلك اللحظة، بأن يبدأ بالتحايل على الدواء حالما يخـــط أول فصل ينال إعجاب آني على الورق؛ الفصل الذي تقرر آني بأنه ليس مغشوشاً.

جزء منه – ذلك الجزء الذي كان يستمع حتى إلى أفضل التعليقات الـتحريرية وأكـثرها إنصافاً بفظاظة وقلة تهذيب – اعترض لأنّ آني كانت مجنونة، ولأنه لم يكن يملك أي وسيلة تجعله متأكداً مما ستقبله أو لا تقبله، ولأن كل ما سيحاول فعله لن يكون أكثر من رمية نرد.

لكــنّ جــزءاً آخــر – جزء أكثر عقلانية من الأول – خالفه في الرأي. لأنه يعرف أن يميز الأفكار الجيدة من غير الجيدة عندما يجدها.

ألــم يكــن يعرف بأن ما كتبه كان خاطئاً؟ تلك الأفكار لم تكن أكثر من أكاذيـــب قابلـــة للتصـــديق. لقد ساءت الأمور لأنه كان يغش وهو كان يعرف ذلك حق المعرفة.

حســناً، *إنها تقرأ أفكارك أيها الأحمق*، قالت الآلة الكاتبة بصوتها المهين والبشع. *أليس كذلك؟ فماذا أنت فاعل الآن؟*

في الواقع، لم يكن يعرف ماذا سيفعل، لكنه كان يعتقد بأنه مضطر للقـيام بشــيء مــا، وعلــى وجه السرعة. لم يهتم كثيراً بمزاجها هذا الصــباح، بيد أنه أحس بأن عليه أن يعد نفسه محظوظاً لأنها لم تكسر ســاقيه مــن جديــد بواسطة عصا كرة القاعدة أو تطلي أظافره بأسيد الــبطاريات أو شيء من هذا القبيل للإشارة على امتعاضها من الطريقة التــي استهل بها كتابها. فإن ردات الفعل الانتقادية هذه محتملة الحدوث دائماً نظراً لنظرة آني الفريدة إلى العالم. لو خرج من هذه الورطة حياً، اعــتقد بــول بأنه سوف يكتب رسالة إلى كريستوفر هيل، الذي يكتب مقــالات نقديـــة حول الكتب في جريدة *التايمز* النيويوركية. سيقول في رســالته: "كلمـــا كـــان يتصل بي محرري ويخبرني بأنك كنت تخطط لمـــراجعة أحـــد كتبـــي فـــي جـــريدة *التايمز*، كانت ركبتاي تصطكان ببعضهما. لقد منحتني بعض المقالات النقدية الجيدة أيها الصديق القديم، لكنك أيضاً نسفتني أكثر من مرة، كما تذكر بالتأكيد. على أي حال، كنت فقط أريد أن أخبرك بأن تستمر في عملك وتكتب أقسى ما عندك من نقد لأننـــي وجـــدت مزاجاً نقدياً جديداً تماماً. يمكننا أن نسمي هذه المدرسة الفكـــرية **حفلـــة شواء كولورادو** أو **دلو المسح**. إنها تجعل النقد الذي تكتـــبونه أيها الأصدقاء يخيف بقدر ما تخيف جولة في دوامة في مدينة الألعاب سينترال بارك".

هـــذا مسل جداً، يا بول، كتابة رسائل حب إلى النقاد بالنسبة إلى أحدهم مثيرة جداً للضحك.

نعم، بالفعل.

كانت الآلة الكاتبة قابعة هناك أمامه تضحك ساخرة منه.

قال بول بكآبة: "أنا أكرهك". ثم أشاح بنظره إلى الخارج عبر النافذة.

4

إن العاصفة الثلجية التي استيقظ عليها بول بعد يوم من رحلته إلى الحمام استمرت لمدة يومين فازدادت سماكة الثلج حوالى ثمانية عشر إنشاً على الأقل. وعندما أشرقت الشمس أخيراً وبدأت تسترق النظر بحياء بين الغيوم، كانت سيارة آني الشيزوكي قد أصبحت مجرد تلة بيضاء في الممر الفرعي الموصل إلى المنزل.

ولم تكن الشمس مشرقة فقط بل حارة أيضاً، حيث بثت الدفء في وجهه ويديه بينما هو جالس في مكانه. كانت قطع الجليد المتدلية من سقف الحظيرة تتقطر من جديد. شرد فكره لفترة وجيزة مفكّراً في سيارته الموجودة في الثلج، ثم التقط قطعة من الورق ولفّها داخل الآلة الكاتبة. طبع كلمتي **عودة ميزري** في الزاوية العلوية اليسرى من الورقة، والرقم 1 في الزاوية العلوية اليمنى. ثم ضرب على مفتاح الإرجاع أربع أو خمس مرات ليعيد مركز الكتابة إلى المنتصف، ثم طبع **الفصل الأول**. كان يضرب على المفاتيح بقوة أكبر من اللازم، وذلك حتى يصل الصوت إلى مسامعها وتتأكد بأنه يكتب *شيئاً ما* على الأقل.

حينئذ بدا ذلك الفراغ الأبيض الممتد تحت كلمتي الفصل الأول مثل هوة ثلجية يمكن أن يسقط فيها ويموت اختناقاً في الثلج.

أفريقيا.

طالما أنهم يكتبونها بشكل منطقي.

ذلك الطائر جاء من أفريقيا.

كانت هناك مظلة تحت مقعده.

أفريقيا.

الآن عليّ أن أمسح.

انفصـــل عن الواقع شيئاً فشيئاً، مع علمه بأن عليه ألا يفعل ذلك، لأنها لو جاءت ووجدته شارداً بدلاً من انهماكه بالكتابة فستغضب بدون أدنى شك، بيد أنه ترك نفسه يحلِّق في عالم الخيال بالرغم من ذلك. لكنه فـــي الواقـــع لـــم يكن يحلم فقط، بل كان - بطريقة غريبة - يفكر... ينظر... يبحث.

تبحث عن ماذا يا بولـي؟

هذا واضح جداً. كانت الطائرة تهوي وهو كان يبحث عن المظلة تحت المقعد. جيد؟ هل هذا منطقي كفاية؟

منطقـي كفاية. عندما كان يبحث عن المظلة تحت المقعد، كان ذلك منطقي بما يكفي. ربما ليس واقعياً تماماً، لكنه منطقي.

عندما كان طفلاً، أرسلته أمه خلال عطلتين صيفيتين إلى معسكر نهـــاري كـــان يقيمه مركز مالدن الاجتماعي. وفي ذلك المعسكر كانوا يلعـــبون هذه اللعبة... كانوا يجلسون بشكل دائري، واللعبة كانت تشبه أفلام آني المتسلسلة... وكان يربح فيها تقريباً دائماً... ماذا كانت تُدعى هذه اللعبة؟

تخيَّل خمسة عشر أو عشرين صبياً وفتات يجلسون بشكل دائري فـــي إحدى الزوايا الظليلة في ساحة للعب - كلهم كانوا يلبسون قمصاناً كُتـــب علـــيها مركز مالدن الاجتماعي - ويستمعون بانتباه إلى المرشد وهو يشرح كيفية لعب اللعبة. *كان اسم اللعبة، **هل يمكنك؟** وهذا هو اسم اللعبة التـي تلعبها الآن يا بولـي، أليس كذلك؟*

بالفعل، هذا ما كان يعتقده بول.

فـــي لعـــبة **هل يمكنك؟** بدأ المرشد بسرد قصة عن شخص يُدعى كيرلـــيس كوريغـــان. كان كيرليس ضائعاً في أدغال أميركا الجنوبية.

وفجأة يجد نفسه محاطاً بالأسود من كل جانب... ثم بدأت الأسود تقترب منه.

كان بحوزة المرشد ساعة توقيت استطاع بول شيلدون تخيّلها بشكل واضح ومثير للإعجاب، بالرغم من عقله المتخدر وبالرغم من أنه لم يمسكها في يده منذ ما يزيد عن ثلاثين عاماً. استطاع رؤية أرقامها الدقيقة، والإبرة الصغيرة الموجودة في أسفل الساعة التي كانت تسجل أعشار الثواني، كما استطاع رؤية اسم الماركة المكتوب بأحرف دقيقة: أنيكس.

بعد ذلك نظر المرشد إلى الدائرة ثم اختار أحد الأطفال، وقال: "دانييل، **هل يمكنك؟**" وما إن لفظ المرشد كلمتي هل يمكنك؟ حتى ضغط على زر التوقيت معلناً بدء حساب الوقت.

كان أمام دانييل حينئذ عشر ثوان فقط كي يتابع القصة، فإذا لم يبدأ الكلام خلال تلك الثواني العشر، فإنه سوف يخرج من الدائرة. أما إذا استطاع إخراج كيرليس من ورطته مع الأسود، فسيعود المرشد مرة أخرى إلى الدائرة ليطرح سؤال اللعبة التالي، ذلك السؤال الذي استحضر وضعه الحالي إلى ذهنه مجدداً، "*هل نجح؟*"

كانت قواعد هذا الجزء من اللعبة تشبه قواعد آني تماماً: الواقعية ليست ضرورية، أما المنطقية فبلى. كان بإمكان دانييل أن يقول، على سبيل المثال: "لحسن الحظ، كان كيرليس يحمل معه بندقية وينشستر ومعها الكثير من الذخيرة. وهكذا أطلق النار على ثلاثة من الأسود وفرّت الأسود الأخرى". في هذه الحالة، بالطبع، نجح دانييل في إخراج كيرليس من ورطته. عندها سوف يأخذ المرشد ساعة التوقيت ويتابع القصة إلى أن يصل إلى وضع كيرليس، مثلاً، في بركة من الرمال المتحركة أو أي شيء آخر، ثم يسأل طفلاً آخر إذا كان أو كانت تستطيع إكمال القصة، ثم يضغط زر التوقيت مجدداً.

لكنّ الثواني العشر ليست كافية، ولن يكون التفكير المنطقي بالأمر

اليسير... وبذا سيكون اللجوء إلى الغش أسهل. فقد يقول الطفل الثاني شيئاً ما مثل: "عندئذ جاء ذلك الطائر العملاق – أعتقد بأنه العقاب الأنديزي – فأمسك كيرليس برقبته وجعله يطير به وينتشله من تلك الرمال المتحركة".

وعندما يسأل المرشد، "هل نجح الطفل الثاني في إكمال القصة بشكل منطقي؟" سيرفع الأطفال الذين يظنون بأنه نجح أيديهم، وسيبقيها من يظنون العكس منخفضة. في حالة العقاب الأنديزي، بالطبع، من المؤكد أن الطفل سوف يُدعى للخروج من الدائرة.

هل يمكنك يا بول؟

بالتأكيد. هذا هو سبب بقائي على قيد الحياة. وإلا فكيف أمكن لي أن أحتفظ بمنزلين لي في نيويورك ولوس أنجلوس. لأنني قادر، وهذا مما لا يدعو إلى الاعتذار بشأنه، اللعنة. هناك الكثير من الأشخاص الذين يستطيعون الكتابة أفضل مني والذين يملكون فهماً أفضل مني لطبيعة الناس وما يجب أن تكون عليه الإنسانية، أعرف ذلك. ولكن، عندما يسأل المرشد أحداً من هؤلاء الأشخاص، هل نجح؟ فإن القليل من الناس يرفعون أيديهم موافقين. لكنهم يرفعون أيديهم لي... أو لميزري... على أي حال، أعتقد بأن الأمرين سيان ويدلّان على شيء واحد في نهاية المطاف. هل أقدر؟ نعم، بالتأكيد أنا قادر. بالطبع، هناك مليون شيء لا أقدر على فعله في هذا العالم. لا أستطيع أن أضرب كرة ملتفة، حتى عندما كنت في المدرسة الثانوية. لا يمكنني أن أصلح حنفية يتسرّب منها الماء. لا يمكنني أن أتزلج بواسطة الحذاء ذي الدواليب ولا يمكنني أن أصدر نغمة "فا" على الغيتار. وقد حاولت الزواج مرتين لكنني لم أفلح في كلتيهما. أما إذا أردتني أن آخذك بعيداً في متاهات الخيال، أو أن أخيفك، أو أبكيك أو أضحكك، نعم، أستطيع. أستطيع أن أفعل ذلك مراراً وتكراراً حتى ترفع يديك طالباً الاستسلام. نعم، أنا أستطيع.

فهمســت الآلة الكاتبة بصوتها الوقح والكريه من داخل هذا الحلم العمــيق: *ما نراه هنا أيها الأصدقاء هو الكثير من الثرثرة والكثير من الفراغ الأبيض.*

هل يمكنك؟

نعم، نعم!

هل نجح؟

لا. لقد ارتكب غشاً. في رواية طفل ميزري، لم يأتِ الطبيب أبداً. لعلكــم نسيتم ما حصل معكم الأسبوع الماضــي، لكن التمثال الحجري لا ينســى أبداً. على بول أن يترك الدائرة. اعذرونــي، رجاء. الآن عليَّ أن أنظف. الآن عليَّ أن –

5

"– أنظــف". تمــتم بــول فــي نومه، ثم مال إلى الجهة اليمنى، فانحرفت رجله اليسرى قليلاً، الأمر الذي أدى إلى التسبب بألم شديد في ركبته المهشمة، وذلك كان كافياً لإيقاظه من غفوته. كان قد مضى على ذلــك أقل من خمس دقائق. كان باستطاعته سماع آني تغسل الصحون فــي المطــبخ. فــي العادة، كانت تغني أثناء قيامها بأعمالها الروتينية اليومــية، لكنها هذه المرة لم تكن تغني، فهو لم يكن يسمع سوى قرقعة الصــحون وصــوت هسيس ماء الشطف بين الحين والآخر. نذير شؤم آخــر. *إلــيكم نشرة أحوال جوية خاصة بسكان مقاطعة شيلدون: إنذار بوجــود إعصار سيبقى مفعوله سارياً حتى الساعة 5:00 مساء. أكرر، إنذار بوجود إعصار –*

لقــد حان الوقت للتوقف عن اللعب والبدء بالعمل. إنها تريد إعادة مــيزري إلــى الحياة، بشرط أن يتم ذلك بشكل منطقي. ليس مهماً أن يكــون واقعــياً، فليكــن منطقــياً وحسب. لو تمكَّن من القيام بذلك هذا

الصباح، لتمكّن ربما من التخلص من الإحباط الذي كان يحس بقدومه قبل أن يسيطر عليه.

أسند بول ذقنه على يده ونظر عبر النافذة إلى الخارج. كان يفكر بسرعة وبعمق، ولكن دون أن يدرك ذلك. بدت تلك الطبقات من ذهنه الواعي – التي تتعامل مع أشياء مثل متى غسل شعره بالشامبو أو ما إذا كانت آني سوف تأتي أو لا تأتي في الوقت المناسب لإعطائه حصته من المخدرات – بأنها قد غادرت المكان في إجازة طويلة. ومع أن عقله كان يستقبل بيانات حسية واردة، إلا أنه لم يكن يحس بها، فهو لم يكن يرى ما كان يراه، ولم يكن يسمع ما كان يسمعه.

فيما كان جزء آخر من عقله يجرِّب الأفكار، يرفضها، ويحاول الجمع بينها، ثم يرفض التوليفة برمتها. كان يحس بذلك يجري داخله، ولكن لم تكن له أية صلة به.

أدرك بأن ما كان يحصل معه في ذلك الوقت هو محاولة **استنباط فكرة**. ومحاولة استنباط فكرة لم تكن تشبه، بالطبع، **ولادة الفكرة**، والتي هي طريقة أكثر تواضعاً لقول: *أنا ملهم! أو وجدتها! أو لقد نطق إلهامي.*

جاءته فكرة رواية **سيارات سريعة** ذات يوم في نيويورك. كان قد خرج لشراء جهاز فيديو لمنزله الكائن في شارع 38. وخلال سيره، مرَّ بمرآب للسيارات فرأى مستخدَماً يحاول فتح باب سيارة بواسطة ذراع حديدية. هذا كل شيء. لم تكن لديه أدنى فكرة ما إذا كان ما شاهده شرعياً أم غير شرعي، بل إنه لم يعد يكترث للأمر كله بعد اجتياز شارعين أو ثلاثة. وهكذا تحول ذلك المستخدَم إلى توني بوناسارو، الذي انتحل اسمه من دليل الهاتف. نصف القصة وُجدت بشكل جاهز في عقله، والنصف الآخر أتى فيما بعد بشكل تلقائي. كان يشعر بالنشوة والسعادة، وكأنه كان ثملاً. لقد جاءه الإلهام على نحو غير متوقع ومفرح، فلقد ذهب لشراء جهاز تسجيل فيديو فإذا به يحصل على شيء

أفضل منه. **لقد وُلدت الفكرة.**

أما الطريقة الأخرى – **محاولة استنباط فكرة** – فهي ليست مميزة بذاتها أو ذات طبيعة سامية، لكنها ضرورية بكل تأكيد. لأنك عندما تقوم بكتابة رواية، فمن المؤكد – في أغلب الأحيان – أنك سوف تجد نفسك عالقاً في مكان ما، عاجزاً عن الاستمرار، وحينئذ لن يكون من المنطقي المضي قدماً، ما لم **تستنبط فكرة.**

في العادة، عندما كان يحتاج **لاستنباط فكرة**، كان يرتدي معطفه ويذهب في نزهة على الأقدام. كان يعرف بأن المشي تمرين مفيد للصحة، بيد أنه كان يجده مملاً. لكنه، إذا كان بحاجة إلى فكرة، فإن الملل قد يكون بالنسبة لرواية عالقة مثل العلاج الكيميائي بالنسبة لمريض مصاب بالسرطان.

في منتصف رواية **سيارات سريعة**، قتل توني بوناسارو الملازم غراي أثناء محاولة الأخير وضع الأصفاد في يديه في صالة للسينما في ساحة تايمز. كان بول يريد أن يفلت توني بجريمته – لفترة قصيرة على الأقل – لأنه لن يكون هناك فصل ثالث إذا كان توني سيقبع في زنزانة. ولكن، في نفس الوقت، لم يكن باستطاعة توني ببساطة أن يترك غراي جالساً في صالة السينما مع مقبض سكين بارز من تحت إبطه الأيسر، وذلك لأن ثلاثة أشخاص على الأقل كانوا يعرفون بأن غراي ذهب لملاقاته.

إذاً، كان التخلص من الجثة هو المشكلة، وبول لم يكن يعرف كيف يحلها. ثمة عائق هنا، وهذه هي اللعبة. *لقد قتل كيرليس كوريغان هذا الشخص في صالة للسينما تقع في ساحة تايمز وهو بحاجة الآن لإعادة الجثة إلى سيارته دون أن يقول له أي شخص: "هيي، أنت يا سيد، هل هذا الشخص ميت كما يبدو عليه أو أنه مصاب بالإغماء؟" إن استطاع إيصال الجثة إلى السيارة، عندها سيتجه إلى مدينة كوينز ويرميها في ذلك المشروع المعماري المهجور الذي يعرفه. بولي؟ هل*

يمكنك؟

لم تكن هناك مهلة عشر ثوانٍ، بالطبع (لم يوقِّع عقداً مع أحد الناشرين من أجل الكتاب، ولذلك لم يكن هناك موعد للتسليم يشغل باله). مع ذلك، فهنالك *دائماً* مهلة محددة، مهلة سيضطر الكاتب بعد انقضائها إلى مغادرة الدائرة، ومعظم الكتّاب يعرفون ذلك. فإذا ظل الكتاب متوقفاً فترة طويلة، وفقد القدرة على التقدم، فإنه يبدأ بالتحلل، ومن ثم يتداعى.

ذهب بول في نزهة سيراً على الأقدام، لا يفكر في أي شيء، تماماً كما يفعل الآن: لا يفكر في أي شيء. وبعد ثلاثة أميال من المشي، خطرت بباله فكرة: *افرض أنه أشعل حريقاً في صالة السينما؟*

بدت بأنها فكرة جيدة. لم يكن يشعر بدوار أو أي شعور بالإلهام؛ بل كان شعوره يشبه شعور نجار ينظر إلى قطعة من الخشب يعتقد بأنها يمكن أن تفي بالغرض.

باستطاعته أن يشعل ناراً في حشوة المقعد المجاور له، فما رأيك؟ المقاعد اللعينة في صالات السينما تلك دائماً ما تكون ممزقة. وسيكون هناك دخان. دخان كثيف. باستطاعته أن يقاوم الخروج لأطول مدة ممكنة قبل أن يجر غراي معه إلى الخارج. يمكنه أن يخرج غراي على أنه ضحية استنشاق الدخان. ما رأيك؟

اعتقد بأنها فكرة جيدة. صحيح أنها بحاجة إلى الكثير من التفاصيل، لكنها بدت جيدة. **لقد توصل إلى فكرة.** وبذلك يمكنه *استئناف* العمل.

كان يجلس بهدوء في كرسيه، مسنداً ذقنه على كفه، ينظر إلى الحظيرة. لو كان باستطاعته المشي، لتوجه إلى الحقل وتنزّه فيه. كان جالساً بهدوء، يكاد يكون غافياً، منتظراً حدوث شيء ما، غير مدرك لأي شيء حوله باستثناء شعوره بوجود شيء يتكوّن في عقله الباطني، شعوره بأن ثمة أبنية من التخيلات تُبنى ثم تُقيَّم ثم توجَد بأنها ناقصة ثم

تُهدَم في طرفة عين. انقضت عشر دقائق. خمس عشرة دقيقة. في ذلك الوقت شغّلت آني المكنسة الكهربائية في غرفة الاستقبال (لكنها لم تكن تغنـــي). كان يسمع لكنه لم يكن يعي ما يسمع. كان الصوت يدخل عقله ثم يخرج ثانية مثل مرور الماء في قناة للري.

أخـــيراً، بـــدأت *فكرة تشق* طريقها عبر عقله الباطني – الطبيب موجـــود – فـــتلقف عقلـــه الواعـــي الفكرة مثل رسالة دُفعت عبر شق الرسائل في الباب. ثم بدأ في معاينتها. كاد أن يرفضها في البداية، لكنه أعاد النظر فيها فقرر في نهاية المطاف بأنه يمكنه الاحتفاظ بنصفها.

ثم لمعت بذهنه فكرة أخرى، أقوى من الأولى.

بدأ بول ينقر بأصابعه بقلق على عتبة النافذة.

حوالى الساعة الحادية عشرة بدأ بول بالكتابة. كانت وتيرة الكتابة فـــي البداية بطيئة. نقرات منفصلة تعقبها فواصل من الصمت، بعضها كان يستغرق خمس عشرة ثانية. ثم بدأت هذه الفواصل الصامتة تقصر بشـــكل تدريجـــي. لو كان بول يكتب على آلته الكاتبة الكهربائية لكان الصوت لطيفاً، لكنّ صوت النقر على آلة "رويال" كان مقعقعاً وكريهاً.

بـــيد أن بـــول لم ينتبه إلى صوت الآلة الكاتبة الذي يشبه صوت داكـــي دادل. مـــع نهاية الصفحة الأولى انتهى بول من عملية التحمية، ومع نهاية الصفحة الثانية كان قد انطلق في سرعته القصوى.

بعـــد فترة قصيرة أطفأت آني المكنسة الكهربائية ووقفت في ممر الـــباب تراقـــبه. لـــم يلاحظ بول وجودها هناك. في الواقع، إنه لم يكن يلاحـــظ وجوده هو نفسه. لقد تحرر أخيراً من الواقع، وانطلق في عالم الخـــيال. كـــان في ذلك الوقت موجوداً في باحة كنيسة ليتل دانثورب، يتـــنفس هواء الليل الرطب، ويشم رائحة الطحالب والأرض والضباب. سمع صوت ساعة برج الكنيسة المشيخيَّة تدق معلنة الساعة الثانية فدوّن ذلك في القصة على الفور.

ظلـــت آنـــي تراقبه لفترة طويلة. كان وجهها القاسي جامداً وغير

مبتسم، لكنه بطريقة ما كان يوحي بشيء من الرضا. وبعد ذلك غادرت المكـــان. ومع أن وقع خطواتها كان ثقيلاً كالمعتاد، إلا أن بول لم يسمع ذلك أيضاً.

عمـــل حـــتى الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم، وفي الثامنة مساء طلب منها مساعدته للعودة إلى كرسيه المتحرك مجدداً. ظل يكتب لـــثلاث ســـاعات، بالرغم من أن الألم بدأ يشتد بحلول الساعة العاشرة. عادت آني في الحادية عشرة، فطلب منها خمسين دقيقة أخرى.

"لا يا بول، ذلك يكفي. لونك أبيض كالملح".

وضعته في السرير فغفا خلال ثلاث دقائق. نام طوال الليل للمرة الأولـــى منذ خروجه من الغيبوبة، وكان نومه للمرة الأولى أيضاً بدون أي أحلام.

كان يحلم مستيقظاً.

6

عودة ميزري

بول شيلدون

إلى آني ويلكس

الفصل الأول

للوهلة الأولى لم يكن جيفري أليبورتون متأكداً من الرجل العجوز الواقف عند الباب، ولم يكن ذلك راجعاً فقط إلى أن الجرس أيقظه من غفوة عميقة. فإنّ المزعج في الحياة في الريف، بالنسبة له، هو صعوبة التمييز بين أولئك القرويين بالرغم من أعدادهم القليلة. في بعض الأحيان، كل ما على المرء أن يفعله هو الاعتماد على الشبه العائلي؛ مع أن هذا الشبه لا ينفي بالطبع إمكانية وجود اختلاط في الأنساب. على أي حال، بإمكان المرء أن يتعامل مع مثل هذه اللحظات في العادة، بالرغم مما يمكن أن يشعر به من إحراج حين يحاول الاستمرار في محاورة اعتيادية مع شخص ينبغي أن يتذكر اسمه لكنه لا يستطيع ذلك. وتبلغ الأمور أعلى درجات الإحراج عندما يأتي وجهان مألوفان في وقت واحد، وخاصة إذا شعر المرء

بأن اللياقة تفرض عليه تقديمهما لبعضهما.

قال الزائر: "آمل بأنني لا أسبب لك أي إزعاج يا سيدي". كان الرجل يقلّب قبعة رخيصة من القماش بقلق بين يديه، ومن خلال ضوء المصباح الذي رفعه جيفري كي يراه بشكل أفضل، بدا وجهه مجعداً، أصفر اللون، وبالغ القلق؛ ومرعوباً أيضاً. "إنني فقط لم أشأ أن أذهب إلى الدكتور بوكينغس، كما أنني لم أشأ أن أزعج سيادته. ليس، على الأقل، قبل أن أتحدث إليك، إن فهمت قصدي يا سيدي".

في الحقيقة، لم يفهم جيفري ما يرمي إليه الرجل، لكنه فجأة عرف شيئاً واحداً؛ عرف من هو هذا الزائر القادم في وقت متأخر. والأمر الذي ساعده على معرفته هو ذكره للدكتور بوكينغس، راعي الكنيسة. فمنذ ثلاثة أيام، أجرى الدكتور بوكينغس مناسك ميزري الدينية القليلة الأخيرة في باحة الكنيسة التي تقع خلف بيته، وهذا الرجل كان موجوداً هناك، لكنه كان يجلس خلف الحضور بحيث يصعب الانتباه إليه.

اسمه كولتر، وهو قندلفت في الكنيسة، أو بصراحة: كان الرجل حفّار قبور.

قال جيفري: "كولتر، بماذا يمكنني أن أخدمك؟"

تكلم كولتر بتلعثم. "إنها الأصوات يا سيدي. الأصوات في باحة الكنيسة. إن السيدة غير مرتاحة في قبرها، سيدي، إنها لا... وأنا أخشى. أنا -"

أحس جيفري بأن شخصاً وكزه في معدته. أخذ نفساً عميقاً فاشتعل الألم في جنبه، حيث أضلاعه المكسورة

التي قام الدكتور شاينبون بتضميدها بإحكام. كان الدكتور شاينبون قد توقع بأن يصاب جيفري بذات الرئة بعد استلقائه ليلة كاملة في تلك الحفرة تحت المطر البارد، ولكن، ولحسن الحظ، مضى على ذلك ثلاثة أيام ولم يصب بأي حمى أو سعال. كان متأكداً من أن ذلك لن يحدث، فالله لا يتخلّى عن الخاطئين بهذه السهولة. كان يعتقد بأن الله سوف يتركه يعيش ليتذكر حبيبته المسكينة الراحلة لمدة طويلة جداً.

سأله كولتر: "هل أنت بخير يا سيدي؟ سمعت بأنك أُصبت إصابة بالغة في تلك الليلة". توقف لبرهة، ثم تابع كلامه. "الليلة التي توفيت هي فيها".

قال جيفري بشكل بطيء: "أنا بخير. كولتر، هذه الأصوات التي تقول بأنك تسمعها... أنت تعلم بأنها مجرد تخيلات، أليس كذلك؟"

بدا كولتر مصدوماً.

قال كولتر: "تخيلات؟ يا سيدي، بعد قليل ستقول لي بأنك لا تؤمن بالله والحياة الآخرة! لماذا، ألم يرَ دانكان فرومسلي العجوز باترسون بغد يومين من جنازته يشع بلون أبيض براق (قد يكون ذلك صحيحاً بالفعل، فكّر جيفري، وخاصة بعد أن يكون العجوز فرومسلي قد أنهى زجاجته الأخيرة)؟ وألم ترَ نصف البلدة اللعينة الراهب الكاثوليكي العجوز يمشي على حافة شرفات بيت السيد ريدجهيث؟ الأشباح حقيقية مثلك ومثلي يا سيدي، لكنّ هذه الأصوات مخيفة فعلاً، حتى أنني أتحاشى الاقتراب من باحة الكنيسة، وعليّ أن أحفر قبراً لطفل آل رويدمان غداً".

تلا جيفري في داخله دعاءً يلهمه الصبر. كان بالكاد قادراً على كبت رغبته في الصراخ في وجه هذا القندلفت المسكين. فقد كان نائماً بسلام بجانب الموقد مع كتاب على حضنه عندما جاء كولتر وأيقظه... ومع كل ثانية تمر كان يزداد استيقاظاً، ومع كل ثانية تمر كانت تغمره بعمق أكبر غمامة من الكآبة والحزن، لإدراكه بأن حبيبته قد رحلت. لقد دُفنت في قبرها منذ ثلاثة أيام، وسرعان ما سيمرّ أسبوع... شهر... سنة... عشر سنين. كان الحزن مثل صخرة على شاطئ المحيط، والنوم مثل المد الذي يأتي فيغطي صخرة الحزن تلك. لكنه عندما يستيقظ، يبدأ المد بالتراجع فتنكشف الصخرة من جديد، صخرة ستبقى موجودة إلى الأبد، أو حتى يشاء الله أن يزيحها.

وهذا الأحمق يتجرأ ويأتي إلى البيت ويتفوه بكلمات سخيفة حول الأشباح! لكن وجه الرجل بدا تعساً إلى درجة جعلت جيفري يمسك أعصابه.

قال جيفري بهدوء: "الآنسة ميزري - سيادتها - كانت محبوبة جداً".

قال كولتر بحماس: "نعم يا سيدي، بالفعل". ثم نقل قبعته القماشية إلى يده اليسرى وأخرج باليمنى منديلاً أحمر كبيراً. نظف أنفه فيه بنفخة قوية، واغرورقت عيناه بالدموع.

"كلنا نشعر بالأسى لرحيلها". مدّ جيفري يديه إلى قميصه وفرك بطانته القطنية السميكة بقلق.

"أجل، ونحن كذلك يا سيدي، ونحن كذلك".

خرجت كلماته مكتومة من تحت المنديل، لكن جيفري استطاع رؤية عينيه؛ كان الرجل يبكي بصدق فعلاً. فتبدد آخر ما تبقى من غضبه الأناني إشفاقاً عليه.

"كانت سيدة طيبة، يا سيدي، نعم، كانت سيدة عظيمة".

قال جيفري برقة: "أجل، كانت طيبة بالفعل". وخشي من أن دموعه هو نفسه باتت على وشك الانهمار، مثل غيمة داكنة تنذر بهطول أمطار غزيرة في ليلة من ليالي أواخر الصيف. "وفي بعض الأحيان، يا كولتر، عندما يرحل عنا شخص طيب - وخاصة إذا كان عزيزاً علينا جميعاً - فإننا نجد صعوبة في تقبل هذا الأمر. ولذلك فإننا قد نتخيل بأنه لم يرحل. هل تفهمني؟"

ردّ كولتر بحماس: "بالطبع يا سيدي! لكن هذه الأصوات... سيدي، لو أنك سمعتها!"

قال جيفري بصبر: "أي نوع من الأصوات تعني؟"

ظنّ جيفري بأن كولتر سوف يتحدث عن أصوات تشبه صوت حفيف أوراق الأشجار بسبب الرياح، أصوات قام خياله بتضخيمها بالطبع، أو ربما صوت ابن عرس وهو يشق طريقه نحو الجدول الذي يقع خلف ساحة الكنيسة. ولهذا، فهو لم يكن مستعداً لما قاله كولتر حينذاك بصوت هامس ومذعور: "صوت خربشة، يا سيدي! وكأنها ما تزال حية في قبرها وتحاول العودة إلى عالم الأحياء مجدداً، أصدقك القول يا سيدي!"

الفصل الثاني

بعد خمس عشرة دقيقة، عاد جيفري وحيداً. اقترب من الخزانة التي تحتوي على معدات المائدة في غرفة الطعام. كان يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً. أحس وكأنه رجل يمشي في قلب العاصفة. ربما كان سيعتقد بأن الحمى التي توقع الدكتور شاينبون - بفرح تقريباً - بأنها ستصيبه في النهاية قد أصابته بالفعل، إلا أنها لم تكن كذلك، بالرغم من أن وجنتيه اصطبغتا بلون أحمر فاقع وتحولت جبهته إلى لون الشمع، وبالرغم من أن يديه كانتا ترتجفان بشدة إلى درجة أنه كاد يوقع زجاجة الشراب التي أخرجها من الخزانة.

لو كان هناك احتمال - أدنى احتمال -.بأن تكون الفكرة الفظيعة التي غرسها كولتر في عقله صحيحة، فإن عليه ألا يبقى متسمراً هنا أبداً. لكنه أحس بأنه بدون شراب سوف يسقط على الأرض مغشياً عليه.

في تلك اللحظة، قام جيفري بفعل شيء لم يسبق له أن قام به من قبل، ولن يقوم به بعد ذلك أبداً. رفع جيفري زجاجة الشراب إلى فمه وشرب من مقدمة عنقها مباشرة.

ثم همس لنفسه: "سوف نرى بشأن هذا الأمر. سوف نرى بشأن هذا الأمر، ولكنني إذا قمت بهذه المهمة المجنونة واكتشفت في نهاية الأمر بأنها لم تكن سوى تخيلات حفار قبور خرف، أقسم بأنني سوف أعاقب

كولتر اللعين هذا مهما كان يحب ميزري".

الفصل الثالث

ركب عربته وقادها تحت سماء مخيفة، فمع أنها لم تكن قاتمة تماماً بسبب وجود القمر، إلاّ أنه كان يختفي بين الحين والآخر بين طيات الغيوم المتسابقة. رفرف ذيل معطفه بشدة خلفه وهو يحث "ماري" بسوطه على الجري بسرعة أكبر. لكن الفرس العجوز لم تكن مرتاحة للسرعة التي يصر هو على بلوغها، وهو لم يكن مرتاحاً للألم الناشب في كتفه وجنبه... ولكن، لم يكن بالإمكان تجنب هذا الألم بالنسبة لكليهما.

صوت خربشة، يا سيدي! وكأنها ما تزال حية في قبرها وتحاول العودة إلى عالم الأحياء مجدداً!

هذه الجملة بحدّ ذاتها لم تضعه في حالة قريبة من الرعب، لكنه تذكر مجيئه إلى بيت كالثورب في اليوم الذي تلا موت ميزري. نظر هو وإيان إلى بعضهما، ثم حاول إيان أن يبتسم بالرغم من أن عينيه كانتا تلمعان بالدموع مثل جوهرتين ثمينتين.

"كان الأمر سيكون أخف وطأة لو أنها بدت... لو أن علائم الموت بدت عليها أكثر. أعرف كيف يبدو هذا الكلام –"

قال جيفري محاولاً رسم ابتسامة على وجهه: "لا، من المؤكد أن المسؤول عن الدفن قد وضع كل خبرته و –"

صرخ إيان: "المسؤول عن الدفن!" وللمرة الأولى

أحس جيفري بأن صديقه كان على حافة الجنون.
"المسؤول عن الدفن! لم أجلب أي مسؤول عن الدفن ولن أجلب واحداً مثله ليطليها بالمساحيق كما لو كانت دمية!"

"إيان، صديقي العزيز! عليك ألا -" مدّ جيفري يده وكأنه كان يريد أن يربت على كتف إيان فإذا بها تتحول إلى عناق حار. بكى الاثنان بين ذراعي بعضهما مثل الأطفال، وفي ذلك الوقت تماماً استيقظ مولود ميزري - وهو صبي لم يتجاوز عمره يوماً واحداً، ولم يكن قد سُمِّي بعد - وبدأ بالبكاء. فبدأت السيدة راميج - رغم أن قلبها كان يكاد ينفطر من الحزن على فراق سيدتها - تغني له بصوت متكسر والدموع تملأ عينيها.

في ذلك الوقت، وبسبب خشيته على سلامة عقل صديقه، لم يهتم كثيراً بما قاله إيان بقدر اهتمامه بالطريقة التي قال ذلك بها. ولكن الآن، بينما يحث ماري على الجري بسرعة أكبر باتجاه ليتل دانثورب، وبالرغم من الألم الشديد الذي يحس به، الآن فقط عادت تلك الكلمات إليه وخاصة بعد الحكاية التي سمعها من كولتر: لو أن علامات الموت بدت عليها أكثر. لو أن علائم الموت بدت عليها أكثر.

وهذا ليس كل شيء. في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم، ومع بدء مجيء سكان القرية إلى كالثورب هيل من أجل أداء واجب التعزية إلى السيد المفجوع، عاد شاينبون. كان يبدو تعباً، وليس على ما يرام؛ وهذا ليس بمستغرب بالنسبة لرجل ادعى

بأنه صافح ويلينغتون (الدوق الحديدي نفسه) عندما كان (شاينبون، وليس ويلينغتون) صبياً. مع أن جيفري يعتقد بأن قصة ويلينغتون مبالَغ بها على الأرجح، إلا أن شيني العجوز، كما كان هو وإيان يدعوانه عندما كانا طفلين، اعتنى بجيفري في كل الأمراض التي أصابته في طفولته، وحتى في ذلك الحين كان يبدو عجوزاً بالنسبة له؛ رغم أن الأطفال غالباً ما يرون كل من هم فوق الخامسة والعشرين بأنهم كبار في السن. على أي حال، كان جيفري يعتقد بأن شيني يبلغ من العمر، قطعاً، خمسة وسبعين عاماً.

إذاً، فهو كان عجوزاً... وفوق ذلك، أمضى الساعات الأربع والعشرين الماضية في عمل منهك ومريع... ألا يمكن لرجل عجوز ومرهق أن يكون قد ارتكب خطأ ما؟

خطأ فظيع غير معلوم؟

هذه الفكرة بالذات، أكثر من أي فكرة غيرها، هي التي دفعته للخروج في هذه الليلة العاصفة والباردة، تحت قمر يبرز بتردد بين الغيوم من حين لآخر.

ألا يمكن أن يكون قد ارتكب مثل هذا الخطأ؟ جزء منه - ذلك الجزء الجبان منه الذي يفضّل خسارة ميزري إلى الأبد على أن يفكر في النتيجة الحتمية لمثل هذا الخطأ - استبعد هذه الفكرة. ولكن، عندما عاد شيني...

كان جيفري يجلس بجانب إيان، الذي كان يتذكر والألم يعتصر قلبه كيف أنقذ هو وجيفري ميزري من

زنزانات قصر الفايكونت الفرنسي المجنون ليرو، وكيف هربوا بعد ذلك في عربة محملة بالقش، وكيف ألهت ميزري أحد حراس الفايكونت في اللحظة الحاسمة عندما مدت ساقها الجميلة العارية من خلال القش ولوّحت بها برقة لتجذب اهتمامه. ولكن، ألم يكن شيني مشغول البال كثيراً في تلك اللحظات؟ ألم يبدُ عليه التشتت على نحو يثير الاستغراب؟ هل يمكن أن يكون الإرهاق هو السبب فقط، أم ثمة شيء آخر... شك ما...؟

لا. من المؤكد لا، اعترض عقله على ما يفكر به. كانت الفرس تعدو بأقصى سرعتها وهي تصعد هضبة كالثورب هيل. كان بيت المزرعة مظلماً، ولكن - آه، جيد! - ما يزال هناك ضوء وحيد في منزل السيدة راميج.

"هيا يا ماري!" صرخ جيفري، وصفق السوط في الهواء، محفزاً إياها. "لم يبقَ الكثير أيتها الفتاة، وبعدها يمكنك أن تأخذي قسطاً من الراحة".

من المؤكد، من المؤكد أن ما تفكر به غير صحيح!!

لكن تفحّص شيني لأضلاع جيفري وكتفه المخلوع بدا متسرعاً وبدون أي اهتمام حقيقي، كما أنه لم يقل كلمة واحدة لإيان، بالرغم من حزنه الشديد ونحيبه من حين لآخر. لا، لقد قال شيئاً بالفعل، فبعد زيارته القصيرة تلك، سأل شيني: هل هي...؟

قال إيان بصعوبة: "نعم، في صالة الاستقبال. حبيبتي المسكينة ترقد في صالة الاستقبال. قبّلها عني، يا شيني، وقل لها بأنني سأكون معها بعد

قليل!"

عندها انفجر إيان بالبكاء مجدداً. قصد شيني صالة الاستقبال، بعد أن تمتم بكلمة نصف مسموعة من المواساة. بدا الآن لجيفري أن الطبيب العجوز قد بقي هناك لمدة طويلة إلى حدٍّ ما... أو لعل ذاكرته بخصوص هذا الحدث بالذات ناقصة بعض الشيء. لكنه عندما خرج، بدا وكأنه كان فرحاً، وهنا كان جيفري متأكداً من ذاكرته. كان ذلك التعبير غريباً تماماً في غرفة يسودها جو من الحزن والدموع، غرفة علّقت فيها السيدة راميج الستائر الجنائزية السوداء.

تبع جيفري الطبيب العجوز إلى خارج الغرفة وتحدث معه في المطبخ. طلب منه أن يصف مسحوقاً منوّماً لإيان، الذي كان يبدو مريضاً بالفعل.

غير أن شيني بدا مشتت الذهن كلياً، وقال: "إنها لا تشبه حالة الآنسة إيفلين هايد مطلقاً. لقد تحققت من ذلك".

عاد شيني إلى عربته دون أن يرد على سؤال جيفري. دخل جيفري إلى المنزل ثانية، ناسياً تعليق شيني الغريب، عازياً سلوكه الذي لا يقل غرابة عما قاله إلى كبر السن، والتعب، وطريقته الخاصة في الحزن. ثم ركّز اهتمامه مجدداً على إيان، وعقد العزم على أن - لعدم وجود مسحوق منوِّم - يصب الشراب ببساطة في حلقه حتى يغيب عن الوعي.

إنها لا تشبه حالة الآنسة إيفلين هايد مطلقاً. لقد تحققت من ذلك.

تحققت من ماذا؟

لم يكن لدى جيفري أية فكرة عن ذلك، لكنه كان مصمماً على اكتشاف الحقيقة، مهما كانت كلفة ذلك على سلامة عقله، وكان يدرك بأن الكلفة سوف تكون باهظة.

الفصل الرابع

كانت السيدة راميج ما تزال مستيقظة عندما بدأ جيفري بالطرق بقوة على باب المنزل، بالرغم من مضي ساعتين على موعد نومها المعتاد. ومع أنها كانت امرأة من النوع القوي والهادئ، إلا أن الطرق القوي والمفاجئ أجفلها وجعلها تفلت صرخة صغيرة، وتحرق نفسها بالحليب الساخن الذي كانت تصبه من الإبريق في الكوب.

"من يطرق الباب في العاشرة؟" صرخت السيدة راميج من وراء الباب. "أياً تكن فإنني لا أشكرك على التسبب بإحراقي لنفسي!"

"أنا جيفري سيدة راميج! جيفري أليبورتون! افتحي الباب بحق الله!"

فغرت السيدة راميج فمها، واتجهت نحو الباب لكنها توقفت في منتصف الطريق عندما انتبهت إلى أنها كانت ترتدي ثوبها المسائي. لم يسبق لها أن سمعت صوت جيفري على هذا النحو، ولم تكن لتصدق لو أن أحداً قال لها ذلك. لأنه إذا كان هناك رجل في كل إنكلترا يملك قلباً أكثر شجاعة من قلب سيدها

العزيز، فإنه سيكون السيد جيفري. ومع ذلك، فصوته الآن كان يرتجف مثل صوت سيدة على وشك الانهيار.

"لحظة، سيد جيفري! يجب أن أبدّل ثوبي!"

صرخ جيفري: "اللعنة! لا آبه لو كنت عارية تماماً سيدة راميج! افتحي هذا الباب! افتحيه بحق الله!"

توقفت لبرهة فقط ثم اتجهت نحو الباب وسحبت القفل وفتحته بسرعة. تسبب شكل جيفري بما هو أكثر من الصدمة لها، الأمر الذي جعل عقلها يضج بأفكار سوداء مختلفة.

وقف جيفري على عتبة باب مدبرة المنزل بوضعية مائلة غريبة تشبه وضعية بائع متجول التوى ظهره جراء سنوات طويلة من حمل كيس البضائع. كان يضغط بيده اليمنى على جنبه الأيسر. وكان شعره مشعّثاً وعيناه متعبتين. أما لباسه فقد كان مثيراً للانتباه من أول وهلة، قياساً لرجل - متأنق، يمكننا القول - حريص على انتقاء ملابسه بعناية مثل جيفري أليبورتون. فلقد كان يرتدي سترة سموكينغ قديمة مع حزام معوجّ، وقميصاً أبيض مفتوح الياقة، وبنطالاً صوفياً خشناً يناسب حدائقياً متجولاً وليس أغنى رجل في ليتل دانثورب، وينتعل خفّين منزليين باليين.

وبدورها لم تكن السيدة راميج ترتدي ثياب حفلة راقصة، إذ كانت ترتدي ثوبها المنزلي الأبيض الطويل، وتعتمر قبعتها المنزلية المصنوعة من

فراء القندس بأشرطتها الملتفة غير المعقودة، والمنسدلة حول وجهها مثل شراشيب مظلة مصباح. كانت تحدق إليه بقلق متعاظم. كان واضحاً أنه آذى مجدداً أضلاعه التي كسرها قبل ثلاثة أيام عندما ذهب ليأتي بالطبيب، ولكن لم يكن الألم هو الذي جعل عينيه تشتعلان على هذا النحو، بل الرعب؛ الرعب الذي لم يكن بمقدوره السيطرة عليه.

"سيد جيفري! ماذا -"

قال بصوت أجش: "لا أسئلة! ليس الآن، ليس قبل أن تجيبي على سؤال واحد".

"أي سؤال؟" هنا بلغ خوفها حدّه الأقصى. كانت تضع يدها اليسرى مقبوضة بقوة فوق صدرها الكبير.

"هل يعني اسم آنسة إيفلين هايد أي شيء بالنسبة لك؟"

فجأة عرفت سبب ذلك الشعور المرعب الذي كان يقض مضجعها منذ ليلة السبت الفائتة. لا بد أن جزءاً من عقلها فكّر بهذه الفكرة الفظيعة لكنه كبتها داخله، لأنها لم تكن بحاجة لأي إيضاح، فمجرد ذكر اسم تشارلوت إيفلين هايد سيئة الحظ، فقيدة قرية ستوربينغ أون فوركيل التي تقع على مسافة قريبة إلى الغرب من ليتل دنثورب، جعلها تجهش بالبكاء.

"أوه يا الله! أوه يا الله! هل دُفنت حية؟ هل دُفنت حية؟ هل حبيبتي ميزري دُفنت حية؟

وقبل أن يتمكن جيفري من الإجابة، جاء دور

السيدة القوية راميج لتقوم بشيء لم يسبق لها أن قامت به قبل تلك الليلة ولن تفعله ثانية؛ لقد أغمي عليها.

الفصل الخامس

لم يكن لدى جيفري وقت للبحث عن محلول الاستنشاق، وهو على أية حال استبعد أن تحتفظ هذه المرأة القوية بمثل هذه المادة في منزلها. لكنه وجد تحت مغسلتها خرقة تفوح منها رائحة خفيفة لمادة الأمونيا، فمررها تحت أنفها وضغط بها قليلاً أسفل وجهها.

ارتجفت، ثم صرخت، ثم فتحت عينيها. نظرت إليه بحيرة تنم عن عدم إدراك لما يجري حولها، لكن ذلك لم يدم إلا لحظات قليلة، ثم أجلست نفسها.

قالت: "لا، لا سيد جيفري، قل لي بأنك لا تعني ما قلته، قل بأن ذلك غير صحيح -"

"لا أعلم إذا كان ذلك صحيحاً أم لا، ولكن علينا أن نتحقق من الأمر في الحال. في الحال سيدة راميج. لا يمكنني أن أقوم بالحفر لوحدي، وإذا كان لا بد من الحفر فسيتوجب علينا أن نقوم به سوية..." كانت تنظر إليه بعينين مرعوبتين، ويداها مطبقتان بقوة على فمها. "هل يمكنك أن تساعديني، إذا ما احتجت للمساعدة؟ إذ لا يوجد أحد غيرك".

قالت بحذر: "سيدي، سيدي إيان -"

قال جيفري: "ينبغي ألا يُعلم أي شيء حتى نكتشف الأمر!"

"أوه، ذلك فظيع... فظيع!" قالت بصوت مرتجف، ثم أمسكت بالطاولة وجذبت نفسها حتى تمكنت من الوقوف على قدميها، ولكن بترنح.

سألها برقة أكبر: "هل أنت بخير؟ إذا لم تكوني بخير، يجب عليَّ أن أقوم بالأمر لوحدي".

سحبت نفساً عميقاً مرتجفاً ثم زفرته - كان الترنح قد توقف في ذلك الحين - ثم استدارت ومشت نحو مخزن المؤونة. "هناك رفشان في الكوخ خلف المنزل، وفأس أيضاً، حسبما أظن. ضعها في عربتك. لديَّ نصف زجاجة من الجين في مخزن المؤونة. لم يمسها أحد منذ وفاة بيل قبل خمس سنوات من الآن. سأحتسي القليل منه ثم سأنضم إليك سيد جيفري".

"إنك امرأة شجاعة، سيدة راميج. أسرعي".

"لا تخف، أسرع أنت".

الفصل السادس

تحت سحب ما تزال تسابق بعضها وقمر أصبح في ذلك الوقت قابعاً في الأفق، كانت العربة تحث الخطا باتجاه ساحة الكنيسة. كانت السيدة راميج هيَ التي تقود العربة الآن، تصفق السوط فوق ماري المحتارة، التي كانت ستقول لهما - لو أن الأحصنة قادرة على التكلم - بأن ما يفعلانه كان كله خطأ، فمن المفترض أنها كانت نائمة في إسطبلها الدافئ في مثل هذا

الوقت من الليل. كان اصطكاك الرفشين والفأس ببعضها البعض يصدر صوتاً عالياً على نحو مزعج. وكانت السيدة راميج تقول لنفسها بأن لو أحداً رآهما الآن لأصابه الرعب بكل تأكيد، فلا بد أنهما كان يبدوان مثل الأشخاص الذين ينبشون القبور في إحدى روايات ديكينز... أو بالأحرى كشخص ينبش القبور في عربة يقودها شبح، نظراً إلى أنها كانت متشحة بالبياض من الأعلى إلى الأسفل. كان ثوبها الأبيض يرفرف حول كاحليها القويين وأشرطة قبعتها تتطاير بعنف خلفها.

وصلا إلى الكنيسة أخيراً. أدارت السيدة راميج ماري لتصعد الطريق المحاذي لها. واقشعر بدنها من صوت الرياح الذي يشبه صوت الأشباح، فتساءلت في داخلها، لماذا يبدو مكان مقدس مثل الكنيسة مخيفاً بعد حلول الظلام، لكنها أدركت على الفور بأن السبب ليس الكنيسة... بل الرحلة نفسها.

عادت السيدة راميج بذاكرتها إلى حادثة الآنسة إيفلين هايد، فتذكرت بأن السيد جيفري وسيدها لم يكونا في ليتل دانثورب عندما وقعت. حدث ذلك في فصل الربيع، قبل نصف عام تقريباً. كانت ميزري قد دخلت أسعد مراحل حملها - بعد انقضاء فترة الإحساس بالإقياء الصباحي - مع بداية ظهور بطنها وقبل فترة طويلة من الشعور بعدم الارتياح المرافق لذلك. وكانت قد أرسلت الرجلين لقضاء أسبوع في مزرعة أوك هول في دونكاستر في صيد القنبرة ولعب الورق وكرة القدم، وما لا يعلمه إلا الله من الحماقات

الذكورية الأخرى. لم تكن السيدة راميج تخشى على ميزري أبداً، ولكنها، في كل مرة يذهب السيد جيفري وسيدها إلى أوك هول، كانت تتساءل ما إذا كان أحدهما - أو الاثنان معاً - سيرجع محمَّلاً على ظهره في مؤخرة عربة.

كانت مزرعة أوك هول جزءاً من ميراث ألبرت فوسينغتون، رفيق جيفري وإيان من أيام المدرسة. وكانت السيدة راميج تعتقد، عن حق، بأن بيرتي - كما كانوا يدعونه - فوسينغتون كان مجنوناً. فقد أكل قبل ثلاث سنوات حصانه المفضل للعب البولو بعد اضطراره إلى قتله على أثر كسر اثنين من قوائمه. قال بيرتي بأن ذلك كان دلالة على الحب. "تعلّمت ذلك من الزنوج في كيب تاون. الزنوج، يا لهم من رجال رائعين. يضعون أعواداً وأشياء في شفاههم، يا للهول. كان باستطاعة البعض منهم وضع مجلدات خرائط الإبحار الملكية الاثني عشر كلها في شفاههم السفلية، ها ها! لقد علّموني بأن أي رجل يجب أن يأكل الشيء الذي يحبه. إنه أمر شاعري على نحو فظيع، أليس كذلك؟"

بيد أن السيد جيفري وإيان كانا - بالرغم من هذا السلوك الغريب - يكنّان حباً كبيراً لبيرتي (أتساءل ما إذا كان ذلك يعني بأنهما سوف يأكلانه بعد أن يموت؟)

بعد يوم أو يومين لا أكثر، وُجدت الآنسة تشارلوت إيفلين هايد من قرية ستوربينغ أون فيركيل ممددة على المرج الخلفي لبيتها وقد فارقت

الحياة. كانت هناك باقة من الأزهار المقطوفة حديثاً بالقرب من يدها الممدودة. كان طبيب القرية ويُدعى بيلفورد رجلاً قادراً بكل معنى الكلمة، لكنه، مع ذلك، دعا الطبيب العجوز شاينبون لاستشارته. عزا بيلفورد موت الآنسة إيفلين هايد إلى إصابتها بنوبة قلبية مفاجئة، بالرغم من أن الفتاة كانت ما تزال في ريعان الشباب، إذ لم تكن قد تجاوزت التاسعة عشرة من عمرها، لذا كان الرجل في حيرة من أمره.

والعجوز شيني بدوره كان محتاراً، لكنه في نهاية المطاف وافق على تشخيص بيلفورد. وكذلك فعل معظم سكان القرية: قلب الفتاة لم يكن يعمل بشكل جيد، هذا كل ما في الأمر، مثل هذه الأشياء تحدث رغم ندرتها ولا بد أن الجميع يتذكرون وقوع مثل هذه الحالة المأساوية في وقت ما من الماضي. ولعل هذا الاتفاق العام هو الذي أنقذ مهنة بيلفورد - إن لم يكن رأسه - بعد انكشاف الحقيقة الفظيعة. ورغم أن الجميع اتفقوا على أن موت الفتاة مثير للحيرة، ولكن لم يخطر ببال أحد أنها لم تكن ميتة أساساً.

بعد أربعة أيام على الدفن، شاهدت امرأة مسنة تدعى السيدة سوامز - تعرفها السيدة راميج معرفة سطحية - شيئاً أبيض ملقى على أرض مقبرة الكنيسة البروتستانتية عندما دخلتها كي تضع الزهور على قبر زوجها الذي توفي في السنة السابقة. كان الشيء الأبيض أكبر من أن يكون ورقة زهرة ساقطة فاعتقدت بأنه طير ميت. لكنها كلما

اقتربت أكثر كانت تزداد تأكداً من أن الشيء الأبيض لم يكن ملقىً على الأرض بل بارزاً منها. وعندما اقتربت أكثر شاهدت يداً بارزة من قبر حُفر منذ وقت قريب. كانت الأصابع متجمدة على شكل تضرّع يبعث على القشعريرة. وكانت العظام المخططة بالدم بارزة من الأصابع باستثناء الإبهام.

ركضت السيدة سوامز من المقبرة وهي تزعق وتصرخ، ركضت طوال الطريق حتى وصلت إلى الطريق العام لقرية ستوربينغ - مسافة تقرب من ميل وربع الميل - وأبلغت النبأ إلى الحلاق، الذي كان يعمل شرطياً محلياً أيضاً. ثم وقعت على الأرض مغشياً عليها. وُضعت في سريرها لاحقاً ولم تنهض منه لمدة شهر تقريباً.

أُخرجت جثة الآنسة المسكينة إيفلين هايد، بالطبع. عندئذ حث جيفري أليبورتون ماري على التوقف أمام البوابة التي تقود إلى باحة كنيسة ليتل دانثورب، فتمنّت السيدة راميج لو أنها لم تستمع إلى حكايات نبش القبور، فهي كانت مرعبة إلى حدٍّ لا يوصف.

شخّص بيلفورد الحالة بأنها غيبوبة. لا بد أن الفتاة المسكينة وقعت في غيبوبة تشبه الموت على نمط تلك التي يجريها المتصوفون الهنود طوعاً على أنفسهم قبل أن يجعلوا أحداً يدفنهم أحياء أو يُدخلوا إبراً في أجسادهم. ولعلها بقيت في هذه الحالة لمدة ثماني وأربعين ساعة، أو ربما ستين ساعة، أو باختصار، بقيت مدة كافية لتجد نفسها عند استيقاظها ليس على أرض حديقتها الخلفية حيث كانت

تقطف الورود بل مدفونة وهي ما تزال حية.

في تلك الأثناء، كانت السيدة راميج تتبع جيفري عبر بوابات المقبرة في جو من الضباب الخفيف حوَّل علامات القبور المائلة إلى ما يشبه الجُزُر.

كانت الآنسة إيفلين هايد مخطوبة وتستعد للزواج. وفي يدها اليسرى - ليست اليد المتجمدة البارزة من تحت الأرض - كانت تحمل خاتم الخطوبة الماسي الذي شقّت بواسطته بطانة كفنها المصنوع من الحرير، والله يعلم كم من الساعات قضت وهي تستخدمه من أجل اختراق غطاء كفنها الخشبي. وفي النهاية، من الواضح أنها - مع اقتراب نفاد الهواء - استخدمت الخاتم بيدها اليسرى من أجل النبش والحفر ويدها اليمنى لمحاولة الوصول إلى السطح. كانت بشرة وجهها مصبوغة بلون أرجواني غامق وعيناها المنتفختان المسوَّرتان بالدماء تحدقان بتعبير مليء برعب لا حدَّ له.

بدأت ساعة برج الكنيسة تدق معلنة الساعة الثانية عشر - الساعة التي، كما كانت أمها تقول لها، ينفتح فيها قليلاً الباب الفاصل بين الحياة والموت ويمر الأموات عبره في كلا الاتجاهين - وكان ذلك كافياً لجعل السيدة راميج تفكر في الهرب بأقصى سرعتها، رغم أن الهرب لن يخفف من ذعرها بل كان سيشتد مع كل خطوة تخطوها.

امرأة غبية جبانة! وبخت السيدة راميج نفسها، ثم عدّلت ذلك إلى: امرأة غبية، جبانة، أنانية! سيدك هو الذي يجب أن تفكري فيه الآن

وليس مخاوفك!... لو أن هناك فرصة واحدة فقط لأن تكون سيدتي -

آه، لا، من الجنون مجرد التفكير في مثل هذا الأمر. فقد مضى وقت طويل. طويل جداً. طويل جداً.

قادها جيفري إلى شاهدة قبر ميزري - كُتب عليها، السيدة كالثورب - فوقف الاثنان ينظران إليها وكأنهما منوّمان مغناطيسياً. وإضافة إلى تاريخ ميلادها ووفاتها، الشيء الوحيد الذي كُتب على الشاهدة هو: أحبَّها الكثيرون.

نظرت إلى جيفري وقالت له، كمن استيقظ لتوه من غفوة عميقة: "لم تجلب الأدوات".

"لا، ليس بعد". أجابها ورمى نفسه على الأرض بكامل طوله ثم وضع أذنه على الأرض، التي بدأت تغطيها البراعم الأولى للعشب الجديد بعد نزع الغطاء العشبي القديم بفعل الحفر.

للوهلة الأولى، كان التعبير الوحيد الذي شاهدته تحت ضوء المصباح الذي كانت تحمله هو نفس التعبير الذي شاهدته على وجهه منذ أن فتحت له الباب؛ نظرة خوف وعذاب. لكن التعبير الجديد كان مزيجاً من الرعب المطلق والأمل غير العقلاني إلى حدٍّ ما.

رفع رأسه ونظر إلى السيدة راميج بعينين مشدوهتين وفم يتحرك. قال بهمس وكأنّ طاقته قد استنزفت كلها: "أعتقد بأنها حية، آه، يا سيدة راميج -"

ثم انبطح من جديد على بطنه وصرخ في الأرض: "ميزري! ميزري! نحن هنا! إننا نعلم! اصمدي!

اصمدي! عَزيزتي!"

وثب على قدميه بسرعة ثم ركض بأقصى ما لديه من قوة نحو العربة، معكّراً بخفّيه الضباب الأرضي الهادئ.

ركعت السيدة راميج على الأرض، كاشفة عن ركبتيها، ثم وضعت بدورها أذنها على الأرض؛ لقد رأت في السابق الأولاد في وضعية مشابهة بالقرب من سكة الحديد في محاولة منهم لسماع صوت القطار القادم. وسمعت بالفعل صوت خربشة واطئة تنبعث من تحت الأرض. لم تكن أصوات حيوان من النوع الذي يعيش في جحر تحت الأرض، بل كانت أصوات أصابع تخدش بيأس في الخشب.

سحبت نفساً عميقاً مرتجفاً، وكأنها كانت تعيد العمل إلى قلبها من جديد، ثم زعقت: "إننا قادمون! سيدتي! الحمد لله والشكر لله لقدومنا في الوقت المناسب. إننا قادمون!"

بدأت تنبش التربة بأصابعها المرتجفة. ورغم أن جيفري أتى بسرعة كبيرة، إلا أنها كانت في ذلك الحين قد حفرت حفرة يبلغ عمقها حوالى ربع متر.

7

كان بول قد انتهى من كتابة تسع صفحات من الفصل السابع – تمكن جيفري والسيدة راميج من إخراج ميزري من قبرها في اللحظة الحاسمة ليكتشفا بأنها لم تعرفهما ولم تعرف نفسها أيضاً – عندما دخلت آني إلى الغرفة. هذه المرة سمعها وهي تدخل، فتوقف عن الكتابة، آسفاً

على خروجه من عالم الخيال.

كانـــت تمسك بالفصول الستة الأولى إلى جانب تنورتها. كانت قد أخذتهـــا منه منذ حوالى الساعة، لكنها لم تستغرق في قراءة الصفحات الإحدى والعشرين التي تشكل عدد صفحات هذه الفصول سوى عشرين دقيقة فقط. نظر إليها بتمعن فلاحظ أنها كانت شاحبة قليلاً.

قال بول: "حسناً؟ هل هي منطقية؟"

"أجـــل"، قالـــت بغـــير اكتراث وكأنها كانت قد توصلت إلى هذا الاســـتنتاج مسبقاً؛ وهذا ما كان بول يعتقده أيضاً. "إنها منطقية، وجيدة. ممـــتعة، ولكـــنها مرعـــبة أيضاً! إنها لا تشبه أبداً أياً من كتب *ميزري* الأخـــرى. تلـــك المرأة المسكينة التي قشطت نهايات أصابعها –" هزت رأسها ثم قالت مكررة: "إنها لا تشبه أياً من كتب *ميزري* الأخرى".

إن الرجل الذي كتب تلك الصفحات كان هو نفسه يعيش في حالة ذهنية مرعبة يا عزيزتي، قال بول في داخله.

"هل أتابع الآن؟"

"ســـأقتلك إن لم تفعل!" أجابته مع ابتسامة خفيفة. لم يكن وقع هذا التعلـــيق – الذي كان سيبدو، في ظرف آخر، عادياً تماماً مثل تعليقات على نمط، *تبدو جميلاً جداً اليوم بحيث أود أن آكلك الآن* – عليه عادياً.

مع ذلك، كان هناك شيء أثار اندهاشه بينما كانت تقف عند الباب. كانـــت تبدو وكأنها خائفة قليلاً من الاقتراب منه، وكأنها كانت تظن بأن ثمـــة شيء فيه قد يحرقها. ولم يكن موضوع الدفن قبل الأوان هو الذي جعلهـــا تحس بذلك، بالطبع لا، بل كان الفرق بين محاولته الأولى وهذه المحاولـــة. ففي محاولته الأولى كان يشبه طفلاً في الصف الثامن يكتب موضوعاً عن "كيف أمضيت عطلتك الصيفية؟" لكنّ هذه المحاولة كانت مخـــتلفة تماماً. كان الفرن مشتعلاً. لا يعني ذلك بأن ما كتبه كان مميزاً بشـــكل خاص – صحيح أن القصة كانت ساخنة لكنّ الشخصيات كانت نمطـــية وقابلـــة لتوقع سلوكها – لكنه استطاع هذه المرة على الأقل أن

يولِّد بعض الطاقة، كانت هناك حرارة تنبعث من بين السطور.

لقد أحسست بالحرارة. أعتقد بأنها تخشى الاقتراب أكثر كي لا أحرقها. غمره إحساس بالسعادة وهو يفكر بذلك.

قال بلطف: "حسناً، لن تضطري إلى قتلي يا آني، فأنا أريد أن أستمر. إذن، أعطني إياها؟"

"بالتأكيد". جلبت الصفحات إليه، ووضعتها على اللوح، ثم رجعت بسرعة.

"هل تودين قراءة ما أكتب فصلاً بفصل؟"

ابتسمت آني. "أجل! سيبدو الأمر تقريباً مثل الأفلام المتسلسلة، عندما كنت طفلة!"

"حسناً، ولكنني لا أستطيع أن أعدك بالتشويق في نهاية كل فصل. فالأمر لا يسير على هذا النحو".

قالت بحماس متّقد: "ستكون مشوّقة بالنسبة لي، سأرغب في معرفة ماذا سيجري في الفصل 18 حتى لو انتهى الفصل 17 بميزري وإيان وجيفري يجلسون على مقاعدهم على الشرفة يقرأون الجرائد. أنا منذ هذه اللحظة متشوقة لمعرفة ماذا سيحدث تالياً. لا تخبرني!" أضافت بحزم، وكأن بول عرض عليها أن يفعل ذلك.

قال: "حسناً، أنا في العادة لا أُري عملي لأحد قبل الانتهاء منه كلّياً". ثم ابتسم لها. "ولكن، بما أن هذا الوضع خاص، فسأكون سعيداً بأن أدعك تقرأين ما أكتبه فصلاً بفصل". *وهكذا بدأت ألف ليلة وليلة الخاصة ببول شيلدون*، قال بول في داخله. "ولكنني، أتساءل ما إذا كنت ستقومين بشيء لأجلي؟"

"ماذا؟"

"بأن تملئي أحرف النون الناقصة اللعينة هذه".

أشرق وجهها بابتسامة عريضة. "سيكون ذلك شرفاً لي. سأدعك وحدك الآن".

مشت باتجاه الباب، ثم توقفت هناك مترددة، ثم استدارت. وبخجل عميق ومحرج، قدَّمت له أول اقتراح تحريري لها. "لعلها كانت نحلة".

كان في ذلك الوقت ينظر إلى الورقة المطوية في الآلة الكاتبة، يبحث عن الحفرة. كان يريد أن يعيد ميزري إلى منزل السيدة راميج قبل أن ينتهي هذا اليوم. رفع رأسه ونظر إلى آني ثانية بنفاد صبر أحسن إخفاءه. "عفواً؟"

قالت آني: "نحلة". ثم شاهد الدم يصعد من رقبتها إلى وجنتيها ويصبغهما بلون أحمر قانٍ. وبعد لحظة لاحظ أن أذنيها أصبحتا متوهجتين أيضاً. "هناك شخص من كل اثني عشر شخصاً لديه حساسية لسم النحل. لقد شاهدت الكثير من الحالات من قبل... قبل أن أتقاعد من الخدمة كممرضة. وتظهر الحساسية بأشكال مختلفة. في بعض الأحيان يمكن أن تسبب لسعة نحلة حالة من الغيبوبة... مشابهة لما اعتاد الناس أن يسمونه... أ... داء الجمدة".

بات لونها قرمزياً الآن.

أدار بول الفكرة في رأسه لفترة وجيزة ثم دوَّنها على ورقة بيضاء. نعم، قد تكون نحلة هي السبب في دفن الآنسة المسكينة إيفلين هايد، حتى أنها فكرة منطقية، بما أن الحادثة وقعت في منتصف فصل الربيع، وفي الحديقة أيضاً. لكنه كان قد قرر مسبقاً بأن المصداقية تتعلق بامرأتين دُفنتا حيّتيْن، وميزري ماتت في غرفة نومها. ولا تكمن المشكلة في أن الخريف ليس فصلاً ينشط فيه النحل، بل في ندرة إصابة المرأتين بغيبوبة نتيجة للسعة نحلة، أي في ندرة أن تكون لديهما نفس ردة الفعل التحسسية تجاه لسعات النحل وخاصة إذا لم تكونا مرتبطتين بقرابة دم. فالقارئ الدائم، باعتقاد بول، لن يتقبل فكرة دفن امرأتين – لا قرابة بينهما وتعيشان في قريتين متجاورتين – حيَّتين بسبب لسعة نحلة.

لجأ بول إلى التعابير الملطِّفة التي يستخدمها الكتّاب عادة في أوساط مهنتهم: "إنها محتملة، بالطبع. سآخذها بعين الاعتبار يا آني،

لكنني أملك بعض الأفكار الخاصة بي. قد لا تنسجم معها".

"أوه، أعـــرف ذلك. أنت الكاتب، وليس أنا. إنسَ أنني قلت لك أي شيء. أنا آسفة".

"لا داعي للأس –"

لكن آني لم تسمع ما قاله لأنها كانت قد ذهبت، وكان صوت وقع خطواتهـــا الثقيلة في الممر يوحي بأنها لم تكن تمشي بل بالكاد تركض باتجاه غرفة الاستقبال. كان بول ينظر في الفراغ، قبل أن يحني رأسه؛ ثم تتوسع حدقتاه.

كانت هناك علامة سوداء على جانبي إطار الباب بارتفاع عشرين ســـنتمتراً تقريـــباً عـــن الأرض، فعرف على الفور بأنهما ناتجتان عن احـــتكاك محـــوري الكرســـي المتحرك عندما أرغمه على المرور من الباب. إنها لم تلاحظهما حتى الآن. لقد مضى على ذلك قرابة الأسبوع، وعـــدم تمكنها من رؤيتهما كان أشبه بالمعجزة. ولكن، لن يمضي وقت طويـــل – ربمـــا غـــداً، أو هـــذا المســـاء – حتى تأتي حاملة المكنسة الكهربائية وتكتشف الأمر.

وهي ستفعل.

لم يتمكن بول من كتابة الكثير خلال ما تبقى من اليوم.

كانت الحفرة قد اختفت.

8

فـــي صـــباح اليوم التالي، كان بول جالساً في سريره، متكئاً على كومـــة من الوسائد، يشرب كوباً من القهوة ويحدق في تينك العلامتين، بعين مجرم مذنب رأى لتوه قطعة ثياب ملوثة بالدماء نسي لسببٍ ما أن يـــتخلص مـــنها. فجـــأةً، دخلت آني إلى الغرفة مسرعة. كانت عيناها متسعتين ومنتفختين. وكانت تحمل خرقة لمسح الغبار في يد... وفي اليد

الأخرى، ومما يثير الدهشة والرعب في آن واحد، كانت تحمل أصفاداً.

"ماذا –"

هذا كل ما استطاع أن يقوله. لقد أمسكت به بقوة وسحبته حتى أصبحت جلسته منتصبة، فزعق من الألم الذي انبثق من ساقيه، والذي كان هو الأسوأ منذ أيام. طار فنجان القهوة من يده وتحطم على الأرض. *لا بد أنها رأت العلامتين. لعلها رأتهما منذ وقت طويل.* كانت ذلك هو التفسير الوحيد الذي استطاع الخروج به لهذا التصرف الغريب.

"اسكت أيها الغبي". قالت بصوت هامس ولكن بغضب، ثم أمسكت بيديه ووضعتهما خلف ظهره. وحالما سمع صوت طقطقة الأصفاد، سمع أيضاً صوت سيارة تدخل ممر المنزل.

فتح فمه كي يتكلم أو ربما يزعق ثانية، فإذا بها تحشر الخرقة فيه قبل أن يتمكن من القيام بأي منهما. كان طعم الخرقة مريعاً، اعتقد بأنه آت من سائل التنظيف بلادج أو اندست، أو شيء من هذا القبيل.

"لا تصدر أي صوت". قالت وهي تنحني إليه وتهز بيديها على جانبي رأسه، وخصلات شعرها تداعب جبهتها ووجنتيها. "أحذرك يا بول. إن سمع أحد – أياً يكن هذا الشخص – أي شيء، فسأقتله، أو أقتلهم، وأقتلك، ثم سأقتل نفسي".

ثم عادت إلى وضعية الوقوف. كانت عيناها متورمتين، ووجهها متعرّقاً، وكان هناك بقايا مح بيض على شفتيها.

"تذكّر يا بول".

كان يومئ برأسه، لكنها لم ترَ ذلك، لأنها كانت قد بدأت تركض خارجة من الغرفة.

توقفت سيارة شيفروليه بيل إير قديمة ولكن حوفظ عليها بشكل جيد وراء سيارة آني الشيروكي. سمع بول صوت باب ينفتح في مكان ما بعد غرفة الاستقبال ثم ينغلق بقوة. كان الرجل يبدو في الخامسة والستين من عمره، لكنه قد يكون في العقد الثامن؛ لعله شريك مهم في

مؤسســة محامــاة أو رئيس نصف متقاعد لشركة بناء، لكنه كان أقرب لأن يكون صاحب مزرعة أو مالك عقارات. لربما كان جمهورياً، ولكن ليس من النوع الذي يضع لاصقة بشعار الحزب على مصد سيارته بل من النوع الذي ينتعل حذاءً إيطالياً ذا مقدمة مدببة. أو لا بد أنه موظف محلــي جاء إلى هنا في مهمة رسمية، لأنه من غير المحتمل أن يلتقي رجل مثله بامرأة منعزلة مثل آني ويلكس إلا في إطار مهمة رسمية.

راقــب بــول آنــي وهــي تمشي بخطىً مسرعة باتجاه الطريق الفرعــي، لــيس بقصد مقابلته بل بهدف اعتراض سبيله. هنا بدا الأمر وكــأن تخــيلاته الســابقة قد تحققت. لم يكن شرطياً ولكن موظفاً ما. موظف جاء إلى منزل آني، ومجيئه لن يقدم شيئاً لبول باستثناء تقصير عمره.

لمــاذا لا تدعينه إلى الداخل يا آنـي؟ فكّر في داخله، محاولاً عدم الاختــناق بالخــرقة المغبرّة. *لماذا لا تدعينه إلى الداخل وتريه طيرك الإفريقـي؟*

كانــت تتكلم حتى قبل أن تصل إليه، وكان نفَسها يخرج من فمها بأشــكال تشــبه البالونات في أفلام الكارتون ولكن بدون كلمات مكتوبة داخلهــا. مدَّ يداً ترتدي قفازاً جلدياً أنيقاً فنظرت إليها باحتقار لبرهة، ثم بــدأت تلــوح بإصــبعها في وجهه، وازداد عدد تلك البالونات البيضاء الفارغــة المتصاعدة من فمها. ثم انتهت بالتصارع مع معطفها من أجل رفع السحّاب.

مــدّ الــرجل يــده إلى جيب سترته وأخرج ورقة ثم أراها إياها بطــريقة شــبه اعتذارية. مشت أمامه على الطريق الفرعي، وكانت ما تــزال تــتكلم، إلــى أن ابتعدا عن مجال رؤيته. كان باستطاعته رؤية ظليهما على الثلج، ولكن ليس أكثر. وعرف بأنها فعلت ذلك عن قصد. لأنــه إذا لــم يكن باستطاعة بول أن يراهما، فهذا يعني بأن الرجل لن يتمكن من رؤيته إذا خطر بباله أن ينظر عبر نافذة غرفة الضيوف.

بقي الظلان على الثلج المتكوم على الطريق الفرعي الموصل إلى منزل آني والآخذ في الذوبان حوالى خمس دقائق بدت طويلة جداً بالنسبة لبول. فجأةً، وصل إلى مسامعه لأول مرة منذ خروج آني صوتها وهي تصرخ بغضب مهددة السيد رانشو غراند. كانت كتفاه تؤلمانه، لكنه اكتشف بأنه لا يستطيع أن يحرك نفسه كي يخفف الألم. لقد ربطت يديه بطريقة ما إلى إطار السرير بعد تقييدهما بالأصفاد.

لكنّ الخرقة كانت أكثر ما كان يزعج بول، فرائحة سائل تلميع المفروشات المقززة التي تفوح منها أحدثت صداعاً في رأسه وجعلته يشعر بالإقياء. لكنه حاول التركيز بشدة على مقاومة هذا الشعور. وعندما بدأت جبهته تتصبب بالعرق البارد، عادت آني والسيد رانشو غراند (هكذا دعاه بول) إلى الظهور مجدداً. الآن كانت آني تحمل الورقة بيدها وتمشي وراء الرجل ملوحة بإصبعها من خلف ظهره، والبالونات الكرتونية الفارغة تخرج من فمها. لم يلتفت الرجل إليها. كان وجهه خالياً من أي تعبير، وكأنه كان يتقصد ذلك، لكنّ شفتيه المزمومتين بشدة أوحتا بشيء مما كان يعتمل بداخله. أهو الغضب؟ ربما. أم الكره؟ أجل، ربما كان هذا أقرب إلى حقيقة شعوره.

ركب سيارته وأغلق الباب. الآن، كانت آني تقف بجانب السيارة وتستمر بالتلويح بإصبعها أمام النافذة. تمكّن بول بصعوبة من سماع صوتها: "- تعتقد بأنك ذكي جداً!"

بدأت السيارة بالرجوع ببطء على الطريق الفرعي. وكان السيد رانشو غراند فيما يبدو مصراً على عدم النظر إلى آني المكشرة عن أسنانها.

صرخت آني بصوت أعلى من ذي قبل: *"تعتقد بأنك رجل مهم جداً!"*

فجأة، ركلت آني المصد الأمامي لسيارة السيد رانشو غراند. ركلته بقوة لدرجة أنها أسقطت قطع الثلج المحشورة فوق الدواليب. كان

العجـــوز ينظر من فوق كتفه اليمنى، وهو يوجه السيارة عبر الطريق. في تلك اللحظة، التفت ونظر إليها. بدا وكأنه أُرغم على التخلي عن ذلك الموقف الحيادي الذي حافظ عليه منذ بدء زيارته.

"حسناً، سأقول لك شيئاً أيها الطائر القذر! *الكلاب الصغيرة تذهب إلى الحمام على عجلات كبيرة! ما رأيك بذلك؟ هاه؟*"

علـــى أي حال، مهما كان رأي السيد رانشو غراند بما قالته فهو على ما يبدو لم يكن ينوي إرضاءها، فعاد إلى رسم ذلك التعبير الحيادي على وجهه من جديد. ثم اختفى من نطاق رؤية بول.

وقفـــت آنـــي هـــناك لفترة قصيرة، واضعة يديها منقبضتين على وركـــيها، ثـــم رجعت إلى المنزل بخطوات غاضبة. سمع باب المطبخ ينفتح ثم ينغلق بعنف شديد.

حسناً، *لقد ذهب. السيد رانشو غراند ذهب، ولكن أنا هنا. أجل، أنا هنا.*

9

لكنها هذه المرة لم تصب جام غضبها عليه.

دخلت آني إلى الغرفة. كانت ما تزال مرتدية معطفها، لكن سحَّابه كـــان مفتوحاً الآن. ودون أن تنظر إليه بدأت تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً بخطـــىً سريعة. كانت الورقة ما تزال بيدها، وكانت بين الحين والآخر تهزها أمام أنفها وكأنها كانت توبخ نفسها.

"عشـــرة بالمائـــة زيادة في الضريبة، هذا ما يقوله! متأخرة، كما يقول! حق بالحجز! محامون! دفعات فصلية! مستحقة الدفع! *كوكادودي! كاكا! كاكا بوبي دودي!*"

همهـــم بـــول من خلال الخرقة، لكنها لم تلتفت إليه، وكأنها كانت لوحدها في الغرفة. ثم زادت من سرعة خطواتها، قاطعة الهواء بجسدها

الصـــلب. كان يعتقد بأنها سوف تمزق الورقة إلى قطع صغيرة، لكنها فيما يبدو لم تكن تجرؤ على فعل ذلك.

"*خمسمائة وستة دولارات!*" صرخت ملوحة بالورقة في وجهه هذه المـــرة. ثم انتزعت الخرقة التي كانت تخنقه من فمه، ورمت بها على الأرض. أمـــال رأسه جانباً محاولاً السيطرة على شعوره بالإقياء. كان يشـــعر بـــأن ذراعيه تنفصلان رويداً رويداً عن مفصليهما. "*خمسمائة وستة دولارات وسبعة عشر سنتاً!* إنهم يعلمون بأنني لا أريد أحداً هنا! لقد أخبرتهم، أليس كذلك؟ انظر! *انظر!*"

حاول كبت شعوره بالإقياء من جديد، مصدراً صوت تجشؤ يائس. "إذا تقـــيأت أعتقد بأنك ستضطر إلى الاستلقاء فيه. قال شيئاً عن الحجز على منزلي. ماذا يعني ذلك؟"

قال متذمراً: "الأصفاد..."

قالـــت بـــنفاد صـــبر: "نعم، نعم، تبدو أحياناً مثل طفل". أخرجت المفتاح من جيب تنورتها ثم اقتربت منه ودفعته إلى الجهة اليسرى حتى ارتطم أنفه بأغطية الفراش. صرخ لكنها تجاهلته. صدر صوت خشخشة ثم طقطقة ثم تحررت يداه أخيراً. جلس في سريره لاهثاً، ثم انزلق ببطء علـــى الوســـائد وحرص على أن يمدّ ساقيه بشكل مستقيم. كانت هناك أخاديد شاحبة على معصميه لكنها بدأت تمتلئ باللون الأحمر.

حشرت آني الأصفاد في جيب تنورتها بغير اكتراث، وكأن وجود أصفاد الشرطة في البيوت أمر اعتيادي تماماً، مثل المناديل الورقية أو علاقات الثياب.

ســـألت آني مجدداً: "ما هو الحجز؟ هل هذا يعني بأنهم سيمتلكون منزلي؟ هل هذا هو ما يعنيه؟"

أجاب بول: "لا، إنه يعني..." ثم تنحنح ليصفي حنجرته مما تبقى مـــن طعم الخرقة. لكنها لم تلاحظ بل بقيت واقفة في مكانها تحدق إليه بصـــبر بـــدأ ينفد إلى أن استطاع التكلم من جديد. وبعد قليل، قال بول:

"إنه يعني فقط أنك لا تستطيعين بيعه".

"فقط؟ *فقط؟* لديك فكرة مضحكة عن *فقط*، سيد بول شيلدون. لكنني أعــتقد بــأن مشــاكل أرملة فقيرة مسكينة مثلي غير ذات أهمية كبرى بالنسبة لسيد ذكي وغني مثلك".

"بـــل على العكس من ذلك. أفكر بمشاكلك وكأنها مشاكلي يا آني. لقـــد عنيت فقط أن حق الحجز ليس كثيراً قياساً لما يمكن أن يفعلوه إذا تراكمت الأقساط المستحقة عليك. هل تراكمت؟"

"الأقساط المستحقة؟ أنا أدفع فواتيري. أنا فقط... هذه المرة..."

لقد نسيتِ، أليس كذلك؟ نسيت، تماماً كما تنسين تغيير شهر شباط في ذلك التقويم اللعين. إن نسيان دفع قسط ضريبة المنزل الفصلية أسوأ بكثـــير من نسيان تغيير ورقة الشهر، وأنت غاضبة لأنها المرة الأولى التـــي تنســـين شيئاً بهذه الأهمية. في الحقيقة، إن حالتك تزداد سوءاً يا آنـــي، أليس كذلك؟ تزداد سوءاً مع كل يوم يمر. إن المرضى النفسيين يـــتأقلمون مـــع العـــالم بطـــريقة ما - ولكن بشكل سيئ - وفي بعض الأحـــيان، وأعـــتقد بـــأنك تعرفين ذلك جيداً، إنهم يرحلون عنه بطريقة بشـــعة. ولكـــن، هـــناك خـــط فاصل بين المرض النفسي القابل للتأقلم والمـــرض النفسي غير القابل للتأقلم. وأنت تقتربين شيئاً فشيئاً من هذه الخط الفاصل كل يوم... وجزء منك يعلم ذلك.

قالت بتجهم: "إن وضعك هنا جعلني مشغولة أكثر من رجل بذراع واحدة يقوم بإلصاق ورق الجدران".

فجأة خطرت لـــه فكرة، فكرة جيدة بالفعل. واحتمال أن يكون لهذه الفكرة وقع إيجابي عليها كان كبيراً جداً. قال بصدق وهدوء: "أعلم ذلك، أنـــا مدين لك بحياتي وأنا لم أسبب لك إلا الألم منذ أتيت. لديَّ أربعمائة دولار في محفظتي. أريدك أن تدفعي أقساطك المتأخرة بها".

نظـــرت إلـــيه بشيء من الاضطراب والرضا في آن واحد. "أوه، بول. لا يمكنني أن آخذ مالك".

قال مبتسماً: "إنه ليس لي". وفي داخله كان يفكر: *ما أريده يا آني هو أن تنسي شيئاً من الأشياء التي تنسينها عندما أكون قد حصلت على إحدى سكاكينك، وأنا أكيد بأنني سأتحرك بشكل جيد في استعمالها. سوف تتعذبين بشدة لمدة عشر ثوانٍ قبل أن تعرفي بأنك ميتة.* "إنه لك. سمّه عربوناً إذا شئت". سكت لبرهة، ثم قام بمجازفة محسوبة: "إذا كنت تعتقدين بأنني لا أعلم بأنني كنت سأكون ميتاً لو لم يكن هذا المال لك، فأنت مجنونة".

"بول... لا أعرف..."

"أنا جاد". امتزجت ابتسامته بنفحة صدق ساحرة. "لقد فعلت ما هو أكثر من إنقاذ حياتي، كما تعرفين. لقد أنقذت حياتيْن. فبدونك كانت ميزري ستبقى ممدة في قبرها".

في ذلك الوقت، أصبح وجهها مشرقاً بينما هي تنظر إليه.

"كما أظهرت لي خطأ أساليبي. لقد أعدتني إلى الطريق الصحيح ثانية. ولهذا فإنني مدين لك بأكثر من أربعمائة دولار بكثير. وإذا لم تأخذي هذا المال فإنك سوف تجعلينني أشعر بسوء بالغ".

"حسناً، أنا... حسناً. أنا... أشكرك".

"أنا من يجب أن يشكرك. هل يمكنني أن أرى الورقة؟"

أعطته إياها بدون أي اعتراض. كانت عبارة عن إشعار بدفع ضريبة مستحقة. تفحصها بسرعة ثم أعادها إليها.

"هل تملك مالاً في البنك؟" أبعدت عينيها عن عينيه. "لديَّ مال محفوظ لوقت الحاجة، ولكن ليس في البنك. فأنا لا أؤمن بالبنوك".

"تقول الورقة بأنهم لا يستطيعون تنفيذ الحجز عليك إلا إذا بقيت الضريبة دون دفع حتى الخامس والعشرين من آذار. في أي يوم نحن؟"

حدقت بعبوس في التقويم. "يا الله! ذلك غير صحيح".

نزعت الورقة، فاختفى الولد مع زلاجته. راقب بول ذلك بنوع من الأسف لا معنى له. أظهر شهر آذار جدول ماء مزبد يجري بسرعة

بين ضفتين مغطاتين بالثلوج.

حدقــت فـــي الـــتقويم لفترة قصيرة وكأنها كانت تعاني من قصر النظر ثم قالت: "اليوم هو 25 آذار".

"بالتأكـــيد، لهـــذا السبب جاء الرجل اليوم". *وهو لم يخبرك بأنهم وضـــعوا حجـــزاً علـــى مـــنزلك يا آني، بل كان يخبرك بأنهم سوف يضـــطرون إلى فعل ذلك إذا لم تتمكني من دفع ما يستحق عليك قبل أن تغلق مكاتب البلدة أبوابها هذا المساء. الرجل، في الواقع، كان يحاول أن يقدم لك خدمة.* "ولكن، إذا دفعت هذه الخمسمائة وستة دولارات قبل –"

قاطعـــته بحـــدّة، "وســـبعة عشر سنتاً. لا تنسَ السبعة عشر سنتاً اللعينة".

"حســـناً، ســـبعة عشر سنتاً. إذا دفعت المبلغ قبل أن تغلق مكاتب الـــبلدة هـــذا المســـاء، فلن يكون هناك حجز. إذا كان الناس في البلدة يشعرون اتجاهك كما تقولين، يا آني –"

"إنهم يكرهونني! كلهم ضدي يا بول!"

"– فستكون ضرائبك واحدة من الطرق التي سيحاولون بواسطتها طـــردك من هنا. إن تهديد شخص ما بالحجز لأنه أغفل عن دفع قسط فصـــلي واحـــد أمر غريب إلى حدٍّ كبير. في الواقع، تفوح منه رائحة قذرة. أما إذا أغفلت دفع قسطين فصليين، فإنهم قد يحاولون أخذ منزلك وبـــيعه فـــي المـــزاد العلني. إنها فكرة مجنونة، لكنني أعتقد بأنهم، من الناحية التقنية، يتصرفون ضمن القانون".

قهقهـــت بصوت حاد وعالٍ. "دعهم يحاولون! سأقتل بعضاً منهم! سأكتفي بقول هذا القدر. أجل يا سيدي. أجل يا سيدي!"

قـــال بهـــدوء: "وفي النهاية، سيقتلونك أنت. ولكن، ليس هذا هو المهم".

"وما هو المهم إذن؟"

"آنـــي، ربمـــا هـــناك أشخاص في سايدويندر متأخرين عن دفع

ضرائبهم سنتين أو ثلاث ولا أحد يأخذ منهم منازلهم أو يبيع مفروشاتهم في المزاد العلني في مبنى البلدية. وأسوأ ما يمكن أن يحصل لمثل هؤلاء الأشخاص هو أن يقطعوا عنهم ماء الشرب. لنأخذ مثلاً آل رويدمان". نظر إليها نظرة ماكرة. "هل تظنين بأنهم يدفعون ضرائبهم في وقتها؟"

"أولئك القذرون البيض؟ هه!"

"أعتقد بأنهم يتقصدونك أنت بالذات يا آني". في الحقيقة، هذا ما كان يعتقده بالفعل.

"لن أذهب! سأبقى هنا فقط من أجل إذلالهم! سأبقى هنا وأبصق في أعينهم!"

"هل يمكنك الحصول على مائة وستة دولارات لنضيفها إلى الأربعمائة الموجودة في محفظتي؟"

"أجل". عندها بدأت تشعر بارتياح حذر.

"جيد. إذاً، أقترح عليك أن تدفعي ضريبتهم اللعينة اليوم". *وبينما أنت هناك، سأرى ما يمكنني فعله بتينك العلامتين اللعينتين على الباب. وعندما أنتهي من ذلك، سأرى ما إذا كنت أستطيع الخروج من هنا، يا آني. فقد سئمت قليلاً من ضيافتك.*

أرغم نفسه على الابتسام.

ثم أضاف: "لا بد أن هناك سبعة عشر سنتاً على الأقل داخل طاولة السرير هذه".

10

لآني ويلكس مجموعة من القواعد الغريبة الخاصة بها. فعلى الرغم من أنها أجبرته على الشرب من دلو المسح، ومنعت عنه دواءه حتى أنهكه الألم، وجعلته يحرق النسخة الوحيدة من روايته الجديدة،

وقـيدت يديه، وحشرت خرقة تفوح منها رائحة سائل تلميع المفروشات في فمه، إلا أنها لم تسمح لنفسها بأخذ ماله من محفظته. بل جلبتها إليه – وهي محفظة قديمة بالية من نوع لورد باكستون ما تزال معه منذ أيام الجامعة – ووضعتها في يديه.

كـل بطاقـات التعريف بهويته كانت قد اختفت. في هذا الأمر لم تـتورع عن أخذها دونُ إذن منه. لكنه لم يسألها عنها، إذ اعتقد أن من الحكمة ألا يفعل.

كانـت الأوراق المالية – معظمها من فئة الخمسين دولاراً – ما تزال جديدة. في تلك اللحظة تذكَّر، بوضوح بدا له مثيراً للدهشة ومنذراً بالخطـر فـي آن واحد، نفسه وهو يوقف سيارته الكامارو أمام شباك خدمـة الزبائـن في بنك باولدر قبل يوم من انتهائه من رواية **سيارات سـريعة** ويضع شيكاً بأربعمائة وخمسين دولاراً على الصينيْة. الرجل الـذي قام بذلك كان حراً ومعافى وسعيداً، ولم يكن حكيماً ليقدِّر أياً من هذه الأشياء الرائعة. الرجل الذي قام بذلك نظر إلى الموظفة التي تخدم الزبائـن وهم في سياراتهم بعين مهتمة ومفعمة بالحيوية؛ كانت طويلة، شقراء، ترتدي ثوباً ضيقاً يبرز مفاتنها. وهي بدورها بادلته النظرات... ففكـر في داخله، تُرى ماذا ستقول لو رأته الآن، وقد فقد أربعين رطلاً مـن وزنه وازداد عمره عشر سنوات، وأصبحت ساقاه على هذا النحو المرعب؟

"بول؟"

رفـع رأسـه ونظـر إليها وهو يحمل المال في يده. كان المبلغ أربعمائة وعشرين دولاراً.

"نعم؟"

كانـت تـنظر إليه بتلك النظرة الأمومية المربكة؛ المربكة بسبب الروح الشريرة التي تخفيها وراء تلك النظرة. "هل أنت تبكي يا بول؟"

مسح وجنتيه بيده الفارغة. نعم، كانت هناك بعض القطرات. ابتسم

وسلَّمها المال. "قليلاً. كنت أفكر كم كنت طيبة معي. أعتقد بأن الكثير من الناس لن يفهموا... لكنني أعتقد بأنني أعرف".

لمعت عيناها هي الآن عندما انحنت ولمست شفتيه برقة. شم رائحة شيء ما في نفسها، شيء انبعث من داخلها المظلم والمتعفن، شيء يشبه رائحة أسماك ميتة. كانت الرائحة أسوأ ألف مرة من طعم ورائحة خرقة مسح الغبار. وقد استحضرت إلى ذهنه ذكرى رائحة نفَسها الكريهة (تنفَّس! اللعنة، تنفَّس!) وهي تدخل إلى حلقه مثل ريح قذرة آتية من الجحيم.

انقبضت معدته، لكنه ابتسم لها.

قالت آني: "أحبك عزيزي".

"هل تضعينني في الكرسي المتحرك قبل أن تذهبي من فضلك؟ أريد أن أكتب؟"

"بالطبع". عانقته. "بالطبع يا عزيزي".

11

إن لطافتها لم تشمل ترك باب الغرفة غير مقفول. لكن هذا الأمر لم يكن يمثل مشكلة بالنسبة له. فهو، هذه المرة، لم يعد ذلك النصف مجنون الذي يعاني من الألم ومن أعراض من يقلع عن الإدمان. وإضافة إلى ذلك، فقد قام بجمع أربعة من دبابيس شعرها كما يجمع السنجاب الجوز من أجل الشتاء، وخبأها تحت الفراش مع أقراص الدواء.

عندما تأكد من ذهابها، دحرج الكرسي المتحرك إلى جانب السرير وأخرج الدبابيس، كما أخذ إبريق الماء وعلبة المحارم من فوق طاولة السرير. لم يكن جرُّ الكرسي مع الآلة الكاتبة الجاثمة فوق اللوح أمامه صعباً عليه كثيراً، فذراعاه أصبحتا أكثر قوة من ذي قبل بما لا يقاس.

لعل آني ويلكس ستصاب بالدهشة من قوتهما الآن، وهو كان يأمل بشدة بأن يأتي يوم ليس ببعيد ويرى هذه الدهشة في عينيها.

مـــع أن الـــرويال لم تكن آلة جيدة للكتابة، لكنها كانت أداة نافعة لأداء التمرينات الرياضية بها. وهي كانت السبب في تنامي قوة ذراعيه، إذ كـــان يتحيَّن فرصة خروج آني من الغرفة أثناء جلوسه وراءها كي يبدأ برفعها ثم وضعها عدة مرات. في البداية، أفضل ما كان باستطاعته القيام به هو خمس رفعات. أما الآن فقد أصبح قادراً على رفعها ثماني عشرة أو عشرين مرة بدون توقف. وهذا ليس سيئاً بالنسبة لرجل يزن خمسين رطلاً.

كـــان يعالج القفل بواسطة دبوس واحد ويضع اثنين احتياطيين في فمـــه مـــثل خـــيَّاطة تخيط حاشية ثوب. اعتقد بأنِ الجزء المكسور من الدبـــوس الـــذي كـــان ما يزال قابعاً في مكان ما داخل القفل قد يحبط محاولـــته، لكـــنه كان مخطئاً. فقد وصل على الفور تقريباً إلى الذراع المـــتحرك فـــي القفـــل ودفعه إلى الأعلى ساحباً اللسان معه. ثم تساءل للحظـــة فقـــط مـــا إذا كانت قد وضعت قفلاً ذا مزلاج على الباب من الخارج أيضاً، لكن شكوكه سرعان ما تبددت في الهواء حين دفع الباب فانفتح.

مع أذنين متحفزتين لسماع صوت عودة أولد بيسي – بالرغم من أنه لم يمضِ على ذهابها سوى خمس وأربعين دقيقة – سحب مجموعة مـــن المناديل الورقية ونقعها في إبريق الماء ثم انحنى إلى جانبه الأيمن في وضعية غير مريحة مما تسبب له بانبثاق دفقة شديدة من الألم. لكنه كـــزَّ علـــى أســـنانه متجاهلاً الوجع، وبدأ بمسح العلامة الموجودة على الجانب الأيمن من الباب.

أحس بارتياح عارم عندما رأى العلامة تختفي حالما بدأ بمسحها. يـــبدو أن محوري الكرسي المتحرك لم يخدشا الطلاء، كما كان يخشى، بل احتكّا به فقط.

ابتعد عن الباب، ثم أدار الكرسي بشكل معاكس، ثم أرجعه بشكل خلفي حتى يتمكن من العمل على مسح العلامة الأخرى. وعندما انتهى مـنها عـاد وأدار الكرسي من جديد ثم نظر إلى الباب، محاولاً الرؤية بعينـي آنـي الشكوكيّتين. كانت العلامتان ما تزالان موجودتين ولكن بشكل باهت جداً بحيث بالكاد يمكن ملاحظتهما. فاعتقد بأن ذلك جيد.

دفـع الكرسـي نحو الباب ثم نظر إلى الممر؛ ولكن، مع اختفاء العلامتيـن الآن، لم يعد يشعر بدافع للمضي أكثر، أو التجرؤ أكثر، هذا اليوم. في يوم آخر ربما. نعم.

ما كان يريد فعله في ذلك الوقت هو الكتابة.

أغلق الباب، فبدا صوت طقة القفل عالياً جداً.

إفريقيا.

ذلك الطير أتى من إفريقيا.

ولكـن، عليك ألا تبكي من أجل ذلك الطير يا بولي، لأنه سينسى بعد مرور فترة من الزمن كيف كانت تبدو رائحة السهوب في منتصف الظهيرة، وأصوات الظباء المتجمعة على أطراف بركة الماء، والرائحة الحمضـية الحادة لأشجار الجيكا جيكا في المساحات الشاسعة شمال بيغ رود. بعـد مرور فترة من الزمن، سينسى اللون الأحمر الفاقع الموشح بـاللون الوردي لغياب الشمس خلف جبل كيليمنجارو. بعد مرور فترة مـن الزمن، لن يعرف سوى غيابات الشمس المغلّفة بالضباب في سماء بوسطن، هذا كل ما سيتذكره وكل ما سيريد أن يتذكره. بعد مرور فترة مـن الزمـن، لن يريد أن يعود إلى موطنه مرة أخرى، وإذا ما أعاده شخص ما وحرره هناك، سيجثم في مكان واحد خائفاً ومتألماً من الحنين إلى ذلك المكان الآمن الذي تعوّد عليه، إلى أن يأتي شيء ما ويقتله.

قال بول بصوت مرتجف: "أوه، إفريقيا، اللعنة".

دفع كرسيه وهو يبكي نحو سلة المهملات ودفن مجموعة المناديل الورقية المبللة تحت الأوراق المرمية. ثم أعاد الكرسي إلى جانب النافذة

ووضع ورقة في الآلة الكاتبة.

وبالمناسبة يا بولي، ألم يبرز مصد سيارتك من تحت الثلج بعد؟ هل هو بارز الآن يلمع بفرح تحت الشمس منتظراً مرور شخص ما ليراه بينما أنت قابع هنا تضيّع ما يمكن أن تكون فرصتك الأخيرة؟

نظر بارتياب إلى الورقة البيضاء الموضوعة في الآلة الكاتبة.

لن أتمكن من الكتابة الآن على أية حال، فقد أفسدت هذه الذكرى الأمر.

ولكن، في الواقع، لم يسبق أن تمكّن شيء من إفساد قدرته على الكتابة من قبل. فعلى الرغم من الهشاشة المعروفة للفعل الإبداعي، إلا أنه كان دائماً الشيء الوحيد الأكثر صلابة والأكثر قدرة على التحمّل في حياته، إذ لم يتمكّن شيء أبداً من تلويث ذلك المعين المجنون لأحلامه، سواء أكان شراباً أم مخدرات أم الألم نفسه. وهو التجأ إلى ذلك المعين الآن، مثل حيوان عطش وجد بركة ماء عند مغيب الشمس، وشرب منها؛ أي أنه وجد الحفرة في الورقة وسقط فيها مع الشكر والامتنان. ومع عودة آني إلى البيت في السادسة والربع، كان قد أنجز خمس صفحات تقريباً.

12

خلال الأسابيع الثلاثة التالية، شعر بول بأنه محاط بهدوء كهربائي غريب. كان فمه جافاً على الدوام. والأصوات كانت تبدو عالية جداً. مرت عليه أيام شعر خلالها بأن باستطاعته أن يثني الملاعق بمجرد النظر إليها. وفي أيام أخرى شعر بالرغبة في البكاء بشكل هستيري.

بعيداً عن هذه الحالة، وبعيداً عن الرغبة المجنونة بالحكاك التي كانت تندفع من ساقيه المتماثلتين للشفاء، فقد استمر العمل. وهكذا بدأت كدسة الأوراق الموضوعة على يمين الرويال تصبح أعلى فأعلى. في

السابق، قبل هذه التجربة الغريبة، كان يعتبر كتابة أربع صفحات في اليوم أفضل إنجاز له (أثناء كتابة **سيارات سريعة**، كان الإنجاز اليومي الأقصى له هو ثلاث صفحات – واثنتين في كثير من الأيام – قبل الانطلاقة الختامية السريعة). ولكن، خلال فترة الأسابيع الكهربائية الثلاثة هذه، التي انتهت مع هبوب العاصفة المطرية للخامس عشر من نيسان، كان معدل ما ينجزه بول في اليوم هو اثنتي عشرة صفحة؛ سبع في الصباح وخمس في المساء. ولو أن أحداً ما في حياته السابقة (كان قد بدأ يعتبرها كذلك، حتى دون إدراك منه) أوحى له أنّ باستطاعته العمل بمثل هذه السرعة، لضحك بول بشدة. عندما بدأ المطر بالسقوط، كان قد انتهى من كتابة مائتين وسبع وستين صفحة من *عودة ميزري*. مادة أولى، بالطبع، لكنه راجعها ووجد بأنها كانت ممتازة إلى حدٍّ مثير للدهشة نظراً لكونها مادة أولى.

جزء من السبب في ذلك كان يعود إلى الحياة المستقيمة التي يعيشها. إذ لم يعد يقضي ليالي طويلة مشوشة متنقلاً من مكان إلى آخر، تليها أيام طويلة مشوشة يقضيها في شرب القهوة وعصير البرتقال وابتلاع أقراص الفيتامين B. ولم يعد يستيقظ في اليوم التالي وبجانبه شقراء أو حمراء أتى بها من مكان ما في الليلة السابقة؛ ساقطة تبدو مثل ملكة في منتصف الليل، ومثل عفريتة في العاشرة من صباح اليوم التالي. ولم يعد يشرب السجائر. كان قد طلبها منها مرة واحدة من قبل فقابلته بنظرة سوداوية جعلته يطلب منها على الفور بأن تنسى ما قد طلبه منها. لقد أصبح رجلاً نظيفاً الآن. ليست هناك عادات سيئة (باستثناء إدمانه على الكوديين، بالطبع. لم نقم بأي شيء بهذا الخصوص، أليس كذلك يا بول؟) ولا أمور ملهية. يستيقظ في السابعة. يتناول قرصين من النوفريل مع كوب من العصير. في الثامنة يأتي طعام الفطور، يُقدَّم إلى *المسيو* في سريره. بيضة واحدة، مقلية أو مسلوقة، ثلاث مرات في الأسبوع. حبوب غنية بالألياف في الأيام

الأربعة الباقية. ثم إلى الكرسي المتحرك. وإلى جانب النافذة. يجد الحفرة في الورقة. ويهوي إلى القرن التاسع عشر، حيث كان الرجال رجالاً، والنساء خجولات. ثم وقت الغداء، ثم قيلولة بعد الظهر، والاستيقاظ مجدداً، أحياناً ليعدّل شيئاً ما، وأحياناً أخرى للقراءة وحسب. كان لديها كل ما كتبه سومرست موم (ذات مرة، تساءل بول ما إذا كانت تملك رواية جون فاولز الأولى، لكنه قرر بأنه من الأفضل له ألا يسألها) وكانت تزيد عن عشرين مجلداً تمثل نتاجه الأدبي الكامل، فبدأ بول بشق طريقه عبرها مفتوناً بفهم الرجل الدقيق لقيم الفن القصصي. كان بول قد أقنع نفسه بفكرة أنه لم يعد يستطيع قراءة القصص كما كان يفعل عندما كان طفلاً، فبعد أن أصبح هو نفسه كاتباً لها، اقتصرت حياته على التجارب العملية فقط. لكن سومرست موم أغراه للقراءة من جديد، ومن ثم حوّله إلى طفل من جديد، وكان ذلك رائعاً بالفعل. في الخامسة تأتيه بعشاء خفيف، وفي السابعة تجلب التلفزيون الأبيض والأسود ليشاهدا معاً برنامجي *M*A*S*H* و*WKRP في سينسيناتي*. وعند انتهاء هذين البرنامجين، يعود بول إلى الكتابة. وعندما يفرغ من الكتابة، يجر كرسيه المتحرك ببطء إلى السرير (كان باستطاعته جره بسرعة أكبر، لكنه كان يتقصد ذلك كي لا تعرف آني). عندها تسمعه آني، فتأتي وتضعه في السرير. بووم. فيغط في النوم بسرعة الضوء. واليوم التالي يشبه سابقه تماماً. واليوم الذي يليه. واليوم الذي يليه.

خلال اليومين اللذين تبعا ذهاب آني إلى البلدة كي تدفع فاتورة ضريبتها، حاول بول نسيان إخفاقه في اغتنام ما يمكن أن تكون فرصته الذهبية للنجاة وركّز بدلاً من ذلك على إعادة ميزري إلى بيت السيدة راميج. إن أخذها إلى منزل جيفري ليس مناسباً أبداً، فالخدم – وبالأخص تايلر، كبير خدم جيفري الثرثار – سوف يرون ويتكلمون. كان بحاجة إلى إثبات فقدان الذاكرة الكلي الناتج عن الصدمة التي تلقتها عندما أدركت أنها دُفنت حية. فقدان الذاكرة؟ اللعنة، الساقطة لم يعد

بإمكانها الكلام كثيراً. يا له من أمر مريح، نظراً لثرثرة ميزري الاعتيادية.

إذاً، ما هو الأمر التالي؟ خرجت الساقطة من قبرها، والآن أين القصة اللعينة؟ هل يتوجب على جيفري والسيدة راميج أن يخبرا إيان بأن ميزري كانت ما تزال حية؟ لم يكن بول يظن ذلك، لكنه في الوقت نفسه لم يكن متأكداً.

ليس إيان، فكّر في داخله، بينما كان ينظر إلى الحظيرة في الخارج. *ليس بعد. الطبيب أولاً. ذلك العجوز اللعين مع حرف النون المتكرر في اسمه. شاينبون.*

تفكيره في الطبيب ذكّره بتعليق آني عن لسعات النحل، وهذه لم تكن المرة الأولى. *شخص واحد من كل اثني عشر شخصاً*...

لكنها لن تنفع. امرأتان من عائلتين مختلفتين في بلدتين متجاورتين لديهما نفس الحساسية للسعة النحلة؟

بعد ثلاثة أيام من تخلص آني ويلكس من موقفها الصعب بدفع ضريبتها المتأخرة، كان بول في فراشه في فترة قيلولة بعد الظهر. كان على وشك أن يغفو، فإذا بفكرة تلمع في ذهنه. كانت أشبه بانفجار قنبلة هيدروجينية.

جلس منتصباً في سريره، متجاهلاً دفقة الألم التي أيقظت ساقيه.

"آني!" صرخ بأعلى صوته. *"آني، تعالي إلى هنا!"*

سمع صوت قدميها الثقيلتين وهي تنزل السلم. لم تكن تنزله درجة درجة بل درجتين في كل مرة. كانت عيناها جاحظتين وخائفتين عندما دخلت الغرفة.

"بول! ما الأمر؟ هل تعاني من مغص؟ هل أنت –"

أجابها بول: "لا، لا يا آني، أنا آسف إذا أخفتك، ولكن عليك أن تساعديني كي أصل إلى الكرسي. الفكرة الرائعة! لقد وجدتها!" وأفلتت كلمة بذيئة من فمه دون أن يدرك، لكنها هذه المرة لم تؤثر بها فيما

يبدو، فقد كانت تنظر إليه باحترام وبكثير من الرهبة.

"بالتأكيد يا بول".

وضعته في الكرسي بأسرع ما يمكن. ثم بدأت بجره باتجاه النافذة. هـز بول رأسه بصبر نافد وهو يقول: "إنها لن تأخذ وقتاً طويلاً، لكنها في غاية الأهمية".

"هل هي تتعلق بالكتاب؟"

"إنها الكتاب نفسه. اسكتي. لا تتكلمي معي".

أمسك بقلم حبر، متجاهلاً الآلة الكاتبة (إنه لا يستخدم الآلة الكاتبة أبـداً في كتابة ملاحظاته) وأخذ ورقة وملأها على الفور. ربما لم يكن بإمكان أحد غيره قراءة ما كتب.

كانـتا قريبتين. إنهما نحلتان وقد أثرتا بهما بنفس الطريقة لأنهما كانتا قريبتين. ميزري يتيمة. وإيفلين هايد كانت شقيقة ميزري! أو ربما أخـتها غير الشقيقة. ومن الذي ينتبه أولاً؟ شيني؟ لا. شيني أبله. السيدة ر يمكنها أن تذهب لرؤية شارل. والدة إ. هـ. و –

ثـم خطـرت له فكـرة بـدت رائعة، لأنه رفع رأسه وفغر فمه وجحظت عيناه.

قالت آني بقلق: "بول؟"

قال هامساً: "كانت تعرف. بالطبع كانت تعرف. على الأقل كانت تشك بقوة. ولكن –"

ثم انكب على ملاحظاته ثانية.

السيدة ر تدرك على الفور بأن السيدة إ. هـ. يجب أن تعرف بأن م لهـا صلة بابنتها. نفس الشعر أو أي شيء آخر. تذكّرْ بأن والدة إ.ه. تبدأ بأن تصبح مثل شخصية سحرية. سوف تحتاج لأن تطورها. السيدة ر تـبدأ بإدراك أن السيدة إ.ه. قد تكون تعرف بأن ميزري دُفنت حية!! افـترض بـأن السيدة العجوز اعتقدت بأن ميزري كانت وليدة علاقاتها المتعددة في الماضي و –

وضع القلم على الطاولة ونظر إلى الورقة، ثم أخذ القلم ببطء من جديد وبدأ بكتابة عدة أسطر أخرى.

ثلاث نقاط مهمة:

1. كيف تكون ردة فعل السيدة إ.ه. على شكوك السيدة ر؟

لا بــد أن تكــون إما قاتلة أو خائفة حتى الموت. أفضل أن تكون خائفة لكنني أعتقد بأن آ.و. ستفضل القاتلة. حسناً فلتكن قاتلة.

2. كيف يتعامل إيان مع هذا؟

3. فقدان ذاكرة ميزري.

أوه، هناك شيء آخر يجب النظر بشأنه. هل تكتشف ميزري بأن أمهـــا تكيفت مع احتمال أن تكون ابنتاها دُفنتا حيتين بدلاً من أن تفصح عن الحقيقة؟

لماذا؟

قال بول: "يمكنك أن تعيديني إلى السرير الآن إذا شئت. إذا بدوت مجنوناً، فأنا آسف. كنت منفعلاً".

"لا بأس، بول". كانت ما تزال تشعر بالرهبة.

مــنذ ذلك الحين سار العمل بشكل رائع. كانت آني محقة، فالقصة كانت تتحول لتصبح مرعبة أكثر من كل كتب *ميزري* الأخرى. فلم يكن الفصـــل الأول نجاحاً تحقق بالصدفة بل كان فصلاً ممهداً لما بعده. لكن القصة أيضاً كانت مشغولة بطريقة أكثر غنىً من كتب ميزري الأخرى مــنذ الكــتاب الأول، والشخصــيات أكثر حياة. كانت روايات *ميزري* الــثلاث الأخيرة أكثر بقليل من حكايات مغامرات بسيطة مع قدر كبير مــن الجنس الموصوف بشكل مثير من أجل إرضاء السيدات. وهنا بدأ بــول بــإدراك أن هذه الرواية كُتبت وفق الأسلوب القوطي، ولهذا فهي كانــت تعــتمد علــى الحــبكة أكثر من اعتمادها على الموقف. كانت التحديات متواصلة. فالمسألة لم تعد مجرد *هل يمكنك؟* أن تشرع بكتابة روايـــة جديدة من روايات ميزري، للمرة الأولى منذ سنوات، بل كانت

هـل يمكنك؟ أن تقوم بكذا وكذا كل يوم تقريباً... وقد اكتشف بأنه كان *قادراً* بالفعل.

ثم جاء المطر وتغيرت الأمور.

13

منذ الثامن من نيسان وحتى الرابع عشر منه تمتعا بفترة متواصلة مـن الطقـس الجميل. كانت الشمس مشرقة والسماء صافية وارتفعت درجات الحرارة في بعض الأحيان لتصل إلى منتصف الستينيات. بدأت بقـع بنـية مـن الأرض تظهـر في الحقل وراء حظيرة آني الحمراء الجمـيلة. اختبأ بول وراء عمله وحاول ألا يفكر في سيارته، التي تأخر اكتشـافها مسـبقاً. وكلمـا كانت الكامارو تتسلل خلسة إلى عقله، كان يستدعي على الفور شرطة الدماغ فتبعد الفكرة مكبلة بالأصفاد في يديها وقدمـيها. لكـن المشكلة كانت تكمن في أن هذه الفكرة المزعجة كانت لديهـا طـريقة مـا تمكـنها من الهرب والعودة مرة بعد مرة، بأشكال مخـتلفة. حلـم ذات لـيلة بأن السيد رانشو غراند عاد إلى منزل آني. وخرج من سيارته الشيفروليه بيل إير المعتنى بها جيداً حاملاً بيد جزءاً مـن مصد الكامارو وباليد الأخرى عجلة القيادة فيها. وسألها: *هل هذه الأشياء لك؟*

فاستيقظ بول بحالة ليست جيدة.

مـن جهة أخرى، لم تكن آني بحالة معنوية أفضل مما كانت عليه خـلال ذلـك الأسـبوع المشمس من بداية الربيع. كانت تنظف وتطهو (بالـرغم مـن أن أي شيء كانت تطهوه كان له مذاق صناعي غريب، وكأن السنوات التي قضتها في تناول الأطعمة من كافتيريات المشافي قد أفسـدت أي موهـبة لها في الطهو)، وفي فترة بعد الظهر من كل يوم كانـت تلـف بـول ببطانـية زرقاء ثقيلة وتحشر رأسه في قبعة صيد

خضراء ثم تجره وتضعه على الشرفة الخلفية للمنزل.

في تلك الفترات كان يصطحب معه أحد كتب موم، لكنه نادراً ما كان يقرأه فالوجود خارجاً مرة أخرى كانت تجربة أهم بكثير من السماح لأي شيء آخر بإلهائه عنها. في الغالب كان يجلس وحسب، ويشتم رائحة الهواء البارد المنعش بدلاً من رائحة الغرفة النتنة القليلة الأوكسجين، ويستمع إلى تقطر قطع الثلج المعلقة على حواف السطح، ويراقب انسحاب الظلال ببطء عبر الحقل الثلجي الذائب. وكانت تلك أفضل الأوقات على الإطلاق.

كانت آني تغني بصوتها العالي المعتاد ولكن بدون حس موسيقي. وتضحك مثل طفل لنكت *M*A*S*H* و*WKRP*، وخاصة للنكت الخليعة نسبياً (والتي كانت معظمها تنتمي إلى *WKRP*). وتملأ بدون كلل أحرف n بعد انتهاء بول من كتابة الفصلين التاسع والعاشر.

جاء فجر الخامس عشر عاصفاً وغائماً، وتغيرت آني. ففكَّر بول بأن ذلك ربما كان يرجع إلى انخفاض الضغط الجوي. ولعله كان التفسير الأنسب.

لم تأت بدوائه حتى التاسعة، وعندها كان بأمس الحاجة إليه؛ إلى درجة أنه فكَّر باللجوء إلى مخبئه السري. ولم تحضر مع الدواء طعام الإفطار. عندما دخلت إلى الغرفة كانت آني ما تزال تلبس ثوبها المنزلي الزهري. لاحظ بنوع من الشك وجود علامات حمراء على خديها وذراعيها تشبه علامات ناتجة عن خدش بالأظافر. وشاهد أيضاً بقايا طعام متناثرة على ثوبها المنزلي. كما أنها لم تكن تنتعل إلا فردة واحدة من خفِّها المنزلي. صد – *سلاش صد – سلاش*، هكذا بدا صوت قدميها عندما اقتربت منه. كانت عيناها باهتتين وشعرها معلقاً حول وجهها.

"خذ". رمت القرصين إليه. يداها أيضاً كانتا مليئتين بخطوط مختلطة من مواد مختلفة، حمراء وبنية وبيضاء. لم يعرف ما هي هذه

المـــواد. ولـــم يكـــن متأكداً من أنه يريد أن يعرف. اصطدم القرصان بصـــدره ثم سقطا في حضنه. استدارت لتخرج. صد - *سلاش*، صد - *سلاش*، سد - *سلاش*.

"آني؟"

توقفـــت ولكن لم تستدر. بدت أكبر حجماً بهذه الوضعية، بكتفيها المدوّرتين اللتين ضاق بهما ثوبها الوردي، وشعرها الذي كان يبدو مثل خوذة أُصيبت بضربات عديدة. كانت تشبه امرأة بدائية تنظر من داخل كهفها.

"آني، هل أنت بخير؟"

"لا". قالـــت بـــدون اكتراث، ثم استدارت. نظرت إليه نظرة بليدة وهـــي تقرص شفتها السفلى بين إبهام وسبابة يدها اليمنى. شدت شفتها إلـــى الخارج، ثم لوتها وقرصتها في نفس الوقت. تجمَّع الدم في البداية بيـــن الشـــفة واللثة، ثم تدفق إلى ذقنها. ثم استدارت وغادرت دون أن تتفوه بكلمة واحدة. أغلقت الباب وراءها... وأقفلته. سمع صوت قدميها وهي تمشي بفردة خف واحدة عبر الممر وإلى غرفة الاستقبال. ثم سمع صـــرير كرســـيها المفضـــل عـــندما جلست عليه. ولا شيء آخر. لا تلفـــزيون. ولا غناء. ولا قرقعة صحون أو أوانٍ معدنية. كانت تجلس هناك فقط في حالة غير طبيعية.

ثـــم ســـمع صوتاً. لم يتكرر لكنه كان مميزاً تماماً. كانت صفعة. وصـــفعة قويـــة جداً. وبما أنه كان وحده في تلك الغرفة المقفولة، وهي وحدهـــا هناك، فلست بحاجة لأن تكون شرلوك هولمز لكي تعرف بأنها صـــفعت نفســـها. وكان قد شاهدها منذ قليل تشد شفتها السفلى وتغرز أظافرها القصيرة في لحمها الزهري الحساس.

فجـــأة تذكّر ملاحظة حول المرض العقلي كان قد كتبها في رواية *ميزري* الأولى، حيث جرت معظم الأحداث في مستشفى بيدلام في لندن (وُضعت ميزري هناك بواسطة امرأة غيورة وشريرة ومجنونة). *عندما*

تبدأ شخصية هوسية مكتئبة بالمرور في مرحلة اكتئاب شديد، فإنّ من بين الأعراض التي قد تُظهرها هذه الشخصية عرَض يتمثل في أفعال عقاب ذاتي: صفع، لكم، قرص، حرق الشخص لنفسه بعقب سيجارة، إلخ.

فجأة أحس بخوف شديد.

14

تذكر بول مقالة لإدموند ويلسون يقول فيها إن معيار ووردسورث لكتابة شعر جيد – عواطف جياشة تُستحضَر في وقت هادئ – قد يفيد أيضاً في معظم الروايات الدرامية. ربما كان ذلك صحيحاً. إذ عرف بول في حياته كتّاباً كانوا يجدون استحالة في الكتابة حتى بعد شجار زوجي ثانوي، وهو نفسه كان لا يستطيع الكتابة عندما يكون منزعجاً أو مهموماً. ولكن، ثمة أوقات كان يحصل فيها نوع من التأثير المعاكس، وهي الأوقات التي كان ينكب فيها على العمل ليس فقط لأنه كان ملزماً بإنهائه، بل لأن العمل بحدّ ذاته كان وسيلة للهروب مما كان يزعجه. وهذه الحالات كانت تحدث عادة عندما يكون تصحيح مصدر الإزعاج خارجاً عن إرادته.

وما كان يجري معه في ذلك الوقت هو واحدة من تلك الحالات. فعندما جاءت الساعة الحادية عشرة من ذلك الصباح ولم تأتِ لوضعه في كرسيه، قرر أن يصل إلى الكرسي بنفسه. صحيح أنه لم يكن بمقدوره إنزال الآلة الكاتبة من على رف الموقد، إلا أنه كان يستطيع الكتابة بالقلم. كان متأكداً من قدرته على رفع نفسه والجلوس في الكرسي، وكان يعلم بأن جعل آني تعرف بأنه قادر على ذلك ليست بالفكرة الجيدة على الإطلاق، إلا أنه كان بحاجة إلى هذا *الحل*، اللعنة، فهو لم يكن يستطيع الكتابة وهو ممدّد في السرير.

حــرك نفســه حتى وصل إلى حافة السرير، ثم تأكد من أن كابح الكرســي المــتحرك يثبت الدولابين، ثم أمسك بذراعي الكرسي وجذب نفســه حتى وصل إلى المقعد وجلس. الأمر الوحيد الذي تسبب له بالألم كــان رفــع ساقيه ووضعهما على الدواسات واحدة بعد الأخرى. وبعد ذلك، جر الكرسي إلى النافذة وأخذ مخطوطته.

ســمع خشخشة المفتاح في القفل. فتحت آني الباب ونظرت إليه. كانــت هنالك هالتان سوداوان حول عينيها. وكان خدها الأيمن متورماً، وهــناك مــادة حمراء حول فمها وعلى ذقنها. اعتقد بول لوهلة بأنه دم نــزف من شفتها إلى أن رأى البذور فيها، فعرف بأنه مربّى التوت، أو حشــوة توت، وليس دماً. نظرت إليه ونظر إليها بدوره دون أن يتفوها بأي كلمة. وفي الخارج، بدأت أولى قطرات المطر تبلل النافذة.

قالــت أخــيراً: "إذا كــان باستطاعتك الوصول إلى ذلك الكرسي بنفسك، يا بول، فإنني أعتقد بأنك تستطيع أن تملأ بنفسك حروف النون اللعينة أيضاً".

ثم أغلقت الباب وأقفلته مجدداً. جلس بول ينظر إليه لفترة طويلة، وكــأن هناك شيء ما يراه. كان مذهولاً إلى درجة أنه لم يكن يستطيع القيام بأي شيء آخر.

15

لــم يرَها مرة أخرى حتى آخر بعد الظهر. بعد زيارتها تلك، كان العمل مستحيلاً بالنسبة إليه. قام بمحاولتين عقيمتين، لكنه رمى بالورقة فــي ســلة المهملات واستسلم. فعاد وجر الكرسي إلى جانب السرير. خــلال رفع نفسه من أجل العودة إلى السرير انزلقت إحدى يديه وكان علــى وشــك أن يسقط. فأنزل رجله اليسرى واستند بكامل ثقله عليها. صحيح أنها أنقذته من السقوط إلا أن الألم كان فظيعاً، حيث شعر وكأن

عشرة مسامير انغرزت في عظامه فجأة. صرخ من الوجع، لكنه تجاهل الألـــم ومدّ يديه وتسلق اللوح الرأسي للسرير وأمسك به ثم جذب نفسه حتى وصل إلى السرير، جاراً رجله اليسرى المتوجعة وراءه.

ذلك سوف يأتي بها، سوف ترغب بمعرفة ما إذا كان بول شيلدون قد تحول إلى لوشيانو بافاروتي، أو أن الأمر بدا على هذا النحو.

لكنها لم تأتِ. وهو لم يكن قادراً على تحمل الألم الناشب في رجله اليسرى. فانقلب على بطنه ودس يده عميقاً تحت الفراش ثم أخرج علبة من علب النوفريل. ابتلع قرصين ثم غاب عن الوعي.

عـــندما عـــاد إلى وعيه، اعتقد في البداية بأنه ما يزال يحلم. فما شـــاهده كان شديد الشبه بالحلم، مثل الليلة التي أدخلت فيها قدر الشواء إلـــى الغـــرفة. كانت آني تجلس على طرف سريره، وقد وضعت كأساً مليـــئاً بأقراص النوفريل على الطاولة بجانب السرير. وفي يدها كانت تحمل مصيدة فئران من نوع فيكتور. ولم تكن المصيدة فارغة، بل كان فـــيها فـــأر كبـــير ذو فراء بني مبقّع. المصيدة كسرت ظهر الفأر لكنّ قائمتـــيه الخلفيتيـــن كانتا ما تزالان ترتجفان. وكانت هناك نقط من الدم على شاربه.

لـــم يكن ذلك حلماً. بل مجرد يوم ضائع آخر في بيت الرعب مع آني.

كانـــت رائحـــة نفَسها تشبه رائحة جثة متحللة ملقية بين فضلات طعام متعفنة.

"آني؟" جلس منتصباً، منقّلاً عينيه بينها وبين الفأر. كانت الشمس قـــد اختفت وراء الأفق لكنّ السماء كانت ما تزال زرقاء. والمطر يهطل ويصـــيب بقطـــراته الـــنافذة. وكانـــت الريح تعصف بقوة في الخارج وتضرب المنزل فيهتز تحت وقع ضرباتها ويصدر صريراً وكأنه كان يتألم.

مهما كان الخطب الذي كانت تعاني منه في ذلك الصباح فإنه كان

أســوأ في المساء. بل أسوأ بكثير. أدرك بول في تلك اللحظة بأنه كان يــراها بــدون أقنعتها كلها. كانت تلك آني الحقيقية، آني الداخلية. جلد وجهها، الذي كان يبدو في السابق صلباً إلى درجة مرعبة، أصبح الآن رخواً مثل عجينة لا حياة فيها. وكانت عيناها باهتتين وخاليتين من أي تعبير. وكانت تلبس تنورتها بالمقلوب. وكان هناك المزيد من العلامات الحمــراء على جلدها، والمزيد من الطعام المنثور على ثيابها. وعندما تحركــت انبعثــت روائــح عديدة جداً إلى درجة أن بول لم يتمكن من إحصــائها. وكان أحد كمي بلوزتها منقوعاً بالكامل تقريباً بمادة نصف جافة شبيهة بمرق اللحم.

رفعــت المصــيدة. "إنهم يدخلون إلى القبو عندما تمطر". صأصأ الفــأر الأســير بصــوت ضــعيف، ثم انتفض في الهواء. كانت عيناه السوداوان أكثر حياة بما لا يقاس من عيني آسرته. "أنا أضع المصائد. يجــب علــيَّ فعل ذلك. أمسح الصفيحة بدهن الخنزير. غالباً ما ألتقط ثمانية أو تسعة. أحياناً أجد فئراناً أخرى –"

ثم غابت عن الوجود لمدة ثلاث دقائق تقريباً، حاملة المصيدة في الهواء، حالة مثالية من الشرود الفصامي. كان بول يحدق فيها، ويحدق فــي الفأر وهو يصأصأ ويصارع، فأدرك حينئذ بأن ما كان يعتقده من قــبل وهو أن الأمور لا يمكن أن تصبح أكثر سوءاً كان غير صحيح. غير صحيح أبداً.

وأخــيراً، حالمــا بــدأ يعتقد بأنها رحلت نهائياً إلى عالم النسيان، أنزلت المصيدة وتابعت كلامها وكأنها لم تتوقف أبداً عن الكلام.

"– غرقى في الزاوية. يا للمساكين".

نظرت إلى الفأر وسقطت دمعة على فروه الكثيف.

"مخلوقات مسكينة صغيرة".

أطبقــت إحــدى يديها القويتين على الفأر ثم سحبت النابض باليد الأخرى. تلوّى الفأر بين يدها وحاول أن يعضها. كان صوت صأصأته

ضعيفاً لكنه مريع. ضغط بول براحة يده على فمه.

"كـيف يدق قلبه! كيف يكافح للهرب! كما نفعل نحن يا بول. كما نفعـل نحـن. نعتقد بأننا نعرف الكثير، لكننا في حقيقة الأمر لا نعرف أكـثر مما يعرفه فأر في مصيدة، فأر بظهر مكسور يظن بأنه ما زال يريد أن يعيش".

تحولـت الـيد الممسكة بالفأر إلى قبضة. لم تفقد عيناها نظرتهما البعيدة والخالية من أي تعبير. أراد بول أن يشيح بنظر عن المنظر لكنه لـم يستطع. بدأت الأوتار تبرز من تحت باطن ذراعها. فجأة تدفق الدم من فم الفأر. سمع بول عظامه تتحطم، ثم انغرزت أصابعها الخشنة في جسـده واختفت داخله حتى المفاصل الأولى. تناثر الدم على الأرض. ونتأت عينا المخلوق المسكين.

رمـت الجثة إلى الزاوية ومسحت يدها بغير اكتراث بالشرشف، مخلِّفة بقعاً حمراء طويلة.

"الآن أصبح بسلام". هزت كتفيها ثم ضحكت. "سأحضر بندقيتي يا بول، أتأذن لي؟ لعل العالم الآخر أفضل، للفئران والبشر معاً. ليس ثمة فرق كبير بينهما".

"لـيس قبل أن أنتهي". قال بول، محاولاً انتقاء كلماته بعناية. وهذا الأمر كان في غاية الصعوبة، فهو لم يرها بمثل هذه الحالة البائسة من قبل. هذه هي الحالة التي يصل إليها المكتئبون قبل أن يطلقوا النار على جمـيع أفـراد عائلاتهم، وعلى أنفسهم في النهاية. هذه هي الحالة التي تُلـبس فـيها امـرأة مكتئبة نفسياً طفليها أحسن ما عندهما من ثياب ثم تأخذهما كي تطعمهما البوظة، ثم إلى أقرب جسر، فتحمل طفلاً على كل ذراع وتقفز من فوق الجسر. المكتئبون يقتلون أنفسهم.

إنـنـي أقرب إلى الموت من أي وقت مضى، فكَّر بول في داخله، *لأنها تعني ما تقول. الساقطة تعني ما تقول.*

"مـيزري؟" سألته وكأنها لم تسمع بهذا الاسم من قبل. ولكن كان

هناك بريق غامض قصير في عينيها، أليس كذلك؟ كان يظن ذلك.

"ميزري، أجل". فكَّر ملياً في ما سيقوله وكيف، إذ بدت كل مقاربة ممكـــنة وكأنهـــا مفخخـــة. "أوافـــق على أن العالم مكان قذر في معظم الوقت". ثم أضاف بشكل سخيف: "وخاصة عندما تمطر".

أيها الغبي، توقف عن الثرثرة!

"أعنـــي، لقـــد عانيـــت. الكثير من الألم خلال هذه الأسابيع القليلة الماضية، و –"

"الألم؟" نظرت إليه باحتقار. "أنت لا تعرف ماهو الألم. ليس لديك أدنى فكرة عنه يا بول".

"لا... أعتقد ذلك. ليس بالمقارنة بك".

"ذلك صحيح".

"ولكـــن... أريد أن أنهي هذا الكتاب. أريد أن أرى كيف ستؤول الأمور". ثم توقف لبرهة. "وأريدك أن تبقي وتري ذلك أنت أيضاً. قد لا يتمكـــن الإنســـان من الكتابة إن لم يكن ثمة شخص ليقرأ ما كتب. هل تفهمينني؟"

نظر إلى ذلك الوجه الحجري المريع بقلب مرتجف.

"آني؟ هل تفهمينني؟"

"أجـــل..." تنهدت. "وأنا أيضاً أريد أن أعرف كيف ستنتهي. ذلك الشـــيء الوحـــيد الذي أريد أن أعرفه في هذا العالم، باعتقادي". فجأة، وعلـــى مهل – من الواضح أنها لم تكن مدركة لما كانت تفعله – بدأت تلعـــق دم الفـــأر من على أصابعها. ضغط بول على أسنانه بقوة وقال لنفســـه بـــأن عليه أن يمسك نفسه ولا يتقيأ مكرراً ذلك عدة مرات. "إنه يشبه انتظار نهاية أحد تلك الأفلام المتسلسلة".

تلفتت حولها فجأة، وقد صبغ الدم فمها مثل أحمر الشفاه.

"دعنـــي أعـــرض علـــيك الأمر ثانية يا بول. بإمكاني أن أحضر بندقيتي. بإمكاني أن أنهي كل هذا الأمر لكلينا. أنت لست بالرجل الغبي.

إنك تعلم بأنني لن أدعك ترحل من هنا. كنت تعلم ذلك، أليس كذلك؟"

لا تدع عينيك تترنحان. إذا رأت عينيك تترنحان فستقتلك الآن.

"نعـم. لكـن الحياة تنتهي دائماً في نهاية المطاف، أليس كذلك يا آني؟ في النهاية كلنا نموت".

ارتسم ظل ابتسامة على شفتيها، ثم اقتربت منه ولمست وجهه، بشيء من الحب.

"أظـن بـأنك تفكـر في الهرب. كما يفعل الفأر في المصيدة، أنا متأكدة. لكـنك لـن تهرب يا بول. قد تهرب لو كانت هذه واحدة من قصصك، لكـنها ليست كذلك. لا أستطيع أن أدعك ترحل من هنا... ولكنني قد أرحل معك".

للحظـة، فكّر في أن يقول لها: *حسناً يا آني افعلي ما شئت. لننه هذا الأمر* وحسب. لكنّ حاجته للحياة ورغبته فيها - وكان ما يزال ثمة قدر كبير منهما في داخله - برزتا فجأة وزجرتا ذلك الوهن المؤقت وأبعدتاه.

قال لها: "أشكرك. لكنني أريد أن أنهي ما قد بدأته".

تـنهدت ثـم وقفت. "حسناً، أعتقد بأنني كنت أعرف ذلك مسبقاً بالتأكيد، لأنني كما أرى أحضرت لك بعض أقراص الدواء، بالرغم من أنني لا أذكـر أنني فعلت ذلك". قهقهت بصوت مكتوم وكأن الضحكة خرجت من بطنها. "سأضطر إلى الغياب لفترة. لأنني إذا لم أفعل، فلن يهمني ما أنت وما تريده. لديَّ مكان أقصده حين أشعر على هذا النحو. مكان في الجبال. هل قرأت يوماً قصص أنكل ريموس يا بول؟"

أومأ برأسه.

"هـل تذكـر الأرنب برير يخبر الثعلب برير عن مكان الضحك الخاص به؟"

"أجل".

"هكذا أدعو مكاني في الجبال. مكان الضحك. هل تذكر أنني قلت

لك بأنني كنت عائدة من سايدويندر عندما وجدتك؟"

أومأ برأسه.

"حسناً، كانت تلك كذبة بيضاء. كذبت لأنني لم أكن أعرفك جيداً حينئذ. كنت في الحقيقة قادمة من مكان الضحك الخاص بي. هناك لافتة على الباب كُتب عليها: مكان الضحك الخاص بآني. أحياناً أضحك بالفعل عندما أذهب إلى هناك... لكنني في معظم الأحيان أصرخ وحسب".

"كم ستبقين غائبة؟"

كانت تنظر بشكل حالم إلى الباب. "لا يمكنني أن أخبرك. لقد أحضرت لك الأقراص. ستكون بخير. خذ اثنين كل ست ساعات. أو ستة كل أربع ساعات. أو كلها مرة واحدة".

ولكن، ماذا سآكل؟ أراد أن يطرح عليها هذا السؤال، لكنه لم يفعل. لم يشأ أن يعيد انتباهها إليه. كان يريدها أن تذهب. فبقاؤه هناك معها كان أشبه بالبقاء مع ملاك الموت.

بقي مستلقياً في سريره لفترة طويلة، يصغي إلى تحركاتها، أولاً في الطابق العلوي، ثم على الدرج، ثم في المطبخ، متوقعاً بأن تغير رأيها في أية لحظة وتعود إلى الغرفة حاملة بندقيتها معها بعد كل شيء. حتى أنه لم يحس بالارتياح عندما سمع صوت الباب الجانبي ينغلق ويُقفَل، أتبعه صوت خطواتها في الخارج. فالبندقية يمكن ببساطة أن تكون موضوعة في الشيروكي.

اهتز محرك أولد بيسي ثم دار. داست آني على دواسة البنزين بقوة. ثم اشتغلت الأضواء الأمامية العالية فأُضيئت ستارة فضية لامعة من المطر. ثم بدأت الأضواء تنسحب بشكل تدريجي بينما كانت السيارة ترجع على الطريق الفرعي. ثم استدارت بسرعة، فسادت العتمة المكان من جديد، ثم رحلت آني. هذه المرة لم تأخذ الطريق المنحدر نزولاً، في اتجاه سايدويندر، بل أخذت الطريق المتجه إلى الجبال.

قال بول بصوت أجش: "ذاهبة إلى مكان الضحك الخاص بها". ثم بدأ هو نفسه بالضحك. كانت تملك مكان الضحك الخاص بها، وهو كان يملك مكان الضحك الخاص به. لكن فورة الضحك المجنونة هذه انتهت عندما نظر إلى جثة الفأر المشوهة الملقية في الزاوية.

ثم خطرت له فكرة.

"من قال بأنها لم تترك لي أي شيء لآكله؟" سأل الغرفة ثم ضحك، هذه المرة بقوة أكبر. في البيت الفارغ، بدا مكان الضحك الخاص ببول شيلدون أشبه بغرفة شخص مجنون في مستشفى للمجانين.

16

بعـــد ساعتين، فتح بول قفل غرفة النوم مرة أخرى وللمرة الثانية أرغـــم الكرســـي علـــى المرور من الباب. كان يأمل بأن تكون المرة الأخـــيرة. كانت هناك بطانيتان على حضنه. وكل الأقراص التي خبأها تحـــت الفراش كانت ملفوفة في منديل ورقي وموضوعة تحت سرواله الداخلـــي. كان مصمماً على الخروج من البيت إن استطاع ذلك، سواء أكـــان هـــناك مطـــر أم لـــم يكن. تلك فرصته وسيستغلها هذه المرة. ســـايدويندر تقـــع فـــي اتجاه المنحدر والطريق ستكون زلقة في المطر والظلمـــة حالكة، لكنه كان مصمماً على المحاولة مهما كانت الظروف. صحيح أنه لم يعش حياة بطل ولا قديس، لكنه لن يسمح بأن يموت مثل طير غريب الشكل في حديقة للحيوانات.

تذكّـــر بشـــكل غير واضح ليلة أمضاها وهو يحتسي الشراب مع كاتـــب مسرحي كئيب يُدعى بيرنشتاين في مكان يُدعى رأس الأسد في مديـــنة فيلـــيج (ولو قُدِّر لـــه أن يعيش ليرى مدينة فيليج ثانية فسيركع على ما سيتبقى من ركبتيه ويقبّل رصيف شارع كريستوفر). خلال تلك الجلســـة، تحول الحديث إلى اليهود الذين كانوا يعيشون في ألمانيا خلال

السنوات الأربع أو الخمس الصعبة قبل أن يجتاح الجيش الألماني بولندا وتبدأ الجفلات المرعبة بشكل جدي. تذكر بول أنه أخبر بيرنشتاين، الذي فقد عمته وجده في أعمال العنف التي نفّذها النازيون، بأنه لم يكن يفهم لماذا لم يغادر يهود ألمانيا – اللعنة، بل يهود أوروبا كلها، ولكن بشكل خاص في ألمانيا – البلد عندما كانت ما تزال لديهم فرصة. بيد أن أغلبهم لم يرحلوا، الأغبياء، والكثير منهم اختبروا بأنفسهم ذلك النوع من الاضطهاد. من المؤكد أنهم كانوا يعرفون ما سيصيبهم. فلماذا إذاً بقوا هناك؟

صعقه جواب بيرنشتاين لسخافته وقساوته وصعوبة فهمه معاً: *معظمهم كانوا يملكون أجهزة بيانو. نحن اليهود متحيزون جداً للبيانو. عندما تملك بيانو، يصبح التفكير في الرحيل أكثر صعوبة.*

الآن فهم. نعم. في البداية كانت ساقاه المكسورتان وحوضه المهشم هما العائق الأساسي. ثم بدأ الكتاب. وفيما يبدو، فقد كان مستمتعاً به على نحو غير عقلاني. بالطبع، من السهولة بمكان إلقاء اللوم على العظام المكسورة والإدمان، لكن الكتاب كان في واقع الأمر هو السبب الرئيس. وهذه الأشياء كلها كانت تمثل البيانو الخاص به. وماذا ستفعل إذا جاءت من مكان الضحك ووجدت أنه قد غادر المنزل؟ ستحرق مخطوطة الكتاب؟

قال بول: "لا أبالي نهائياً". وقد كان صادقاً في ما يقوله. لأنه إذا قُدِّر له أن يعيش، فسيؤلف كتاباً آخر؛ بل إنه يستطيع إعادة تأليف هذا الكتاب نفسه إذا شاء. لكن الميت لن يستطيع تأليف كتاب ولا شراء بيانو جديد.

ذهب إلى غرفة الاستقبال. عندما شاهدها في المرة السابقة كانت مرتبة، لكنها الآن مليئة بأكداس من الصحون المنتشرة في كل الأمكنة. من الواضح أن آني لم تكن تصفع أو تقرص نفسها فقط عندما تكون مكتئبة. يبدو أنها كانت تلتهم الطعام أيضاً، ولم تكن تهتم بالتنظيف بعده. تذكّر الهواء النتن الذي تدفق عبر حنجرته خلال غيبوبته فانقبضت

معدتــه من القرف. معظم بقايا الطعام كانت من الحلويات. كانت هناك بقايـــا جافة أو نصف جافة من البوظة تملأ العديد من الطاسات المكورة وصـــحون الحساء. وهناك أيضاً فتات كعك وقطع من الفطائر المدهونة بمـــادة مـــا. وكانت هناك كمية كبيرة من هلام الليمون المغطى بطبقة لامعة من الكريما المخفوقة فوق التلفزيون وإلى جانبه قنينة بيبسي سعة لترين وصحناً ملوثاً بمرق اللحم. كانت قنينة البيبسي ملطخة ببقع باهتة أفقدتها شفافيتها، فخمَّن بأن آني كانت تشرب منها مباشرة، وأن أصابعها كانـــت ملوثة بالبوظة أو مرق اللحم أثناء قيامها بذلك. تذكَّر بأنه لم يكن يســمع صــوت قــرقعة أوانٍ معدنــية، فعرف الآن السبب، لأنها غير موجــودة أصلاً. كما شاهد قطرات جافة - معظمها من البوظة - على الحصيرة والأريكة.

هــذا ما شاهدته على ثوبها. هذه هي المواد التي كانت تأكلها. من هــنا جاءت رائحة نفَسها المقرفة. عادت صورة آني كامرأة بدائية إلى ذهــنه، فتخــيلها تجلس هنا وتغرف البوظة أو تصب طاسة بحجم اليد مليــئة بحســاء الدجاج نصف المختر في فمها، تليها جرعة ضخمة من البيبسي. تشرب وتأكل وهي غارقة في حالة اكتئابية حادة.

كــان البطريق الخزفي القابع على قاعدته الثلجية ما يزال موجوداً علـــى طاولة التحف، لكن العديد من القطع الخزفية الأخرى كانت ملقاة في الزاوية، حيث تبعثرت شظاياها في المكان.

تذكــر أصـــابعها وهـــي تخترق جسد الفأر. والبقع الحمراء على الشرشف. وكيف لعقت الدم من على أصابعها بشرود وكأنها كانت تلعق البوظة. صحيح أن هذه الصور كانت مرعبة، إلا أنها كانت دافعاً رائعاً للإسراع.

كانت الأزهار الجافة الموضوعة على طاولة القهوة مقلوبة. وتحت الطاولـــة، كـــان هناك صحن من حلوى الكاسترد وكتاب كبير بعنوان طريق الذاكرة. *إن التجوال في طريق الذاكرة عندما تشعرين بالاكتئاب*

ليس فكرة جيدة يا آني، لكنني أعتقد بأنك أصبحت تعرفين ذلك في هذه المرحلة من حياتك.

دفع كرسيه عبر الغرفة. كان المطبخ أمامه مباشرة، وعلى الجانب الأيمن ممر قصير يؤدي إلى الباب الأمامي. وبجانب الممر سلم يفضي إلى الطابق العلوي. ألقى نظرة سريعة إلى السلم فشاهد قطرات من البوظة على بعض الدرجات المفروشة بنوع من السجاد ولطخات لامعة على الدرابزين. اتجه بول نحو الباب. كان يعتقد بأنه إذا كان هناك من طريق للخروج من هنا، فسيكون عبر باب المطبخ – الذي كانت تستخدمه آني عند خروجها لإطعام الحيوانات، والذي خرجت منه راكضة عندما أتى السيد رانشو غراند – ولكن كان يتوجب عليه أن يتفحص هذا الباب أولاً، علّه يجد مفاجأة ما.

لكنه لم يجد شيئاً.

كان سلم المدخل شديد الانحدار كما كان يخشى، ولكن حتى لو كان هناك مسار مخصص للكرسي المتحرك (وهو احتمال لم يكن ليقبله في لعبة "هل يمكنك؟" حتى لو اقترحه صديق له)، فلن يكون باستطاعته استخدامه، لأن الباب كان معززاً بثلاثة أقفال. قفل الشرطة يمكنه التعامل معه، لكنّ القفلين الآخرين كانا من نوع كريغز، أفضل أنواع الأقفال في العالم، بحسب كلام صديقه الشرطي السابق توم تويفورد.

عاد أدراجه عبر الممر، مقاوماً الذعر الذي نشب في روحه، ومذكراً نفسه بأنه لم يكن يتوقع الكثير من الباب الأمامي أصلاً. وعندما وصل إلى صالة الاستقبال أدار الكرسي ودخل إلى المطبخ. كانت غرفة قديمة الطراز، أرضيتها مفروشة بغطاء لماع، وسقفها مصنوع من الصفيح المضغوط. الثلاجة قديمة لكن صوتها هادئ. وعلى بابها أُلصقت ثلاث قطع من المغناطيس، وليس مستغرباً أن كلها كانت على شكل قطع من المأكولات الحلوة: قطعة من العلكة، قضيب من الشوكولاته من ماركة هيرشي، لفافة توتسي. كان أحد أبواب الخزائن

مفـــتوحاً فرأى أن رفوفها كانت مغلفة بمشمَّع أنيق. وكانت هناك نوافذ كبيرة فوق حوض غسل الأطباق تسمح بدخول الكثير من الضوء حتى في الأيام الغائمة. كان يُفترض بهذا المطبخ أن يكون باعثاً على البهجة والارتياح، إلا أنه لم يكن كذلك في واقع الأمر. فقد كانت حاوية القمامة المفـــتوحة ملأى عن آخرها بالفضلات حتى أن بعضاً منها كان منثوراً علـــى الأرض. وكانـــت تفـــوح منها رائحة طعام فاسد، لكنها لم تكن الـــرائحة الأسوأ على أية حال، فالغرفة كانت عبقة برائحة آني ويلكس. ومـــع أن معظـــم تلـــك الرائحة كانت موجودة في ذهنه، إلا أنها كانت محسوسة بالفعل.

كـــان هـــناك ثلاثة أبواب في المطبخ. اثنان على يساره، وواحد مقابله تماماً بين الثلاجة ومخزن المؤونة.

اتجه إلى البابين الواقعين إلى يساره أولاً. أحدهما كان باب خزانة المطـــبخ؛ عرف ذلك حتى قبل أن يشاهد المعاطف والقبعات والأوشحة والأحذيـــة، وذلـــك من خلال صرير المفاصل العالي. الباب الآخر كان الـــباب الذي تستخدمه آني للخروج. هناك أيضاً قفل شرطة وقفلان من نـــوع كريغـــز. آل رويدمان، ابقوا في الخارج. وأنت يا بول، ابقَ في الداخل.

تخيلها تضحك.

"أيتها الساقطة اللعينة!" ضرب بقبضة يده على جانب الباب، فآلمته يـــده، فوضـــعها بين أسنانه وضغط عليها. انزعج من لسع الدموع في عينـــيه، ومـــن ازدواج الرؤية عندما رمش بهما، ولكن لم تكن بيده أي حيلة. فالذعر قد تملَّكه بقوة أكبر الآن، فبدأ يسأل نفسه ماذا سيفعل الآن، ماذا سيفعل الآن، قد تكون هذه هي فرصته الأخيرة –

مـــا ســـأفعله الآن هـــو القيام بتقييم شامل لهذا الوضع. قال لنفسه بجديـــة. *لـــو أنك تستطيع البقاء هادئاً لفترة أطول بقليل، هذا كل ما فـــي الأمر. هل تعتقد بأنك قادر على فعل ذلك، أيها الجبان اللعين؟*

مســح عينيه – فالبكاء لن يخرجه مما هو فيه – ونظر عبر نافذة الــباب التي تشكل نصفه العلوي. في الواقع، إنها ليست نافذة واحدة بل ســت عشرة نافذة صغيرة. بالطبع، كان بإمكانه تحطيم الزجاج في كل واحدة منها، ولكن كان عليه أيضاً أن يحطم العوارض الخشبية الفاصلة بيــنها، وقد يستغرق ذلك ساعات بدون منشار، لأنها كانت تبدو قوية. ومــاذا بعدئــذ؟ سقوط كاميكازي على المدخل الخلفي؟ يا لها من فكرة رائعــة. قد يكسر ظهره، وهذا سيفصل عقله عن ساقيه لبعض الوقت. ولــن يطــول استلقاؤه في الخارج تحت المطر القوي حتى يموت من البرد. وذلك سيضع حدّاً لكل معاناته.

مستحيل. مستحيل. قد أموت، نعم، ولكن أقسم بأنني لن أموت قبل أن أظهــر لمعجبتي الأولى كم استمتعت بمعرفتها. وهذا ليس وعداً، بل قسَم مقدس.

هدّأت فكرة الانتقام من آني الذعر الذي كان يسكن روحه أكثر من كــل كلمــات التوبيخ التي كان يكيلها لنفسه. والآن، بعد أن أصبح أكثر هــدوءاً، ضــغط على المفتاح الكهربائي بجانب الباب المقفول فاشتعل ضــوء في الخارج، وكان ذلك مناسباً، لأن الشمس كانت قد غابت كلياً حينــئذ. كان الطريق الفرعي مغطىً بالمياه، وتحولت الأرض المحيطة بالمنزل إلى مستنقع من الوحل وبرك من المياه الراكدة وبقع ثلج ذائب. وعــن طــريق إزاحــة الكرسي إلى يسار الباب بقليل، استطاع رؤية الطــريق العــام لأول مرة. كان طريقاً أسفلتياً عادياً مؤلفاً من مسارين ويقــع بين ضفتين ثلجيتين آخذتين بالذوبان، تغطيه مياه الأمطار والمياه الناتجة عن ذوبان الثلج.

لعلهــا أقفلت الأبواب كي لا يدخل آل رويدمان، ولكن من المؤكد أنهــا لم تقفلها كي تمنعني من الخروج، لأنني إذا خرجت بهذا الكرسي المــتحرك فسيغطس حتى أغطية محوريه خلال خمس ثوان. لن تذهب إلــى أي مكان يا بول. ليس الليلة، وربما ليس قبل عدة أسابيع. تحتاج

الأرض إلـــى شـــهر كي تعود صلبة من جديد، إلا إذا أردت أن تحطم النافذة وتخرج منها بدون الكرسي وتزحف.

بالطـــبع، هو لم يكن يريد أن يفعل ذلك. فقد كان سهلاً عليه تخيُّل كـــيف ستتشـــعر عظامـــه المهشمة بعد عشر أو خمس عشرة دقيقة من الزحف والتلوّي في البرك الباردة مثل يرقة تحتضر. وحتى إذا افترض أنـــه تمكّـــن مـــن الوصول إلى الطريق العام، فما هي احتمالات مرور سيارة عابرة؟ فالسيارتان الوحيدتان اللتان سمعهما هنا، إضافة إلى أولد بيسي، هما سيارة السيد رانشو غراند والسيارة التي أخافته عند عبورها بجانب المنزل في أول فرار له من غرفته.

أطفـــأ الضوء الخارجي ثم عبر باتجاه الباب الآخر الذي يقع بين الـــثلاجة ومخزن المؤونة. كان هناك ثلاثة أقفال على هذا الباب أيضاً، ولم يكن يُفتَح من الخارج، علاوة على ذلك. وجد بول مفتاحاً كهربائياً، فضـــغط علـــيه، فشاهد غرفة إضافية أنيقة تمتد على طول المنزل من الجهـــة المقابلة للرياح. يوجد عند أحد طرفيها كومة من الخشب وجذع للتقطـــيع مع فأس منغرز فيه. وعند الطرف الآخر، كانت هناك طاولة للعمل مع عدّة شغل معلقة على علاقات. وإلى يسار الطاولة كان هناك بـــاب آخر. ومع أن المصباح الكهربائي لم يكن قوياً جداً، إلا أن ضوءه كان كافياً لكي يرى قفل شرطة آخر وقفلين آخرين من نوع كريغز على ذلك الباب أيضاً.

بعد يأسه من الأبواب، دفع كرسيه باتجاه مخزن المؤونة. وقبل أن يـــنظر إلـــى الطعام المخزن على الرفوف، نظر إلى علب الثقاب. كان هـــناك صـــندوقان من أعواد الثقاب الورقية، التي تُفتَح كالكتاب، وعلى الأقـــل أربعـــاً وعشـــرين علبة من نوع دايمند بلو تيبس، مكدسة فوق بعضها البعض بشكل مرتب.

لوهلة، فكّر في إشعال النار بالمكان، ثم رفض الفكرة معتبراً إياها الأكثر سخفاً على الإطلاق. لكنه شاهد شيئاً جعله يعيد التفكير في الأمر

قليلاً. كان هناك باب آخر، ولم يكن ثمة أقفال عليه.

فتح بول الباب فرأى سلّماً متعرجاً قديماً يفضي إلى القبو. انبعثت من المكان المظلم رائحة رطوبة وخضراوات متعفنة أثارت الاشمئزاز في نفسه. سمع أصوات صأصأة واطئة فتذكّر كلامها: *إنهم يدخلون إلى القبو عندما تمطر. أنا أضع المصائد. يجب عليَّ فعل ذلك.*

أغلق الباب بسرعة. انسابت قطرة عرق من جبينه ودخلت إلى زاوية عينه اليمنى محرقةً إياها، فمسحها بمفصل إصبعه من الخارج. عادت فكرة إحراق المكان لتداعب عقله مجدداً، فبعد علمه بأمر القبو؛ بدت إليه معقولة أكثر، إذ بإمكانه الاختباء هناك. لكن السلم كان شديد الانحدار، واحتمال أن يُدفَن فيه حياً إذا ما انهار منزل آني المحترق فوق القبو قبل أن تصل سيارات الإطفاء من سايدويندر كان وارداً جداً، والفئران الموجودة فيه، كل ذلك جعله يتخلى عن الفكرة نهائياً.

كيف يدق قلبه! كيف يكافح للهرب! كما نفعل نحن يا بول. كما نفعل نحن.

قال بول بلا وعي: "إفريقيا". ثم شرع ينظر إلى علب وأكياس الطعام في المخزن، محاولاً تقدير ما يمكنه أخذه دون أن يثير شكوكها عندما سترجع من مكان الضحك. فأدرك حينئذ بالضبط ما يعنيه هذا التقدير: لقد تخلى عن فكرة الهرب.

في الوقت الحاضر فقط، قال عقله المضطرب مدافعاً عن الفكرة.

لا، أجابه صوت أكثر عمقاً فيه جازماً، *بل إلى الأبد يا بول. إلى الأبد.*

قال بصوت هامس: "*لن أستسلم أبداً. هل تسمعني؟ لن أستسلم أبداً*".

ردّ ذلك الصوت مستهزئاً: *حسناً... سنرى، أليس ذلك؟*

أجل. سيريان بالفعل.

17

كان مخزن المؤونة يبدو مثل ملجأ لمن يتوقع حدوث كارثة. وكان هــذا برأيه طبيعياً بالنسبة لشخص بمثل حالتها، فهي امرأة وحيدة تعيش فــي الجبال، حيث يتوقع المرء أن يقضي فترة معينة – ربما يوم واحد فقط، وربما أسبوع أو حتى أسبوعان – مقطوعاً عن بقية العالم. وربما آل رويدمــان نفسهم كانوا يملكون مخزن مؤونة سيجعل أي شخص من منطقة أخرى في البلاد يرفع حاجبيه استغراباً... لكنه كان يشك في أن يمتلك آل رويدمان أو أي شخص آخر في تلك المنطقة أي شيء مشابه ولــو من بعيد لما كان يراه في تلك اللحظة. فذلك لم يكن مخزن مؤونة بل سوبرماركت لعين. وكان بول يعتقد بأن ثمة رمزية معينة يوحي بها مخـــزن آنـــي. فلقد كانت أكوام البضائع المكدسة فيه تشير إلى الخيط الرفيع الذي يفصل بين الواقع وجنون الارتياب. غير أن هذه التفاصيل لمـــن هم في مثل وضعه لم تكن تستحق الاهتمام. اللعنة على الرمزية. عليك بالطعام.

صـــحيح، ولكن كان عليه أن يكون حذراً. فالمسألة لا تتعلق فقط بما قد تشك بفقدانه، بل وبالكمية التي يجب أن يأخذها معه أيضاً، بحيث يمكـــنه إخفاءهـــا دون أن تلاحظ وجودها إذا ما جاءت على حين غرة. ولكن، سواء أعرفت بفقدان شيء ما أم وجدت شيئاً ما في غرفته، فهو في النهاية بحاجة لأن يأكل.

كـــان هناك الكثير من علب السردين المستطيلة التي تحتوي على مفاتيح معها تحت غلافها الورقي. جيد. سيأخذ بعضاً منها. وهناك أيضاً علب من اللحم، ولكن بدون مفاتيح. حسناً، يمكنه أن يفتح اثنتين منها في المطبخ ويأكلها أولاً. ثم يدفن الفوارغ عميقاً تحت قمامتها الفائضة. كما وجـــد صندوقاً كبيراً مفتوحاً، بداخله صناديق أصغر كُتب على غلافها

الممزق المصنوع من السولوفان "وجبات خفيفة". أضاف بول أربعاً من هذه الوجبات الخفيفة إلى المخزن المتنامي في حضنه، إضافة إلى علب مخصصـــة لشخص واحد من رقائق الذرة وحبوب الإفطار. لاحظ بول عـــدم وجـــود علـــب تحتوي على وجبات مخصصة لشخص واحد من الحبوب المحلاة. إذا كانت موجودة من قبل، فلا بد أن آني التهمتها كلها في حفلتها الأخيرة.

وعلـــى أحـــد الرفوف، رأى بول كومة من علب سلم جم مكدسة بشـــكل مرتب وأنيق. أخذ أربعاً منها محاولاً عدم إفساد الشكل الهرمي للكومة، وأكل على الفور واحدة بنهم كبير، مستمتعاً بنكهة الدهن وطعم الملوحـــة فيها. ثم دس الغلاف تحت سرواله الداخلي على أمل التخلص منه لاحقاً.

بما أنه قرر التخلي عن فكرة الهرب أو إشعال النار في البيت، فقد أصـــبح من الضروري أن يعود إلى غرفته. يا لها من خيبة أمل، لكنه واسى نفسه بفكرة أن الأمور كان يمكن أن تكون أشد سوءاً. كانت ساقاه قد بدأتا تؤلمانه من جديد. على أي حال، يمكنه عندما يصل إلى الغرفة أن يتناول قرصين من الدواء ثم يكتب إلى أن يغلبه النعاس ومن ثم ينام. اســـتبعد عودتها في تلك الليلة؛ ليس تخفيفاً على نفسه، بل لأن العاصفة كانـــت تزداد شدة في الخارج. أعجبته فكرة الكتابة بهدوء ومن ثم النوم وهـــو مطمئـــن بأن آني لن تقتحم عليه غرفته حاملة برأسها فكرة من أفكارها المجنونة أو حتى طلباً أكثر جنوناً.

أرجـــع كرسيه حتى خرج من مخزن المؤونة، ثم توقف قليلاً ليطفئ المصباح، مذكراً نفسه بضرورة وضع كل شيء في مكانه قبل أن يعود إلى الغرفة. ولو نفد الطعام منه قبل عودتها فبإمكانه الخروج لجلب المزيد.

(مثل فأر جائع، أليس كذلك يا بول؟)

ولكـــن، عليه ألا ينسى كم يجب أن يكون حذراً. عليه ألا ينسى بأنه يخاطر بحياته في كل مرة يغادر فيها غرفته. إن نسيان ذلك قد

يعود عليه بالوبال.

18

عـند مــروره بغــرفة الاستقبال، لفت نظره الكتاب الكبير تحت الطاولــة. *طــريق الذاكرة*. كان كبيراً مثل مخطوطة من القطع الكبيرة لمسرحية من مسرحيات شيكسبير، وسميكاً مثل كتاب مقدّس عائلي.

بدافع الفضول، التقطه وفتحه.

أُلصقت على الصفحة الأولى قصاصة مأخوذة من صحيفة تحتوي علــى عمود واحدٍ بعنوان زفاف ويلكس – بيريمان. كانت هناك صورة لــرجل شــاحب ذي وجه ضيق وامرأة ذات عينين داكنتين وفم مكتنز. حــوّل بــول نظره من صورة الصحيفة إلى الصورة المعلقة فوق رف الموقد فوجد أن الصورة التي تعرِّفها القصاصة باسم كريسيلدا بيريمان *(الآن أصبح لديَّ اسم جديد بإدراجه في رواية عودة ميزري)* هي بدون أدنــى شــك صورة أم آني. كُتب أسفل الصورة بخط أنيق: *بيكرسفيلد جورنال، 30 أيار 1938*.

علــى الصفحة الثانية هناك تصريح ولادة: بول إيميري ويلكس، وُلــد في مستشفى بيكرسفيلد، في 12 أيار 1939. الأب، كارل ويلكس؛ الأم، كرِيسيلدا ويلكس. *لعله الشخص الذي كانت تذهب برفقته لمشاهدة الأفلام المتسلسلة*، فكَّر بول. *وكان اسم أخيها بول أيضاً*.

والصــفحة الثالــثة أعلنت ولادة آني ويلكس: وُلدت في 1 نيسان 1943. أي أن عمــر آنــي تخطى الرابعة والأربعين بقليل. لم يفت بول حقيقة أن آني وُلدت في عيد الكذب.

في الخارج، كانت الريح تعصف والمطر يهطل بشدة.

من شدة افتتانه بما يراه، نسي بول أمر الألم، وقلب الصفحة.

القصاصــة التالــية كانت مأخوذة من الصفحة الأولى من صحيفة

بيكرسفيلد جورنال. كانت الصورة تُظهر رجل إطفاء على سلم ومن خلفه ألسنة اللهب تتصاعد من مبنى خشبي محترق.

خمسة أشخاص ماتوا في منزل محترق

خمسة أشخاص، أربعة منهم ينتمون لعائلة واحدة، ماتوا في الساعات الأولى من صباح يوم الأربعاء في حريق كبير شب في بناء طابقي في بيكرسفيلد على طريق وونتش هيل. ثلاث من الضحايا كانوا أطفالاً – بول كرينمتز 8 سنوات، فريدريك كرينمتز 6 سنوات، وأليسون كرينمتز 3 سنوات. والرابع والدهم، أدريان كرينمتز 41 عاماً. وكان السيد كرينمتز قد أنقذ قبل أن يموت الطفلة الناجية الوحيدة من عائلته، لورين كرينمتز، التي تبلغ من العمر ثمانية أشهر فقط. تقول السيدة جيسيكا كرينمتز بأن زوجها وضع أصغر أطفالها الأربعة بين ذراعيها وقال لها: "سأعود مع الآخرين خلال دقيقة أو دقيقتين، صلّي من أجلنا". ثم أضافت قائلة: "ولم أره بعدها".

الضحية الخامسة، إيرفينغ ثالمان 58 عاماً، كان عازباً يعيش في الطابق الأخير من المبنى. وكان الطابق الثالث خالياً أثناء اندلاع الحريق، لأن عائلة كارل ويلكس، الذين اعتُبر أفرادها من عداد المفقودين في البداية، كانت قد غادرت المبنى في ليلة الثلاثاء بسبب تسرب المياه في المطبخ.

"أنا حزينة على السيدة كرينمتز وعلى مصابها الأليم". أخبرت كريسيلدا ويلكس مراسل صحيفة *جورنال*، "لكنني أحمد الله على سلامة زوجي وأطفالي".

قال رئيس مركز إطفاء سينتراليا، مايكل أووان بأن النار بدأت في القبو. وعندما سُئل عن احتمال حدوث حريق متعمد، قال: "أرجح أكثر قيام متشرد سكير بالتسلل إلى القبو، واحتساء بعض المشروبات الكحولية، وإشعال الحريق بالصدفة بواسطة سيجارة. ولعله هرب بدلاً

من محاولة إطفاء الحريق، فقُتل خمسة أشخاص. آمل بأن نجد الفاعل". وعندما سُئل عن الدلائل، قال أووان: "بحوزة الشرطة عدة خيوط، وهي تتبعها بسرعة وجدية، هذا كل ما أستطيع قوله".

وفي أسفل القصاصة كُتب بنفس الخط الأنيق: *28 تشرين الأول 1954*.

أحس بول بأن دقات قلبه بدأت تتسارع وبانقباض في معدته، مع أنه كان ما يزال متماسكاً.

فئران صغيرة.

ثلاث من الضحايا كانوا أطفالاً.

فئران السيدة كرينمتز في الطابق السفلي.

أوه، لا. يا إلهي، لا.

كم كنت أكره أولئك الفئران الصغيرة.

كانت مجرد طفلة!

كانت في الحادية عشرة من عمرها. ربما كانت كبيرة وذكية بما يكفي كي تصب بعض الكيروسين حول زجاجة كحول رخيصة، ثم تشعل شمعة، وتضع الشمعة في منتصف الكيروسين. لعلها لم تكن تعتقد بأن ذلك سوف ينجح. لعلها اعتقدت بأن الكيروسين سيتبخر قبل أن تحترق الشمعة كلها. لعلها اعتقدت بأنهم سوف يخرجون أحياء... كانت تريد فقط إخافتهم كي ينتقلوا من المبنى. لكنها هي من قامت بذلك يا بول، هي التي فعلتها، وأنت تعرف هذا.

ثم قلب الصفحة.

قصاصة أخرى من بيكرسفيلد *جورنال* مؤرخة في 19 تموز 1957. وتحتوي على صورة لكارل ويلكس وقد بدا أكبر قليلاً في السن. كانت القصاصة تعلن وفاته.

موت محاسب من بيكرسفيلد إثر سقطة مميتة

كارل ويلكس، مقيم في بيكرسفيلد منذ وقت طويل، مات بعد فترة قصيرة من دخوله مستشفى هيرنانديز العمومي الليلة الماضية. من الواضح أنه تعثر بكومة من الثياب، تُركت على السلم في وقت سابق، أثناء نزوله للرد على الهاتف. قال الدكتور المشرف، فرانك كانلي بأن ويلكس مات من جراء كسور مضاعفة في الجمجمة وكسر في الرقبة. كان في الرابعة والأربعين من عمره.

خلّف ويلكس وراءه زوجة، كريسيلدا؛ وابناً، بول 18 عاماً؛ وابنة، آن 14 عاماً.

عندما تحوّل بول إلى الصفحة التالية، اعتقد لوهلة بأن آني ألصقت نسختين من ورقة نعي أبيها إما بدافع المحبة أو بمحض الصدفة. لكنه رجح الاحتمال الثاني أكثر. كان بول يعتقد بأن كلتا الحادثتين لم تقعا بمحض الصدفة على الإطلاق.

أحس برعب شديد يتسلل إلى روحه.

كُتب في أسفل القصاصة التالية: *لوس أنجلوس كول، 29 كانون الأول 1962.*

طالبة في جامعة USC تموت إثر سقطة مميتة

أُعلن عن وفاة أندريا سينت جيمس، طالبة تمريض في جامعة USC، لدى وصولها إلى مستشفى ميرسي شمال لوس أنجلوس نتيجة لحادث غريب.

كانت الآنسة سينت جيمس تتشارك مع زميلتها في دراسة التمريض، آن ويلكس من بيكرسفيلد، في شقة خارج الحرم الجامعي تقع في شارع ديلمور. بعد الساعة الحادية عشرة مساء بقليل، سمعت الآنسة ويلكس صوت صرخة قصيرة تبعها "أصوات ارتطام رهيبة". فاندفعت الآنسة ويلكس، التي كانت تدرس حينئذ، إلى منبسط الدرج في الطابق

الثالث فشاهدت الآنسة سينت جيمس على منبسط الدرج "ممددة بوضعية غريبة للغاية".

قالت الآنسة ويلكس بأنها كادت أن تقع هي الأخرى أثناء محاولتها مساعدة زميلتها. قالت الآنسة ويلكس: "كان لدينا قط اسمه بيتر غان، ولكننا لم نره منذ عدة أيام فاعتقدنا بأن جمعية الحيوانات الضالة قد أمسكت به لأننا كنا ننسى دائماً أن نضع له بطاقة تعريف. كان ميتاً وممدداً على السلم. لا بد أنها تعثرت بالقط. غطيت أندريا ببلوزتي ثم اتصلت بالمستشفى. كنت أعلم بأنها فارقت الحياة، لكنني لم أعرف بمن أتصل غير المستشفى".

"يا الله".

همس بول بهذه الكلمة مرة بعد مرة. كانت يده ترتجف بشدة عندما قلب الصفحة. هنا توجد قصاصة من صحيفة *كول* تقول بأن القط الضال الذي تبنته طالبة التمريض كان مسمماً.

بيتر غان، يا له من اسم لطيف بالنسبة لقط، فكّر بول.

كان قبو المبنى يحتوي على فئران. اشتكى المستأجرون إلى مفتشي الأبنية، الأمر الذي أدى إلى توجيه إنذار لمالك المبنى في العام السابق. تسبب مالك المبنى بجلبة كبيرة في اجتماع لاحق لمجلس المدينة إلى درجة أن الصحف غطّتها. لا بد أن آني علمت بالأمر. وعندما حكم عليه أعضاء المجلس – الذين استاءوا من قذفهم بكلمات نابية – بغرامة قاسية، قام مالك المبنى بوضع طعم سام في القبو. أكل القط السم، ثم زحف إلى أقرب مكان من صاحبتيه قبل أن ينفق، وقتل واحدة منهما.

سخرية تليق ببول هارفي، فكّر بول في داخله، ثم ضحك بشكل متشنج. *أراهن بأنه جعلها حكايته اليومية أيضاً.*

يا لها من قصة متقنة. متقنة جداً.

باستثناء أننا نعرف بأن آني ويلكس أخذت بعضاً من الطعم المسموم في القبو وأطعمته بيدها إلى القط، وفي حال لم يشأ بيتر غان

العزيز أن يأكله، فمن الجائز أنها حشرته في حلقه بواسطة عود. ولعلها كانت تعرف بأن رفيقتها في الشقة سوف تأتي مخمورة قليلاً. قطة ميتة وكومة من الثياب. ذات الطريقة، كما يقول توم تويفورد. ولكن، لماذا يا آنـــي؟ هذه القصاصات تخبرني بكل شيء إلا الجواب على هذا السؤال. لماذا؟

خـــلال الأســـابيع القليلة الماضية، وكوسيلة للبقاء على قيد الحياة، أصبح جزء من عقله يفكر كما تفكر آني. وهذا الجزء بالذات هو الذي تكلم وأجاب على هذا السؤال. ومع أن ما قاله كان هو الجنون بعينه، إلا أنه كان في الوقت نفسه منطقياً إلى حدٍّ بعيد.

قتلتها لأنها كانت تستمع إلى مذياعها في وقت متأخر من الليل.

قتلتها بسبب الاسم الغبي الذي أطلقته على القط.

قتلـــتها لأننـــي سئمت من رؤيتها تقبّل صديقها على الأريكة بينما كانت يده تغوص عميقاً تحت تنورتها وكأنه كان ينقب عن الذهب.

قتلتها لأننـي أمسكت بها وهي تغش.

قتلتها لأنها أمسكت بي وأنا أغش.

التفاصـــيل غير مهمة، أليس كذلك؟ قتلتها لأنها كانت فأرة قذرة، وكان هذا السبب كافياً بالنسبة إليَّ.

قـــال بـــول هامســـاً: "وربما لأنها كانت الآنسة متذاكية". ثم رمى برأســـه إلى الخلف وضحك ضحكة مخيفة. هذا إذاً هو طريق الذاكرة، صحيح؟ أوه، أية تشكيلة غريبة ومتنوعة من الأزهار السامة نمت على جانبي ذلك الطريق القديم!

ألـــم يقـــارن أحد تينك السقطتين الغريبتين ببعضهما؟ أولاً أبوها، ومن ثم رفيقتها في السكن؟ هل أنت جاد في قولك هذا؟

نعـــم، كـــان جاداً في قول ذلك لنفسه. فالحادثتان وقعتا في بلدتين مختلفتيـــن وبفـــارق زمنـــي قدره خمس سنوات. ونُشرتا في صحيفتين مختلفتين في ولاية مكتظة بالسكان، حيث يتعثر الناس دائماً على السلالم

ويكسرون أعناقهم.

وهي كانت ذكية، ذكية جداً.

ذكية كالشيطان نفسه، فيما يبدو. لكنها الآن فقط بدأت تفقد قدراتها العقلية. والأمر الوحيد الذي سيعزّيه قليلاً هو أن تقع أخيراً في يد العدالة لقتلها بول شيلدون.

قلب الصفحة فوجد قصاصة أخرى من صحيفة جورنال – *جورنال* – والأخيرة منها كما سيتبين. وهي بعنوان "الآنسة ويلكس تتخرج من مدرسة التمريض". ومؤرخة في 17 أيار 1966. كانت آني في الصورة شابة، وجميلة إلى حدٍّ يثير الدهشة، ترتدي زي التمريض وتبتسم للكاميرا. كانت صورة تخرّج بالطبع. وقد تخرجت بامتياز أيضاً. *اضطرت فقط لأن تقتل رفيقتها في السكن كي تصل إلى هذه المرتبة،* فكر بول في داخله، ثم ضحك ضحكته العالية المخيفة. عصفت الريح حول البيت وكأنها كانت ترد عليه. واهتزت صورت الأم على الحائط قليلاً.

القصاصة التالية كانت من صحيفة *يونيون ليدير* التي تصدر في مانشستر، ولاية نيوهامبشاير. ومؤرخة في 2 آذار 1969. كانت ورقة نعي بسيطة وبدت بأن لا علاقة لها على الإطلاق بآني ويلكس. تقول القصاصة بأن إيرنست غونيار، 79 عاماً، توفي في مستشفى القديس جوزيف "بعد مرض طويل". وترك وراءه زوجة، واثني عشر ابناً وبنتاً، وعدداً كبيراً من الأحفاد وأبناء الأحفاد. *يبدو أنه لم يتبع الطريقة الطبيعية لمنع الحمل،* فكّر بول في داخله، ثم ضحك ثانية.

هي التي قتلته. هذا ما حدث للعجوز الطبيب إيرنست. وإلا، لماذا تضع ورقة نعيه هنا؟ هذا كتاب آني الخاص بالموتى، أليس كذلك؟

لماذا، حبّاً بالله؟ لماذا؟

مع آني ويلكس، ليس لهذا السؤال جواب منطقي.

صفحة أخرى، وورقة نعي أخرى من صحيفة *يونيون ليدير،*

مؤرخــة في 19 آذار 1969. تُدعى السيدة هيستر "كويني" بيوليفانت، 84 عامــاً. كانــت هــذه المرأة تبدو في الصورة وكأنها انتُشلت من حفرة تحتوي على ترسبات إسفلتية. نفس الشيء الذي حصل مع إيرني حصل مع كويني أيضاً، إذ يبدو أن المرض الطويل كان سارياً في ذلك الوقت. ومــثل إيرنــي أيضــاً، توفيــت كويني في مستشفى القديس جوزيف. الــزيارات فــي 20 آذار، الســاعة 2:00 و6:00 مساء، في دار فوستر للجنائز. والدفن في مقبرة ماري سير في 21 آذار، الساعة 4:00 من بعد الظهر.

فكَّر بول، لا بد أن كورساً موسيقياً دينياً أدى خصيصاً أغنية "آنـي، ألن تأتي إلى هنا". وضحك ثانية.

فــي الصــفحات التالية، كانت هناك ثلاث ورقات نعي أخرى من صــحيفة *يونيون ليدير*. رجلان عجوزان توفيا بعد مرض طويل أيضاً، وامــرأة فــي السادسة والأربعين، تُدعى بوليت سيمو، توفيت – للمرة الأولى – بعد مرض قصير. بدت صورة "كويني" بالمقارنة مع صورة بوليت سيمو المرافقة لورقة نعيها – مع أنها كانت غير واضحة الملامح – مثل باربي. راح بول يفكر في سبب وفاة بوليت: *لنقل أنها نوبة قلبية مفاجـئة، مثلاً، نُقلت على أثرها إلى مستشفى القديس جوزيف، ثم... ثم ماذا؟ ماذا بالتحديد؟*

فــي الحقــيقة، لم يكن بول يريد أن يفكر في التفاصيل... لكن ما أثار انتباهه في الوفيات الثلاث هو أنها كلها حدثت في مستشفى القديس جوزيف.

وإذا نظرنا إلى سجل الممرضات لشهر آذار من العام 1969، فهل سنجد اسم آني ويلكس؟ فكَّر بول.

هذا الكتاب كبير جداً، يا الله، كبير جداً.

هــذا يكفــي. لا أريــد أن أرى المزيد منه، رجاءً. لقد وصلتني الفكــرة. سأضع هذا الكتاب حيث وجدته ثم سأذهب إلى غرفتي. أعتقد

بأنني لن أكتب بعد كل ما رأيته. أعتقد بأنني سأتناول قرصاً إضافياً ثم سأخلد إلى النوم. سمّه تأميناً ضد الكوابيس، أو أي شيء آخر. ولكن، لن أمضي أبعد من ذلك في طريق ذاكرة آني، رجاءً. من فضلك، رجاءً.

لكنّ يديه لم تطاوعاه، وكأنهما كانتا تملكان عقلاً وإرادة مستقلتين عنه، بل استمرتا بتقليب الصفحات، وبسرعة أكبر فأكبر.

قصاصتان أخرتان من *يونيون ليدير* فيهما ورقتا نعي إضافيتان، واحدة في أواخر أيلول 1969 والأخرى في بداية تشرين الأول.

القصاصة التالية كانت مأخوذة من صحيفة *هيرالد*، الصادرة في هاريسبورغ، ولاية بنسلفانيا، بتاريخ 19 آذار 1970. وهي بعنوان: مستشفى تستقدم موظفين جدد. كانت هناك صورة لرجل قليل الشعر يرتدي نظارات، وبدا لبول بأنه من النوع الذي يأكل مخاطه سراً. نوّهت الفقرة إلى أنه إضافة إلى مدير الدعاية الجديد (الرجل الأصلع ذو النظارات نفسه)، انضم عشرون شخصاً آخرون إلى طاقم مستشفى ريفرفيو: طبيبان، وثماني ممرضات مسجَّلات، وعمال مطبخ متنوعون، وموظفون مساعدون، وبوّاب.

آني كانت واحدة من الممرضات المسجَّلات.

في الصفحة التالية سأرى إعلان وفاة مقتضب لرجل، أو امرأة، عجوز توفي في مستشفى ريفرفيو في هاريسبورغ، بنسلفانيا.

صحيح. بائع متجول عجوز توفي لنفس السبب المفضل: بعد معاناة طويلة من المرض.

تبعه رجل عجوز آخر مات من السبب الذي يأتي في المرتبة الثانية لأسباب الوفاة: مرض قصير.

ثم طفل في الثالثة من عمره سقط في بئر، فأُصيب برضوض خطيرة في الرأس، جُلب على أثر ذلك إلى مستشفى ريفرفيو في حالة غيبوبة.

راح بول يقلب الصفحات بخدر، وفي الخارج كانت الأمطار تهطل والرياح تعصف بالمنزل. القصة واضحة لا لبس فيها: حصلت آني على عمل جديد، وقتلت المزيد من الناس، واستمرت في حياتها.

ربما قتلت أطفال كرينمتز لأنهم كانوا فئراناً... وقتلت رفيقة سكنها... وربما حتى أباها بالذات. ولكن، هؤلاء الآخرون؟

لكنه كان يعرف. آني التي توجد في داخله كانت تعرف. عجائز ومرضى. كلهم كانوا عجائز ومرضى ما عدا السيدة سيمو – لعلها كانت مشلولة عندما دخلت المستشفى – والطفل الذي سقط في البئر. لقد قتلتهم آني لأنهم –

قال بول بصوت هامس: "لأنهم كانوا فئراناً".

مساكين. يا لهم من مخلوقات مسكينة.

بالتأكيد. فمن وجهة نظر آني، كان الناس في العالم بأسره مقسمين إلى ثلاث فئات: فئران، ومخلوقات مسكينة... وآني.

كانت تنتقل باتجاه الغرب دائماً. من هاريسبورغ إلى بيترسبورغ إلى دولوث إلى فارغو. ومن ثم، في العام 1978، إلى دنفر. وفي كل الحالات كان النموذج نفسه يتكرر: فقرة "ترحيب بالانضمام إلى طاقم المستشفى" يُذكَر فيها اسم آني من بين أسماء أخرى، ثم حالتان أو ثلاث حالات موت عادية، ومن ثم تبدأ الدائرة من جديد.

إلى أن وصلت إلى دنفر.

في البداية، بدا الأمر متشابهاً. هناك فقرة تعلن عن وصول موظفين جدد. هذه المرة كانت القصاصة مأخوذة من صحيفة تقوم المستشفى نفسها بنشرها، مستشفى ريسيفينغ في دنفر. كتبت آني بخطها الأنيق اسم الصحيفة، ذي غورني [وتعني طاولة نقل المرضى]. "يا له من اسم عظيم بالنسبة لصحيفة مستشفى". قال بول للغرفة. قلب الصفحة، فوجد ورقة النعي الأولى، مأخوذة من صحيفة *نيوز* في روكي ماونتن. لورا د. روثبيرغ. مرض طويل، 21 أيلول 1978. مستشفى

ريسيفينغ في دنفر.

الصفحة التالية كانت تعلن عن حفل زفاف بدلاً من حادثة وفاة. وتُظهر الصورة آني في ثوب أبيض مزركش. تمسك بيد رجل يقف بجانبها يدعى رالف دوغان. كان دوغان معالجاً فيزيائياً. وكانت القصاصة بعنوان "حفل زفاف دوغان - ويلكس". صحيفة نيوز، 2 كانون الثاني 1979. الشيء الوحيد الملفت للنظر في دوغان هو أنه كان يبدو مثل والد آني. لو حلق دوغان شاربه - لعلها أجبرته على فعل ذلك بمجرد انتهاء شهر العسل - لأصبح الشبه بينه وبين أبيها شبهاً متطابقاً، فكّر بول.

تحسس بول بأصابعه سماكة الأوراق المتبقية في كتاب آني وهو يفكر بأن دوغان لا بد أنه تفقّد طالعه الفلكي - يا للأسف - في اليوم الذي تقدم فيه لطلب يدها للزواج.

أعتقد بأن هناك احتمالاً كبيراً في أنني سأجد فقرة موجزة عنك في الصفحات التي لم أطلع عليها بعد. أظن أنك ستصادف شخصاً يحمل كومة من الغسيل أو قطة ميتة على السلم. قطة ميتة ذات اسم لطيف.

لكنه كان مخطئاً. فالقصاصة التالية المأخوذة من صحيفة نيدرلاند كانت تتحدث عن "وافدين جدد". ونيدرلاند بلدة صغيرة تقع غرب باولدر. *ليس بعيداً جداً عن هنا*، خمّن بول. لم يجد بول للوهلة الأولى اسم آني في القصاصة القصيرة المليئة بالأسماء، لكنه أدرك بعدئذ بأنه كان يبحث عن الاسم الخطأ. فهي كانت موجودة بالفعل، ولكن باسم مختلف إذ أصبحت الآن جزءاً من مؤسسة جنسية - اجتماعية تُدعى "السيد والسيدة دوغان".

انتفض رأس بول. هل كانت تلك سيارة آتية؟ لا... إنها الرياح وحسب. مؤكد أنها الرياح. ثم عاد ثانية إلى كتاب آني.

عاد رالف دوغان إلى مساعدة المصابين، والمشلولين، والعميان في مستشفى مقاطعة أراباهو. ويُفترض بأن آني عادت كذلك إلى عمل

الممرضـــة التقلـــيدي المتمثل بتقديم المساعدة وتأمين الراحة للمرضى والمصابين إصابات خطرة.

الآن ســـيبدأ القتل، قال بول في نفسه. *لكن السؤال الحقيقي الوحيد يـــتعلق بـــرالف دوغان: هل سيأتي في البداية، أم في المنتصف، أم في النهاية؟*

لكـــنه أخطأ ثانية في تفكيره. فالقصاصة التالية لم تكن ورقة نعي، بـــل كانت إعلاناً لمتعهد عقارات، وتظهر في الزاوية اليسرى العليا منه صورة منزل. عرف بول المنزل فقط من الحظيرة المتصلة به، فهو لم يسبق له أن رأى منزل آني من الخارج.

وفي الأسفل كتبت آني بخطها الأنيق: *تم دفع نقود إيرنست في 3 آذار 1979. ووُقِّعت العقود في 18 آذار 1979.*

مـــنزل تقاعد؟ منزل صيفي؟ لا، لم يكن باستطاعتهما تحمل نفقات مثل هذه الرفاهية. إذاً...؟

حسناً. لعلها كانت تحب رالف دوغان فعلاً. ولكن، من المؤكد أن شيئاً ما قد تغير، إذ لم تكن هناك ورقة نعي منذ –

قلَّب الصفحات إلى الوراء ليرى.

مـــنذ لورا روثبيرغ في أيلول 1978. لقد توقفت عن القتل منذ أن قابلت رالف تقريباً. لكن ذلك كان فيما مضى، أما الآن فالأمور تغيرت، وها هي فترات الإحباط تعود من جديد. فتنتظر إلى المسنين والعجَّز... المرضى المحتضرين... وترثي لحال هذه المخلوقات المسكينة، وربما تقول لنفسها: *إن هذه البيئة بالذات هي التي تثير الإحباط في. هذا الممر الطويل المكسو بالسيراميك وروائح المكان وصرير الأحذية ذات النعال المطاطية وأنين المتألمين. لو أمكن لي أن أخرج من هذا المكان فسأكون بخير.*

إذاً، من الواضح أن رالف وآني عادا إلى الطبيعة.

قلب الصفحة فإذا به يصاب بالذهول مما رأى.

كُتب في أسفل الصفحة: 23 آب 1980 اللعنة عليك!

كانت الورقة، رغم سماكتها، ممزقة في عدة أمكنة تحت وطأة غضب اليد الممسكة بالقلم.

القصاصة عبارة عن عمود مأخوذ من صحيفة نيدرلاند بعنوان "تخويل بالطلاق". لكنه اضطر لقلب الصفحة رأساً على عقب كي يتأكد من أن رالف وآني كانا المقصودين، لأنها ألصقتها بالمقلوب.

نعم، ها هما، رالف وآني دوغان. الأسباب: مرض عقلي.

تمتم بول: "طُلقا بعد مرض قصير". ثم رفع رأسه ثانية، لاعتقاده بأنه سمع صوت سيارة قادمة. إنها الرياح، الرياح فقط... مع ذلك، من الأفضل له أن يعود إلى غرفته الآمنة. لم يكن الألم المتزايد في ساقيه هو السبب فقط، بل إحساسه المتفاقم بالخوف أيضاً، وكأنه كان على حافة الوقوع في حالة متقدمة من الرهاب.

لكنه انكب على الكتاب ثانية. بدا الأمر وكأنه من الأفضل له أن يكمل الكتاب حتى النهاية، مثل رواية مقرفة عليك الانتهاء منها.

انفرط عقد زواج آني بطريقة قانونية اعتيادية أكثر مما توقع بول. إذ يمكن القول بالفعل بأن الطلاق حدث على أثر مرض قصير.

لقد اشتريا منزلاً في آذار، وهذه الخطوة لن تخطوها إن كنت تشعر بأن زواجك كان في طريقه إلى الانهيار. فماذا حصل إذاً؟ هذا ما لم يكن يعرفه بول. لكنه، عندما قرأ القصاصة مرة ثانية، لاحظ شيئاً موحياً. *أنجيلا فورد من جون فورد. كريستين فراولي من ستانلي فراولي. دانا ماكلارين من لي ماكلارين. و...*

رالف دوغان من آني دوغان.

ثمة عادة أميركية هنا، أليس كذلك؟ لا أحد يتحدث عنها كثيراً لكنها موجودة. الرجال يتقدّمون لطلب يد النساء تحت ضوء القمر، والنساء يطلبن الطلاق في المحكمة. صحيح أن الأمر لا يحدث على هذا النحو دائماً، ولكن هذا ما يحدث عادة. فما هي قصة هذه التركيبة

الـــنحوية؟ تقـــول أنجيلا: "انزل عن ظهري يا رجل!" وكريستين تقول: "اخـــتر لنفسك خطة جديدة يا ستان!" ودانا تقول: "اترك المفتاح يا لي!" ومـــاذا يقول رالف، الرجل الوحيد الذي وُضع على رأس القائمة؟ أعتقد بأنه يقول: "دعيني بربك أخرج من هنا!"

قال بول: "لعله رأى القطة الميتة على السلم".

في الصفحة التالية فقرة أخرى تعلن عن "وافدين جدد" مأخوذة هذه المـــرة مـــن صحيفة *كاميرا* في باولدر، كولورادو. هناك صورة لاثني عشـــر موظفاً جديداً يقفون على مرج مستشفى باولدر. وكانت آني تقف في الصف الثاني، بوجهها المدوَّر الأبيض وقبعتها البيضاء ذات الشريط الأســـود. افتـــتاح جديد لاستعراض جديد. كانت الصورة مؤرخة في 9 آذار 1981. وهنا آني استعادت اسم عائلتها من جديد.

باولدر، إنها المدينة التي تحولت فيها آني إلى مجنونة حقيقية.

قلَّـــب بـــول الصـــفحات بسرعة أكبر ورعب متعاظم، وكان ثمة سؤالان محددان لم يبارحا ذهنه: *لماذا بحق الله لم يتحركوا بسرعة أكبر للقبض عليها؟ وكيف تمكنت من التملص منهم بهذه السهولة؟*

العاشـــر من أيار، 1981؛ معاناة طويلة من المرض. الرابع عشر من أيار؛ معاناة طويلة من المرض. الثالث والعشرون من أيار؛ معاناة طويلـــة من المرض. التاسع من حزيران؛ مرض قصير. الخامس عشر من حزيران؛ قصير. السادس عشر؛ طويل.

قصير. طويل. طويل. قصير. طويل. طويل. قصير.

"يا الله، كم من الناس قتلت؟"

إذا أمكـــن لـــنا أن نقول إن كل ورقة نعي ملصقة في هذا الكتاب تعنـــي جـــريمة، فإن المحصلة تزيد عن ثلاثين شخصاً مع نهاية العام 1981... كـــل ذلـــك من دون أن تشك السلطات بالأمر. بالطبع، معظم الضـــحايا كانوا مسنين، والبقية كانوا يعانون من إصابات مميتة، ولكن مع ذلك... سيعتقد المرء أن...

القصاصة التالية مأخوذة من صحيفة *كاميرا* ومؤرخة في 14 كانون الثاني 1982. وفيها يظهر وجه آني الشبيه بوجه صنم تحت عنوان يعلن عن: "تعيين رئيسة ممرضات جديدة لقسم العناية بالمواليد الجدد".

في 29 كانون الثاني، بدأ قتل المواليد الجدد.

لقد أرَّخت آني القصة بأكملها بدقة عالية وبكثير من الجهد. وكان بول سعيداً في تتبعها. *لو أن الناس الذي يبحثون عنك وجدوا هذا الكتاب يا آني، لكنت الآن في السجن، أو في مصحة عقلية، وإلى نهاية عمرك.*

لم يثر موت أول طفلين رضيعين أي شك، إذ تذكر قصة موت أحدهما عيوباً خلْقية شديدة. لكنّ الأطفال الرضع، سواء أكانوا يعانون من عيوباً خلْقية أم لا، ليسوا كالمسنين الذين يموتون بسبب فشل كلوي، أو ضحايا حوادث السير الذين يصلون إلى المستشفى على آخر رمق مع تطاير نصف رؤوسهم أو وجود ثقب بحجم مقود السيارة في أحشائهم. لقد بدأت تقتل الأصحاء إلى جانب المرضى. يبدو أنها – فكّر بول – بدأت تنظر إليهم جميعاً، تحت وطأة اضطرابها الذهاني المتفاقم، كمخلوقات مسكينة، مسكينة جداً.

بحلول منتصف شهر آذار من العام 1982 وصل عدد الموتى من الأطفال المولودين حديثاً إلى خمسة أطفال في مستشفى باولدر. فبدأ على أثر ذلك تحقيق واسع في الأمر. وفي 24 آذار، عزت صحيفة كاميرا السبب إلى "الحليب الملوث". تم استدعاء "مصدر مسؤول في المستشفى"، فتساءل بول ما إذا كانت آني ويلكس نفسها هي ذلك المصدر المسؤول.

توفي طفل آخر في نيسان، واثنان آخران في أيار.

ثم، كتبت الصفحة الأولى من صحيفة *بوست* الصادرة في دنفر في الأول من حزيران:

تقول المتحدثة باسم مكتب الشريف:
"لم تصدر أي اتهامات حتى الآن"،

بقلم مايكل ليث

آني ويلكس، رئيسة الممرضات في قسم الولادات في مستشفى باولدر، 39 عاماً، تخضع لاستجواب على خلفية موت ثمانية أطفال حديثي الولادة. حدثت الوفيات خلال مرحلة أشهر قليلة. وكل الوفيات وقعت بعد تعيين الآنسة ويلكس.

نفت المتحدثة باسم مكتب الشريف، تامارا كينسولفينغ، أن تكون الآنسة ويلكس قيد الاعتقال. وعندما سُئلت عما إذا كانت الآنسة ويلكس قد جاءت إلى مكتب الشريف بملء إرادتها كي تدلي بمعلوماتها عن القضية، أجابت الآنسة كينسولفينغ: "أعتقد بأن ذلك ليس دقيقاً". ولدى سؤالها عما إذا كان قد تم توجيه اتهام إلى ويلكس بأية جريمة، قالت الآنسة كينسولفينغ: "لا، ليس حتى الآن".

وتطرقت بقية الفقرة إلى سيرة آني المهنية. كان واضحاً أنها انتقلت إلى أمكنة كثيرة، ولكن لم تكن هناك أية إشارة إلى وجود تذمر من أي شخص في كل المشافي التي عملت فيها آني، وليس فقط المستشفى الموجودة في باولدر.

نظر بول إلى الصورة المرافقة للفقرة مشدوهاً.

آني قيد الاحتجاز. يا أرحم الراحمين، آني قيد الاحتجاز. صحيح أن الصنم لم يسقط بعد، لكنه كان يترنح... يترنح.

كانت آني تسير بخطوات ثقيلة بمرافقة رجال شرطة أقوياء. وكان وجهها شاحباً وخالياً من أي تعبير، وترتدي زي العمل وحذاء أبيض.

الصفحة التالية: إطلاق سراح آني ويلكس، وتعتيم على سير التحقيقات.

لقــد أفلتت بفعلتها. بطريقة ما أفلتت من فعلتها. يبدو أن الوقت قد حــان بالنســبة إلــيها لتختفي وتظهر في مكان آخر؛ ربما أيداهو، أو كاليفورنــيا، أو يوتــاه. لكنها بدلاً من ذلك، عادت إلى العمل من جديد. وبــدلاً من وجود فقرة تتحدث عن وافدين جدد إلى مكان ما أبعد باتجاه الغــرب، كــان هــناك عنوان رأسي عريض على الصفحة الأولى من صحيفة *نيوز* الصادرة في روكي ماونتن في 2 تموز 1982:

الرعب يستمر:

ثلاث وفيات جديدة لمواليد جدد في مستشفى باولدر

وبعــد يوميــن ألقت السلطات القبض على عجوز بورتوريكي ثم أطلقــت ســراحه بعد تسع ساعات. لاحقاً، في التاسع عشر من تموز، أعلنت صحيفتا *بوست* في دنفر و*نيوز* في روكي ماونت معاً نبأ اعتقال آني ويلكس. وعُقدت جلسة استماع ابتدائية قصيرة في أوائل شهر آب. وفــي 9 أيلول، حوكمت في قضية قتل طفلة تدعى كريستوفر تبلغ من العمــر يومــاً واحــداً فقط، إضافة إلى سبعة اتهامات أخرى، بارتكاب جرائم قتل من الدرجة الأولى. ونوهت الفقرة إلى أن بعض ضحايا آني المزعومين عاشوا ما يكفي من الوقت حتى حصلوا على أسماء حقيقية.

تضمنت الفقرتان اللتان تصفان سير المحاكمة في صحيفتي *بوست* و*نــيوز*، رســائل من القراء إلى رؤساء التحرير. والكل كانوا مجمعين على أن الإعدام شنقاً هو أنسب عقاب لآني ويلكس. كما أطلق عليها أحد المراســلين لقب السيدة التنين، فالتصق بها الاسم طوال مدة المحاكمة. معظمهــم كانوا يشعرون بأن السيدة التنين يجب أن تُطعَن حتى الموت بواسطة شوُك قلب التربة، ومعظمهم أبدى رغبة بتنفيذ هذا الحكم.

كتبــت آنــي بجانب واحدة من هذه الرسائل بخط مهزوز ومثير للشفقة، مختلف تماماً عن خطها الأنيق المعتاد: *العصي والحجارة* سوف

تكسر عظامي لكن الكلمات لن تؤذيني أبداً.

كـــان واضحاً أن الخطأ الأكبر الذي ارتكبته آني هو عدم التوقف عـــن القتل عندما أدرك الناس أخيراً بأن ثمة خطب ما يجري. كان ذلك خطأً كبيراً، ولكن لسوء الحظ، لم يكن كبيراً بما يكفي. فالصنم لم يسقط، بل ترنح فقط. كانت الدلائل التي قدمها الادعاء ظرفية بالكامل. فقد قدم النائـــب العـــام دلـــيلاً يتمثل بوجود علامة يد على وجه ورقبة الطفلة كريســـتوفر مطابقة لحجم يد آني، مع علامة لخاتم الكوارتز البنفسجي الـــذي كانـــت آنـــي تضعه في إصبعها الرابع من يدها اليمنى. كما قدم سجلاً بالمرات التي دخلت فيها آني وخرجت من غرفة المولودين حديثاً بحيـــث كانـــت متوافقة مع وفيات الأطفال. لكن آني كانت رئيسة لقسم الـــولادات، ولذلـــك فـــإن دخولها وخروجها كانا أمرين طبيعيين بحكم عملهـــا. كمـــا تمكن الدفاع من إبراز عشرات المناسبات الأخرى التي دخلت فيها آني القسم دون أن يحدث أي شيء سيئ.

حـــاك الادعاء شبكته بأحسن ما كان باستطاعته، لكن علامة اليد والخـــاتم كانـــت – فـــي الواقـــع – الدليل المدين الوحيد الذي استطاع الخـــروج بـــه. مـــع ذلك، ورغم قلة الدلائل المُدينة، فقد قررت ولاية كولورادو إحالة آني إلى المحكمة، الأمر الذي جعل بول يفكر في سبب محـــتمل لحـــدوث ذلك، وهو أن آني قالت أشياء موحية إلى حدٍّ بعيد، وربما مُدينة أيضاً، أثناء استجوابها الأولي، لكن محاميها نجح في إبعاد ضبط الاستجواب عن سجل المحاكمة. بيد أن الأمر المؤكد بالنسبة لبول هـــو أن قـــرار آنـــي بأداء الشهادة نيابة عن نفسها في جلسة الاستماع الابتدائية كان أمراً غير حكيم على الإطلاق. تلك الشهادة التي لم يستطع محامـــيها إبعادها عن سجل المحاكمة (بالرغم من أنه حاول جاهداً فعل ذلـــك). ومع أن آني لم تعترف بشيء رغم الكلمات الكثيرة التي قالتها خـــلال الأيـــام الثلاثة التي قضتها "هناك على المنصة في دنفر"، إلا أن بول كان يعتقد بأنها في واقع الأمر اعترفت بكل شيء.

القصاصات التي ألصقتها آني في كتابها كانت تحتوي على بعض الخيوط الهامة:

هل جعلوني أشعر بالحزن؟ بالطبع جعلوني أشعر بالحزن، نظراً للعالم الذي نعيش فيه.

ليس لديَّ ما يجعلني أشعر بالعار. أنا لا أشعر بالعار مطلقاً. ما أفعله، نهائي، وأنا لا أنظر أبداً إلى الخلف في مثل هذه الأمور.

هل حضرت جنازة أي منهم؟ بالطبع لا. أنا أجد الجنائز كئيبة جداً ومثيرة للإحباط. إضافة إلى ذلك، فأنا لا أعتقد بأن المولودين حديثاً يملكون أرواحاً.

لا، لم أبكِ أبداً.

هل كنت أشعر بالأسف؟ أعتقد بأن هذا سؤال فلسفي، أليس كذلك؟

بالطبع أنا أفهم الأسئلة. أفهم كل أسئلتكم. وأعلم بأنكم كلكم تريدون النيل مني.

لو أصرت على أداء الشهادة بنفسها، فكَّر بول في نفسه، *من المحتمل أن محاميها كان سيقتلها كي يسكتها.*

أُحيلت القضية إلى هيئة المحلفين في 13 كانون الأول 1982. وهنا وجد بول صورة مفزعة لآني في قصاصة من صحفية *نيوز*، تجلس فيها آني بهدوء في قفص الاتهام وتقرأ رواية **غاية ميزري**. وكُتب تحت الصورة: "وهي في تلك الحالة المزرية؟"

وفي 16 كانون الأول، هناك عنوان رأسي عريض يقول: السيدة التنين بريئة. وتحت العنوان، نُقل عن أحد أعضاء هيئة المحلفين، الذي طلب عدم الكشف عن اسمه، قوله: "كانت لديَّ شكوك كبيرة بخصوص براءتها، نعم. ولكن للأسف، كانت هناك شكوك منطقية جداً في ما يتعلق بتجريمها. آمل بأن تتم محاكمتها ثانية على واحدة من التهم الأخرى. لعل الادعاء سيتمكن من تقديم دلائل أقوى عليها".

كلهم كانوا يعرفون بأن آني هي الفاعلة، لكنّ أحداً لم يتمكن من

إثبات ذلك. ولهذا تمكنت من الإفلات بفعلتها.

في الصفحة التالية يقول النائب العام بأن آني سوف تحاكَم بكل تأكيد على واحدة من الاتهامات الأخرى. لكنه بعد ثلاثة أسابيع نفى أنه قال ذلك. وفي أوائل شهر شباط أصدر مكتب النائب العام بياناً قال فيه بأن القضية ضد آني ويلكس أُقفلت، بالرغم من استمرار حالات قتل الأطفال في مستشفى باولدر.

لقد أفلتت بفعلتها.

ولم يشهد زوجها لصالح أي من الجانبين. أتعجب لماذا؟

كان هناك المزيد من الصفحات في الكتاب، لكنه عرف من قلة سماكتها وطريقة التصاقها ببعضها أنه أوشك على الانتهاء من تاريخ آني. الحمد لله.

الصفحة التالية مأخوذة من صحيفة *غازيت* الصادرة في سايدويندر والمؤرخة في 19 تشرين الثاني 1984. تقول الصحيفة بأن بعض المتجولين عثروا على بقايا رجل مشوه ومقطع الأوصال جزئياً في الجزء الشرقي من محمية غرايدر وايلدلايف. ثم يذكر العدد الصادر في الأسبوع التالي من الصحيفة نفسها بأن الرجل المقتول يدعى أندرو بوميروي، 23 عاماً، وهو من كولد ستريم هاربور، نيويورك. كان بوميروي قد غادر نيويورك متجهاً إلى لوس أنجلوس في أيلول من السنة السابقة بواسطة سيارات استقلها على الطريق. وآخر مرة تحدث فيها إلى أبويه كانت في الخامس عشر من تشرين الثاني. وقد اتصل بهم من جولسبورغ وكان الاتصال على نفقة المتلقي. وُجدت الجثة في قاع جدول جاف. وتعتقد الشرطة بأن بوميروي قُتل بالقرب من الطريق العام 9 ثم جرفته المياه الناتجة عن ذوبان الثلج في الربيع حتى محمية وايلدلايف. وقد ذكر تقرير المحقق الجنائي بأن الجريمة تمت بواسطة فأس.

تساءل بول، لسبب وجيه، كم تبعد محمية غرايدر وايلدلايف عن

المكان الذي يقبع فيه؟

قلب الصفحة ونظر إلى القصاصة الأخيرة – حتى الآن على الأقل – وانحبست أنفاسه من المفاجأة. كان يقف وجهاً لوجه أمام ما يشبه ورقة نعيه هو بالذات. ليس تماماً، ولكن...

قال بصوت مبحوح خافت: "ولكنه كافٍ لكي تتدخل الحكومة".

كانت القصاصة مأخوذة من صحيفة *نيوزويك*. تحت عمود "الانتقالات"، هناك نبأ عن طلاق ممثلة تلفزيونية. ثم فقرة تتحدث عن مقتل شخص متنفذ يعمل في صناعة الفولاذ. وفوقها كانت هذه الفقرة:

بلاغ عن مفقود: بول شيلدون، 42 عاماً، روائي اشتُهر بسلسلة روايات رومانسية تدور حول امرأة مثيرة وعاشقة للحياة وسطحية تدعى ميزري تشاستين؛ نُشرت من قبل وكيله برايس بيل. قال بيل: "أعتقد بأنه بخير، ولكن، أرجو أن يتصل ويريح ذهني".

وزوجتاه السابقتان تأملان بأن يتصل ويريح حسابيهما المصرفيين. شوهد شيلدون آخر مرة قبل أسبوعين في باولدر، كولورادو، التي قصدها كي يكمل روايته الجديدة.

كان تاريخ القصاصة يعود لأسبوعين.

بلاغ عن مفقود، هذا كل شيء. بلاغ عن مفقود فقط. أنا لست ميتاً.

فجأة أحس بأنه بحاجة إلى دوائه، ليس بسبب ساقيه فقط، بل لأن كل ما فيه كان يؤلمه. أعاد الكتاب بحرص إلى مكانه ثم بدأ يدفع الكرسي المتحرك نحو غرفة الضيوف.

في الخارج، كانت الرياح تعصف بقوة أكبر من ذي قبل، صافعةً المنزل بزخات من المطر البارد. انكمش بول على نفسه وهو يئن، محاولاً بكل ما أوتي من قوة أن يمنع نفسه من البكاء.

19

بعد ساعة – الآن وقد امتلأ بالمخدر وبدأ النعاس يغالبه – أصبح صوت عويل الرياح في الخارج يبعث على الراحة والاسترخاء بدلاً من الخوف. فكَّر بول: *لن أنجو. مستحيل. ما الذي يقوله توماس هاردي في روايته **جود المغمور**؟ "كان من الممكن أن يأتي شخص ما ويخفف من روع الصبي، ولكن لم يأتِ أحد... لأنه لا يوجد أحد". صحيح. بالفعل. فالمتجول الوحيد [مسلسل مغامرات تلفزيوني أميركي قديم] مشغول بإعداد دعايات تجارية حول حبوب الإفطار، وسوبرمان يقوم بأفلام سينمائية في مدينة تينسل. وأنت لوحدك يا بولي. راقد هنا لوحدك. ولكن، ربما كان ذلك أمراً جيداً. لأنك ربما تعرف ما هو الحل، في نهاية المطاف، أليس كذلك؟*

نعم، كان يعرف بالتأكيد.

لو كان يريد الخروج من تلك الورطة، فسيتوجب عليه أن يقتلها.

أجل. هذا هو الحل، الحل الوحيد الموجود. أظن ذلك. إذاً، فهي نفس اللعبة القديمة، أليس كذلك؟ بولي... هل يمكنك؟

أجاب بدون أي تردد. *أجل، أستطيع.*

ثم غلبه النعاس، فنام.

20

استمرت العاصفة طوال نهار اليوم التالي. وفي الليل انقشعت الغيوم ورحلت، وفي نفس الوقت انخفضت درجة الحرارة من ستين درجة إلى خمس وعشرين. فتجمد العالم بأكمله في الخارج. وفي صباح ذلك اليوم الثاني الذي قضاه بأكمله وحيداً، جلس بول بجانب نافذة غرفة النوم ينظر إلى الأرض المجلدة المتلألئة فسمع صوت الخنزيرة ميزري

تصأل في الحظيرة وصوت خوار واحدة من البقرتين.

بالرغم من أنه كان يسمع أصوات الحيوانات في أغلب الأحيان - كانت أصوات الحيوانات قد أصبحت جزءاً من البيئة العامة المحيطة به تماماً مثل دقات الساعة في غرفة الاستقبال - إلا أنه لم يسبق له أن سمع الخنزيرة تصأل على هذا النحو. كان يعتقد بأنه سمع البقرة تخور بهذه الطريقة مرة من قبل، لكن ذلك كان صوتاً شيطانياً سمعه في حلم شيطاني أتاه بسبب الألم الذي كان يفترسه. وقد حدث ذلك عندما غادرت آني للمرة الأولى تاركة إياه بدون أي دواء يخفف عنه ألمه. صحيح أن بول تربَّى في ضواحي بوسطن وعاش معظم حياته في مدينة نيويورك، إلا أنه كان يعرف ماذا يعني خوار البقرة المتألمة. إحدى البقرتين كانت بحاجة لأن تُحلَب. أما الأخرى فمن الواضح أنها لم تكن بحاجة لذلك، ربما لأن عادات آني غير الثابتة في الحلب جففت حليبها.

وماذا عن الخنزيرة؟

إنها جائعة. هذا كل ما في الأمر. وهذا كاف.

ولن يخفف عليهما أحد في ذلك اليوم، فقد كان يشك في إمكانية رجوعها حتى لو كانت تريد ذلك، لأن ذلك الجزء من العالم كان قد تحول إلى حلبة تزلج كبيرة. كان متفاجئاً قليلاً من شدة تعاطفه مع ذينك الحيوانين، ومن حدّة غضبه من آني لأنها تركتهما، بأنانيتها القاسية وغير المبالية، تعانيان في حظيرتهما.

لو أن باستطاعة حيواناتك التكلم يا آني لأخبرتك من هو الطير القذر الحقيقي هنا.

أما بالنسبة له، فقد كان مرتاحاً في تلك الأيام. كان يأكل من العلب التي جلبها معه، ويشرب الماء من الإبريق الجديد، ويتناول دواءه بانتظام، وينام قيلولته كل بعد ظهر. وأما بالنسبة لقصة ميزري وفقدان ذاكرتها وانكشاف قريبتها التي لم يشتبه أحد بوجودها من قبل، فقد

تطــورت وتقدمت بثبات حتى وصلت إلى إفريقيا، التي أصبحت موقع أحــداث النصف الثاني من الرواية. والمفارقة الباعثة على السخرية هنا تتمــثل فــي أن تــرغمه آنــي على كتابة أفضل روايات ميزري على الإطــلاق. ذهب إيان وجيفري إلى ساوثهامبتون لتجهيز عربة، سمياها *لوريلي*، من أجل الرحلة. هناك، في القارة السوداء كانت ميزري (التي استمرت بين الحين والآخر بالانزلاق في نوبات من الغيبوبة التي تشبه الموت، وفي أكثر اللحظات إحراجاً) أمام طريقين لا ثالث لهما، إما أن تمــوت أو تُشفى. في إفريقيا، وعلى بعد حوالى مائة وخمسين ميلاً من لوســتاون، وهي مستوطنة بريطانية – هولندية صغيرة تقع على الرأس الشــمالي من هلال ساحل بارباري الخطر، كان يعيش شعب البوركا، أكثر سكان إفريقيا الأصليين خطورة؛ يُسمَّون أحياناً شعب النحل. القليل مــن البيض الذين تجرأوا على الدخول إلى منقطة البوركا عادوا منها، لكن أولئك الذين تمكنوا من العودة جلبوا معهم حكايات مذهلة عن وجه امــرأة بارز من جانب أرض مرتفعة وخشنة، وجه قاس فاغر الفم مع ياقوتــة كبيرة مثبتة على جبهته الحجرية. وكانت هناك قصة أخرى – مجرد إشاعة، بالتأكيد، لكنها تعلق في الذهن على نحو غريب؛ تقول بأن خلية من النحل الأبرص العملاق كانت تعيش ضمن الكهوف المحفورة فــي الجهة الخلفية من جبهة ذلك الصنم. أسراب من النحل تحوم حول ملكتها لحمايتها. مخلوقات بشعة ذات سم قاتل... وسحر قاتل.

في أوقات النهار، كان بول يلهي نفسه بهذه الحماقة المبهجة. وفي أوقات المساء، كان يجلس بهدوء ويستمع إلى صئيل الخنزيرة ويفكر في طريقة لقتل السيدة التنين.

اكتشــف بــول بأن ممارسة لعبة "هل يمكنك؟" في الحياة الواقعية تخــتلف تمامــاً عن ممارستها كطفل ضمن دائرة من الأطفال الجالسين جلســة القرفصــاء، أو ممارستها أمام الآلة الكاتبة كبالغ. عندما تكون مجــرد لعبة (وحتى لو أنك تأخذ المال مقابلها، فهي تبقى مجرد لعبة)،

يمكنك اختلاق بعض الأشياء الغريبة والجميلة وجعلها تبدو ممكنة التصديق. مثل صلة القربى التي تربط بين ميزري تشاستين وتشارلوت إيفلين هايد (تبيَّن أنهما أختان غير شقيقتين؛ وستكتشف ميزري لاحقاً بأن أبيها يعيش مع شعب البوركا في إفريقيا). ولكن، في الحياة الواقعية، تفقد هذه الأفكار الغريبة بطريقة ما قوتها وفعاليتها.

ولكن، هذا لا يعني بأن بول لم يحاول. فمع وجود كل تلك الأدوية في حمام الطابق السفلي، من المؤكد أن هناك طريقة ما لاستعمالها من أجل التخلص منها، أليس كذلك؟ أو على الأقل ليجعلها عاجزة لمدة كافية لقتلها؟ النوفريل مثلاً. كمية كافية منه ولن يضطر بعدها لقتلها، فهي سترحل من تلقاء نفسها.

تلك فكرة رائعة يا بول. سأقول لك ماذا ستفعل. ما عليك إلا أن تأخذ ملء قبضة من تلك الكبسولات وتحشرها كلها في كوب البوظة التي تحبها. ستعتقد بأنها حبوب الفستق فتزدردها كلها.

لا. من المؤكد أن هذه الفكرة لن تنجح، حتى لو فتح غطاء الكبسولات ومزج المسحوق في البوظة الطرية. فلكبسولات النوفريل طعم مر إلى حدٍّ كبير. لقد تذوقها ويعرف طعمها جيداً. إنها ستميزه على الفور في وسط تلك الحلاوة المتوقعة... *وعندها ستحل المصيبة عليك يا بولي. مصيبة عظمى.*

لو جاءت في سياق قصة، لكانت فكرة رائعة حتماً. بيد أنها ببساطة لن تنفع في الحياة الواقعية. فهو لم يكن متأكداً من أنه سيفعل ذلك حتى لو كان المسحوق الأبيض داخل الكبسولات بدون أي طعم على الإطلاق. فالفكرة ليست آمنة بما يكفي، ليست مضمونة بما يكفي. تلك ليست لعبة، إنها حياته.

مرت أفكار أخرى في ذهنه ورفضها بسرعة أكبر من سابقتها. إحداها تمثلت بتعليق شيء ما (خطرت الآلة الكاتبة بباله على الفور) فوق الباب بحيث تسقط على رأسها فتقتلها أو تغيِّبها عن الوعي حالما

تدخل الغرفة. وأخرى تمثلت بمد سلك خفي يصل بين جانبي السلم. لكن المشكلة في كلتا الفكرتين هي أنهما – مثل حيلة النوفريل في البوطة – كانتا غير مضمونتين بما يكفي. لم يكن يستطيع منع نفسه من التفكير في ما يمكن أن يحصل له إذا ما حاول قتلها وأخفق.

عندما حلّ الظلام في تلك الليلة الثانية، بدأ صئيل ميزري يصبح رتيباً ومزعجاً، فلقد بدا صوت الخنزيرة مثل صوت باب مفتوح ذي مفاصل صدئة يئز كلما هبت الريح، أما البقرة المسكينة فتوقفت فجأة عن الخوار، فتساءل بول بقلق ما إذا كانت قد ماتت من جراء انفجار صدرها. لبرهة، حاولت مخيلته *(النابضة بالحياة!)* أن تصور له البقرة وهي ممدة بلا حراك في بركة من الحليب الممزوج بالدماء، لكنه سرعان ما أرغمها على التوقف. فقال لنفسه: *الأبقار لا تموت بهذه الطريقة*. لكن كلماته هذه كانت غير مقنعة. فهو لم يكن يعرف إذا كانت الأبقار تموت بهذه الطريقة أم لا. إضافة إلى ذلك، فالبقرة لم تكن هي مشكلته، أليس كذلك؟

كل أفكارك الخيالية تؤدي إلى شيء واحد: أنت تريد قتلها بواسطة التحكم عن البعد، إنك لا تريد دماءها على يديك. إنك تشبه رجلاً لا يحب شيئاً في العالم أكثر من شريحة لحم مقددة لكنه لا يستطيع أن يتحمل قضاء ساعة واحدة في المذبح. ولكن، استمع يا بولي، افهم ما أقول: عليك أن تواجه الواقع في هذه المرحلة من حياتك. لا خيال. لا تزيينات. صحيح؟

صحيح.

عاد إلى المطبخ وفتح الجوارير حتى وجد السكاكين. انتقى أطول سكين لتقطيع اللحم ثم عاد إلى غرفته. مسح العلامتين اللتين تركهما غطاءا محوري العجلتين على جانبي إطار الباب، بالرغم من أن علامات مروره عبر الباب أصبحت أكثر وضوحاً من ذي قبل.

وضـــع السكين على الطاولة المحاذية للسرير، ثم رفع نفسه حتى استـــتلقى عليه، ثم دسها تحت الفراش. عندما ستعود آني، سيطلب منها كأساً من الماء البارد، وعندما ستنحني كي تعطيه الكأس سيغرز السكين في رقبتها.

لا خيال.

أغلـــق بـــول عينيه وغط في النوم. وعندما دخلت الشيروكي إلى الطريق الفرعي الموصل إلى المنزل وأطفأت محركها ومصابيحها، لم يشـــعر بـــأي شيء. إلى أن أحس بوخز إبرة تنغرز في ساعده فاستفاق ليرى وجهها فوق رأسه. لم يحس أبداً برجوعها.

21

فـــي البداية اعتقد بأنه كان يحلم بشيء يتعلق بكتابه، وأن الظلمة كانت ظلمة الكهوف المحفورة في رأس إلهة النحل لشعب البوركا، وأن اللسعة كانت لسعة نحلة –

"بول؟"

تمـــتم بشـــيء غـــير مفهوم، شيء يعني فقط اغربي من هنا، أو ارحلي عني، صوت آتٍ من الحلم.

"بول".

هذا ليس صوتاً آتياً من الحلم، إنه صوت آني.

أرغـــم عينيه على الانفتاح. نعم، إنها آني. وللحظة تعاظم ذعره، إلا أنـــه مـــا لبث أن تلاشى رويداً رويداً، مثل سائل يصب في مصفاة نصف مسدودة.

اللعنة! ماذا بحق الشيطان –؟

كـــان مشتت الذهن كلياً. وهي كانت تقف هناك في الظلال وكأنها لـــم تبارح المنزل أبداً، مرتدية واحدة من تنانيرها الصوفية وواحدة من

كنزاتها الرثة. رأى الإبرة في يدها فعرف أنه لم يُلسّع بواسطة نحلة بل أُعطي حقنة. وما الفرق... اللعنة! ففي كلتا الحالتين، لقد وقع بيد الإلهة. ولكن، ما الذي –؟

حـــاول ذلك الذعر أن يأتيه ثانية، لكنه مرة أخرى اصطدم بدارة ميتة. وكل ما كان بإمكانه أن يشعر به هو القليل من التفاجؤ الأكاديمي وبعــض الفضـــول الفكري، مثل من أي جاءت، ولماذا الآن؟ حاول أن يرفع يديه فارتفعتا قليلاً... قليلاً فقط. أحس بأن هناك أثقالاً غير مرئية معلقـــة بهمـــا. فســـقطتا على الفراش مصدرتين صوت ارتطام مكتوم خفيف.

ليس مهماً ما حقنتني به. إنه شبيه بما تكتبه على الصفحة الأخيرة من الكتب. إنها النهاية.

لم تُحدث هذه الفكرة أي خوف لديه، بل على العكس من ذلك، لقد أحس بنوع من الغبطة الهادئة.

على الأقل، حاولت أن تجعل الأمر رحيماً... أن تجعله...

قالـــت آني: "آه، ها أنت!" ثم أضافت بشيء من الغزل الثقيل: "أنا أراك يا بول... تلك العينان الزرقاوان. هل أخبرتك كم عيناك جميلتان؟ لكننـــي أعتقد بأن نساء أخريات فعلن ذلك؛ نساء أكثر جمالاً مني وأكثر جرأة في التعبير عن إعجابهم أيضاً".

جئـــتِ، جئـــتِ متسللة في جنح الظلام وقتلتنـــي، بواسطة حقنة أم بلسعة نحلة، لا فرق. وكذلك بالنسبة للسكين تحت الفراش، لم يعد للأمر أهمية بعد الآن. كل ما أنا عليه الآن هو آخر رقم في قائمة آني الكبيرة لإحصـــاء الجثـــث. في ذلك الوقت، مع سريان مفعول الحقنة في جسده والمتمـــثل في الإحساس بالغبطة والخدر في آن معاً، فكّر بول ممازحاً نفسه: *تبيَّن أنك شهرزاد غبي يا بول.*

أحـــس بأنه سيغفو خلال أي لحظة – غفوة أخيرة – لكن النوم لم يأته. شاهدها تضع الإبرة في جيب تنورتها ثم تجلس على السرير، ليس

فـــي المكان الذي اعتادت أن تجلس عليه، بل على لوح السرير السفلي. ولـــبرهة وجيزة رأى ظهرها الصلب وغير القابل للنفاذ عندما انحنت، ربما كي تتفحص شيئاً ما تحت السرير. سمع صوت طقطقة خشبية، ثم قـــرقعة معدنـــية، ثم صوت خشخشة سمعه في مكان ما من قبل. وبعد قليل، تذكّره: *إنها علبة الثقاب يا بول.*

علـــبة الـــثقاب دايمند بلو تيبس. لم يكن بول يعرف ماذا يمكن أن تكـــون قد خبّأت غيرها عند أسفل السرير، لكن واحدة منها كانت علبة ثقاب من نوع دايمند بلو تيبس.

التفتـــت آنـــي إلـــيه وابتسمت. على أي حال، بصرف النظر عما حدث، المهم أن اكتئابها المدمر قد زال. رفعت خصلة غير منتظمة من شعرها إلى وراء أذنها بحركة بنّاتية. لكنها لم تكن منسجمة مع المظهر القذر والباهت لخصلة شعرها.

باهتة قذرة نصف لامعة. أوه يا للروعة عليك أن تتذكر ذلك، ذلك ليس سيئاً يا للروعة أنا مخدَّر الآن، كل الماضـي كان مجرد مقدمة لهذه القذارة، هيي حبيبي هذا هو التخدير عبر الوريد. أوه، اللعنة أنا انتهيت لكـــنها نهاية قذرة وواضحة أنا سأنتهي على موجة بعلو ميل في كرسي مدولب لعين هذه –

سألته: "ماذا تريد أولاً يا بول؟ الخبر الجيد أم السيئ؟"

"الخبر الجيد أولاً". نجح في رسم ابتسامة غبية كبيرة. "أعتقد بأن الخـــبر الســـيئ هو هذه النهاية، هه؟ أعتقد بأن الكتاب لم يعجبك كثيراً، هه؟ يا للأسف... لقد حاولت. حتى أنني كدت أنجح. كنت على وشك أن أبدأ في... كما تعلمين... أبدأ في الانطلاق به".

نظرت إليه نظرة مؤنبة. "أنا أحب الكتاب، بول. لقد أخبرتك ذلك، وأنـــا لا أكذب أبداً. أحبه كثيراً إلى درجة أنني لن أقرأ المزيد منه حتى تفرغ منه. آسفة لأنني اضطررت إلى جعلك تملأ أحرف n بنفسك لكنه ليس صعباً...إنه... مثل استراق النظر".

توسعت ابتسامته الغبية الكبيرة أكثر. اعتقد بأنها سوف تلتقي خلف رأســه وتعقد أنشوطة هناك، فيسقط معظم رأسه المسكين على الأرض. ربمــا ســينتهي بــه الأمــر في وعاء التبرز بجانب السرير. انطلقت صــفارات الإنذار في ذلك الجزء العميق المعتم من عقله الذي لم تصله جــرعة المخدر بعد. لقد أحبت الكتاب، وهذا يعني بأنها لم تكن تريد أن تقتله. ولكن، مالم تكن معرفته بآني ويلكس خاطئة كلياً، فهذا يعني بأنها كانت تخبئ له ما هو أسوأ من القتل.

الآن لــم يعــد الضوء في الغرفة يبدو باهتاً، بل بدا نقياً على نحو رائــع، مليــئاً بسحر غريب غير أرضي. في ذلك الضوء تخيّل طيور اللقلــق تلمــع فــي ضباب رمادي وهي تقف بصمت على رجل واحدة بجانب بحيرات المرتفعات، في ذلك الضوء، تخيل خيوط فلز الميكا في الصــخور البارزة بين الأعشاب الربيعية في مروج المرتفعات تلمع مع وهج زجاج النافذة الصقيل، في ذلك الضوء، تخيل العفاريت وهي تجهز نفسها للعمل تحت أوراق اللبلاب المبللة بالندى، في ذلك الضوء...

أوه يــا الله، أنــت مخــدر تماماً، قال بول لنفسه ثم قهقه بصوت واهن.

ابتسمت له آني في المقابل، وقالت: "الخبر الجيد، هو أن سيارتك اختفــت. كنت قلقة جداً بشأن سيارتك يا بول. كنت أعرف بأن التخلص مــنها كــان يتطلــب عاصفة كهذه، وربما حتى ذلك لم يكن لينفع. لقد تخلــص ذوبــان الثلوج في الربيع من ذلك الطير القذر بوميروي، لكن الســيارة أثقل من الإنسان بكثير، أليس كذلك؟ حتى لو كان رجلاً مليئاً بالقذارة مثله. لكن الأمطار وذوبان الثلج معاً قاما بالمطلوب. لقد اختفت سيارتك. وهذا هو الخبر الجيد".

"مــاذا..." انطلق المزيد من أجراس الإنذار الخافتة. بوميروي... إنــه يعــرف هذا الاسم، لكنه لم يستطع تحديد شخصية حامله. إلى أن تذكّــر فجــأة. بوميروي. الراحل أندرو بوميروي، 23 عاماً، من كولد

سبرينغ هاربور، نيويورك. وُجد في محمية غرايدر وايلدلايف.

قالــت بذلــك الصوت الجاد الذي يعرفه جيداً: "والآن يا بول، لا حاجــة للمــراوغة. أعرف بأنك تعرف من هو أندي بوميروي، لأنني أعــرف بأنك قرأت كتابي. أعتقد بأنني إلى حدٍّ ما كنت آمل بأن تقرأه، وإلا لمــاذا أتركه ظاهراً؟ لكنني تأكدت، تعرف، أنا أتأكد من كل شيء. متأكدة تماماً، فالخيوط تقطعت".

قال بوهن: "خيوط".

"أجــل. قــرأت مــرة عن طريقة تسمح لك باكتشاف ما إذا كان شــخص ما يتطفل ويستطلع محتويات أدراجك. ما عليك إلا أن تلصق خــيطاً دقــيقاً جداً بين طرفي كل واحد منها، فإذا جئت ورأيت أحدها مقطوعــاً، ســتعرف بأن أحداً كان يتطفل على أغراضك، أليس كذلك؟ أرأيت كم هي سهلة؟"

"نعــم آني". كان يصغي إليها، لكن ما كان يريده هو أن يبحر في ذلك الضوء الرائع.

انحنــت ثانــية لتــتفحص الأشياء التي كانت تضعها عند الطرف السفلي من السرير. ومرة أخرى سمع صوت شيء خشبي يحتك بجسم معدنــي، ثم عادت إلى وضعيتها السابقة، وصففت شعرها بيدها بحركة لا شعورية.

"لقد فعلت ذلك مع كتابي. لكنني لم أستخدم خيوطاً بل استخدمت فقــط عــدة شــعرات من رأسي ووضعتها في ثلاثة أمكنة مختلفة. وعــندما عدت هذا الصباح - في وقت مبكر جداً، تسللت بهدوء كي لا أوقظك - كانت الشعرات الثلاث كلها مقطوعة، فعرفت بأنك كنت تــنظر إلــى كتابــي". صمتت قليلاً ثم ابتسمت. بالنسبة لآني، كانت ابتســامة نصــر، لكنها كانت في نفس الوقت تملك خاصية كريهة لم يســتطع بــول تمييزها. "لا يعني هذا بأنني كنت مستغربة. فقد كنت أعرف بأنك خرجت من الغرفة. وهذا هو الخبر السيئ. كنت أعرف

منذ وقت طويل، طويل يا بول".

كـــان يجـــب أن يشـــعر بالغضب والفزع، فهي كانت تعرف منذ الـــبداية، فيما يبدو... إلا أنه لم يشعر إلا بتلك الغبطة الحالمة الطافية، وما كانت تقوله لم يكن مهماً بالنسبة إليه بقدر أهمية ذلك الضوء الساحر والمنعش مع طلوع الصباح.

"ولكـــن"، قالت كمن يعود للحديث في موضوع جدي، "كنا نتحدث عـــن سيارتك. لديَّ إطارات خاصة للسير على الثلج، بول، وفي منزلي في الجبال أحتفظ بمجموعة من السلاسل الحديدية المخصصة للإطارات قـــياس 10x. فـــي وقت مبكر من بعد ظهر يوم أمس، شعرت بأنني في أفضـــل حال؛ قضيت معظم وقتي هناك راكعة على ركبتي، غارقة في الصلاة، فجاءني الجواب، كما يأتي غالباً، وكان بسيطاً تماماً، كما يكون غالباً. ما تطلبه من ربك في الصلاة، يا بول، يمنحك إياه مضاعفاً ألف مرة. وهكذا، وضعت السلاسل حول الإطارات وعدت إلى هنا. لم يكن ذلـــك ســـهلاً، فقد كنت أعرف بأنه قد تقع حادثة بالرغم من الإطارات والسلاســـل. كمـــا كنـــت أعرف بأنه من النادر أن تحصل ما يمكن أن نســـميه 'حادثـــة بسيطة' في تلك الطرقات المتعرجة الشديدة الانحدار. لكنني شعرت بالهدوء في عقلي، لأنني كنت أشعر بالأمان بين يدي الله".

قال بول بصوت مبحوح: "ذلك أمر روحي رفيع جداً يا آني".

رمقـــته بنظرة فزعة ومتشككة لوهلة... لكنها عادت وابتسمت بعـــد ذلك. قالت بنعومة: "لديَّ هدية لك يا بول". وقبل أن يتمكن من الســـؤال عن ماهية الهدية – لم يكن متأكداً من أنه يريد أي نوع من الهدايـــا من آني – استأنفت كلامها: "كانت الطرقات مغطاة بالجليد. كـــدت أنحرف عن الطريق مرتين... في المرة الثانية، انزلقت أولد بيســـي ودارت دورة كاملـــة وكانت تسير في طريقها إلى الهاوية!" ضـــحكت آنـــي بمرح. "ثم علقت في كومة من الثلج – هذا كان في منتصـــف اللـــيل تقريباً – لكنّ طاقماً لفرش الرمال في قسم الأشغال

العامة جاء وساعدني في الخروج".

قال بول: "بارك الله قسم الأشغال العامة". لكن الجملة خرجت بشكل غير واضح.

"الميلان الأخيران قبل الوصول إلى الطريق العام للمقاطعة كانا المسافة الأخيرة الصعبة. الطريق العام للمقاطعة هو الطريق 9، كما تعلم. والطريق الذي كنت تسير عليه عندما حصلت الحادثة معك، كانوا قد فرشوه كله بالرمال. توقفت في المكان الذي انحرفت فيه سيارتك عن الطريق، وبحثت عن السيارة. كنت أعرف ماذا سأفعل إذا وجدتها. لأنه ستكون هناك أسئلة، وسأكون ربما أول شخص يطرحون عليه هذه الأسئلة، لأسباب أعتقد بأنك تعرفها".

أنا متقدم عليك كثيراً في هذا الأمر يا آني. فقد بحثت هذا السيناريو كله قبل ثلاثة أسابيع.

"أحد الأسباب التي جعلتني أجلبك إلى هنا هو أن الأمر بدا أكثر من مجرد مصادفة... بدا وكأن الأمر حصل بتدخل العناية الإلهية".

قال بول بصعوبة: "ما الذي بدا وكأنه حصل بتدخل العناية الإلهية يا آني؟"

"سيارتك تحطمت تقريباً في نفس البقعة التي تخلصت فيها من ذلك البغيض بوميروي. الرجل الذي ادعى بأنه كان فناناً". قلبت يدها احتقاراً، ثم حركت قدميها، فصدر ذلك الصوت الخشبي عندما مست إحداهما شيئاً مما كانت تضعه هناك على الأرض.

"لقد أقليته معي عندما كنت راجعة من إيستيس بارك. كنت هناك أشاهد معرضاً للقطع الخزفية. أحب المنمنمات الخزفية الصغيرة".

قال بول: "لاحظت ذلك". حاول ذلك الجزء العميق منه – الجزء الذي لم يصله المخدر – أن يحذره ويطلب منه أن يقفل فمه. ولكن، ما الفائدة؟ فهي كانت تعرف. *بالطبع إنها تعرف؛ إلهة النحل البوركية تعرف كل شيء.* "أحببت بشكل خاص البطريق على القاعدة الجليدية".

"شكراً بول... إنه لطيف أليس كذلك؟ كان بوميروي يحاول إيقاف سيارة على الطريق. كان يحمل صرة على ظهره. قال بأنه فنان، لكنني اكتشـــفت بأنـــه كان مجرد هيبي قذر مدمن على المخدرات كان يغسل الصحون في مطعم في إيستيس بارك خلال الشهرين السابقين. وعندما أخـــبرته بأننـــي أملك منزلاً في سايدويندر، قال بأن ذلك كان مصادفة حقيقـــية، لأنـــه كان ذاهباً إلى سايدويندر. قال إنه كان في مهمة لصالح مجلة في نيويورك، وأنه سيذهب إلى الفندق القديم ويرسم ما تبقى منه، وأن صـــوره ســـتُرفَق مـــع مقالة تقوم المجلة بإعدادها. إنه فندق قديم مشـــهور يُدعـــى أوفرلوك احترق منذ عشر سنوات. لقد أحرقه حارس الفـــندق. كـــان مجنوناً. الجميع في البلدة قالوا ذلك. ولكن، لا تقلق، فقد مات.

سمحت لبوميروي بأن يقيم معي هنا.

كنا عاشقين".

إذا كـــان أندرو بوميروي يستطيع أن يمارس الجنس معك يا آنـــي، فلا بد أنه لا يقل جنوناً عن ذلك الحارس الذي أحرق الفندق.

"ثـــم اكتشـــفت بأنه لم يكن في مهمة عمل لرسم صور للفندق. بل كان يقوم برسمها لنفسه، على أمل أن يتمكن من بيعها. حتى أنه لم يكن مـــتأكداً مـــن أن المجلة تقوم بإعداد مقالة عن الفندق. لقد اكتشفت ذلك بسرعة كبيرة. وبعد ذلك، تسللت إلى غرفته واسترقت النظر إلى كراسة الرســـم الخاصـــة به. أحسست بأن لديَّ كل الحق في أن أفعل ذلك، فقد كـــان يـــأكل من طعامي وينام في سريري. كانت هناك ثماني أو تسع صور فقط في الكراسة كلها، وكانت مريعة".

تغضـــن وجههـــا، وبـــدت مثل تلك المرة التي قلدت فيها صوت الخنزير.

"كـــان بإمكاني أن أرسم أفضل منها! دخل إلى الغرفة عندما كنت أنظـــر إلـــى الرســـومات فجـــن جـــنونه. قال بأنني كنت أتطفل على

خصوصـيـاته. فقلت بأنني لا أدعو النظر إلى أشياء موجودة في منزلي تطفلاً. وقلت له بأنه إذا كان فناناً فإنني مدام كوري. فبدأ بالضحك. كان يسخر مني. ولهذا... أنا... أنا..."

قال بول: "قتلته".

نظرت إلى الجدار وابتسمت بعدم ارتياح. "حسناً، أعتقد بأنه شيء مـن هذا القبيل. لا أذكر جيداً. فقط عندما مات. أذكر ذلك. أذكر بأنني أدخلته الحمام ونظفته جيداً".

نظر إليها وأحس برعب وقرف شديدين. تخيل بوميروي طافياً في حوض الاستحمام في الطابق السفلي مثل قطعة من العجين، رأسه مائل باتجاه البورسلين، وعيناه مفتوحتان تحدقان في السقف...

قالـت: "اضـطررت لفعل ذلك". ثم مطت شفتيها قليلاً. "لعلك لا تعرف ماذا تفعل الشرطة بقطعة خيط، أو أوساخ متجمعة تحت الأظافر، أو حـتى الغـبار فـي شـعر الجثة. أنت لا تعرف، لكنني عملت في المستشـفيات طـوال حياتي وأنا أعرف! أعرف! أعرف عن *التحقيق الجنائي*!"

كانت في طريقها للدخول في واحدة من نوبات غضبها الهستيرية المرخصـة باسم آني ويلكس، وكان يعرف بأن عليه أن يحاول ويقول شيئاً علّه يخفف من غضبها لفترة مؤقتة على الأقل، لكن فمه بدا خدراً وبلا أية فائدة.

"كلهـم يريدون النيل مني، كلهم! هل تعتقد بأنهم كانوا سيصغون إلـيَّ لو أخبرتهم بما حدث؟ هل تعتقد بأنهم كانوا سيصغون؟ هل تعتقد؟ أوه لا! ربمـا كانوا سيقولون شيئاً مجنوناً مثل إنني حاولت التقرب منه فسخر مني فقتلته! لعلهم سيقولون شيئاً من هذا القبيل!"

أتعرفين يا آني؟ أتعرفين؟ أعتقد بأن هذا قريب جداً من الحقيقة.

"الطـيور القـذرة حولي هنا سيقولون أي شيء كي يوقعوني في المشاكل أو يلطخوا اسمي".

صمتت قليلاً، لم تكن تلهث تماماً بل كانت تتنفس بصعوبة. كانت تـنظر إلـيه بحـدة، وكأنهـا كانت تدعوه ليتجرأ فقط ويخبرها بشيء مختلف. *تجرأ فقط!*

ثـم بـدت وكأنهـا تمكنت من السيطرة على نفسها قليلاً فعادت واستأنفت كلامها بصوت أكثر هدوءاً.

"نظفت... حسناً... ما بقي منه... ونظفت ثيابه أيضاً. كنت أعرف مـاذا سأفعل. كان الثلج يتساقط في الخارج، التساقط الحقيقي الأول في السنة، وقالوا بأن سماكة الثلج ستبلغ قدماً بحلول الصباح التالي. وضعت ثـيابه في كيس بلاستيكي ولففت الجثة بشراشف ثم أخذت كل شيء إلى ذلـك الجـدول الجاف على الطريق 9 بعد حلول الظلام. مشيت حوالى مـيل إلـى الأسـفل من المكان الذي انتهت إليه سيارتك. مشيت حتى وصـلت إلى الغابة وألقيت بكل شيء هناك. قد تظن بأنني أخفيته لكنني لم أفعل. كنت أعرف بأن الثلوج سوف تغطيه، ففكرت بأن ذوبان الثلوج فـي الربيع سيحمله بعيداً إذا تركته في حوض الجدول. وهذا ما حدث باستثناء أنني لم أكن أعرف بأنه سيبتعد إلى ذلك الحدّ. لقد وجدوا جثته بعـد سـنة كاملة... بعد سنة من وفاته، وعلى بعد سبع وعشرين ميلاً تقريـباً. في الواقع، كان من الأفضل ألا يبتعد إلى ذلك الحدّ، لأنك دائماً تجد متنزهين ومراقبي الطيور في محمية غرايدر. لكنّ الغابات هنا أقل اجتذاباً للناس".

ابتسمت.

"وهـناك تقـبع سيارتك الآن يا بول. في مكان ما بين الطريق 9 ومحمية غرايدر وايلدلايف، في مكان ما في الغابة. وهي بعيدة بما يكفي بحيث لا يمكنك رؤيتها من الطريق. لديّ ضوء كشاف على جانب أولد بيسـي، وهو قوي جداً، لكن مسار الجدول حتى دخوله إلى الغابة كان فارغـاً. أعـتقد بأننـي سأخوضه مشياً على الأقدام وألقي نظرة عندما تـنخفض المياه قليلاً، لكنني متأكدة تقريباً بأنها في أمان. سيجدها صياد

ما بعد سنتين أو خمس سنوات أو سبع سنوات، صدئة بالكامل وقد بنت السـناجب أعشاشـها في المقاعد، وبحلول ذلك الوقت ستكون قد أنهيت كتابي وعدت إلى نيويورك أو لوس أنجلوس أو أي مكان تقرر الذهاب إلـيه، وأنـا سأكون هنا أعيش حياتي بهدوء. ربما سنتراسل في بعض الأحيان".

ارتسـمت ابتسامة ضبابية على وجهها – ابتسامة امرأة تنظر إلى قلعة جميلة في السماء – ثم اختفت الابتسامة فجأة وعادت إلى مظهرها الجدي.

"لهـذا عدت إلى هنا، وخلال الطريق فكرت ملياً. بما أن سيارتك اختفـت، فهـذا يعني بأنك تستطيع البقاء، تستطيع إنهاء كتابي. لم أكن دائمـاً متأكدة من أنك ستكون قادراً على إنهائه، بالرغم من أنني لم أقل لـك ذلك أبداً لأنني لم أشأ أن أزعجك. ولم أكن أريد أن أزعجك لأنني كنت أعرف بأن ذلك سوف يؤثر على نوعية كتابتك، لكن هذا يبدو أكثر برودة مما أشعر به فعلاً يا عزيزي. فكما تعرف، في البداية أحببت ذلك الجـزء مـنك فقـط، ذلك الجزء الذي يبتكر هذه القصص الرائعة لأنه الجـزء الوحيد الذي أعرفه عنك. أما الجزء الباقي منك فلم أكن أعرف عنه الكثير، وأعتقد بأنه قد يكون كريهاً تماماً. لست غبية، أنت تعرف. لقـد قـرأت عـن بعض الأشخاص الذين يُدعَون 'مؤلفين مشهورين' وأعرف بأنهم أشخاص بغيضون في أغلب الأحيان. قد يفوز ف. سكوت فيـتجرالد وإيرنسـت هيمـنجواي وذاك الرجل ذو الرقبة الحمراء من ميسيسـيبي – فولكنر أو شيء من هذا القبيل – بجائزة بولتزر الوطنية لأفضـل الكتـب، لكنهم في حقيقة الأمر ليسوا أكثر من سكِّيرين قذرين عديمـي الفائدة. والآخرون أيضاً، عندما لا يكتبوا قصصاً رائعة تجدهم يسـكرون ويعـربدون ويحقنون أنفسهم بالمخدرات والله يعلم أي شيء آخر.

ولكـن، أنـت مختلف، وبعد فترة من الوقت أصبحت أعرف بقية

بـــول شيلدون، وآمل بأنك لا تمانع ما سأقوله، لكنني بدأت أحب الجزء الباقي منه أيضاً".

"شكراً لك يا آني". قال من قمة موجته الذهبية المتلألئة، ثم قال في داخله: *ولكن لعلك أسأت قراءتي، تعرفين. أعني إن الظروف التي تقود الـــرجال إلـــى الرغبات بُترت بقسوة هنا. فمن الصعب على المرء أن يـــرتاد الحانات عندما تكون ساقاه مكسورتين يا آنـي. أما بالنسبة لحقن المخدرات، فقد جعلت إلهة النحل البوركية تقوم بذلك نيابة عني.*

"ولكـــن، هل تريد أن تبقى؟" تابعت آني حديثها. "ذلك هو السؤال الذي كان عليَّ طرحه على نفسي، وبقدر ما كنت أريد أن أضع الغشاوة على عيني فقد كنت أعرف الجواب على هذا السؤال – عرفت حتى قبل أن أرى العلامات على الباب هناك".

أشارت بيدها إلى موضع العلامات وشرد بول في تفكيره: *أراهن بأنها عرفت منذ البداية. غشاوة؟ ليس أنت يا آنـي. ليس أنت. لكننـي أنا من كان يضع تلك الغشاوة.*

"هل تذكر المرة الأولى التي ذهبت فيها؟ بعد ذلك الجدال السخيف حول الورق؟"

"أجل".

"تلـــك كانـــت المـــرة الأولى التي خرجت فيها من الغرفة، أليس كذلك؟"

"أجل". لم تكن هناك فائدة من الإنكار.

"بالطبع كنت تريد أقراص الدواء. كان يجب عليَّ أن أعرف بأنك ستفعل أي شيء لكي تحصل على أقراصك، ولكن، عندما أفقد صوابي، فإننـــي أصبح... تعرف". قهقهت بنوع من العصبية. لكن بول لم يبادلها القهقهـــة، بـــل حـــتى لـــم يبتسم. فذكرى تلك الفترة العصيبة والمؤلمة المـــترافقة مـــع الصوت الخفي لذلك المعلق الرياضي الذي يصف كل حركة كان يقوم بها كانت ما تزال حاضرة بقوة في ذهنه.

نعم، أعرف كيف تصبحين، يا آني. تصبحين مقرفة.

"في البداية لم أكن متأكدة تماماً. لاحظت أن بعض التماثيل الموضوعة فوق الطاولة الصغيرة في غرفة الاستقبال قد تحركت قليلاً، لكنني اعتقدت بأنني ربما أنا من فعل ذلك؛ هناك أوقات أكون فيها شديدة النسيان. خطر ببالي أن تكون قد خرجت من غرفتك، لكنني قلت لنفسي: *أوه، ذلك مستحيل. إنه مصاب إصابة بالغة، وإضافة إلى ذلك، فقد أقفلت الباب.* حتى أنني تحققت لأرى إن كان المفتاح ما يزال في جيب تنورتي، وكان هناك بالفعل. ثم تذكرت بأنك كنت في كرسيك المتحرك. لذا، ربما...

إحدى الأشياء التي تتعلمها من العمل كممرضة محترفة لمدة عشر سنوات هو أن تتحقق دائماً من كل الاحتمالات. وهكذا ألقيت نظرة على الأشياء التي أحتفظ بها في حمام الطابق السفلي؛ إنها عينات مجانية كنت أجلبها دائماً إلى المنزل حينما كنت أعمل، ينبغي أن ترى كل تلك المواد التي تُستعمل في المشافي يا بول! لذا كنت آخذ القليل منها بين الحين والآخر... القليل من الفائض... ولكنني لم أكن الوحيدة. إلا أنني كنت أعرف تماماً بأنني يجب ألا آخذ أي دواء يكون المورفين إحدى مواده الأساسية. إنهم يقفلون عليها ويحصونها ويحتفظون بسجلات عنها. وإذا شكوا بأن ممرضة تهرِّب الدواء – هكذا يدعون الأمر – فإنهم يراقبون تلك الممرضة حتى يتأكدوا. ثم يطردونها، ومعظم اللواتي يُكشَف أمرهن لا يرتدين القبعة البيضاء ثانية.

كنت أذكى من ذلك.

عندما نظرت إلى الصناديق الكرتونية أحسست أيضاً بأن ما فيها تبعثر قليلاً. لكنني لم أكن متأكدة تماماً، إذ يمكن أن أكون قد فعلت ذلك بنفسي عندما كنت... حسناً... عندما كنت مشغولة الذهن.

لاحقاً، بعد يومين، بعد أن قررت أن أصرف النظر عن الموضوع، جئت كي أعطيك دواءك في فترة بعد الظهر. كانت فترة

قيلولتك وكنت ما تزال نائماً. حاولت أن أدير مقبض الباب لكنه لم يدرْ لعـــدة ثواني؛ كأنه كان مقفولاً. ثم دار بعد ذلك وسمعت صوت شيء ما يخشخش داخل القفل. ثم بدأت أنت تتحرك في سريرك فأعطيتك دواءك كالمعـــتاد وكأنني لم أشك بشيء. أنا جيدة جداً في هذا الأمر يا بول. ثم ســاعدتك كـــي تجلـــس علـــى الكرســـي من أجل الكتابة. أثناء قيامي بمســاعدتك لوضعك في الكرسي، شعرت كأنني القديس بولس وهو في طريقه إلى دمشق. كانت عيناي مفتوحتين. لاحظت أن لونك قد عاد إلى طبيعـــته. ولاحظـــت بـــأنك كنت تحرك ساقيك بالرغم من أنهما كانتا تؤلمانك. ولاحظت كذلك أن ذراعيك أصبحتا أكثر قوة.

لاحظت بأنك أوشكت أن تتعافى من جديد.

عـــندئذ فقط أدركت بأنك قد تتسبب في مشكلة لي حتى لو لم يشك أي شخص من الخارج في شيء. نظرت إليك وعرفت بأنني ربما لست الشخص الوحيد الذي يعرف كيف يحتفظ بأسراره.

فـــي تلـــك اللـــيلة بدلت دواءك بشيء أكثر قوة، وعندما أصبحت متأكدة بأنك لن تستيقظ حتى لو قام شخص بتفجير قنبلة تحت سريرك، أحضرت صندوق العدة من القبو ونزعت غطاء القفل عن الباب. وانظر ماذا وجدت!"

أخـــذت شـــيئاً صـــغيراً وداكـــناً من أحد جيبي قميصها الرجالي ووضعته في يده الخدرة. كان قطعة ملتوية من دبوس شعر.

بدأ بول بالضحك رغماً عنه.

"ما المضحك في الأمر يا بول؟"

"فـــي اليوم الذي ذهبت كي تدفعي ضرائبك، كنت بحاجة لأن أفتح الباب مجدداً. ترك الكرسي المتحرك – إنه كبير جداً – علامات سوداء. وكنت أريد أن أزيلها إذا استطعت".

"حتى لا أراها".

"لكنك كنت قد رأيتها مسبقاً، أليس كذلك؟"

"بعد أن وجدت أحد دبابيسي في القفل؟" أرغمت نفسها على الابتسام. "يمكنك أن تراهن على أنني رأيتها".

هزّ بول رأسه موافقاً وضحك بقوة أكبر. كان يضحك بشدة إلى درجة أن الدموع كانت تنهمر من عينيه. كل ما بذله من جهد... كل قلقه... كله كان هباء. كان الأمر يبدو مضحكاً جداً.

"كنت قلقاً من أن يفسد عليَّ ذلك الدبوس الأمر برمته. حتى أنني لم أسمعه يخشخش أبداً، وكان هناك سبب لذلك، أليس كذلك؟ إنه لم يخشخش لأنكِ أخرجته من داخل القفل. يا لك من ماكرة يا آني".

قالت: "أجل". ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة. "يا لي من ماكرة".

حركت قدميها، فصدر ذلك الصوت مجدداً صوت خبطة خشبية مكتومة.

22

"كم مرة خرجت من الغرفة؟"

"مرتين. لا، انتظري. خرجت مرة أخرى البارحة بعد الظهر حوالى الساعة الخامسة من أجل ملء إبريق الماء". هذا صحيح، لقد ملأ الإبريق بالفعل، لكنه حذف السبب الحقيقي لتلك الرحلة. والسبب الحقيقي موجود تحت فراشه. "ثلاث مرات، مع حساب خروجي من أجل الماء".

"قل الحقيقة يا بول".

"ثلاث مرات فقط، أقسم. ولم أكن أقصد الهرب. بحق الله أنا أكتب كتاباً هنا، في حال لم تلاحظي ذلك".

"لا تستخدم اسم المخلِّص عبثاً يا بول".

"توقفي عن استخدام اسمي بهذه الطريقة وربما سأفعل ذلك بدوري. في المرة الأولى كنت أتألم إلى درجة أحسست فيها بأن شخصاً ما وضعني في الجحيم من الركبتين إلى الأسفل. وأنت من

فعل ذلك يا آني".

"اسكت بول".

"وفـــي المرة الثانية، كنت أريد فقط شيئاً ما آكله، وإحضار المزيد مـــن المؤونة في حال غبت لفترة طويلة. وبعد ذلك عطشت، هذا كل ما في الأمر. ليست مؤامرة كبرى".

"مـــن المؤكـــد أنك لم تجرب الهاتف. من المؤكد أنك لم تتفحص الأقفال... لأنك هذا الفتى الصغير اللطيف".

"بالتأكيد جربت الهاتف. بالتأكيد تفحصت الأقفال... على أي حال، لـــن أبتعد كثيراً في ذلك المستنقع الطيني في الخارج حتى لو كانت كل أبوابك مشرعة". بدأ مفعول المخدر في جسده يصبح أقوى فأقوى، وكم كـــان يتمنى لو أنها تخرس وتذهب. لقد خدرته بما يكفي لقول الحقيقة. وهو كان يعرف بأنه سيدفع الثمن في الوقت المناسب. ولكن، أولاً، كان يريد أن ينام.

"كم مرة خرجت؟"

"لقد أخبرتك –"

"كم مرة؟" ارتفع صوتها. "قل الحقيقة".

"قلت الحقيقة! ثلاث مرات!"

"كم مرة، اللعنة؟"

بالـــرغم من جرعة المخدر الكبيرة التي حقنته بها، إلا أن بول بدأ يحس بالرعب.

علـــى الأقل إذا أرادت أن تفعل لي شيء فإنه لن يؤلمني كثيراً... وهي تريدنـــي أن أنهي الكتاب... هذا ما قالته...

"إنك تعاملني كغبية". لاحظ بول أن جلدها أصبح لامعاً، مثل نوع من البلاستيك مُدَّ بإحكام فوق حجر. كان وجهها يبدو بلا مسامات على الإطلاق.

"آني، أقسم –"

"أوه، الكذابــون يقسمون دائماً! الكذابون يحبون أن يقسموا! حسناً، استمر في معاملتك لي كغبية، إذا كان ذلك ما تريده. ذلك حسن. عامل امــرأة ليســت غبية على أنها غبية، وتلك المرأة تخرج دائماً منتصرة. دعنـــي أقول لك شيئاً يا بول، وضعت خيوطاً وشعراً من رأسي في كل مكـــان مـــن هذا المنزل ووجدت أن الكثير منها قد انتُزعت من مكانها لاحقـــاً. انتُزعت من مكانها أو اختفت كلياً... اختفت ببساطة... بوف! ولـــيس فقط على كتابي بل في هذا الممر وفي خزانتي ودروجي... في السقيفة... في كل مكان".

السقيفة؟

"آني، كيف يمكنني بحق الله أن أصل إلى الطابق العلوي؟"

صرخت: "أوه، صحيح! أوه، بالتأكيد! جئت إلى هنا منذ عدة أيام فوجـــدت أنـــك قـــد تدبرت أمرك وجلست في الكرسي بنفسك! إذا كان باســـتطاعتك القـــيام بذلـــك، فباستطاعتك الوصول إلى الطابق العلوي! بإمكانك أن تزحف!"

"نعم، على ساقي المكسورتين وركبتي المحطمة".

عـــادت تلـــك النظرة السوداء إليها من جديد. ذهبت آني ويلكس وحلت محلها إلهة النحل البوركية.

قالت هامسة: "لا تتذاك معي يا بول".

حسناً يا آني، على أحدنا أن يحاول على الأقل، وأنت لست ناجحة في ذلك كثيراً. لو فقط تحاولين أن تري كم مجنـــ

"كم مرة خرجت؟"

"ثلاث".

"المرة الأولى لتحصل على الدواء".

"نعم. كبسولات النوفريل".

"والمرة الثانية من أجل الطعام".

"هذا صحيح".

"والمرة الثالثة لملء الإبريق".

"أجل آني، أشعر بدوار شديد –"

"ملأته من الحمام آخر الممر".

"نعم".

"مرة من أجل الدواء، ومرة من أجل الطعام، ومرة من أجل الماء".

"أجل، أخبرتك بذلك!" حاول أن يصرخ لكن ما خرج كان زعيقاً واهناً.

مدت يدها إلى جيب تنورتها مجدداً وأخرجت سكين تقطيع اللحم، فلمع نصلها الحاد في ضوء الصباح الساطع. ثم استدارت فجأة إلى اليسار وقذفت السكين، قذفتها برشاقة ودقة مؤدٍ محترف في استعراض جماهيري. علقت السكين في الجدار الجصي تحت صورة قوس النصر، ثم بدأت تهتز.

"لقد تحققت من تحت فراشك قبل أن أعطيك الحقنة التحضيرية بقليل. كنت أتوقع أن أجد كبسولات دواء. كانت السكين مفاجأة حقيقية لي. حتى أنني كدت أن أجرح نفسي. لكنك لم تضعها هناك، أليس كذلك؟"

لم يجب. كان رأسه يدور ثم يهوي بدون توقف. حقنة تحضيرية؟ هل هذا ما قالته؟ *حقنة ما قبل العملية الجراحية؟* أصبح متأكداً حينئذ من أنها سوف تنتزع السكين من الجدار وتستأصل خصيتيه بها.

"لا، أنت لم تضعها هنا. لقد خرجت مرة للدواء، ومرة للطعام ومرة للشرب. وهذه السكين... لا بد أنها طارت في الجو حتى وصلت إلى هنا وانزلقت تحت الفراش بنفسها. نعم، لا بد أن هذا ما حصل". ثم ضحكت بسخرية.

حقنة تحضيرية؟؟؟ يا إلهي، هل هذا ما قالته؟

"اللعنة عليك!" صرخت آني. "اللعنة عليك! كم مرة خرجت؟"

"حسناً! حسناً! لقد أحضرت السكين عندما ذهبت لملء الإبريق! أنا أعـترف! إذا كنت تعتقدين بأن ذلك يعني بأنني خرجت عدداً معيناً من المــرات، تفضــلي وامــلأي الفراغ بنفسك! إذا أردت أن تكون خمس مرات، فلتكن خمساً. إذا أردت أن تكون عشرين، أو خمسين، أو مائة، كما تريدين. سأعترف بذلك".

للحظــة، مــن شــدة غضبه ومن حالته المخدَّرة، نسي الصورة المرعبة والمشوشة لتلك الجملة "حقنة تحضيرية". كان يريد أن يقول لها الكثــير مــن الأشــياء، بالــرغم من أنه كان يعرف بأن وحشاً مفترساً ومريضــاً بهــوس الارتــياب مثل آني سيرفض ما هو واضح وضوح الشــمس. كان الطقس رطباً، واللاصق الاسكوتلندي لا يحب الرطوبة. إذاً، لا بــد أن أفخاخها الصغيرة - في كثير من الحالات - خُلعت من مكانهــا ببساطة وطارت في الهواء على غير هدى. وماذا عن الفئران. لقد سمع أصواتها في الجدران. بالتأكيد، فمع وجود الكثير من الماء في القبو وغياب مالكة المنزل، لا بد أنها امتلكت زمام الأمور، وخاصة مع وجود كل تلك المواد الغذائية والبقايا القذرة المتناثرة في كل مكان. لعل الفئران هي التي قطعت معظم الخيوط التي نصبتها آني. لكنها سترفض هذه الأفكار قطعاً.

"آنــي... آنــي، مــاذا عنيــت عــندما قلت بأنك أعطيتني حقنة تحضيرية؟"

لكــن آنــي كانت ما تزال متثبّتة عند مسألة أخرى، وقالت: "أقول بأنها سبع مرات. سبع على الأقل، هل كانت سبع مرات؟"

"إذا أردتهــا أن تكــون ســبعاً، فهي سبع مرات. ماذا كنت تعنين عندما قلت -؟"

قالــت آني: "أرى بأنك تتقصد العناد. أعتقد بأنك ومن مثلك ممن اعتادوا على الكذب من أجل كسب العيش لا تستطيعون التوقف عنه في الحياة الواقعية. ولكن، لا بأس يا بول. لكن المبدأ لا يتغير سواء خرجت

سبع مرات، أم سبعين مرة، أم سبعين ضرب سبع مرات. المبدأ لا يتغير، ولا واحدة منها تجيب عن السؤال".

كان بول يطوف، يطوف بعيداً. أغلق عينيه وسمعها تتكلم. كان صوتها يبدو وكأنه آتٍ من مكان بعيد جداً... مثل صوت ماورائي آتٍ من الغيوم. *صوت إلهة*.

"هل قرأت يوماً حول بدايات مناجم الماس في كيمبرلي يا بول؟"

"لقد ألفت كتاباً حول هذا الموضوع". قال بدون أي مبرر على الإطلاق ثم ضحك.

(حقنة تحضيرية؟ حقنة تحضيرية؟)

"في بعض الأحيان، كان العمال المحليون يسرقون بعض قطع الألماس. كانوا يلفونها في أوراق شجر ويحشرونها في مستقيمهم. إذا استطاعوا الخروج من المنجم دون أن يُكشَف أمرهم، كانوا يهربون. ولكن، هل تعرف ماذا كان البريطانيون يفعلون بهم إذا أمسكوا بهم قبل أن يقطعوا نهر أورانج ويصلوا إلى مقاطعة بوير؟"

قال وعيناه ما تزالان مغلقتين: "أعتقد أنهم يقتلونهم".

"أوه، لا! ذلك سيبدو مثل رمي سيارة باهظة الثمن في مكب السيارات التالفة بسبب نابض مكسور. إذا أمسكوا بهم، كانوا يتأكدون أولاً من أنهم يستطيعون الاستمرار في العمل... ولكنهم كانوا يتأكدون أيضاً من أنهم لن يتمكنوا من الهرب بعد ذلك أبداً. كانوا يجعلونهم يعرجون - هكذا كانوا يسمون العملية - يا بول. وهذا ما سأفعله بك. لسلامتي... وسلامتك أيضاً. صدّقني، أنت بحاجة لحمايتك من نفسك. ولكن تذكّر فقط، قليل من الألم وسينتهي كل شيء. حاول أن تركز على هذه الفكرة".

سرى الرعب مثل هبة ريح محملة بشفرات حلاقة حادة عصفت في جسده المخدر ففتح عينيه على الفور. كانت حينئذ قد وقفت وسحبت أغطية السرير، كاشفة عن ساقيه المكسورتين وقدميه العاريتين.

"لا، لا... آني... مهما كان يدور في عقلك، فإننا نستطيع مناقشته، أليس كذلك؟... رجاءً..."

انحنـــت. وعـــندما استقامت مجدداً كانت تحمل بيد فأساً جلبته من الســقيفة، ومشعلاً يعمل بغاز البروبان باليد الأخرى. لمع نصل الفأس. وكُتب على جانب المشعل كلمة *Bernz-O-matiC*. انحنت ثانية وأخرجت هــذه المــرة زجاجة داكنة وعلبة ثقاب. كان هناك بطاقة على الزجاجة كُتب عليها *بيتاداين*.

صرخ بول: "آني، لا! آني، سأبقى هنا! لن أبارح السرير! رجاءً! أوه يا الله أرجوك لا تقطعيني!"

قالـــت آنـــي: "سيكون كل شيء على ما يرام". وعادت إليها تلك الـــنظرة الذابلة الساهية. كان يعرف بأنها عندما تنتهي من ذلك لن يبقى فـــي ذهـــنها سوى ذكريات باهتة عما فعلته، مثل الذكريات الباهتة التي تحملهـــا عـــن قـــتل الأطفال والعجائز والمرضى المحتضرين وأندرو بوميروي.

لقد قتلت بوميروي بنفس هذه الفأس. أعرف ذلك.

استمر بالصراخ والتوسل ولكن بلا جدوى. حاول أن يقلب نفسه، أن يبتعد عنها، فاشتعلت ساقاه بالألم. حاول أن يسحبهما، أن يحركهما، فآلمته ركبته بشدة.

"دقـــيقة واحـــدة بعـــد يـــا بول". قالت وهي تنزع غطاء زجاجة البيتادايـــن. صـــبت مادة لزجة لونها أحمر مائل إلى البني على كاحله الأيسر. "دقيقة واحدة فقط وسينتهي كل شيء". أمالت نصل الفأس حتى أصـــبح بموازاة الأرض، فبرزت أوتار معصمها الأيمن القوي، وشاهد الخـــاتم البنفسجي الذي كانت ما تزال تضعه في إصبعها الرابع من تلك الـــيد. صـــبت البيتادايين على النصل. كانت رائحته تشبه رائحة عيادة الطبيب.

"القلـــيل من الألم فقط يا بول. لن يكون شديداً جداً". قلبت الفأس،

ورشت الجانب الآخر من النصل. رأى بول ورودا عشوائية من الصدأ على هذا الجانب قبل أن تغطيها المادة اللزجة.

"آنـــي آني أوه آني أرجوك أرجوك، لا يا آني أقسم بأنني سأكون مطــيعاً، أقســم بـــالله سأكون مطيعاً رجاء امنحيني فرصة لكي أكون مطيعاً، أوه آني رجاء دعيني أكون مطيعاً -"

"قليل من الألم فقط وسننتهي من هذا الأمر إلى الأبد يا بول".

رمت زجاجة البيتاداين المفتوحة وراء كتفها. كان وجهها خالياً من أي تعبــير لكــنه مــع ذلك كان بالغ الصلابة. زلقت يدها اليمنى على مقــبض الفأس حتى كادت أن تصل إلى النصل ثم أمسكت باليد اليسرى الجهة العليا من المقبض ثم باعدت بين ساقيها مثل قطّاعي الأشجار.

"آني أوه أرجوك أرجوك لا تؤذيني!"

بــدت عيــناها رقيقتيــن وحالمتين عندما قالت له: "لا تقلق، فأنا ممرضة مدربة".

انقض الفأس على رجل بول شيلدون اليسرى وانغرز في المنطقة التــي تعلــو الكاحل بقليل، فتفجر الألم في جسده وانبثق دم أحمر قانٍ وتناثر على وجهها وعلى الحائط. سمع صوت احتكاك النصل في العظم عــندما حــررت الفــأس. نظر إلى نفسه وهو لا يصدق ما جرى له. اصــطبغ الشرشف باللون الأحمر. ورأى أصابعه تتلوى. ثم رآها ترفع الفــأس المــتقطر بالدم من جديد. انفلت شعرها من مشابكه ونزل على وجهها غير المكترث.

حــاول أن يسحب نفسه بالرغم من الألم المتفجر في ساقه وركبته فــأدرك بأن ساقه فقط هي التي كانت تتحرك، وكل ما فعله هو أنه فتح الشــق الذي خلّفه الفأس مثل فم فاغر. وفي اللحظة التي أدرك فيها أن قدمــه باتــت معلقة فقط بلحم بطن الساق، هوى النصل من جديد، على الشق مباشرة، فاخترق بقية ساقه وانغرز عميقاً في الفراش.

رفعــت آنـــي الفأس ورمته جانباً. نظرت بشرود إلى ما تبقى من

ســاقه، ثم أخذت علبة الثقاب. أشعلت عوداً. ثم أخذت مشعل البروبان وأدارت الصــمام فصــدر صوت هسيس منه. قرَّبت العود من مقدمة المشــعل فظهرت شعلة صفراء طويلة. ثم لعبت بالصمام حتى أصبحت الشعلة زرقاء فاقعة.

قالت: "لا يمكنني أن أخيط الجرح. ليس هناك وقت. الضماد ليس جيداً، ولا يوجد نقطة ضغط مركزية. إلى الكي".

انحنــت. صــرخ بول عندما أصابت النار ساقه النازفة. تصاعد الدخــان. كانت الرائحة طيبة، ذكّرته برائحة اللحم المشوي في جزيرة ماوي عندما قضى وزوجته الأولى شهر عسلهما هناك.

صرخ بول من الألم.

قالــت آنــي: "أوشكت على الانتهاء". ثم أدارت الصمام. اشتعلت النار في الشرشف حول الساق المبتورة التي توقفت عن النزيف في ذلك الوقت.

"أوشكت على الانتهاء".

أطفــأت المشعل. ثم انحنت وجاءت هذه المرة بصديقه القديم، دلو المسح الأصفر، وأفرغته فوق ألسنة اللهب.

كان يصرخ، يصرخ. الألم! الإلهة! الألم! أفريقيا!

وقفــت تــنظر إليه بتركيز غامض، عند منطقة الشرشف المسودّ المغطــى بالدمــاء. كان وجهها يشبه وجه امرأة تستمع إلى خبر ينقله المذيــاع يــتعلق بحدوث زلزال قتل عشرة آلاف شخص في تركيا أو الباكستان.

قالــت له: "ســتكون بخير يا بول". لكن صوتها بدا مذعوراً هذه المــرة. بدأت عيناها تحومان في كل الاتجاهات كما فعلتا عندما أحست بــأن الــنار المشتعلة في كتابه المحترق سوف تخرج عن السيطرة. ثم ركّــزتا فجــأة على شيء واحد، مع شيء من الارتياح. "سأتخلص من النفايات".

التقطـــت قدمـــه المقطوعة. كانت أصابع قدمه ما تزال متشنجة. حملتها ومشت في الغرفة وحالما وصلت إلى الباب توقفت الأصابع عن الحركة. شاهد ندبة على المنطقة الوسطى السفلى من قدمه فتذكر كيف حصل ذلك. لقد داس على قطعة زجاجٍ عندما كان طفلاً. هل حدث ذلك فـــي ريفر بيتش؟ أجل، كان يظن ذلك. تذكر بأنه بكى فأخبره والده بأنه لـــيس إلا جـــرحاً صغيراً. قال له والده بأن يتوقف عن التصرف كمن قُطعـــت قدمـــه كلها. توقفت آني عند الباب والتفتت ونظرت إلى بول، الذي كان يزعق ويتلوى في سريره المتفحم والمنقوع بالدماء.

"الآن أصبحت أعرجاً. ولا تلمني، إنها غلطتك أنت".

ثم خرجت.

وغاب بول عن الوعي.

23

عـــادت الغيمة من جديد. فغاص بول فيها غير مكترث إذا كانت الغـــيمة تعني الموت هذه المرة بدلاً من فقدان الوعي. كان يرجو ذلك. المهـــم ألا يحـــس بالألم. لا ذكريات، لا ألم، لا رعب، لا آني ويلكس. رجاءً.

غـــاص بـــول باحثاً عن الغيمة، غاص في الغيمة. كان يسمع من بعيد أصوات صراخه ويشتم رائحة لحمه المطهو.

وعندما تلاشت هذه الأفكار، فكّر بول: *إلهة! سأقتلك! إلهة!*

ثم تلاشى كل شيء.

III

بول

لا فائدة. أحاول النوم منذ نصف ساعة ولا أستطيع. الكتابة هنا نوع من المخدرات. إنها الشيء الوحيد الذي أتطلع إليه. قرأت بعد الظهر ما كتبته... فبدا نابضاً بالحياة. أعرف بأنه يبدو نابضاً بالحياة لأن مخيلتي تملأ كل القطع الناقصة التي لن يفهمها أي شخص آخر. أعني، إنها عبثية. لكنها تبدو مثل السحر... وأنا لا أستطيع العيش في هذا العالم، لأنني سأفقد عقلي إن فعلت.

جون فاولز

هاوي الجمع

1

الفصل الثاني والثلاثون

"يـــا الله". نـــاح إيـــان وحـــاول الـــتقدم بحركة مفـاجـئـة، فـأمـسـكه صديقـه جيفـري من ذراعه. كـان قـرع الـطـبـول المسـتمر يـــنــبض في رأسه مـثـل شيء يُسمَع في حـالـــة مـــن الهذيـان الـشديـد. وكـان الـــنــحل يطنّ حولهم دون تـوقـف، من وإلى الـفـسحة وكـأن

2

رفـــع بول الآلة الكاتبة وهزها. وبعد قليل، سقطت قطعة فولاذية صغيرة على اللوح الجاثم فوق ذراعي الكرسي. أمسكها ونظر إليها.

كان حرف التاء.

فكّر بول في داخله: *سأشتكي إلى الإدارة. لن أطلب فقط آلة كاتبة جديدة بل سأطالب بواحدة. إنها تملك المال، أعرف ذلك. لعلها تحتفظ به فـــي علـــب المربّـيات تحـــت الحظيرة أو في جدران منزلها الخاص بالضـــحك، لكـــنها تملك المال. وحرف التاء - يا الله - إنه ثانـي أكثر الحروف استخداماً في اللغة.*

بالتأكـــيد، لن يطلب بول من آني أي شيء، دع عنك المطالبة. في ما مضى كان هناك رجل سيطلب على الأقل، بالرغم من أنه كان يعاني مـــن ألـــم أكبر بما لا يقاس، وبالرغم من أنه لم يكن يملك شيئاً يدعمه،

حتى كتابه اللعين ذاك. ذلك الرجل كان سيطلب. سواء أكان متألماً أم لا، ذلك الرجل كان يملك الشجاعة على الأقل للوقوف في وجه آني ويلكس.

كان بول ذات يوم ذلك الرجل، فأحس بالخجل، لكن *ذلك* الرجل كان يمتلك ميزتين إضافيتين عنه: ذلك الرجل كان يملك قدمين... وإبهامين.

جلس بول متفكراً للحظات، ثم أعاد قراءة السطر الأخير (مكملاً بذهنه الأحرف الناقصة)، ثم عاد إلى العمل.

هذا أفضل.

الأفضل ألا أسأل.

الأفضل ألا أثيرها.

خارج نافذته، كان النحل يطنّ.

كان اليوم الأول من فصل الصيف.

3

ثمة مغناطيس يجذبه، هذا ما كان يفكر به جيفري بذهنه المشوش.

صرخ إيان بغضب: "دعني أذهب!" والتفت نحو جيفري محولاً يده اليمنى إلى قبضة. بدا بأنه لا يعرف أبداً من الشخص الذي يحول بينه وبين حبيبته. عندئذ أدرك جيفري بأن ما رآوه عندما أزاح حزقيا ستار الأغصان الواقية دفع إيان إلى حافة الجنون.

"إيان –"

"دعني أذهب، أقول لك!" حاول إيان

التململ بالدفع إلى الوراء بقوة عنيفة، فارتعب حزقيا وقال بلغته المكسّرة: "لا يا سيدي. إنك تجعل النحل يجن، فيلسع السيدة -"

بدا إيان وكأنه لم يكن يسمع. فهجم فجأة على جيفري مسدداً الضربات على وجهه مباشرة.

وبالرغم من الضربات، رأى جيفري حزقيا يبدأ بأرجحة الغوشا - وهو كيس مليء بالرمال يفضله البوركيون في إنهاء عملهم - الذي يُحتمَل بأن يكون مميتاً. لحسن الحظ رآه في الوقت المناسب ليوقفه: "لا! دعني أعالجه بنفسي!"

ترك حزقيا، مُكرَهاً، الغوشا ليهدأ على حبله الجلدي مثل رقاص ساعة آخذ بالتباطؤ.

عندئذ تلقى رأس جيفري ضربة جديدة. لكنها هذه المرة سحقت شفتيه فأحس بسيلان الدم الدافئ وطعمه الحلو - المالح في فمه. ثم سمع صوت تمزق قميص إيان - الذي بهت لونه من التعرض للشمس، وتمزق مسبقاً في عدة أماكن - في يده. تذكر جيفري بتعجب أنه نفس القميص الذي كان إيان يلبسه في العشاء الذي أقامه البارون والبارونة منذ ثلاث ليالي. نعم إنه نفس القميص، إذ لم تسنح لهم الفرصة لتغيير ملابسهم منذ تلك الليلة. منذ ثلاث ليالٍ فقط.. لكن القميص بدا وكأن إيان يلبسه منذ ثلاث سنين على الأقل، بل كان جيفري يشعر وكأن ثلاثة قرون انقضت منذ تلك الحفلة. منذ ثلاث ليالٍ فقط، قال جيفري في نفسه باندهاش أبله، قبل أن يبدأ

إيان من جديد بإمطاره بالضربات على وجهه.

قال إيان وهو يتابع لكم وجه جيفري؛ صديقه الذي كان سيفديه بحياته، لو كان في حالته الذهنية الطبيعية: "دعني أذهب، عليك اللعنة!"

قال جيفري بهدوء: "هل تريد أن تُظهر حبك لها عن طريق التسبب بقتلها؟ إذا كنت تريد ذلك، فاقتلني أولاً، وبأية وسيلة ممكنة، يا صديقي العزيز".

ترددت يد إيان. عاد شيء قريب من التعقل إلى عينيه الطائشتين المرعوبتين.

تمتم إيان مثل رجل يتكلم في نومه: "يجب أن أذهب إليها. أنا آسف لأنني ضربتك يا جيفري، آسف فعلاً يا صديقي العزيز، وأنا متأكد بأنك تعرف ذلك، ولكن عليَّ أن... فأنت تراها..." ونظر ثانية، وكأنه يريد البرهنة على فظاعة المنظر، ومرة أخرى حاول الاندفاع باتجاه المكان الذي تقف فيه ميزري مقيدة - يداها مرفوعتان فوق رأسها - إلى سارية وسط فسحة في الأدغال. كانت قيود البارون هايدزيغ الفولاذية - من الواضح أن البوركيين أُعجبوا بها قبل أن يرسلوه إلى فم الصنم وإلى حتفه المريع - تلمع على معصميها وتثبتها إلى أوطأ غصن من شجرة الأوكاليبتوس، الشجرة الوحيدة في الفسحة.

هذه المرة كان حزقيا هو الذي يمسك بإيان،

لكن الأجمة تحركت مجدداً فنظر جيفري إلى الفسحة وعَلِقَ نفَسَه في حلقه للحظة، كما تعلق قطعة من النسيج في شوكة. فكّر جيفري في داخله: لسعة واحدة، لسعة واحدة وستكون النهاية بالنسبة لها.

قال حزقيا برباطة جأش، بالرغم من الرعب الذي يعتريه: "لا يا سيدي، عليك ألا تفعل ذلك. كما قال لك سيدي... إذا ذهبت إلى هناك، فسيستيقظ النحل من حلمه. وإذا استيقظ النحل، فلن يكون هناك فرق بالنسبة إليها إن ماتت بلسعة واحدة أم بألف لسعة. إذا استيقظ النحل من حلمه، فكلنا سوف نموت، لكنها ستكون الأولى، وستكون ميتتها الأكثر فظاعة".

بشكل تدريجي هدأ إيان بين الرجلين، أحدهما أسود والثاني أبيض. ثم أدار رأسه نحو الفسحة مكرهاً، وكأنه لم يكن يرغب بالنظر ولكن لم يكن باستطاعته منع نفسه.

"ماذا سنفعل من أجلها إذن؟ ماذا سنفعل من أجل حبيبتي المسكينة؟"

لا أعلم. كانت شفتا جيفري على وشك أن تنطقا بذلك، لكنه تمكن في آخر لحظة من إمساكهما عن الكلام، بالرغم مما يشعر به من ألم. وهذه ليست المرة الأولى التي يشعر فيها بأن هوس إيان بالمرأة، التي يحبها هو (ولو سراً) بقدر ما يحبها إيان، كان يسمح لإيان بالإفراط

في إبداء نوع غريب من الأنانية وإظهار تعلقه الهستيري بها في حين أنه كان يرغم نفسه على كبت كل ذلك. ففي النهاية، إنه - بالنسبة لبقية الناس - ليس سوى صديق ميزري.

نعم، مجرد صديقها، فكّر في نفسه بسخرية نصف هستيرية، ثم توجهت عيناه ثانية إلى الفسحة، إلى صديقته.

لم تكن ميزري تلبس أي قطعة من القماش، ومع ذلك أحس جيفري بأن حتى أكثر النساء القرويات تحفظاً، ممن يذهبن إلى الكنيسة ثلاث مرات في الأسبوع، لا يمكنها أن تعيب عليها لقلة الاحتشام. بل إن الحشمة الافتراضية القديمة قد تهرب صارخة من رؤية ميزري. لم تكن ميزري تلبس أي قطعة من القماش، لكنها مع ذلك كانت بعيدة كل البعد عن العري.

كانت ترتدي ثوباً من النحل، من رؤوس أصابعها حتى قمة شعرها الكستنائي. كانت تبدو وكأنها تلبس ثوب راهبات غريب؛ غريب لأنه كان يتحرك ويتموج حول انتفاخات ثدييها ووركيها بالرغم من عدم وجود أي أثر للنسيم. وبنفس الطريقة، كان وجهها مغطىً بخمار عربي محتشم. فقط عيناها الزرقاوان كانتا تبرزان من قناعها المصنوع من النحل الذي يزحف بتثاقل فوق وجهها مغطياً فمها وأنفها وذقنها وحاجبيها. والمزيد من النحل الأبرص الإفريقي العملاق، أشد أنواع

النحل فتكاً في العالم وأسوأه مزاجاً، كان يزحف ببطء فوق قيود البارون الفولاذية قبل أن ينضم إلى قفازي ميزري الحيين.

وبينما كان جيفري يراقب، كانت هناك أعداد متزايدة من النحل تطير إلى الفسحة من كل الاتجاهات، ولكن كان واضحاً بالنسبة إليه، بالرغم من حالته المشوشة، أن معظمها كان يأتي من جهة الغرب، حيث يقبع وجه الإلهة الحجري الأسود الكبير.

كان قرع الطبول ما يزال مستمراً بإيقاعه الرتيب الناعس، تماماً مثل طنين النحل. لكن جيفري كان يعرف كم هو مضلل هذا الصوت الناعس، لأنه رأى ما حصل للبارونة، وشكر الله لأنه أعفى إيان من رؤية ذلك المشهد... لأنه يعرف كيف تحول هذا الصوت المنوّم فجأة إلى هدير منشار كهربائي غاضب.. صوت غطى في البداية على صرخات البارونة المتعذبة، ثم كتمها نهائياً. صحيح أنها كانت امرأة فارغة وسخيفة، وخطرة أيضاً، فهي كادت أن تتسبب بقتلهم عندما حررت ثعبان ستريننغفيلو، ولكن، سخيفة كانت أم لا، حمقاء كانت أم لا، خطرة كانت أم لا، لا أحد يستحق أن يموت بهذه الطريقة.

ردّد جيفري في ذهنه سؤال إيان: <u>ماذا سنفعل؟ ماذا سنفعل من أجل حبيبتنا المسكينة؟</u>

قال حزقيا: "لا يمكننا فعل شيء يا سيدي،

ولكنها ليست في خطر. طالما أنهم يقرعون الطبول، سيبقى النحل نائماً. والسيدة ستنام أيضاً".

في تلك الأثناء، أصبح النحل يغطيها مثل بطانية سميكة ومتحركة. كانت عيناها مفتوحتين لكنهما لا تريان شيئاً.

قال جيفري بصوت منخفض: "وماذا لو توقفت الطبول؟" وفي نفس اللحظة التي انتهى فيها من لفظ هذه الكلمات توقفت الطبول فعلاً.

4

توقف بول عن الكتابة فجأة، ونظر بذهول إلى السطر الأخير. ثم رفع الآلة الكاتبة (ظل مواظباً على رفعها مثل رافع أثقال غريب الأطوار أثناء وجود آني خارج الغرفة، ولا يعلم إلا الله لماذا) وهزها ثانية. خشخشت المفاتيح، ثم سقطت قطعة معدنية أخرى على اللوح.

كان باستطاعته سماع صوت هدير آلة جز العشب الزرقاء اللامعة. كانت آني تجزّ العشب جيداً حتى لا يمتلك آل رويدمان القذرون أي شيء ليتكلموا عنه في البلدة.

أنزل الآلة الكاتبة، ثم هزها باتجاه الأعلى حتى يُخرج تلك المفاجأة الجديدة. نظر إليها في ضوء الشمس القوي لفترة بعد الظهر دون أن تفارقه علائم عدم التصديق.

يبدو أن آلة الرويال القديمة كانت تنتقي ما تلفظه من جوفها بعناية بالغة، إذ إن الحرف الساقط الجديد هو حرف الألف، أكثر حروف اللغة استخداماً على الإطلاق.

نظر بول إلى التقويم. كانت الصورة تظهر مرجاً أخضر مزهراً

والتاريخ يشير إلى شهر أيار، لكن بول أصبح يحتفظ بتواريخه على ورقة خاصة به، والتاريخ وفقاً لتقويمه المنزلي الصنع كان 21 حزيران.

فكَّر بول في داخله: *اطوِ أيام الصيف الكسولة المشوشة المجنونة هذه.* ثم رمى بمطرقة المفتاح باتجاه سلة المهملات.

حسناً، ماذا سأفعل الآن؟ فكّر بول، لكنه بالتأكيد كان يعرف ماذا سيفعل. الكتابة بيده. هذه هي الخطوة التالية.

ولكن، ليس الآن. فعلى الرغم من أنه كان يعمل بسرعة مثل بيت تلتهمه النيران قبل عدة ثوانٍ فقط، متلهفاً لإيقاع إيان وجيفري وحزقيا المسلي في كمين البوركيين من أجل نقل الفريق بأكمله إلى الكهوف الواقعة خلف وجه الصنم قبل النهاية المثيرة، إلا أنه أصبح فجأة يشعر بالتعب.

غداً.

سيكتب بيده غداً.

اللعنة على الكتابة باليد. اشتكِ إلى الإدارة يا بول.

لكنه لن يقدم على مثل هذا الشيء، لأن آني أصبحت غريبة الأطوار جداً مؤخراً.

كان يستمع إلى هدير آلة جز العشب الرتيب، فرأى ظلها، وتذكر - كما يحصل معه غالباً عندما يعتقد بأنها أصبحت غريبة الأطوار - صورة الفأس وهو يرتفع ثم يهوي، وصورة وجهها الميت والمقرف، والملطخ بدمائه. الصورة كانت واضحة تماماً. كل كلمة قالتها، صوت صرخة أطلقها، صوت احتكاك الفأس بعظمته المبتورة عندما حررته منها. وكما كان يحصل معه غالباً، حاول أن يمنع هذه الذكرى، لكنه وجد نفسه متأخراً جداً.

بما أن الحبكة الحاسمة في رواية **سيارات سريعة** كانت تتعلق بحادث سيارة خطير كاد أن يودي بحياة توني بوناسارو لدى محاولته اليائسة الأخيرة للفرار من الشرطة (وهذه أدت إلى الفصل الختامي،

الذي احتوى تحقيقاً شاقاً أجراه شريك الملازم غراي في غرفة توني في المستشفى)، التقى بول بعدد من ضحايا حوادث السير. سمع منهم أمراً واحداً يتكرر دائماً، وإن بصيغ مختلفة: *أذكر دخولي إلى السيارة، وأذكر استيقاظي هنا، ولا أذكر ما عدا ذلك أي شيء آخر.*

لماذا لم يحصل هذا الأمر معه؟

لأن الكتّاب يتذكرون كل شيء يا بول. وخاصة الأمور المؤلمة. جرِّد كاتباً من ثيابه، وأشر إلى الندوب في جسده، وهو سيخبرك بقصة كل واحد منها حتى الندوب الصغيرة. أما الندوب الكبيرة، فستحصل على رواية، وليس فقدان ذاكرة. الموهبة شيء جيد إذا أردت أن تكون كاتباً، لكن الشرط الحقيقي الوحيد هو تلك القدرة على تذكر قصة كل جرح.

يتألف الفن من دوام الذاكرة.

من قال ذلك؟ توماس تشاز؟ ويليام فولكنر؟ سيندي لوبر؟

ذلك الاسم الأخير جلب معه رابطاً خاصاً به، رابطاً مؤلماً وحزيناً في ظل تلك الظروف: ذكرى سيندي لوبر وهي تغني بطريقتها الخاصة أغنية "الفتيات يردن أن يمرحن فقط". كانت واضحة جداً إلى درجة أنه أحس وكأنه كان يسمعها: *أوه، يا أبي العزيز، أنت ما زلت الأثير لدي/ لكن الفتيات يردن أن يمرحن فقط/ عندما تنتهي واجبات النهار/ الفتيات يردن أن يمرحن فقط.*

فجأة أحس برغبة شديدة في سماع أغنية روك أند رول، أقوى من رغبته بتدخين سيجارة عندما كان يدخن. أي شخص سينفع: جيسوس كرايست، تيد ناغينت؛ أي شخص.

الفأس يرتفع.

الفأس يهوي.

صوت همس الفأس.

لا تفكر في هذا الأمر.

5

بالرغم من أنه لم يمت ولم ينم، إلا أن الألم غاب عنه لفترة بعد أن بـــترت آني قدمه. كان يطوف في أفكار فقط، ويشعر بأنه قد تحرر من جسده، بالون من الفكر الصافي يرتفع بعيداً عن الخيط الذي يمسك به.

اللعـــنة، لماذا يزعج نفسه؟ لقد فعلت ما فعلته، ومنذ ذلك الحين لم يكـــن هناك سوى الألم والملل، تتخللهما نوبات مسعورة من العمل على كتابه الميلودرامي الغبي من أجل التخلص منهما. الأمر برمته لم يكن له أي معنى.

هـــذا غير صحيح، ثمة أمر جوهري هنا يا بول. إنه الخيط الذي يربط كل شيء ببعضه. خيط حقيقي جداً. ألا تراه يا بول؟

ميزري، بالطبع. هذا هو الخيط الذي يربط كل شيء ببعضه. لكنه سخيف، سواء أكان حقيقياً أم لا.

وماذا يعني ذلك؟ كانت ميزري موجودة خلال الأشهر الأربعة (أو ربما كانت خمسة) الماضية من حياته، صحيح، الكثير من ميزري، يوم مـــع ميزري يأتي ويوم مع ميزري ينتهي، ولكن، هذا شيء بسيط جداً، من المؤكد –

أوه، لا يا بول. لا شيء بسيط في ما يتعلق بميزري. باستثناء أنك مديـــن بحـــياتك لها... ربما لأنك كنت مثل شهرزاد كما تبين في نهاية المطاف، أليس كذلك؟

حـــاول ثانـــية أن يبعد هذه الأفكار عنه لكنه لم يستطع. فالذاكرة كانت تعمل، والجروح تريد أن تمرح فقط. ثم خطرت بذهنه فكرة غير متوقعة، فكرة جديدة فتحت درباً جديداً من التفكير.

الأمر الذي تغفله دائماً – لأنه واضحاً تماماً – هو أنك كنت، وما تزال، تلعب دور شهرزاد مع نفسك أيضاً.

مرّ ظل آني ثم اختفى من جديد.

هل كان ما يفكر به صحيحاً؟

شهرزاد مع نفسي؟

إذا كان ذلك صحيحاً، فهو كان يواجه نوعاً من الغباء المطلق، لأن ذلك يعني أنه يدين بحياته إلى حقيقة أنه كان يريد أن ينهي الكتاب اللعين الذي أرغمته آني على كتابته. كان ينبغي أن يموت... لكنه لم يستطع. ليس قبل أن يعرف كيف ستنتهي القصة.

يا لك من مجنون لعين؟

هل أنت متأكد؟

لا. لم يعد متأكداً من أي شيء.

باستثناء شيء واحد فقط، وهو أن حياته كلها كانت معلقة بميزري.

ترك ذهنه يُحلّق.

الغيمة، ابدأ بالغيمة.

6

كانت الغيمة هذه المرة قاتمة أكثر، وكثيفة أكثر، وإلى حدٍّ ما ناعمة أكثر. كان يحس بالانزلاق، وليس بالتحليق. أحياناً كانت تأتيه الأفكار، وأحياناً أخرى كان يشعر بالألم، وأحياناً كان يسمع صوت آني بشكل غير واضح، صوتاً يشبه صوتها عندما كانت المخطوطة المحترقة في حوض الشواء تهدد بالخروج عن السيطرة، كان يسمعها تقول له: "اشرب يا بول... ينبغي عليك أن تشرب!"

ينزلق؟

لا.

لم يكن هذا هو الفعل الصحيح. الفعل الصحيح هو يغرق. تذكر

بول اتصالاً هاتفياً أتاه في الثالثة فجراً عندما كان في الجامعة. كان مراقب الطابق الرابع من مسكن الطلبة يدق بعنف على بابه، ويخبره بأن يأتي ويجيب على الهاتف اللعين. كانت أمه المتصلة. *تعال بأسرع ما تستطيع يا بولي. أصيب أبوك بجلطة دماغية حادة. إنه يغرق.* جاء بول بالفعل بأقصى سرعته، مرغماً سيارته الفورد القديمة على السير بسرعة سبعين ميلاً في الساعة بالرغم من اهتزاز مقدمتها التي صُممت من أجل سرعات أقل من ذلك. ولكن، كل هذا كان بلا جدوى، لأنه عندما وصل إلى هناك، لم يعدْ أبوه يغرق بل غرق وانتهى الأمر.

كم اقترب هو نفسه من الغرق في ليلة الفأس تلك؟ لم تكن لديه أدنى فكرة. لكن حقيقة أنه لم يشعر تقريباً بأي ألم خلال الأسبوع الذي تلا عملية البتر كانت مؤشراً واضحاً إلى مدى قربه من الغرق. أضف إلى ذلك الذعر الذي بدا على صوتها.

كان يرقد في سريره نصف فاقد للوعي، متنفساً بصعوبة بسبب الآثار الجانبية للدواء على الجهاز التنفسي، وكيس الغلوكوز يقطر داخلاً عبر أوردة ذراعيه من جديد. وما أخرجه من تلك الحالة هو قرع الطبول وطنين النحل.

طبول البوركا.

نحل البوركا.

أحلام البوركا.

حلم عن الإلهة، وجه الإلهة، سواد منذر بالخطر يلوح فوق خضرة الغابة. إلهة سوداء، قارة سوداء، رأس حجري مليء بالنحل. وكانت هناك صورة طغت على كل هذه الصور، وكانت تزداد وضوحاً مع مرور الأيام. كانت صورة فسحة فيها شجرة أوكاليبتوس قديمة ووحيدة. وكانت هناك قيود فولاذية قديمة الطراز مطلية بمادة مانعة للصدأ معلقة من أوطأ أغصانها. وكان النحل يغطي القيود. لكنها كانت فارغة. والقيود فارغة لأن ميزري –

– هربت؟ هربت، أليس كذلك؟ أليس هذا ما يُفترض أن تنتهي إليه القصة؟

هذا ما كان يجب أن تنتهي إليه، لكنه الآن لم يعد متأكداً تماماً. هل هـذا مـا تعنيه تلك القيود الفارغة؟ أو هل تم نقلها إلى مكان آخر؟ هل نُقلت إلى داخل الصنم؟ هل أُخذت إلى ملكة النحل، ملكة شعب البوركا؟

كنت تلعب دور شهرزاد مع نفسك أيضاً.

من أجل من تخبر هذه القصة يا بول؟ لمن تخبرها؟ لآني؟

بالتأكـيد لا. لم يكن ينظر خلال تلك الحفرة في الورقة لكي يرى آني، أو يرضي آني... كان ينظر خلالها للهرب من آني.

كـان الألم قد بدأ من جديد. والحكاك أيضاً. وبدأت الغيمة تتفرق وتتبدد. ثم بدأ يرى الغرفة بين الحين والآخر، ويرى آني. لكنه كان قد قرر مسبقاً بأنه سيعيش. جزء منه قرر بأنه لن يموت قبل أن يرى كيف سـتنتهي القصة. يبدو أن هذا الجزء أدمن على الحلقات المتسلسلة مثل آني عندما كانت طفلة.

هل نجحت في الفرار بمساعدة إيان وجيفري؟

أو هل نُقلت إلى داخل رأس الإلهة؟

سؤالان سخيفان، لكنهما كانا في الواقع بحاجة للإجابة عنهما.

7

فـي الـبداية، لم تكن تريده أن يعود إلى العمل. كان باستطاعته إدراك مـدى الرعـب الـذي كانت تعيشه من خلال النظر في عينيها القلقتين والعصبيتين. كان باستطاعته إدراك مدى قربه من الغرق. كانت تعتنـي بـه بطريقة مبالغ بها، فتغير الضمادات كل ثماني ساعات (في البداية، كانت تغيرها كل أربع ساعات، أخبرته ذلك بطريقة من يعرف بأنـه لـن يحصـل على ميدالية مقابل ما فعل؛ مع أنها كانت تستحق

واحدة)، وتنظف جسده بواسطة إسفنجة وتمسحه بالكحول، وكأنها كانت تـريد أن تكفِّـر عمـا فعلـت. قالت له حينئذ بأن العمل سوف يؤذيه. *سـيؤخرك يا بول. لن أقول لك هذا إن لم يكن صحيحاً، صدِّقني. على الأقـل إنك تعلم ماذا سيجري؛ أموت لكي أعرف ماذا سيجري تالياً*. لقد تبيَّن له أنها قرأت كل ما كتبه – قبل عمليته الجراحية، يمكنك القول – في الوقت الذي كان هو فيه قاب قوسين أو أدنى من الموت. لم يكن قد ملأ أحرف النون الناقصة في الأربعين صفحة الأخيرة، ففعلت هي ذلك عـنه. لقد أرته إياها بنوع من الفخر المتحدي، وكانت محقة في تباهيها لأن أحـرفها كانـت مرتبة وأنيقة بعكس أحرفه هو التي كانت معوجة ومشوهة.

كـان بول يعتقد بأنها ملأت أحرف النون بنفسها إما لأنها تريد أن تُظهر لـه مدى عنايتها به – *كيف يمكنك أن تقول بأنني قاسية معك يا بول عندما ترى كل هذه الأحرف التي كتبتها بيدي؟* – أو لأنها تريد أن تكفِّـر عما فعلت، أو ربما فعلت ذلك كجزء من طقس شبه خرافي: ما يكفـي من تغيير الضمادات، وما يكفي من التنظيف بواسطة الإسفنجة، ومـا يكفـي مـن الفـرك بالكحول، وما يكفي من ملء أحرف النون، وسـيعيش بـول. *امـرأة النحل تحضر سحراً قوياً، يا رجل، إنها تملأ أحرف النون اللعينة وكل شيء سيصبح على ما يرام من جديد.*

هكـذا بـدأت آنـي، لكن *الحاجة* سرعان ما توضحت. كان بول يعرف كل العوارض. فعندما قالت بأنها كانت ستموت لكي تعرف ماذا سيجري تالياً، فإنها كانت تعني ما تقوله.

لأنك بقيت على قيد الحياة من أجل اكتشاف ما سيجري تالياً، أليس هذا ما تريد قوله؟

كان بول يعتقد بأن ذلك صحيح.

الحاجة.

8

كنت تلعب دور شهرزاد مع نفسك أيضاً.

هذه الفكرة بالذات لم يكن قادراً على فهمها ولا حتى على نطقها، لأنـــه كـــان يعـــيش في ألم فظيع. ولكن، في أعماق عقله الباطن، كان يعرف بكل تأكيد.

هـــدرت آلـــة جز العشب بصوت أعلى. ظهرت آني له للحظات. نظـــرت إليه فرأته ينظر إليها بدوره. رفعت يدها، فرفع يده بدوره؛ اليد التي ما يزال الإبهام فيها.

استطاع أخيراً أن يقنعها بأن عودته إلى العمل ستجعله يتقدم وليس العكـــس. كـــان مســـكوناً بتلك الصور التي أغرته للخروج من الغيمة. وكلمة مسكون هي الكلمة الصحيحة، لأن تلك الصور كانت مجرد ظلال غامضة قبل أن تُكتَب على الورق وكانت بحاجة لمن يفك رموزها.

وبالرغم من أنها لم تصدقه، إلا أنها سمحت له بالعودة إلى العمل، وذلـــك لـــنفس السبب الذي دعاه هو للعودة، *الحاجة*. كانت تتحرق لكي تعرف ماذا سيجري تالياً.

فـــي الـــبداية كان باستطاعته العمل لفترات قصيرة؛ خمس عشرة دقيقة، أو نصف ساعة إذا كانت القصة تتطلب منه ذلك. ولكن، حتى تلك الفـــترات القصيرة كانت مؤلمة جداً. إذ إن أدنى تغيير في الوضعية كان يتســـبب بإشـــعال النار في مكان البتر كما تشعل هبة نسيم جمرة مدخنة. وعلـــى الرغم من أن الألم كان فظيعاً أثناء الكتابة، إلا أنه لم يكن الأسوأ، فالأســـوأ كـــان يحدث بعد ساعة أو ساعتين، عندما تجتاحه موجات من الحكاك الباعث على الجنون صادرة من مكان البتر المتماثل للشفاء.

لقـــد كـــان محقاً، وليس هي. فعلى الرغم من لم أنه يتماثل للشفاء تمامـــاً، إلا أن صـــحته تحسنت بالفعل كما استعاد بعضاً من قوته. كان مدركاً بأن أفق اهتمامه تقلص، لكنه تقبّل هذا الأمر باعتباره ثمناً لبقائه

على قيد الحياة. فنجاته كانت أعجوبة حقيقية بالفعل.

جلـــس بول أمام الآلة الكاتبة التي تزداد أسنانها بشاعة، مفكراً في المـــرحلة التـــي تميزت بالعمل أكثر مما شهدته من أحداث. وفجأة هز رأسه. نعم، كان يعتقد بأنه يلعب دور شهرزاد مع نفسه، تماماً كما كان يفعل عندما كان يمسك بقضيبه ويمارس العادة السرية على وقع تخيلاته المثـــيرة، وكأنه كان هو نفسه امرأة أحلامه الخاصة به. بالطبع، لم يكن بـــول بحاجة لطبيب نفسي ليقول له بأن الكتابة تمتلك خاصية الإرضاء الجنســـي الذاتـــي، مـــع فرق وحيد هو أنك تلمس الآلة الكاتبة بدلاً من جســـدك، لكـــن كلا الفعلين يعتمدان إلى حدٍّ كبير على البراعة وسرعة اليدين والإخلاص العميق لفن الإرضاء.

ومـــاذا عـــن آني؟ هل كان هناك أي نوع من الجنس، حتى لو كان أكـــثر أشكاله جفافاً؟ عندما بدأ الكتابة من جديد، لم تكن آني تقاطعه أثناء العمـــل، لكنها كانت تأخذ حصيلة عمل كل يوم حالما ينتهي منه، ظاهرياً كـــي تملأ الأحرف الناقصة، ولكن واقعياً كي تحصل على *حاجتها*. وهو كان يعلم ذلك جيداً، مثل رجل حاذق جنسياً، يعرف أياً من رفيقاته اللواتي يواعدهن سوف تمارس الجنس معه في نهاية السهرة وأيهن لن تفعل.

بـــدأت فـــترات جلوسه أمام الآلة الكاتبة تتسع بشكل تدريجي مع تراجع الألم واستعادته لبعض من قدرته على التحمل... لكنه في النهاية لم يكن قادراً على الكتابة بالسرعة الكافية لإرضاء مطالبها.

إن *الحاجة* التي حافظت عليهما معاً على قيد الحياة – بالفعل، لأنه بدونهـــا، من المؤكد أن آني كانت ستقتله أولاً ومن ثم ستقتل نفسها قبل زمن طويل – كانت هي أيضاً السبب في فقدان إبهامه. كان أمراً فظيعاً، لكنه في ذات الوقت كان مضحكاً بعض الشيء.

تحلَّ ببعض السخرية يا بول. إنها مفيدة لدمك.

وفكِّرْ كم كان الأمر يمكن أن يكون أشد سوءاً.

يمكن أن يكون قضيبه هو الذي بُتر، على سبيل المثال.

وأنا لا أملك إلا واحداً فقط. ضحك بول بشكل هستيري في الغرفة الفارغة أمام آلة الرويال الكريهة بتكشيرتها التي تُظهر أسنانها الناقصة. ضحك حتى آلمته معدته ومكان البتر معاً. ضحك حتى آلمه *عقله*. وفي لحظـــة معينة، تحوّل الضحك إلى بكاء جاف فظيع أيقظ الوجع حتى في ما تبقى من إبهامه الأيسر، عندئذ توقف عن الضحك. فتساءل في نفسه هل بات قريباً من حافة الجنون.

لا يهم.

9

ذات يوم – ربما قبل أقل من أسبوع من قطع الإبهام – جاءت آني إلى الغرفة حاملة صحنين كبيرين من البوظة بالفانيليا، وعلبة من شراب الشوكولاته، وعلبة مضغوطة من ريدي ويب، وإبريقاً من شراب الكرز الحلو تسبح فيه حبات الكرز الحمراء مثل مخلوقات بيولوجية.

قالت آني: "فكّرت بأن أصنع البوظة بالفانيليا لكلينا يا بول". كانت نبرة صوتها ودودة بشكل مزيف، فلم تعجبه تلك النبرة ولا نظرتها القلقة أيضـــاً التي كانت وكأنها تفصح عما في داخلها: *أنا فتاة شريرة*. فرفع بول هوائياته. لم يكن عسيراً عليه أن يتخيل آني تبدو بنفس الشكل تماماً عندما وضعت كومة من الملابس على بعض الدرجات وقطة ميتة على بعضها الآخر.

"لمـــاذا، شـــكراً لك آني". كان يراقبها وهي تصب الشراب وتنفخ غيمتيـــن كبيرتيـــن من القشدة المخفوقة من العلبة المضغوطة. لقد أدت هاتين الحركتين باليد الثقيلة المتدربة لمدمنة قديمة على الأطعمة الحلوة.

"لا داعي للشكر. أنت تستحقها. فقد كنت تعمل بجد".

أعطـــته صـــحن البوظة بالفانيليا الخاص به. وبعد اللقمة الثالثة، أحـــس بالـــتخمة من فرط حلاوتها، لكنه استمر بالأكل. من الحكمة أن

يفعل ذلك. عندما *تقدم آني لك الحلوى، من الأفضل لك أن تأكل*. ساد الصمت لفترة قصيرة، إلى أن وضعت آني ملعقتها على الطاولة، ومسحت مزيجاً من شراب الشوكولاته وقطعة من البوظة من على ذقنها بمؤخرة يدها، وقالت: "أخبرني بقية القصة".

وضع بول ملعقته وقال: "عفواً؟"

"أخبرني بقية القصة. لا يمكنني الانتظار. لا أستطيع".

ألم يكن يعلم بأن هذا سيحصل؟ نعم، بالتأكيد. لو قدم شخص ما الحلقات العشرين كلها من الفيلم المتسلسل الجديد لرجل الصاروخ، هل كانت ستنتظر، مقتنعة بفتح طرد واحد كل أسبوع، أو حتى كل يوم؟

لا. آني لم تكن من النوع الذي ينتظر. كانت ستشاهد الحلقات العشرين كلها في ليلة واحدة، حتى لو تسبب ذلك بإجهاد عينيها وبألم شديد في رأسها.

لأن آني تحب الأشياء الحلوة.

قال بول: "لا يمكنني أن أفعل ذلك".

أظلم وجهها فجأة، ولكن ألم يظهر عليها شيء من الارتياح أيضاً؟

"أوه؟ لم لا؟"

"لأنني قاص سيئ".

ازدردت ما بقي من البوظة في خمس ملاعق مليئة منها، ثم وضعت صحنها ونظرت إليه بغضب، ليس لأنه بول شيلدون العظيم، بل لأنه تجرأ على انتقاد بول شيلدون العظيم.

"إذا كنت هذا القاص السيئ، فكيف حققت كتبك أعلى المبيعات وكيف يحب ملايين الناس الكتب التي تؤلفها؟"

"أنا لم أقل بأنني كاتب قصص سيئ، في الحقيقة إنني أعتقد بأنني جيد جداً في هذا الشأن، بل قلت بأنني قاص سيئ".

"إنك تختلق عذراً سمجاً فقط". ازداد وجهها اسوداداً. ووضعت يديها المقبوضتين بقوة على جانبي تنورتها. عاد الإعصار آني. كل

شــيء مضـــى عاد من جديد. باستثناء أن الأشياء لم تعد كما كانت في الســابق. فعلـــى الرغم من أنه كان مرعوباً منها، إلا أن سيطرتها عليه كانـــت قـــد تقلصت. إذ لم تعد حياته تعني الكثير له الآن، مع *حاجة* أو بدون *حاجة*. كل ما كان يخشاه هو أن تقدم على إيذائه.

قال بول: "إنه ليس عذر. الشيئان يشبهان البرتقال والتفاح يا آني. الـــناس الذين يقصون الحكايات في العادة لا يستطيعون كتابة الحكايات. فإذا كنت تظنين أن الذين يكتبون القصص يمكنهم التكلم بشكل جيد، فما عليك إلا أن تري مقابلة مع أحد الروائيين القذرين في برنامج توداي".

قالت آني بوجه عابس: "حسناً، لا أريد أن أنتظر. لقد صنعت لك تلـــك الـــبوظة الجمـــيلة وأقل ما يمكن أن تفعله هو أن تخبرني ببعض الأشـــياء. لا أريـــد القصة بأكملها، ولكن... هل قتل البارون كالثورب؟ هذا أمر أتشوق لمعرفته. وماذا فعل بالجثة في حال أنه هو من قتله؟ هل هـــي مقطعـــة وموضوعة في الحقيبة التي لن تدعها زوجته تغيب عن ناظريها؟ هذا ما أظنه".

هـــز بول رأسه، ليس للدلالة على أنها كانت مخطئة في ظنها بل للدلالة على أنه لن يخبرها.

ازداد وجههـــا حـــنقاً وغـــيظاً، لكن صوتها ظل لطيفاً. "إنك تثير غضبي، تعرف ذلك، أليس كذلك يا بول؟"

"بالطبع أعرف، لكنني لا أستطيع".

"بإمكانـــي أن أجعلك تستطيع. بإمكاني أن أجعلك تستطيع. يمكنني أن أجعلـــك تخبرنـــي". لكنها بدت محبطة، وكأنها كانت تعرف بأنها لا تســتطيع فعـــل شـــيء. يمكنها أن تجعله يقول بعض الأشياء، لكنها لا تستطيع أن ترغمه على إخبارها بالقصة.

"آنـــي، هل تذكرين عندما أخبرتني بما يقوله الطفل الصغير لأمه حيـــن تجده يلعب بسائل التنظيف تحت المغسلة وترغمه على التوقف؟ *مامي، أنت لئيمة!* أليس هذا ما تقولينه الآن؟ *بول، أنت لئيم؟*"

"إذا أثرت غضبي أكثر من ذلك، فلا أعدك بأنني سأكون مسؤولة عـن تصرفاتي". بالرغم من قولها هذا، فقد أحس بأن الأزمة قد مرت. إنها حساسة بطريقة غريبة لقواعد السلوك والانضباط هذه.

"حسناً، علـيَّ أن أخاطر، لأنني مثل تلك الأم. أنا لا أقول ذلك لأنني أريد أن أكون لئيماً، أو لأنني أريد أن أحقرك، أقول لا لأنني أريد فعلاً أن تحبي القصة... وإذا أعطيتك ما تريدين، لن تحبيها، ولن تريدينها بعد ذلك". ثم قال في نفسه: *وبعد ذلك، ماذا سيحدث لي يا آني؟*

"علـى الأقـل أخبرني إذا كان الزنجي حزقيا بالفعل يعرف مكان والد ميزري! أخبرني ذلك على الأقل!"

"هل تريدين الرواية أم تريدين أن أجيب على قائمة أسئلة؟"

"لا تتكلم معي بهذه اللهجة الساخرة!"

فصرخ في وجهها: "إذاً، لا تدّعي بأنك لا تفهمين ما أقوله!"

انكمشت آني من الدهشة وتبددت كل ملامح الغضب في وجهها.

"كـل مـا تريديـنه هو شق بطن الإوزة الذهبية! هذا ما تريدينه. ولكن، عندما فعل المزارع ذلك في القصة في نهاية المطاف، لم يحصل إلا على إوزة ميتة ومجموعة من الأحشاء لا قيمة لها!"

"حسناً، حسناً يا بول. هل ستنهي صحن البوظة؟"

"لا. لا يمكنني أن آكل المزيد".

"فهمت. لقد أزعجتك. أنا آسفة. أعتقد بأنك محق. كنت مخطئة في سـؤالي". عـادت إلى هدوئها من جديد. توقع أن يتلو هذا الهدوء فترة أخرى من الاكتئاب أو الغضب، ولكن لم يحدث أي من هذا.

عاد الاثنان إلى روتينهما القديم. بول يكتب، وآني تقرأ حصيلة كل يـوم. ومضـى وقت كاف بين المشاجرة وقطع الإبهام جعل بول ينسى الرابط بينهما.

حتى الآن.

كـان بول ما يزال ينظر إلى الآلة الكاتبة ويصغي إلى هدير آلة جز

العشـــب. بدا له أن صوتها أصبح خافتاً، دون أن يدرك بأن السبب في ذلك لـــم يكن لأن آني كانت تبتعد، بل لأنه هو من كان يبتعد. كان نصف نائم. أصبح يفعل ذلك كثيراً مؤخراً، مثل عجوز خرف في دار للعجزة.

لقد تذمرت بخصوص الآلة الكاتبة. ليس كثيراً، لقد تذمرت بشأنها مـــرة واحـــدة فقـــط. ولكن مرة واحدة كافية، أليس كذلك؟ بل أكثر من كافـــية. حـــدث ذلـــك... متى؟ - بعد أسبوع من جلبها صحن البوظة الكريه؟ تقريباً. أسبوع واحد وتذمر واحد فقط. حول مسألة أن نقر ذلك المفتاح الفارغ كان يثير جنوني. حتى أنني لم أقترح أن تجلب آلة كاتبة مســـتخدمة أخـــرى من محل نانسي هورمونغر، أو مهما كان اسم تلك المرأة، آلة كاتبة بمفاتيح كاملة. قلت فقط بأن تلك النقرات على المفاتيح الفارغة كانت تثير جنوني، وبعد ذلك، لا أعرف متى بالضبط، تغيرت فجـــأة. ومـــاذا عن قطع إبهامي الأيسر، في لحظة أتذكرها وفي لحظة أخـــرى أنســـاها. مـــاعدا أنها لم تفعل ذلك فقط لأنني تذمرت من الآلة الكاتـــبة، أليس كذلك؟ لقد فعلت ذلك لأنني قلت لها لا وكانت مضطرة للقـــبول. كـــان فعـــل غضـــب. والغضب ناتج عن الإدراك. أي إدراك؟ إدراك أنهـــا لم تكن تمسك بكل الأوراق في يدها بالرغم من كل شيء، إدراك أننـــي كنت أملك سيطرة سلبية معينة عليها؛ قوة الحاجة. لقد تبين أننـــي شهرزاد جيدة جداً بالرغم من كل شيء.

كان أمراً مجنوناً، ومضحكاً، وحقيقياً أيضاً. الملايين من الناس قد يشعرون بالاشمئزاز، ولكن فقط لأنهم لا يستطيعون أن يدركوا مدى قوة وانتشـــار ســـيطرة الفن على الناس. فربَّات البيوت يرسمن مخططاتهن حـــول المسلســـلات الدرامـــية التلفزيونية في فترة بعد الظهر. وإذا كن عاملات فإنهن يجعلن من شراء جهاز لتسجيل الفيديو أولوية عليا حتى يتمكنَّ من مشاهدة نفس هذه المسلسلات في الليل.

وهـــناك حالة صديقه غاري رودمان، الذي كان يعمل في المكتبة العامـــة في باولدر. عندما مر بول لرؤية غاري ذات يوم، وجد ستائر

منزله مسدلة وبابه مغطى بقماش أسود مزغب. أحس بول بالقلق، فدق علـــى الـــباب بقوة حتى أجاب غاري عليه. *ارحل، أنا أشعر بالإحباط الـــيوم. لقد توفي شخص ما، شخص يهمني.* وعندما سأله بول من هو ذلـــك الشـــخص، أجابـــه غاري بسأم: فان در فالك. سمع بول صوت خطوات غاري وهو يبتعد عن الباب، وعلى الرغم من أنه دق ثانية إلا أن غـــاري لم يفتح. تبيَّن لاحقاً لبول بأن فان در فالك هو محقق خيالي ابتدعه – ثم قتله – كاتب يدعى نيكولاس فريلينغ.

أقـــنع بـــول نفسه بأن ردّ فعل غاري كان أكثر من مزيف، مجرد ادعـــاء تمثيلـــي. واستمر على هذا الاقتناع حتى العام 1983، عندما قرأ رواية **العالم وفقاً لغارب**. ارتكب خطأً جسيماً بقراءة المشهد الذي يموت فيه ابن غارب الأصغر، متخوزقاً على ذراع تغيير التروس، قبل النوم مباشـــرة. لم يبارح المشهد مخيلته أبداً تلك الليلة. ورغم أنه كان يدرك بـــأن الحـــزن على موت شخصية خيالية كان أمراً سخيفاً للغاية، إلا أن إدراكه هذا لم يساعده في شيء أثناء تقلبه في الفراش، مما جعله يتساءل ما إذا كان صديقه غاري رودمان جاداً بالفعل في حزنه على موت فان در فـــالك. كمـــا تذكـــر أيضاً حادثة حصلت معه عندما كان في الثانية عشـــرة مـــن عمـــره. فبعد انتهائه من قراءة قصة ويليام غولدينغ، *سيد الذبـــاب*، ذهـــب بول إلى البراد كي يشرب كأساً باردة من الليموناضة، فإذا به يغير الاتجاه فجأة ويسرع خطواته نحو الحمام، حيث انحنى فوق المرحاض وتقيأ.

عندئذ نام بول.

10

فـــي هذه الأيام، أصبح بول يغفو في النهار مثل الرجال المسنين، بشكل مفاجئ وأحياناً في أوقات غير مناسبة. وينام مثل الرجال المسنين

أيضـــاً؛ أي ينام ولا يفصله عن عالم الصحو سوى غشاء رقيق جداً. لم يـــتوقف عـــن سماع صوت آلة جز العشب، لكن صوتها أصبح أعمق، وأخشن، وأشد بتراً: صوت سكين كهربائية.

حسناً، إذا كان يزعجك كثيراً، فسأضطر أن أعطيك شيئاً يبعد عن ذهـــنك حرف النون. هذا ما قالته له قبل أن تغادر الغرفة. سمعها تفتش بيـــن الأغـــراض فـــي المطبخ، ترمي بعضها، وتشتم بلغة آني ويلكس الغريـــبة. وبعـــد عشـــر دقائق، عادت مع إبرة، والبيتاداين، والسكين الكهربائية. بدأ بول بالصراخ على الفور. لقد أصبح مثل كلاب بافلوف. عـــندما كـــان بافلوف يرن الجرس، كانت الكلاب تفرز اللعاب. وعندما دخلت آني إلى غرفة نوم الضيوف مع حقنة وزجاجة بيتاداين وأداة قطع حـــادة، بـــدأ بول بالصراخ. وصلت السكين الكهربائية بمأخذ كهربائي بجانـــب كرســـيه المـــتحرك فبدأ بالصراخ مجدداً وإعطاء الوعود بأنه سيكون مطيعاً إلى الأبد. وعندما حاول الابتعاد عن الحقنة، قالت له بأن لا يـــتحرك ويكـــون مطيعاً لأن ما سيحصل يمكن أن يحصل بدون أي نـــوع من التخدير. وعندما استمر بمحاولة التملص من الإبرة والنشيج والتوسل، قالت له بأنها قد تضطر لاستخدام السكين على رقبته.

عـــندئذ، توقـــف بول عن الحراك وسمح لها بإعطائه الحقنة. هذه المـــرة انصـــب البيتاداين على إبهام يده اليسرى وعلى نصل السكين. عـــندما شغّلت السكين وبدأ النصل بالتحرك بسرعة إلى الأمام والخلف تطايـــر البيتاداين في رذاذ أحمر في الهواء بدت بأنها لم تلاحظه. وفي الـــنهاية، بالطـــبع، تطاير رذاذ أشد حمرة في الهواء أيضاً. لأنه عندما تقرر آني شيئاً فهي تقوم به. لم تكن آني من النوع الذي يتأثر بالتوسل. ولـــم تكـــن مـــن الـــنوع الذي يتأثر بالصراخ. كانت آني تملك شجاعة قناعاتها.

عـــندما بـــدأ النصل المرتجف ينغرز في اللحم الطري بين الإبهام الـــذي ســـيموت عمـــا قريـــب وإصبعه الأول، أكدت له ثانية بصوتها

الأمومي البشع بأنها كانت تحبه.

بعد ذلك، في تلك الليلة...

إنك لا تحلم يا بول. إنك تفكر في أشياء لا تجرؤ على التفكير بها عندما تكون صاحياً. أفق يا بول. أفق بحق الله يا بول!

لكنه لم يستطع.

قطعت إبهامه في الصباح وفي ذلك المساء دخلت بفرح إلى الغرفة حيث كان يجلس دائخاً من المخدر والألم، ويده اليسرى ملفوفة بالضماد ومشدودة إلى صدره. دخلت تحمل كعكة بيدها وهي تصيح "عيد ميلاد سعيد"، بالرغم من أنه ليس يوم مولده. كانت هناك شموع عديدة فوق الكعكة وفي منتصفها بالضبط برز شيء متجمد يشبه شمعة إضافية كبيرة؛ إنه إبهامه الميت. كان ظفره محززً قليلاً لأنه كان يقضمه بأسنانه عندما كان يبحث عن كلمة معينة في ذهنه ولا يجدها. قالت له: "إذا وعدتني أن تكون مطيعاً يا بول، يمكنك أن تأكل قطعة من كعكة عيد ميلادك دون أن تضطر إلى أكل أي من الشموع الخاصة". فوعدها بول بأنه سيكون مطيعاً لأنه لم يكن يريد أن يُرغَم على أكل أي من الشموع الخاصة. أرجوك آني لا تدعيني آكل إبهامي... آني الأم، آني الإلهة... عندما تكون آني موجودة من الأفضل لك أن تكون صادقاً؛ لأنها تعرف عندما تكون نائماً، لأنها تعرف عندما تكون صاحياً وتعرف عندما تكون شقياً وعندما تكون مطيعاً، فلتكن مطيعاً بحق الإلهة، من الأفضل لك ألا تبكي من الأفضل لك ألا تعبس ولكن، أهم شيء هو ألا تصرخ لا تصرخ لا تصرخ لا تصرخ.

لم يصرخ.

والآن، عندما استيقظ، صرخ مع رجفة تسببت بالألم في كل أنحاء جسده، رغم أن شفتيه كانتا مضمومتين بقوة – دون إدراك منه – كي يبقي صرخته داخله، ورغم أن عملية قطع الإبهام حدثت منذ ما يزيد عن شهر.

كان مشغولاً جداً بعدم الصراخ إلى درجة أنه لم يرَ لوهلة الشيء الذي كان يقترب من الطريق الفرعي، وعندما شاهده، اعتقد في البداية بأنه سراب.

كانت سيارة شرطة تابعة لولاية كولورادو.

11

بعد قطع إبهامه، مرت على بول فترة مشوشة كان العمل الوحيد الذي استطاع إنجازه خلالها، إضافة إلى عمله على الرواية، هو الاستمرار في تدوين الأيام. لقد أصبح مهووساً بها إلى درجة أنه في بعض الأحيان كان ينفق دقائق في إعادة إحصائها ليتأكد من أنه لم يغفل عن أي يوم.

لقد قام بعمل جيد جداً في الكتاب بعد فقدان قدمه؛ خلال الفترة التي دعتها آني "فترة تعافيه". لا، جيد جداً هو تواضع زائف، إذا كان هناك من تواضع زائف. لقد عمل بشكل رائع بالنسبة لرجل كان يجد في السابق استحالة في الكتابة إذا نفدت منه السجائر أو إذا كان ظهره يؤلمه أو رأسه. في الحقيقة، كان من الممكن القول بأنه أنجز عملاً بطولياً، لكنه كان يعتقد بأن الهرب هو السبب في واقع الأمر، فالألم كان فظيعاً بحق. وعندما بدأت عملية التماثل للشفاء بالفعل، جاء الحكاك الذي جعله يعتقد بأنه كان أشد فظاعة من الألم بما لا يقاس.

لكنه استمر بالعمل بالرغم من كل ذلك.

ولم تتكاثر كرات الأوراق المرمية في سلة المهملات مجدداً إلا بعد عملية قطع الإبهام وكعكة عيد الميلاد الغريبة تلك. غريب، يفقد قدماً، ويشرف على الموت، ويستمر في العمل. يفقد إبهاماً، فيعاني من مشكلة؟ ألم يكن من المفترض أن يكون الأمر معاكساً؟

حسناً، في الحقيقة، لقد أصابته حمى جعلته يلازم الفراش لمدة

أســبوع كامل. لكنها لم تكن حمى من النوع الخطير، إذ إن أعلى درجة بلغهــا كانت 100.7 فهرنهايت. من الأرجح أنها حدثت بسبب حالة بول النفســية المحــبطة وليس بسبب التهاب ما، وفي كل الأحوال، مثل هذه الحمــى لم تكن لتشكل أي مشكلة بالنسبة لآني، فهي كانت تملك – من بيــن تذكاراتها العديدة الأخرى – الكيفلاكس والأمبيسيلين. أعطته آني الــدواء فتحسَّن. ولكن، مع ذلك، كان يحس بأنه ليس على ما يرام. كان يشــعر وكأنــه فقــد مكوّناً حيوياً ما. حاول إلقاء اللوم على الحرف n الــناقص، لكنه كان قد تذرع به من قبل، وفي الحقيقة، ماذا يعني فقدان حرف بالمقارنة مع فقدان قدم، والآن، فقدان إبهام؟

فــي الواقــع، مــا حدث بعد قطع الإبهام والحمى التي تلته كان واضحاً تماماً. بدأت لغة الكتاب تصبح أكثر تعقيداً وإسهاباً – لم تصبح محاكاة ذاتية، ليس تماماً، لكنها كانت سائرة بثبات في هذا الاتجاه وكان عاجزاً عن إيقاف ذلك – ثم بدأت الأخطاء تتكاثر، حيث أصبح البارون هو الفايكونت في رواية *غاية ميزري* طوال ثلاثين صفحة، مما اضطره إلى العودة ثانية وتمزيق كل شيء.

كان يقول لنفسه مراراً قبل أن تلفظ الرويال حرف التاء ثم حرف الألف ببضعة أيام: *لا عليك يا بول، فقد أوشك هذا الشــيء الملعون على الانــتهاء*. ورغــم أن العمــل على الكتاب كان أشبه برحلة من العذاب المتواصــل، إلا أن إنهــاءه كان يعني نهاية حياته. لكن حياته فيما يبدو كانت قد بدأت تفقد جاذبيتها بالنسبة إليه، وهذا ربما يفسر انحدار حالته الجسدية والعقلية والروحية. وعلى الرغم من كل شيء، استمر الكتاب. صــحيح أن الانقطاعــات فــي هذه الاستمرارية كانت مزعجة، إلا أن تأثــيرها كان ثانوياً. فقد كان يعاني أكثر من مشاكل في الخيال، بحيث أصــبحت لعــبة "هل يمكنك؟" واجباً شاقاً بدلاً من أن تكون لعبة بسيطة وممــتعة. مــع ذلك، وبالرغم من كل ما فعلته به آني، فالكتاب كان ما يزال قصة جميلة بحق، بل أفضل روايات *ميزري* على الإطلاق.

نظر بول إلى الآلة الكاتبة وتخيل ذلك الكاوبوي ذا الصوت الخشن الذي يحمل مسدساً. قال بول: *كان من المفترض أن تكون قوياً وتتطلع لأن تلقن الشريف العجوز التعب درساً لن ينساه، أليس كذلك؟ لكنك رميت أحد مفاتيحك، وأرى بأن بعض المفاتيح الأخرى – التاء والألف والجيم على سبيل المثال – أصبحت مثيرة للشفقة منذ الآن... أحياناً تميل إلى هذه الجهة، وأحياناً إلى الجهة الأخرى، أحياناً تأتي فوق السطر، وأحياناً تحته بقليل. أعتقد بأن الشريف العجوز التعب سوف يربح هذه الجولة يا صديقي. أعتقد بأنه سوف يضربك حتى الموت... ولعل تلك الساقطة تعرف ذلك. ولهذا السبب ربما اقتلعت إبهامي الأيسر. كما يقول المثل القديم: قد تكون مجنونة ولكنها بالتأكيد ليست غبية.*

نظر إلى الآلة الكاتبة بحدة رغم الإرهاق.

استمري. استمري وانهاري. سأنتهي في كل الأحوال. وإذا كانت تريد أن تجلب لي بديلاً عنك، سأشكرها بلطف، ولكن إذا لم تكن تريد، فسأنهي الكتاب بالكتابة على الأوراق بنفسي.

الشيء الوحيد الذي لن أفعله هو الصراخ.

لن أصرخ.

لن.

لن أصرخ.

12

لن أصرخ!

كان ما يزال جالساً بجانب النافذة، وقد أصبح صاحياً تماماً الآن، ومدركاً تماماً بأن سيارة الشرطة التي يراها على الطريق الفرعي حقيقية مثل قدمه اليسرى التي كانت موجودة ذات يوم.

اصرخ! اللعنة! اصرخ!

أراد أن يصـــرخ، ولكـــن ما كان يطلبه من نفسه كان صعباً جداً؛ صـــعباً جداً. لم يستطع حتى أن يفتح فمه. حاول لكنه شاهد على الفور قطرات البيتادايين البنية تتطاير من نصل السكين الكهربائية. حاول فسمع صـــوت احتكاك الفأس في عظمة رجله اليسرى، وصوت انبثاق اللهب من مشعل البروبان لدى اقتراب عود الثقاب من مقدمته.

حاول أن يفتح فمه فلم يستطع.

حاول أن يرفع يديه، فلم يستطع.

خرج من بين شفتيه المطبقتين صوت أنين خافت ومريع، هذا كل ما استطاع فعله. كل ما عاناه من قبل - باستثناء ربما تلك اللحظة التي أدرك فـــيها بـــأن قدمه اليسرى كانت ثابتة بالرغم من أن ساقه اليسرى كانت تتحرك - بدا بسيطاً بالقياس مع هذا الشلل الذي أصابه.

كـــان الخـــلاص أمامه مباشرة، ضمن مجال نظره، وكل ما عليه فعله هو كسر زجاج النافذة وكسر لجام الكلاب الذي ربطت به الساقطة لســـانه والصراخ: *ساعدونـي! ساعدونـي! أنقذوني من آنـي! أنقذونـي من الإلهة!*

ولكـــن، في نفس الوقت، كان هناك صوت آخر يصرخ: *سأكون مطـــيعاً يا آنـي! لن أصرخ! سأكون مطيعاً بحق الإلهة! أعدك بأننـي لن أصـــرخ، فقـــط لا تقطعي أجزاء أخرى منـي!* هل كان يعرف قبل هذه اللحظـــة، هل كان يعرف إلى أي حدٍّ أخضعته آني، إلى أي حدٍّ جردته من روحه وشجاعته؟

كـــان يعـــرف أمراً واحداً بشيء من اليقين، وهو أن العطب الذي يعاني منه كان أكبر بكثير من مجرد شلل في اللسان، تماماً مثل المشكلة التـــي يعاني منها في الكتابة فهي كانت أكبر من مجرد مفتاح ناقص أو حمـــى أو انقطاعـــات فـــي الاستمرارية أو حتى فقدان الشجاعة. كانت الحقيقة بسيطة رغم فظاعتها.

لا تصرخ! زعق الصوت المذعور داخله في اللحظة التي فتح فيها الشـــرطي بـــاب سيارته وخرج منها، وهو يعدّل قبعته. كان شاباً، في الثانـــية والعشـــرين أو الثالثة والعشرين، يرتدي نظارات سوداء لامعة. توقـــف قليلاً ليعدل ثنيات بنطاله الكاكي اللون. وعلى بعد ثلاثين ياردة مـــنه كـــان هناك رجل ذو عينين زرقاوين تجحظان من وجهه الأبيض المســـن وقد نبت الشعر على ذقنه وشاربه، يجلس محدقاً إليه من وراء نافذة، ويئن من خلال شفتيه المطبقتين، وينقر بيديه عبثاً على لوح يقبع على ذراعي كرسي متحرك.

لا تصرخ.

(نعم أصرخ).

اصرخ وسينتهي كل شيء.

(لـــن ينتهـــي أي شـــيء، ليس قبل أن أموت. ذلك الفتى ليس نداً للإلهة).

بـــول، يا الله، هل مت فعلاً؟ اصرخ، أيها الجبان السافل! اصرخ بكل ما أوتيت من قوة!

فـــتح شفتيه وسحب نفساً داخل رئتيه وأغمض عينيه. لم تكن لديه أي فكـــرة عما سيخرج من داخله أو ما إذا كان قد خرج فعلاً؛ إلى أن خرج.

إفريقـــيا! فـــي تلك اللحظة طارت يداه وأطبقتا على جانبي رأسه، وكأنهمـــا كانـــتا تريدان أن تمسكا بدماغه المنفجر. *"إفريقيا! ساعدونـي! ساعدونـي! إفريقيا!"*

13

فـــتح عينـــيه. كان الرجل ينظر باتجاه المنزل. لم يستطع بول أن يـــرى عيني الشرطي، لكن ميلان رأسه أوحى بوجود نوع من الحيرة.

تقدم خطوة إلى الأمام ثم توقف.

تلفت بول حوله، فرأى منفضة سجائر مصنوعة من السيراميك إلى اليسار من الكرسي المتحرك. فيما مضى كانت ستكون مليئة بأعقاب السجائر المسحوقة، لكنها الآن لا تحتوي إلا على بعض قصاصات من الورق. أمسك بها ورماها نحو النافذة، فانكسر الزجاج وتبعثر نحو الخارج. كان أجمل صوت سمعه في حياته. ثم صرخ بأشد ما يستطيع من قوة: *"هنا! هنا! ساعدني! انتبه من المرأة! إنها مجنونة!"*

حدّق الشرطي إليه وفغر فمه. مدّ يده إلى جيب قميصه وأخرج شيئاً لا يمكن أن يكون إلا صورة. عاينها قليلاً ثم تقدم إلى طرف الطريق الفرعي. وهناك نطق الكلمات الأربع الوحيدة التي سمعها بول منه. الكلمات الأربع الأخيرة التي سمعها منه إنسان.

كانت هذه الكلمات: "أوه، اللعنة. إنه أنت!"

كان انتباه بول مركزاً على الشرطي بشدة إلى درجة أنه لم ير آني إلا بعد فوات الأوان. عندما رآها أصابه رعب خرافي. كانت آني قد تحولت إلى إلهة، مخلوق غريب نصفه أنثى ونصفه حصان. كان وجهها غاضباً وبيدها تحمل صليباً خشبياً. إنه الصليب الذي غرسته فوق قبر البقرة التي توقفت أخيراً عن الخوار.

بعد موت البقرة، راقب بول من نافذته آني وهي تحفر القبر في البداية (استغرقها فعل ذلك معظم النهار) ثم تجر البقرة (التي كانت قد أصبحت نحيلة بشكل واضح) من وراء الحظيرة. استخدمت لجرها سلسلة عقدتها حول وسط البقرة ثم ربطتها بمؤخرة الشيروكي. راهن بول في ذهنه بأن البقرة سوف تنشطر إلى نصفين قبل أن تصل إلى قبرها، لكنه خسر الرهان. وبعد ذلك، أنزلت آني البقرة في الحفرة ثم بدأت تردمها ببرود. ولم تنتهِ من عملها هذا إلا بعد وقت طويل من هبوط الظلام.

ثم راقبها بول وهي تغرس الصليب في التراب وتقرأ صفحات من

الإنجيل فوق القبر تحت ضوء القمر.

والآن، هـــا هي تمسك بالصليب مثل رمح، موجهة نهاية ساريته العامودية الملوثة بالتراب مباشرة نحو ظهر الشرطي.

صرخ بول، رغم علمه بأن الأوان قد فات: *"خلفك! انتبه!"*

أطلـــق الشرطي صرخة مكتومة ثم مشى ببطء على المرج، كان ظهـــره المطعون مقوّساً وأحشاؤه بارزة. وكان وجهه يشبه وجه رجل يحـــاول إخراج حصاة من كليته. بدأ الصليب يميل نحو الأرض عندما اقترب الشرطي من النافذة التي يجلس بول بجانبها، فأحاط إطار النافذة المسنن بقطع من الزجاج المكسور بوجهه الشاحب. حاول الشرطي أن يمد يديه من خلف كتفيه، فبدا لبول مثل رجل يحاول أن يحك منطقة لن يستطيع الوصول إليها أبداً.

اقتربت آني من الشرطي بسرعة وانتزعت الصليب من ظهره.

التفـــت الشرطي نحوها، وهو يحاول الوصول إلى مسدسه، لكنها سبقته وغرزت رأس الصليب في بطنه.

صـــرخ الشرطي مجدداً وسقط على ركبتيه ممسكاً بمعدته. عندما انحـــنى، اســـتطاع بـــول رؤيـــة الشق الذي أحدثته الضربة الأولى في القميص.

انتزعـــت آني الصليب مجدداً - كان رأسه الحاد قد انكسر، مخلّفاً نهايـــة متشـــققة مسننة - ثم غرزته ثانية في ظهره بين لوحي الكتفين. بـــدت مثل امرأة تحاول قتل مصاص دماء. كأن الضربتين الأولتين لم تكونا عميقتين بما يكفي فأتبعتهما بضربة ثالثة قاضية.

صـــرخت آني وهي تنتزع الصليب من ظهره مجدداً: *"انظر! هل يعجبك هذا!"*

فزعق بول: *"آنـي! توقفي!"*

رفعـــت رأسها ونظرت إليه، ولمعت عيناها الداكنتان للحظة مثل قطعتـــي نقود معدنيتين، وامتطّت زاويتا فمها في تكشيرة مرحة لمعتوه

تخلص منذ لحظة من كل قيوده. ثم نظرت ثانية إلى الشرطي.

"انظـــرا" غرزت الصليب في ظهره من جديد. ثم في مؤخرته. وفـــي أعلى أحد فخذيه. ورقبته. وحوضه. طعنته حوالى ست طعنات، وهي تصرخ به في كل مرة: "انظرا" ثم انشق الصليب بشكل عامودي.

"انظـــر". قالتها، ثم مشت مبتعدة عنه في الاتجاه الذي جاءت منه راكضـــة. وقـــبل أن تختفي من مجال رؤية بول رمت الصليب المدمى جانباً وكأنه لم يعد يهمها.

14

وضـــع بـــول يديـــه علـــى عجلتي الكرسي، غير متأكد إلى أين سيذهب، أو ماذا سيفعل إذا ما ذهب إلى أي مكان؛ ربما إلى المطبخ من أجل أن يأتي بسكين؟ ليس ليحاول قتلها بها، أوه لا، لأنها عندما ستراها ستســـرع من فورها إلى السقيفة وتحضر بندقيتها. ليس لقتلها بل ليدافع عن نفسه من غضبها عن طريق شق أوردة معصميه. لم يكن يعرف إذا كان هذا ما ينوي فعله أم لا، لكنها بدت فكرة رائعة بالفعل، لأنه إذا كان مـــا يزال هناك وقت للخروج من *المسرح*، فهذا هو وقته. لقد سئم من فقدان أجزاء منه كلما غضبت.

في تلك اللحظة، رأى شيئاً جعله يتسمر في مكانه.

الشرطي.

الشرطي كان ما يزال حياً.

رفـــع رأسه. كانت نظاراته قد سقطت. الآن تمكن بول من رؤية عينيه. الآن تمكن بول من رؤية كم هو شاب هذا الشرطي، كم هو شاب ومتألم وخائف. كان الدم ينزف من وجهه في جداول. نجح في الاستناد على يديه وركبتيه. لكنه سقط من جديد. ثم عاد ورفع نفسه ودبّ ببطء على يديه وقدميه باتجاه السيارة.

نجـح فـي الوصـول إلى منتصف المسافة بين المنزل والطريق الفرعي، ثم انقلب على ظهره. استلقى هناك لفترة قصيرة ممد الساقين. بـدا عاجـزاً مثل سلحفاة مقلوبة على ظهرها. ثم مال على جنبه وبدأ المسـيرة المضنية للاستناد على ركبتيه من جديد. كان قميصه وبنطاله مبلليـن ببقع من الدماء، وكانت البقع الصغيرة تتوسع ببطء وتلتقي مع البقع الأخرى، وهي مستمرة بالتوسع.

وصل الشرطي إلى الطريق الفرعي.

فجأة ارتفع صوت آلة جز العشب.

فصرخ بول: *"انتبه! انتبه! إنها قادمة!"*

أدار الشـرطي رأسه، وارتسمت نظرة خوف ضعيفة على وجهه، وحاول الوصول إلى مسدسه مجدداً. أخرج الشرطي المسدس، ثم عادت آنـي إلـى الظهـور. كانت تجلس منتصبة فوق مقعد آلة جز العشب وتقودها في أقصى سرعة تستطيع بلوغها.

صرخ بول: *"أطلق النار عليها!"*

ولكن، بدلاً من إطلاق النار على آني ويلكس، ارتبك المسدس في يده ثم سقط على الأرض.

مدّ يده للإمساك به، فأمالت آني آلة جزّ العشب فجأة وداست على يـده ومقدمة ذراعه. انبثق الدم، من المكان الذي يُفترَض أن يخرج منه العشـب المقصوص، على شكل نافورة كبيرة. صرخ الشرطي الشاب. ثـم سُمع صوت رنين حاد عندما اصطدم نصل الآلة الدوار بالمسدس. صعدت آني المرج الجانبي لكي تدور ثم حوّلت نظرتها إلى بول لثانية واحدة، فعلم بول علم اليقين ماذا كانت تعني هذه النظرة. الشرطي أولاً، ثم أنت.

عـندما سـمع الشرطي صوت الآلة وهي تقترب منه، دار على ظهـره وضرب بكعبيه بشكل مسعور أرض الطريق الفرعي الترابية، محاولاً دفع نفسه تحت السيارة حيث لا يمكنها الوصول إليه.

لم يستطع حتى من الاقتراب منها. ارتفع صوت الآلة في هدير صارخ ثم داست فوق رأس الشرطي.

رأى بول آخر نظرة في عيني الشرطي البنيتين المرعوبتين، قبل أن تغطيهما مزق قميصه الكاكي التي تدلت من ذراع مدها في محاولة ضعيفة أخيرة لحماية نفسه، وعندما غابت العينان، أشاح بول بنظره عن المنظر.

انخفض صوت محرك آلة جز العشب فجأة، ثم سُمعت سلسلة أصوات سريعة غريبة شبيهة بسائل ينخفق.

تقيأ بول بجانب الكرسي وهو مغمض العينين.

15

لم يفتحهما إلا عندما سمع خشخشة مفتاحها في باب المطبخ. أما باب غرفته هو فقد كان مفتوحاً. راقبها وهي تقترب من الممر بجزمتها البنية العتيقة وبنطالها الجينز الأزرق مع حمالة مفاتيحها المتدلية من إحدى حلقات نطاقه وقميصها الرجّالي المصبوغ بالدماء. انكمش على نفسه مبتعداً عنها. كان يريد أن يقول: *إذا قطعت أي شيء آخر مني يا آني، فسأموت. لن يتحمل جسدي صدمة بتر أخرى. سأموت عمداً.* ولكن، لم تخرج منه أية كلمة.

لم تعطه أية فرصة للتكلم على أية حال.

بل اكتفت بالقول: "سأتعامل معك لاحقاً". ثم أغلقت الباب وراءها. وسمع خشخشة أحد مفاتيحها في القفل، فقال بول في نفسه: *قفل جديد من نوع كريغ سيهزم حتى توم تويفورد نفسه.* مشت آني بخطى حثيثة في الممر، ثم استمع إلى وقع كعبي جزمتها وهي تنخفض بشكل تدريجي.

أدار رأسه ونظر بكآبة من خلال النافذة: استطاع رؤية جزء من

جسد الشرطي فقط. كان رأسه ما يزال تحت الآلة، التي كانت مائلة في زاويـــة قاســـية ومستندة إلى سيارة الشرطي؛ فآلة جز العشب صُممت للمشي فوق العشب وتقليم ما طال منه فقط، ولم تصمم كي تحافظ على توازنهــا فــوق صـــخور ناتئة، أو أخشاب متساقطة، أو رؤوس رجال شرطة الولاية. لو لم تكن سيارة الشرطي واقفة في مكانها بالضبط، ولو لم يقترب الشرطي منها إلى هذا الحدّ قبل أن تصيبه آني، فعلى الأغلب كانـــت الآلـــة ستنقلب وتقذفها خارجاً. هناك احتمال بأن لا تُصب بأي مكروه، بالطبع، ولكن هناك احتمال بأن تُصب إصابة بالغة.

قال بول في نفسه بكآبة: *لديها حظ الشيطان نفسه*. ثم راقبها وهي تـــوازن الآلـــة ثم تدفعها دفعة قوية لتبعدها عن السيارة. فضربت الآلة جانب سيارة الشرطي وقشطت منها بعض الطلاء.

الآن وقـــد مـــات الشـــرطي، أصبح بإمكان بول النظر إليه. بدا الشـــرطي مـــثل دمية كبيرة عوملت بقسوة من قبل عصبة من الأولاد الأشـــقياء. شـــعر بول بأسى كبير على الشرطي الشاب الذي لا يعرف اسمه، لكنه أحس في نفس الوقت بعاطفة أخرى تجاهه. وعندما دقق في هـــذه العاطفة لم يستغرب كثيراً عندما عرف بأنها كانت الحسد. نعم إنه الحسد. صحيح أن هذا الشرطي الشاب لن يرجع أبداً إلى بيته وأطفاله، إذا كـــان لديـــه أطفـــال، إلا أنـــه، من الجهة الأخرى، تخلص من آني ويلكس.

أمســـكت يد الشرطي المدماة وجرته عبر الطريق الفرعي إلى أن أدخلـــته إلـــى الحظيرة، التي كان بابها نصف مفتوح. وعندما خرجت، دفعت جانبي الباب إلى آخر مدىً يمكنهما بلوغه. ثم عادت أدراجها إلى ســـيارة الشرطي. كانت تمشي بهدوء وصفاء غير متناسبين مع الحدث الفظـــيع الـــذي وقع منذ دقائق فقط. أدارت السيارة ثم قادتها إلى داخل الحظـــيرة، وعند خروجها ثانية، عادت وأقفلت الباب تاركة فتحة تكفي فقط لدخولها وخروجها منه.

كـــان القســـم السفلي من آلة جز العشب ملطخاً بالدماء، وخاصة حول المكان الذي يخرج منه العشب – كان ما يزال يقطر دماً. وكانت مزق صغيرة من بذلة الشرطي الكاكية ملقاة على الطريق الفرعي وعلى عشب المرج الجانبي المقصوص حديثاً. أما بقع الدماء فقد انتشرت في كـل مكـــان. كـــان مسدس الشرطي ملقى على الأرض، وقد بان على سبطانته شق طويل من المعدن اللامع. وكانت هناك قطعة ورق بيضاء ســميكة عالقـــة على شوك صبَّارة زرعتها آني في شهر أيار. وهناك أيضاً صليب قبر البقرة المكسور الممد على الطريق الفرعي مثل شاهد على كل ما جرى.

خرجت من نطاق رؤيته متوجهة نحو المطبخ ثانية. عندما دخلت إلـــى المـــنزل، ســـمعها بول تغني: *"ستمتطي ستة جياد بيضاء عندما ســتأتي... ستمتطي ستة جياد بيضاء عندما ستأتي! ستمتطي ستة جياد بيضاء، ستمتطي ستة جياد بيضاء..."*

وعـــندما رآها مجدداً، كانت تمسك بكيس أخضر كبير للقمامة في يديهـــا وتضـــع ثلاثـــة أو أربعـــة أخرى منه في جيبي بنطالها الجينز الخلفييـــن. كانت هناك بقع كبيرة من العرق تبلل قميصها حول الإبطين والرقبة. وعندما استدارت رأى بقعة كبيرة أخرى على ظهرها.

التقطت مزق البذلة أولاً ثم الصليب. كسرت الصليب إلى نصفين وأدخلـــته فـــي الكـــيس البلاستيكي. ثم ركعت بعد فعلها ذلك. التقطت المســـدس، وأدارت الأســـطوانة وأفرغت الطلقات ووضعتها في جيب جانبـــي، ثـــم أعـــادت الأسطوانة إلى مكانها بنفضة واحدة مدربة من معصـــمها، وحشرت المسدس في نطاق بنطالها. انتزعت قطعة الورق من الصبار ونظرت إليها بتمعن. ثم حشرتها في جيب جانبي آخر. وبعد ذلـــك توجهت نحو الحظيرة ورمت أكياس القمامة وراء الباب ثم عادت أدراجها باتجاه المنزل.

توجهـــت نحـــو جدار القبو الذي يقع تحت نافذة بول تماماً، فأثار

انتباهها شيء آخر. كانت منفضة السجائر. التقطتها ومدت يدها بتهذيب من خلال النافذة لتسلمها إياها.

"خذ يا بول".

أخذها بخدر.

ثـم قالت وكأنها تعرف بأنه سيطلب منها ذلك: "سآخذ قصاصات الورق لاحقاً". لوهلة، فكَّر بضربها بمنفضة السجائر الثقيلة على رأسها عندما انحنت، ويشق رأسها بها ويخرج المرض المعشش في دماغها.

ثم فكَّر بما يمكن أن يحدث له فيما لو آذاها فقط، فوضع المنفضة في مكانها بيده الفاقدة للإبهام.

نظرت إليه وقالت: "أنا لم أقتله، وأنت تعرف ذلك".

"آني –"

"أنـت مـن قـتله. لو أبقيت فمك مقفلاً، لكنت قد تركته في حال سبيله. كان يجب أن يكون حياً الآن. ولما توجب عليَّ تنظيف كل هذه الفوضى المقرفة".

"نعم. كنت تركته في حال سبيله. وماذا عني يا آني؟"

كانت في ذلك الوقت تسحب خرطوماً من تحت النافذة وتلفه حول ذراعها. "لا أعرف عما تتحدث يا بول".

"نعم تعرفين. كان يحمل صورتي معه، وهي الآن في جيبك، أليس كذلك؟"

"لا تطـرح علـيَّ أي سؤال وسأجيبك من دون أكاذيب". ثم بدأت بتثبيـت الخـرطوم حول حنفية كانت موجودة على جانب المنزل إلى اليسار من نافذة بول.

"سـيارة تابعة لشرطة الولاية تعني بأن شخصاً ما وجد سيارتي. كلانا يعرف بأن شخصاً سيجدها. لكنني مستغرب فقط من أن اكتشافها استغرق كل هذه المدة. في الروايات يمكن أن تطير السيارة من القصة وتتـبخر في الهواء. أعتقد أن بإمكاني أن أجعل الناس يصدقون ذلك إذا

اضـــطررت. ولكن في الحياة الواقعية، هذا مستحيل. لكننا استمرينا في خـــداع نفسينا، أليس كذلك يا آني؟ أنت بسبب الكتاب، وأنا بسبب حياتي البائسة التي أصبحت أعيشها الآن".

"لا أعــرف عما تتكلم". ثم أدارت الحنفية. "كل ما أعرفه هو أنك قتلــت ذلك الشرطي الشاب عندما رميت المنفضة على النافذة وحطمت الزجاج. ولهذا، ستحصل على ما كان يمكن أن يحدث لك إضافة إلى ما حــدث له منذ قليل". رسمت تكشيرة أفزعته فعلاً. لقد رأى شيطاناً يثب داخل عينيها.

"أيتها السافلة".

"السافلة *المجنونة*، صحيح؟" كانت ما تزال تبتسم.

"أوه نعم. أنت مجنونة".

"حســناً، سيتوجب علينا أن نتحدث حول هذا الأمر، أليس كذلك؟ عــندما يكــون لديَّ وقت؟ سيتوجب علينا أن نتحدث حول ذلك *كثيراً*. لكنني مشغولة جداً الآن، كما *ترى*".

مدت الخرطوم ثم فتحت الماء بواسطة صمام موجود في مقدمته. أمضـــت قرابة نصف ساعة تنظف الدماء عن آلة جز العشب والطريق الفرعي والمرج الجانبي.

ثـــم أغلقـــت الماء ومشت رجوعاً على طول الخرطوم وهي تلفه حول ذراعها. كان الضوء ما يزال قوياً لكن ظلها كان طويلاً وراءها. كانت الساعة السادسة.

انتزعـــت الخـــرطوم مـــن الحنفية، ثم فتحت باب القبو وألقته في الداخـــل. أغلقـــت الباب واستدارت ثم وقفت تتفحص الطريق الفرعي الموحل والعشب.

عادت آني إلى آلة جزّ العشب، وركبت عليها، ثم أدارتها وسارت بهـــا. ابتســـم بول قليلاً. صحيح أنها كانت تملك حظ الشيطان، وعندما تكـــون مضغوطة، فإن ذكاءها يصبح *تقريباً* مثل ذكاء الشيطان، ولكن،

تقريباً فقط. فقد أخطأت في باولدر، لكنها أفلتت بفعلتها بفعل الحظ غالباً. وها هي تخطئ الآن مجدداً؛ لقد نظفت الدماء عن آلة جز العشب لكنها نسيت تنظيف النصل في الأسفل وكل الجزء المحيط به من الداخل. لعلها ستتذكر لاحقاً؟ لكن بول لم يكن يعتقد ذلك. فالأشياء كانت تسقط من عقل آني ما إن تمر اللحظة الآنية. خطر بباله أن العقل وآلة جز العشب كانا متشابهين كثيراً. فما يمكن أن تراه من الخارج كان يبدو جيداً. ولكن، إذا قلبت الشيء ونظرت إلى مكوناته من الداخل، فسترى آلة قتل ذات نصل حاد ملطخ بالدماء.

عادت إلى باب المطبخ ودخلت إلى المنزل. صعدت إلى الطابق العلوي وسمعها تفتش بين الأغراض لفترة من الوقت. ثم نزلت من جديد، ببطء أكبر، تجرجر وراءها شيئاً بدا ثقيلاً وطرياً في آن معاً. دفع بول كرسيه نحو الباب وألصق أذنه بالخشب.

السقيفة! لقد ذهبت إلى السقيفة كي تأتي بالفأس! إنه الفأس ثانية!

لكنها لم تذهب إلى السقيفة. كانت ذاهبة إلى القبو. كانت تجر وراءها شيئاً ما وذاهبة إلى القبو.

سمعها تأتي من القبو ثانية فدفع الكرسي إلى النافذة. عندما اقتربت أصوات وقع أقدامها، وعندما وضعت المفتاح في القفل، فكّر بول: *لقد أتت كي تقتلني*. لكن الشعور الوحيد الذي ولّدته هذه الفكرة كان الارتياح بعد طول انتظار.

16

انفتح الباب ووقفت آني هناك تنظر إليه بتمعن. كانت قد غيرت ثيابها ولبست قميص تي شيرت أبيض جديداً وبنطالاً من القماش. وتتدلى من كتفها حقيبة صغيرة كاكية اللون؛ أكبر من حقيبة يد وأصغر من حقيبة تُحمل على الظهر.

عندما دخلت، تفاجأ بول من امتلاكه الشجاعة ليقول بكبرياء: "هيا، اقتليني يا آني، إذا كان هذا ما تريدين فعله، ولكن، أرجو أن تتحلي باللياقة وتجعلي الأمر سريعاً. لا تقطعي المزيد من جسدي".

"لن أقتلك يا بول". صمتت قليلاً، ثم تابعت: "على الأقل، ليس إذا كنت أمتلك القليل من الحظ فقط. يجب أن أقتلك، أعرف ذلك، لكنني مجنونة، صحيح؟ والمجانين لا يكترثون كثيراً لمصالحهم، أليس كذلك؟"

دارت خلفه ودفعت الكرسي خارج الغرفة. كان يسمع صوت ارتطام حقيبتها بجسدها. لم يرها تحمل مثل هذه الحقيبة من قبل. فعندما كانت تلبس ثوباً وتذهب إلى البلدة، كانت تحمل حقيبة يد كبيرة غير أنيقة (من النوع الذي تحمله السيدات العوانس لشراء الأغراض التي تُباع في الكنائس من أجل الأعمال الخيرية). وعندما كانت تذهب مرتدية بنطال الجينز، كانت تحمل محفظة تضعها في جيبها الخلفي، مثل الرجال.

كان ضوء الشمس الداخل إلى المطبخ ذهبياً باهراً. وكانت ظلال أرجل طاولة المطبخ معكوسة على الأرضية على شكل خطوط متوازية مثل ظلال قضبان سجن. كانت الساعة المعلقة فوق الفرن تشير إلى السادسة والربع، ولكن، بالرغم من أنه لم يكن هناك سبب لتصديق أن آني كانت أقل إهمالاً بشأن ساعاتها من إهمالها بشأن التقاويم (التقويم الموجود في المطبخ كان يشير إلى شهر أيار)، إلا أن تلك الساعة كانت تبدو صحيحة. سمع صرصار الحقل يصدر صوتاً في الخارج فقال في نفسه: *لقد سمعت هذا الصوت عندما كنت طفل صغيراً صحيح الجسم.* فكاد أن يبكي.

دفعت الكرسي نحو غرفة المؤونة، حيث كان الباب المؤدي إلى القبو مفتوحاً. كان هناك ضوء أصفر مرتجف يأتي من فوق سلم القبو وينعكس على أرضية غرفة المؤونة. وكانت رائحة أمطار آخر الشتاء التي ملأت القبو ما تزال تفوح منه.

"أوه – أوه... استثنيني مما تخططين له".

نظرت إليه بشيء من الامتعاض. يبدو أن رشدها قد عاد إليها منذ مقتل الشرطي. كان وجهها يشبه وجه امرأة تستعد لحفلة عشاء كبيرة.

"أنـــت ستنزل إلى هناك، والسؤال الوحيد هو هل ستنزل محمولاً على الظهر أم على مؤخرتك. سأعطيك خمس ثوان لتقرر".

فقال على الفور: "على الظهر".

"حكيم جداً". استدارت كي يتمكن من وضع ذراعيه حول رقبتها.

"لا تقــم بــأي شـــيء غبي يا بول. لقد تدربت على الكاراتيه في هاريســبورغ. وكنت جيدة فيها. سأقلبك. والأرض صلبة جداً. ستكسر ظهرك".

رفعـــته بسهولة. فتدلت ساقاه المتعرجتان والقبيحتان، بالرغم من نـــزع الجبـــيرة عنهما. كانت الساق اليسرى أقصر من اليمنى بحوالى عشر سنتمترات. حاول من قبل الوقوف على الساق اليمنى لكن محاولته تلـــك تســـببت له بألم فظيع دام لساعات. ولم تتمكن جرعة المخدر من بلوغ ذلك الألم وتهدئته.

حملته ونزلت به إلى القبو، ففاحت رائحة – كانت تزداد قوة كلما ازداد نـــزولهما – حجـــارة وأخشـــاب قديمة ومياه فائضة وخضروات متعفـــنة. كانت هناك ثلاثة مصابيح عارية. رأى بيوت عنكبوت قديمة معلقـــة بين العوارض الخشبية غير المطلية. وكانت الجدران مبنية من الحجـــارة، ولـــم تُملأ الفراغات فيما بينها بعناية. كان المكان بارداً لكن برودته لم تكن من النوع المنعش.

لـــم يسبق له أن اقترب منها إلى هذه الدرجة، وهي تجربة لم تكن ســـارة أبداً بالنسبة إليه. فقد اشتم رائحة عرقها المقرفة؛ بالرغم من أنه كـــان يحـــترم رائحـــة العرق، لأنه كان يربطها بالعمل، والجهد الجاد. وإضـــافة إلـــى رائحة العرق، كانت هناك رائحة قذارة قديمة جداً، مما جعله يعتقد بأنها كانت تنسى أوقات الاستحمام بقدر ما كانت تنسى تغيير

أوراق الشـــهور في تقاويمها. كان بإمكانه أن يرى كمية من الصملاخ البنـــي الغـــامق يسد إحدى أذنيها، فتعجب بقرف كيف كان بإمكانها أن تسمع.

هناك بجانب أحد الجدران، وجد مصدر ذلك الصوت المتجرجر: كانـــت حصـــيرة. وبجانـــبها يوجد طاولة تلفزيون مهترئة عليها بعض العلـــب والعـــبوات البلاســـتيكية. اقتربـــت من الحصيرة واستدارت ثم قرفصت.

"انزل يا بول".

أفلـــت يديـــه بحذر ثم ترك نفسه يسقط على الحصيرة. نظر إليها بتوجس عندما مدت يدها داخل الحقيبة الكاكية.

ثـــم صـــاح على الفور عندما رأى إبرة حقن تلمع في ضوء القبو الأصفر الباهت: "لا. لا. لا".

17

"يا إلهي. لا بد أنك تظن بأن مزاج آني عكر اليوم. آمل بأن تهدأ يـــا بول". وضعت الحقنة على طاولة التلفزيون. "هذه سكوبولاماين. إنه دواء مكـــون مـــن المورفين بشكل أساسي. وأنت محظوظ لأنني أملك المورفيـــن أساســـاً. أخبرتك كم يراقبونه في صيدليات المستشفى. وأنا أتركه لأن المكان رطب هنا وساقاك ستؤلمانك بشدة قبل أن أعود".

"دقـــيقة واحـــدة فقط". ثم غمزته بطرف عينها بشكل يثير القلق؛ غمزة أحد متآمرين للآخر. "أنت ترمي منفضة سجائر وأنا مشغولة مثل معلق إعلانات بذراع واحدة. سأعود على الفور".

ذهبـــت ثـــم عادت بعد فترة قصيرة حاملة وسائد من أريكة غرفة الاســـتقبال وبطانـــيات مـــن سريره. وضعت الوسائد خلف ظهره حتى يســـتطيع الجلـــوس بـــدون عـــناء، لكنه، مع ذلك، شعر ببرودة الجدار

الحجري من خلال الوسائد.

كانــت هــنالك ثــلاث عبوات من البيبسي فوق طاولة التلفزيون المهترئة. فتحت اثنتين منها، باستخدام فتّاحة معلقة في حمالة مفاتيحها، وأعطــته واحــدة. رفعت الأخرى وشربت منها بدون توقف، ثم كتمت تجشؤاً بيدها، مثل سيدة محترمة.

"يجب أن نتكلم. أو بالأحرى، يجب أن أتكلم أنا وعليك أن تصغي أنت".

"آني، عندما قلت بأنك مجنونة –"

"هش! ولا كلمة حول هذا الأمر. قد نتكلم حول ذلك فيما بعد. ليس لأغــير رأيــك بأي شيء تفكر فيه؛ رجل ذكي مثلك يكسب عيشه من التفكــير. كل ما فعلته هو إخراجك من سيارتك المهشمة قبل أن تتجمد حــتى الموت، وتجبير ساقيك المكسورتين المسكينتين، وإعطاؤك الدواء كــي أخفف ألمك، والاعتناء بك، وإقناعك بالتخلي عن كتاب سيئ كتبته لتكتب أفضل كتاب كتبته على الإطلاق. فإذا كان ذلك جنوناً فخذني إلى مستشفى المجانين".

هــنا، لــم يستطع منع نفسه عن الكلام: "وأنت أيضاً قطعت قدمي المنــ!"

صفعته بيدها على جانب رأسه بحركة سريعة.

"لا تســتخدم هذه الكلمة البذيئة معي. إذا لم تتلق تربية حسنة فأنا ربيــت بشــكل جيد. أنت محظوظ لأنني لم أقطع غدة رجولتك. فكّرت بذلك، وأنت تعرف هذا".

نظــر إليها وقال بنعومة: "أعرف أنكِ فكرت بهذا يا آني". اتسعت عيناها، وبدت وكأنها أحست بالذنب.

"أصغ إليَّ. أصغ جيداً يا بول. سنكون على ما يرام إذا حل المساء ولــم يأتِ أحد إلى هنا كي يتفقد ذلك الشرطي. سيحل الظلام بعد ساعة ونصف. فإذا جاء شخص ما قبل ذلك –"

مـــدت يدها داخل الحقيبة الكاكية وأخرجت مسدس الشرطي. فلمع تحـــت أضواء مصابيح القبو الخدش المتعرج الذي أحدثه نصل آلة جز العشب في سبطانته.

"إذا جاء أحد قبل حلول الظلام، أياً يكن هذا الشخص فهذا الشيء سيتكفل به، ثم بك، ثم بي".

18

قالت لـــه بأنها عندما يحل الظلام سوف تقود سيارة الشرطي إلى مكـــان الضـــحك. هناك غرفة ملاصقة للمنزل يمكنها أن تركن السيارة داخلهـــا بأمـــان بعيداً عن الأنظار. كانت تعتقد بأن الخطر الوحيد بأن يراها أحد يكمن في الطريق العام 9، لكنه احتمال ضئيل مع ذلك، لأنها بحاجة لأن تقطع أربعة أميال منه فقط. وبعد الطريق 9، نادراً ما يوجد أحـــد يســـير علـــى الطرقات الترابية المؤدية إلى الجبال. وحتى رعي المواشـــي يكون نادراً هناك بسبب ارتفاع المنطقة. وقالت أيضاً بأن قلة مـــن تلـــك الطرقات ما تزال مقطوعة بواسطة بوابات، لكنها لن تكون بحاجـــة لأن تطلـــب المفاتيح من أحد، لأنها حصلت عليها من أصحاب الأراضي عندما اشترت هي ورالف المنزل.

"كـــان يجـــب أن آخـــذك معي فقط كي أراقبك، وخاصة بعد أن أظهـــرت أنه لا يمكن الوثوق بك، لكن هذا لن ينجح. يمكنني أن آخذك إلى هناك في الصندوق الخلفي لسيارة الشرطي، لكن ذلك مستحيل. لأن علـــيَّ أن أقـــود دراجـــة رالف الآلية في طريق العودة. قد أسقط عنها وأكسر رقبتي المسكينة!"

ضـــحكت بمـــرح لكي تُظهر كم سيكون ذلك مضحكاً بالنسبة لها، لكن بول لم يبادلها الضحك.

"إذا حصل ذلك بالفعل يا آني، فماذا سيحل بي؟"

قالـــت بهـــدوء: "ســـتكون بخير يا بول. يا الله، إنك تقلق من كل شـــيء!" مشت نحو إحدى نوافذ القبو ووقفت هناك للحظات، تخمن متى سيحل الظلام. كان بول يراقبها بانزعاج. كان يعتقد بأنها إذا سقطت من على دراجتها، فإنه لن يكون بخير. كان يعتقد بأنه سيموت ميتة الكلاب فـــي القـــبو، وسيصـــبح وجبة للفئران التي لا بد أنها تراقبهما في تلك اللحظـــة. كان هناك قفل من نوع كريغ على باب غرفة المؤونة، وقفل بســـقاطة على باب القبو، وقد يكون بسماكة معصمه. وكانت نوافذ القبو بطـــول خمسين سنتمتراً وعرض ثلاثين، الأمر الذي يجعل من إمكانية النفاذ منها أمراً مستحيلاً بالنسبة إليه وخاصة في حالته تلك. قد يستطيع كســـر واحدة منها ويصرخ طالباً النجدة في حال جاء شخص ما، ولكن حتى هذا لم يرحه كثيراً.

رجعـــت آنـــي وأخذت عبوة البيبسي. "سأجلب اثنين منها قبل أن أذهب. أما الآن فأنا بحاجة للسكريات. أنت لا تمانع، أليس كذلك؟"

"قطعاً لا. ما لي هو لك".

نزعت غطاء العبوة وشربت منها.

"سأضعه في سيارته وأقودها إلى مكان الضحك. سآخذ كل أشيائه. سأضـــع الســـيارة في الكوخ هناك وأدفنه... وأدفن أشياءه... في الغابة هناك".

لـــم يقـــل أي كلمة. كان يفكر في البقرة التي ظلت تخور وتخور وتخـــور حـــتى لم يعد باستطاعتها الخوار، وذلك لأنها ماتت. كما يقول المثل: *البقرة الميتة لا تخور.*

"لـــديّ سلســـلة خاصة بالطريق الفرعي. سأستخدمها. إذا جاءت الشـــرطة، قد يرتابون، لكنني أفضل أن يرتابوا على أن يقودوا سيارتهم حـــتى المـــنزل ويسمعوك تصدر جلبة غبية. فكرت في كمّ فمك، لكن الكمامات خطرة، وخاصة إذا كنت تأخذ أدوية تؤثر على جهاز التنفس. وربمـــا قـــد تتقيأ. وربما قد تنغلق جيوبك الأنفية بسبب الرطوبة العالية

هنا. فإذا انغلقت جيوبك الأنفية ولم تستطع التنفس من فمك..."

"سأضـــع ملاحظـــة على السياج..." قالت ببطء، وهي تعيد تجميع أفكارهـــا. "هـــناك بلدة تبعد حوالى خمسة وثلاثين ميلاً عن هنا. تُدعى ســـتيمبوت هيفين، أليس اسماً ظريفاً لبلدة؟ إنهم يقيمون في هذا الأسبوع ما يدعونه أكبر سوق للبضائع الرخيصة في العالم. إنهم يفتحونه في كل صـــيف. هـــناك الكثير من الناس الذين يبيعون الخزفيات. سأكتب في ملاحظتـــي بأنـــي هناك، في ستيمبوت هيفين، أتفرج على الخزفيات. سأقول بأنني سأبقي طوال الليل. وإذا سألني أحد فيما بعد أين نمت، بما أنهـــم يستطيعون تفقد سجل المشترين، سأقول بأنني لم أجد قطعاً خزفية جيدة فرجعت أدراجي. سأقول بأنني تعبت، فركنت السيارة على جانب الطـــريق كي أنال قسطاً من الراحة، حتى لا أنام خلف المقود. وسأقول بأننـــي كنت أريد أن آخذ قيلولة قصيرة فقط ولكنني كنت تعبة جداً من كثرة تجوالي في المكان إلى درجة أنني نمت طوال الليل".

ارتعـــب بول من عمق مكرها. ثم أدرك فجأة بأن آني كانت تقوم بما لم يكن باستطاعته هو القيام به: كانت تلعب "هل يمكنك؟" في الحياة الواقعية. *ربما لهذا لا يمكنها كتابة القصص. إنها ليس بحاجة لها.*

"ســـأعود بأســـرع ما يمكن، لأن الشرطة ستأتي إلى هنا". لم يبدُ علـــيها بأنها قلقة على الإطلاق من هذا الاحتمال، بالرغم من أن بول لم يكـــن يصدق بأنها لم تكن تدرك – في جزء ما من عقلها – كم أصبحا قريبين من نهاية اللعبة. "لا أظن بأنهم سيأتون هذه الليلة، لكنهم سيأتون حـــتماً، حالمـــا يتأكدون من أنه مفقود فعلاً. سيفتشون كل الطريق الذي سلكه، محاولين اكتشاف الأماكن التي توقف فيها، ألا تعتقد ذلك يا بول؟"

"أجل".

"ينبغي أن أعود قبل وصولهم. إذا خرجت على دراجتي مع طلوع الفجر قد أصل إلى هنا قبل الظهر. لا بد أنني سأسبقهم، لأنه إذا بدأ من ســـايدويندر، فمـــن المؤكد أنه توقف في أمكنة عديدة قبل أن يصل إلى

هنا.

وعند وصولهم إلى هنا، ينبغي أن تكون أنت في غرفتك. لن أقيدك، أو أكمّمك، أو أي شيء من هذا القبيل يا بول. بإمكانك حتى أن تسترق النظر عندما أخرج للتكلم معهما. معهما، لأنه سيكون هناك اثنان على الأقل في المرة القادمة، ألا تعتقد ذلك؟"

كان بول يعتقد ذلك بالفعل.

هزت برأسها راضية. "لكنني أستطيع التكفل بأمر اثنين إذا اضطررت لذلك". ربتت على الحقيبة الكاكية. "أريدك أن تتذكر مسدس الفتى عندما تسترق النظر يا بول. أريدك أن تتذكر بأنه سيكون هنا في الداخل عندما سأتحدث مع أولئك الشرطيين غداً أو بعد غد. الحقيبة لن تكون مغلقة. لا بأس بأن تراهما، ولكن إذا رأوك يا بول - بالصدفة أو إذا حاولت أن تفعل ما فعلته اليوم - إذا حصل ذلك، فسأخرج المسدس من الحقيبة وأبدأ بإطلاق النار. أنت مسؤول منذ الآن عن موت ذلك الفتى".

فردّ عليها بول بالرغم من أنه كان يعلم بأنها ستؤذيه: "هراء".

لكنها لم تفعل شيئاً، بل اكتفت بالابتسام بهدوء.

"أوه، أنت تعلم بأنني متأكدة بأنك لا تكترث، أنا لا أخدع نفسي بشأن ذلك أبداً. وأنا متأكدة بأنك لن تكترث حتى لو قُتل اثنان آخران إذا كان ذلك سيساعدك... لكنه لن يساعدك يا بول. لأنني إذا اضطررت لقتل اثنين، فسأقتل أربعة. هما... ثم نحن. وهل تعلم؟ أعتقد بأنك ما زلت تهتم بجلدك".

"ليس كثيراً. سأقول لك الصدق يا آني، مع كل يوم يمر، تزداد رغبتي بالخروج من جلدي هذا".

ضحكت.

"على أية حال، أردتك فقط أن تعرف كيف ستسير الأمور. إذا كنت حقاً لا تكترث، فاصرخ بأعلى صوتك عندما يأتون. الأمر كله

راجع إليك".

ظل بول صامتاً.

"عندما سيأتون، سأقف هناك على الطريق الفرعي وأقول نعم، لقد جاء شرطي من شرطة الولاية إلى هنا. سأقول بأنه جاء في الوقت الذي كنت أستعد فيه للذهاب إلى ستيمبوت هيفين من أجل إلقاء نظرة على القطع الخزفية. سأقول بأنه أراني صورتك، وسأقول بأنني لم أرك. عندئذ سيسألني أحدهم: 'حدث ذلك في الشتاء الماضي، آنسة ويلكس، فكيف يمكنك أن تكوني متأكدة إلى هذا الحدّ؟' وسأجيبه: 'إذا كان إلفيس بريسلي ما يزال حياً ورأيته في الشتاء الماضي، فهل ستتذكر بأنك رأيته؟' وسيقول نعم، ربما، ولكن، ما علاقة هذا بسعر القهوة في بورنيو؟ وسأرد عليه بأن بول شيلدون هو كاتبي المفضل وقد رأيت صورته مرات عديدة. يجب أن أقول ذلك يا بول، أتعرف لماذا؟"

كان يعرف، لكن مكرها ظل يدهشه، بالرغم من أنه كان يعتقد بأنه من المفترض أن لا يدهشه بعد كل ما رآه منها، إلا أنه في الواقع لم يتوقف عن إدهاشه. تذكّر الكلام الذي كُتب تحت صورة آني وهي في قفص الاتهام، الصورة التي التُقطت في الفترة الفاصلة بين انتهاء المحاكمة وعودة هيئة المحلفين. *وهي في تلك الحالة المزرية؟ آني تقرأ بهدوء وهي تنتظر النطق بالحكم.*

"وهكذا، عندئذ سأقول بأن الشرطي دوّن كل ذلك في دفتره وشكرني. سأقول بأنني دعوته لشرب كوب من القهوة بالرغم من أنني كنت على عجلة من أمري وسيسألونني لماذا. سأقول بأنه ربما كان يعرف عن مشكلتي السابقة، وأنا أردت أن أطمئنه بأن كل شيء على ما يرام هنا. لكنه رفض وقال بأن عليه أن يتابع عمله. لذا سألته ما إذا كان يود أن يأخذ معه عبوة باردة من البيبسي لأن الطقس كان حاراً جداً في ذلك اليوم، فقال نعم، شكراً، ذلك لطف كبير منك".

أنهت البيبسي الثانية حتى آخر قطرة منها وأمسكت العبوة

البلاستيكية ومدّتها بينها وبينه. رأى من خلال البلاستيك عينها كبيرة ومرتجفة، عين حيوان بحري مفصلي. كما رأى جانب رأسها منتفخاً ومتموجاً.

"سأتوقف وأضع هذه العبوة البلاستيكية في الساقية بعد حوالى ميلين من هنا، ولكن سأضع أولاً بصماته عليها بالطبع".

ابتسمت له.

"بصمات الأصابع. سيعرفون عندئذ بأنه مر بي. أو *سيعتقدون* بأنهم يعرفون، وهذا جيد، أليس كذلك يا بول؟"

ازداد فزعه.

"وهكذا سيكملون الطريق ولن يجدوه. سيكون قد اختفى. مثل أولئك السحرة الهندوس الذين ينفخون في مزاميرهم حتى تخرج الحبال من السلال فيتسلقون الحبال ويختفون. بووف!"

قال بول: "بووف".

"لن يمضي وقت طويل حتى يعودوا ثانية. أعرف ذلك. ففي النهاية، عندما لن يجدوا أي أثر له باستثناء تلك العبوة البلاستيكية، سيقررون بأنه من الأفضل لهم بأن يعيدوا التفكير بشأني. في النهاية، أنا مجنونة، أليس كذلك؟ كل الأوراق تقول ذلك.

لكنهم سيصدقونني في البداية. لا أعتقد بأنهم سيدخلون إلى المنزل ويفتشونه؛ ليس في البداية على الأقل. سيبحثون في أمكنة أخرى ويحاولون التفكير في أمور أخرى قبل أن يعودوا إلى هنا. سيكون لدينا بعض الوقت. ربما أسبوع".

نظرت إليه بشكل ثابت.

"سيتوجب عليك أن تكتب بسرعة أكبر يا بول".

19

حلّ الظلام ولم يأتِ أحد من الشرطة. غير أن آني لم تقضِ ذلك الوقت مع بول، فقد كانت تريد أن تعيد تركيب الزجاج على نافذة غرفة بول، وتنظف القصاصات الورقية والزجاج المكسور المتناثر على المرج. قالت له: "عندما سيأتي رجال الشرطة غداً للبحث عن صديقهم المفقود، لا نريدهم أن يلاحظوا أي شيء غير طبيعي، أليس كذلك يا بول؟"

دعيهم فقط يبحثون تحت آلة جز العشب. دعيهم فقط ينظرون تحتها وسيجدون الكثير من الأشياء غير الطبيعية.

قالت له قبل أن تذهب كي ترى ماذا يمكنها فعله بخصوص النافذة: "هل تتساءل لماذا أخبرتك بكل هذا يا بول؟ لماذا أطلعتك على خططي بكل هذه التفاصيل؟"

قال بول بكآبة: "لا".

"جزئياً لأنني أردتك أن تعرف بالضبط ما هي المخاطر، وماذا يتوجب عليك فعله كي تحافظ على حياتك. كما أردتك أن تعرف بأنني أستطيع لو أردت أن أنهي المسألة الآن فوراً. لولا الكتاب فقط. فما زلت مهتمة بالكتاب". رسمت ابتسامة فرحة ومتفكرة في نفس الوقت. "إنه بالفعل أفضل كتب *ميزري* على الإطلاق وأريد بكل جوارحي أن أعرف كيف ستنتهي الأحداث".

"وكذلك أنا يا آني".

نظرت إليه مدهوشة. "لماذا... أنت تعرف، أليس كذلك؟"

"عندما أبدأ كتاباً أعتقد دائماً بأنني أعرف كيف ستؤول الأحداث في النهاية، لكنني في الواقع لم أُنهِ أي كتاب بهذه الطريقة تماماً. إن كتابة رواية تشبه تقريباً إطلاق صاروخ عابر للقارات. حيث إن إنهاء رواية بالطريقة التي كنت تعتقدين بأنها ستنتهي بها عندما شرعت في

كتابتها يشبه إطلاق صاروخ ضخم لمسافة تقارب نصف الكرة الأرضية وجعل شحنته المتفجرة تسقط في حلقة كرة السلة. تبدو المسألة جيدة على الورق، وستجدين أشخاصاً ممن يصنعون هذه الأشياء يؤكدون لك بأن الأمر سهل مثل إعداد شطيرة، لكن الاحتمالات قليلة مع ذلك".

قالت آني: "نعم. فهمت".

"في الوقت الحالي، أرى نهايتين محتملتين للكتاب. واحدة محزنة جداً، والأخرى – مع أنها ليست على نمط النهايات السعيدة الهوليودية – تحمل على الأقل بعض الأمل في المستقبل".

نظرت آني بقلق، ثم قالت فجأة: "إنك لا تفكر في قتلها ثانية، أليس كذلك يا بول؟"

ابتسم بول قليلاً. "ماذا ستفعلين إذا فعلت ذلك يا آني؟ ستقتلينني؟ هذا لا يخيفني البتة. قد لا أعرف ماذا سيحصل لميزري، لكنني أعرف ماذا سيحصل لي... ولك. أنا سأكتب النهاية، وأنت ستقرأين، ثم أنت ستكتبين النهاية، صحيح؟ نهاية كلينا. هذا الشيء لا حاجة بي للتخمين بشأنه. الحقيقة ليست أغرب من الخيال بالفعل، مهما قالوا عن هذا الموضوع. ففي معظم الأحيان أنت تعرفين *بالضبط* كيف ستنتهي الأمور".

"ولكن –"

"أعتقد بأنني أعرف أياً من النهايتين هي التي ستكون. أنا متأكد بنسبة ثمانين بالمائة. إذا انتهت على ذلك النحو، فستحبينها. ولكن، حتى لو انتهت بالشكل الذي أعتقده، فلن يعرف أي منا التفاصيل الفعلية حتى أكتبها على الورق، صحيح؟"

"لا... لا أعتقد".

"هل تذكرين ما كانت تقوله إعلانات Greyhound Bus؟ 'بلوغ الهدف فيه نصف المتعة'".

"في كلتا الحالتين، لقد أوشك الكتاب على النهاية، أليس كذلك؟"

"نعم. لقد أوشك على النهاية".

20

قبل أن تغادر، جلبت له عبوة بيبسي أخرى، وعلبة من البسكويت، وسردين، وجبن... ووعاء التبول.

"مـــا رأيك بأن تجلبي لي مخطوطتي وواحدة من كراساتي، لأنني سأكتب بخط يدي. هذا سيساعدني على تمضية الوقت".

فكّـــرت قليلاً، ثم هزت رأسها بشيء من الأسف. "أتمنى لو كنت أســـتطيع، يا بول. لكن هذا يعني ترك مصباح واحد على الأقل مضاء، ولا يمكنني المخاطرة بفعل ذلك".

فكّر ببقائه وحيداً في القبو فاعترته موجة من الرعب. "لا تتركيني في الظلمة يا آني. أرجوك لا تفعلي ذلك".

"أنـــا مضطرة. إذا لاحظ أحد وجود ضوء في القبو، فقد يتوقفون لإلقـــاء نظـــرة، سواء أكانت السلسلة تقطع الطريق الفرعي أم لا، مع ملاحظـــة أم بـــدون ملاحظة. وإذا أعطيتك مصباحاً كاشفاً، فقد تحاول إعطـــاء إشارة به. وإذا أعطيتك شمعة، فقد تحاول إحراق المنزل بها. أترى كم أعرفك؟"

"لو أردت أن أحرق المنزل يا آني، لكنت فعلتها منذ وقت طويل".

"كانـــت الأمـــور مختلفة في حينها. أنا آسفة لأنك لا تحب البقاء وحـــيداً فـــي الظـــلام. أنا آسفة لأنك مضطر لفعل ذلك. لكنها غلطتك، فتوقف عن التصرف مثل فأر. عليّ أن أذهب. إذا أحسست بأنك بحاجة إلى تلك الإبرة، فاحقنها في ساقك".

نظرت إليه.

"أو احقنها في مؤخرتك".

ثم بدأت تصعد السلم.

صـــرخ بـــول: "فلتغطّ النوافذ إذن! استخدمي بعض الشراشف... أو... اطليها باللون الأسود...أو... يا الله، آني، الفئران! الفئران!"

كانـــت قد وصلت إلى الدرجة الثالثة. توقفت ثم نظرت إليه بعينين باردتين: "ليس لديَّ وقت لفعل هذه الأشياء. والفئران لن تزعجك، على أي حال. حتى أنها قد تعرّفك على واحدة منها يا بول. أو قد تتبنّاك".

ضـــحكت آنـــي. ثم صعدت السلم وهي تضحك بقوة أكبر فأكبر. سمع صوت طقة فاختفت الأضواء واستمرت آني بالضحك، فأمر نفسه بـــأن لا يصـــرخ ولا يتوســـل. لكن الظلال الموحشة الرطبة وضجيج ضـــحكاتها كانا أكثر من قدرته على التحمل فصرخ بول بها طالباً منها ألا تفعل ذلك به، لكنها استمرت بالضحك. ثم سمع صوت الباب ينغلق، فخفـــت صـــوت ضحكها قليلاً لكنه كان ما يزال مسموعاً، هناك على الجانب الآخر من الباب، حيث يوجد ضوء. ثم سمع صوت الباب يُقفَل، ثـــم أُغلـــق بـــاب آخر فخفت صوت ضحكها أكثر (لكنه كان ما يزال مســـموعاً)، ثـــم ســـمع صوت قفل آخر ثم سقّاطة تُسحَب بقوة. أصبح صـــوت ضـــحكاتها الآن يأتي من خارج المنزل. وحتى بعد أن شغلت سيارة الشرطي وأرجعتها، ثم مدت السلسلة قاطعة الطريق الفرعي، ثم قـــادت الســـيارة مبـــتعدة، اعتقد بول بأنه كان ما يزال يسمعها تضحك وتضحك وتضحك.

21

كـــان الفـــرن الموجود في منتصف القبو يبدو مثل أخطبوط أسود كبـــير. ظنّ بول أن باستطاعته سماع دقات الساعة الموجودة في صالة الاســـتقبال إذا كـــان الليل هادئاً، لكن عاصفة صيفية قوية هبت في تلك اللـــيلة، كما يحدث غالباً في مثل ذلك الوقت من الصيف، فأصبح الزمن يـــبدو بـــأن لا نهايـــة له. كان باستطاعته سماع صراصير الحقل تغني

خارج المنزل عندما هدأت العاصفة... وبعد ذلك، سمع الأصوات الخفية التي كان يخشاها: أصوات حركة الفئران السريعة الخافتة.

ولكن، لم تكن الفئران هي الوحيدة التي كانت ترعبه. لا. بل كان هناك الشرطي أيضاً. صحيح أن مخيلته اللعينة النابضة بالحياة نادراً ما كانت تمده بصور مرعبة، ولكنها إذا فعلت، كان الله في عونه. ورغم أن كل ما كان يفكر به لم يكن منطقياً على الإطلاق، إلا أن ذلك لم يشكل أي فرق في الظلمة. في الظلمة تصبح العقلانية حمقاء والمنطق حلماً. في الظلمة كان يفكر من خلال جسده وليس بعقله. ظل بول يرى الشرطي يعود إلى الحياة مجدداً في الحظيرة، فينهض جالساً، ويتساقط القش الذي غطته به آني على جانبيه وفي حضنه. كان وجهه المدمى الفاقد للحس مشقوقاً بواسطة نصل آلة جز العشب. رآه يزحف خارج الحظيرة وعلى الطريق الفرعي متوجهاً إلى باب القبو الخارجي. كانت الشرائط الملونة الممزقة في بذلته الرسمية ترفرف وراءه. رآه يتغلغل بشكل سحري عبر الجدار ثم يعيد تشكيل جثته هناك في القبو. رآه يزحف على الأرض الترابية المرصوصة، رآه يقترب منه وفي ذهنه الميت البارد فكرة واحدة فقط: *أنت الذي قتلتني. أنت من فتح فمه وقتلني. أنت من رمى منفضة السجائر وقتلني. يا ابن الساقطة اللعين، أنت الذي قتلتني.*

عندما أحس بول بأصابع الشرطي الميتة تدب على رقبته، صرخ مذعوراً، ونفض ساقيه فأشعل النيران فيهما. مدّ يده على وجهه وأبعد بحركة خاطفة، ليس أصابع الشرطي، بل عنكبوتاً كبيراً.

لقد أنهت تلك الحركة الهدنة القلقة مع الألم في ساقيه وأيقظت حاجته للمخدر، لكنها أيضاً بددت رعبه قليلاً. في تلك الأثناء أصبحت رؤيته الليلية أقوى، فصار يرى بشكل أفضل، وهذا ساعده قليلاً. ولكن، لم يكن هناك الكثير ليراه على أي حال؛ الفرن، بقايا كومة من الفحم، طاولة عليها مجموعة من العلب والقناني... وعلى يمينه، إلى الأعلى

مـــن مكان جلوسه... ما هو ذلك الشكل؟ ذلك الشيء الذي يقف بجانب الرفوف. كان يعرف ذلك الشكل. شيء فيه جعله يبدو مثل شيء سيئ. كـــان يقف هناك على أرجله. بدا مثل واحدة من آلات ويليس القاتلة في فـــيلم حـــرب *العوالم*، ولكن بشكل مصغّر. تحزَّر بول حول ماهية ذلك الشـــيء، ثم غفا قليلاً، ثم استيقظ، ونظر ثانية إليه وفكّر: *بالتأكيد. كان يجـــب أن أعرف منذ البداية. إنها آلة قاتلة. وإذا كان هناك شخص في العـــالم مـــن كوكـــب المريخ، فإنها آني ويلكس اللعينة. إنه حوض آني للشـــواء. إنـــه حوض الشواء. إنها المحرقة التي أجبرتني على إحراق روايتي* **سيارات سريعة** *فيها*.

تحـــرك قليلاً لأن مؤخرته أصيبت بالخدر. فأنّ من الألم الصادر من ساقيه – وخاصة ركبته اليسرى المهشمة – ومن حوضه أيضاً. كان ذلك يعني بأنه سيمضي ليلة سيئة فعلاً.

ســـمع صوت خربشة فالتفت بسرعة إلى الزاوية، متوقعاً أن يرى الشـــرطي يزحف باتجاهه. *لولاك لكنت أشاهد التلفاز الآن واضعاً يدي على ساق زوجتي*.

لم يكن الشرطي. بل كان شكلاً معتماً، قد يكون مجرد تخيل لكنه كـــان علـــى الأرجح فأراً. أرغم نفسه على الاسترخاء. يا لها من ليلة طويلة سيمضيها بول اليوم.

22

غفا قليلاً، ثم استيقظ، فوجد نفسه ممدداً برخاوة على جانبه الأيسر ورأســـه متدلـــياً، مـــثل سكير متشرد نائم في أحد الأزقة. أجلس نفسه فصـــعقه الألـــم بشدة في ساقيه. استخدم الوعاء للتبول فتألم جراء تبوله وأدرك بشـــيء مـــن الخوف أن التهاباً في المجاري البولية كان يتطور داخله. اللعنة، لقد أصبح هشاً ومعرضاً للإصابة بأي شيء. وضع وعاء

التبول جانباً وأخذ الإبرة.

جرعة خفيفة من السكوبولامايين، هذا ما قالته له. حسناً، *قد تكون كذلك بالفعل. أو لعلها وضعت فيها حقنة قوية من مادة ما. من النوع الذي استخدمته على أشخاص مثل إيرني غونيار و"كويني" بيوليفانت.*

عندئذ ابتسم قليلاً. هل سيكون ذلك شيئاً سيئاً جداً؟ فكان الجواب مدوياً *اللعنة، لا!* سيكون أمراً رائعاً. ستختفي الأوتاد إلى الأبد. ولن ينحسر المد بعد ذلك. أبداً.

مع هذه الفكرة في ذهنه غرز الإبر في فخذه الأيسر، وبالرغم من أنه لم يسبق له أن حقن نفسه أبداً من قبل، إلا أنه فعل ذلك بشكل ممتاز، وبحماس أيضاً.

23

لم يمت ولم ينم. لكن الألم غاب، فحلّق في سماء تخيلاته، شاعراً وكأنه انفصل عن جسده، بالون من الأفكار يحلّق بعيداً في نهاية الخيط الممسك به.

نظر إلى حوض الشواء وفكّر في أشعة مميتة من المريخ تحرق لندن بالنار.

خطرت بباله أغنية، ملحنة على أنغام الديسكو، لفرقة تُدعى ترامبس: *أحرقي، يا حبيبتي، أحرقي، أحرقي الأم بالنار...*

فخطرت له فكرة.

أحرق الأم بالنار...

ثم غفا بول شيلدون.

24

عندما استيقظ كان القبو مليئاً بضوء الفجر الرمادي. كان هناك جرذ كبير جداً يجلس على الطاولة التي تركتها آني له، يقضم الجبنة وذيله ملفوف بشكل أنيق على جسده.

صرخ بول، وارتجف، فصرخ ثانية من الألم الذي صعق ساقيه. فهرب الجرذ.

كانت قد تركت له بعض كبسولات النوفريل. ومع أنه كان يعرف بأن النوفريل لن يتكفل بألمه، إلا أنه كان أفضل من لا شيء.

تناول اثنتين منها مع البيبسي ثم اتكأ على ظهره، شاعراً بألم نابض في كليتيه. ثمة التهاب يتفاقم هناك. رائع! عظيم!

المريخيون. آلات الموت المريخية.

نظر إلى حوض الشواء متوقعاً بأن يراه يبدو مثل حوض شواء في ضوء الصباح، حوض شواء لا غير. فاندهش لأنه وجده ما يزال يبدو مثل واحدة من آلات التدمير المتنقلة في رواية ويليس.

لقد خطرت ببالك فكرة، فماذا كانت؟

عادت تلك الأغنية:

أحرقي، يا حبيبتي، أحرقي، أحرقي الأم بالنار!

صحيح؟ أي أم هذه؟ حتى أنها لم تترك لك شمعة. لن تستطيع إشعال ضرطة.

فقال صوت آخر في عقله: *لن تكون بحاجة لإحراق أي شيء الآن. أو هنا.*

ما الذي نتكلم عنه يا شباب؟ ألا يمكنكم أن تتركوني وشأني؟

فجأة خطرت بباله فكرة رائعة، بالطريقة التي تأتي فيها الأفكار الرائعة بحق، مكتملة وسهلة ومقنعة.

أحرق الأم بالنار...

نظر إلى حوض الشواء وتوقع بأن يحس بالألم مجدداً مما فعله - أو مما أرغمته آني على فعله - عندما أحرق مخطوطة **سيارات سريعة**. أحس بالألم فعلاً، ولكن بشكل خفيف، على غير ما كان يتوقع؛ كان الألم في كليتيه أسوأ بكثير. ماذا قالت له البارحة؟ *كل ما فعلته... إقناعك بالتخلي عن كتاب سيئ كتبته لتكتب أفضل كتاب كتبته على الإطلاق...*

قد يكون هناك شيء من الحقيقة في هذا الكلام. لعله بالغ في تقدير جودة روايته *سيارات سريعة*.

فهمس إليه جزء ما من عقله: *إنه مجرد عقلك يحاول شفاء نفسه. إذا تمكنت يوماً من الخروج مما أنت فيه الآن، فستحاول بنفس الطريقة أن تقنع نفسك بأنك لم تكن تحتاج إلى قدمك اليسرى في كل الأحوال؛ إلى الجحيم، خمسة أظافر أقل لقصها. إنهم يصنعون الأعاجيب في الأجزاء الاصطناعية هذه الأيام. لا يا بول، الشيء الأول كان مجرد كتاب جيد والشيء الآخر كان مجرد قدم جيدة. دعنا لا نخدع أنفسنا.*

لكنّ جزءاً آخر أعمق منه شك في أن يكون التفكير بهذه الطريقة هو خداع للنفس.

لا تخدع نفسك يا بول. قل الحقيقة اللعينة. إنك تكذب على نفسك. الشخص الذي يختلق القصص، شخص مثل هذا يكذب على الجميع، لكنه لا يستطيع أبداً الكذب على نفسه. إنه أمر غريب، لكنها الحقيقة. عندما تبدأ بالتفكير بهذه الطريقة، ستجد نفسك ربما تغطي الآلة الكاتبة وتبدأ بالدراسة من أجل نيل شهادة في التسويق أو شيء من هذا القبيل.

ما هي الحقيقة إذاً؟ الحقيقة - إذا كانت مصراً - هي أن الرفض المتزايد لنتاجه في الصحافة النقدية باعتباره نتاج "كاتب مشهور" (أي - كما كان يفهمه - أعلى بدرجة، درجة واحدة فقط، من "كاتب مأجور") آلمه بشدة. هذا الرفض لم يكن منسجماً مع صورته الذاتية عن نفسه ككاتب جدي كان يفرط في إنتاج تلك القصص الرومانسية السخيفة فقط

من أجل تمويل عمله الحقيقي! هل كان يكره ميزري؟ هل كان يكرهها حقــاً؟ إذا كــان ذلــك صحيحاً، فلماذا عاد وانسل إلى عالمها بكل تلك السـهولة؟ بل، ليس بسهولة فقط، بل بسعادة غامرة، مثل الانزلاق في حـوض سـاخن مع كتاب جيد في يد وكأس من الشراب البارد في اليد الأخرى. ونتيجة لذلك، ألم يبالغ مع مرور الأيام بتقدير "روايته الحقيقية" هـذه؟ وكأنه كان يقول صارخاً: *هيي، يا ناس! انظروا إليَّ! انظروا كم جمـيلة هذه! هذه الرواية تمتلك منظوراً شاملاً! إنها عملي الحقيقي أيها الحمقى! إياكم أن تحوّلوا اهتمامكم عني! إياكم أيها الفئران اللعينة! إياكم أن تحولوا اهتمامكم عن عملي الحقيقي! إياكم، وإلا –*

ماذا؟ ماذا ستفعل؟ تقطع أقدامهم؟ تنشر بالمنشار إبهامهم؟

انتابــت بول نوبة ارتجاف مفاجئة. كان بحاجة للتبول من جديد. أمســك الوعــاء، وشد على نفسه، ثم تمكن أخيراً من التبول. كان الألم أســوأ من ذي قبل، إذ توجع أثناء التبول، وظل يتوجع لفترة طويلة بعد انتهائه منه.

أخيراً بدأ النوفريل يأخذ مفعوله، فغفا.

نظر إلى حوض الشواء بعينين ثقيلتين.

همــس ذلــك الصوت الداخلي إليه: *كيف ستشعر لو أرغمتك آنـي علـى إحراق* **عودة ميزري**؟ جعلته هذه الفكرة ينتفض في مكانه. أدرك بول بأن ذلك سيؤلمه، نعم، سيؤلمه بشدة. ذلك سيجعل الألم الذي أحس به حين شبت النار في **سيارات سريعة** مثل ألم التهاب الكلية الذي يعاني مـنه الآن بالمقارنة مع ما أحس به حينما هوت بذلك الفأس على قدمه، مطبقة سلطتها التحريرية على جسده.

كما أدرك بأن ذلك لم يكن هو السؤال الحقيقي.

السؤال الحقيقي هو كيف ستشعر آني حين تحترق *عودة ميزري*؟

كانــت هناك طاولة بالقرب من حوض الشواء، وعليها عدة علب وعبوات.

ومن بين هذه العلب كانت هناك علبة تحتوي على سائل لإشعال الفحم.

ماذا لو كانت آني هي التي تصرخ من الألم؟ هل تشعر بالفضول لمعرفة كيف سيبدو ذلك؟ هل تشعر بالفضول؟ يقول المثل بأن الانتقام طبق يُفضَّل أكله بارداً، لكن سائل "رونسون فاست لايت" لم يكن قد اختُرع بعد عندما ابُتكر هذا المثل.

أحرق الأم بالنار. ثم غفا بول. كانت هناك ابتسامة صغيرة على وجهه الشاحب النحيل.

25

عندما عادت آني حوالى الساعة الثالثة والربع من بعد ظهر ذلك اليوم، كان شعرها المجعد منبسطاً حول رأسها في شكل الخوذة التي كانت ترتديها. كانت صامتة، لكن صمتها كان يوحي بأنه ناتج عن التعب والتفكير، وليس عن الاكتئاب. وعندما سألها بول ما إذا كان كل شيء قد سار على ما يرام.

"نعم، أعتقد ذلك. واجهت مشكلة في تشغيل الدراجة، ولولا هذه المشكلة لكنت قد عدت قبل ساعة من الآن. كانت قادحات الشرر قذرة. كيف حال ساقيك يا بول؟ هل تريد حقنة أخرى قبل أن آخذك إلى غرفتك؟"

بعد مضي عشرين ساعة تقريباً في الرطوبة، كان يشعر وكأن شخصاً ما غرز مسامير قذرة في ساقيه. كان يريد الحقنة بشدة، ولكن ليس هناك، لأنها لن تفيده أبداً.

"أعتقد بأنني بخير".

استدارت ثم قرفصت. "حسناً، اصعد إذن. ولكن تذكَّر ما قلته لك حول محاولة الخنق وأشياء كهذه. أنا متعبة جداً ولا أظن بأن رد فعلي

سيكون جيداً على المزاح".

"لا أعتقد بأن مزاجي جيد للمزاح أبداً".

"جيد".

رفعته بصعوبة هذه المرة، إذ أصدرت صوتاً حين فعلت ذلك. كتم بول صرخة وجع كانت ستفلت من فمه. مشت باتجاه السلم، فمال رأسها قليلاً، فأدرك بأنها كانت – أو يمكن أن تكون – تنظر إلى الطاولة وما عليها من علب مبعثرة. كانت نظرتها قصيرة، وعادية، لكنها بالنسبة لبول بدت وكأنها استمرت لوقت طويل جداً، وكان متأكداً من أنها سوف تعرف بأن العبوة التي تحتوي على سائل الإشعال لم تعد موجودة. لأنها كانت محشورة تحت سرواله الداخلي من الخلف. وهكذا، بعد شهور طويلة من سرقاته السابقة، تمكّن أخيراً من استجماع شجاعته وسرقة شيء آخر. ولكن، إذا انزلقت يداها إلى الأعلى قليلاً على فخذيه وهي تصعد السلم، فإنها ستلمس شيئاً غير قطعة بحجم كف اليد من مؤخرته النحيلة.

أشاحت ببصرها عن الطاولة بدون أي تغيير في تعبير وجهها، فكان ارتياحه عظيماً إلى درجة أنه تحمّل بدون كثير من الألم الصعود المتأرجح والمتقلقل على الدرج. صحيح أنها كانت ماهرة في إخفاء ما تبطنه من مشاعر إذا أرادت ذلك، مثل لاعب بوكر محترف، لكنه كان يعتقد – أو يأمل – بأنه خدعها هذه المرة.

بالفعل، فقد خدعها هذه المرة.

26

بعد أن أصبح في غرفته من جديد، قال بول: "أعتقد أنني أود أن آخذ تلك الحقنة يا آني".

تمعنت في وجهه الأبيض المتعرق لبرهة، ثم هزت رأسها

وغادرت الغرفة.

حالما خرجت من الغرفة، أخرج العلبة من سرواله الداخلي وأخفاها تحت الفراش. لم يضع أي شيء تحته منذ السكين، ولم يكن ينوي ترك العلبة هناك لوقت طويل، فقط حتى الليل، إذ كان لديه مكان آخر، أكثر آماناً، لإخفائها فيه.

عادت وأعطته الحقنة. ثم وضعت كراسة أوراق وعدة أقلام رصاص مبرية حديثاً على رفّ النافذة وجرّت الكرسي المتحرك حتى أصبح بجانب السرير.

"سأذهب لأنام قليلاً. إن أتت سيارة فسأسمعها. وإذا لم يزعجنا أحد، أعتقد بأنني سأنام حتى صباح يوم غد. إذا أردت أن تنهض وتكتب بخط يدك، فها هي كرسيك. ومخطوطتك هناك، على الأرض. مع أنني بصراحة لا أنصحك بأن تكتب حتى يعود الدفء إلى ساقيك يا بول".

"لا أستطيع الكتابة الآن، لكنني أعتقد بأنني سأفعل هذه الليلة. لقد فهمت ما عنيته بخصوص قصر الوقت الآن".

"أنا سعيدة لسماع ذلك يا بول. كم من الوقت ستحتاج برأيك؟"

"في الظروف العادية، ربما شهر. وبالشكل الذي كنت أعمل فيه مؤخراً، ربما أسبوعان. وإذا عملت بأقصى طاقتي، خمسة أيام، أو ربما أسبوع. صحيح أن نوعية ما سأكتبه لن تكون ثابتة، لكنني سأنتهي على الأقل".

تنهدت ونظرت إلى يديها ثم قالت: "أعرف بأنه لن يكون أمامنا إلا أقل من أسبوعين".

"أرجو أن تعديني بأمر".

نظرت إليه بدون غضب أو ارتياب، بل بفضول خفيف. "ماذا؟"

"أن لا تقرأي أي شيء حتى أنتهي تماماً... أو حتى أضطر أن... تعرفين..."

"تتوقف؟"

"نعـــم. حتى أضطر للتوقف. بهذه الطريقة ستحصلين على النتيجة كاملة. سيكون تأثيرها أكبر بكثير".

- "ستكون نهاية جيدة، أليس كذلك؟"

ابتسم بول. "نعم. ستكون ساخنة جداً".

27

في تلك الليلة، حوالى الساعة الثامنة، رفع نفسه بحذر وجلس في الكرسي. أصغى السمع جيداً فلم يسمع أي شيء آتٍ من الطابق العلوي. في الحقيقة، لم يسمع أي شيء منذ سماعه صرير نوابض سريرها عندما استلقت عليه في الرابعة من بعد الظهر. لا بد أنها كانت مرهقة فعلاً.

أخذ بول علبة سائل الإشعال ودفع كرسيه إلى المكان الذي وُضعت فيه عدة شغله بقرب النافذة: الآلة الكاتبة بأسنانها الناقصة وتكشيرتها الكريهة، سلة المهملات، الأقلام والكراسات وورق الطباعة وأكوام من الأوراق المصححة، بعضها سيستخدمه وبعضها الآخر سيذهب إلى سلة المهملات.

حرك الكرسي بين أكوام الورق والكراسات المكدسة بشكل اعتباطي بسهولة عالية اكتسبها من المران الطويل، وأصغى السمع مجدداً، ثم انحنى وسحب قطعة من ألواح الأساس يبلغ عرضها عشرين سنتمتراً. لقد اكتشف بأنها مخلخلة منذ شهر تقريباً. وعرف من الغشاء الرقيق من الغبار الذي يغطي اللوح المخلخل بأن آني لم تعرف بوجوده. *في المرة القادمة، ستلصق بنفسك عدة شعرات من رأسك فقط كي تتأكد.* وخلف اللوح كان هناك مكان ضيق فارغ إلا من الغبار وفضلات الفئران.

وضع علبة "فاست لايت" في الفراغ ودفع اللوح إلى مكانه. أحس بلحظة من القلق عندما خشي من أن لا ينطبق مع الألواح الأخرى المحاذية له (وعيناها اللعينتان حادتان جداً!) لكنه عاد إلى مكانه تماماً.

نظر بول إلى المكان قليلاً، ثم فتح كراسته، والتقط قلم رصاص، ووجد الحفرة في الورقة.

كتــب بشكل متواصل لمدة أربع ساعات، إلى أن تسطحت رؤوس أقــلام الرصاص الثلاثة كلها، ثم عاد إلى السرير، واستلقى عليه، وغفا بسهولة.

28

الفصل السابع والثلاثون

بدأ جيفري يشعر بذراعيه وكأنهما قضيبان من الحديد المسخّن. مضت خمس دقائق وهو واقف في الظلال الشديدة خارج الكوخ الذي يعود إلى ماكيبي "الرجل الجميل". كان يبدو مثل نسخة شديدة النحول عن رجل سيرك قوي وهو يحمل حقيبة البارونة فوق رأسه.

وفي اللحظة التي بدأ يعتقد فيها بأن أي شيء سيقوله حزقيا لن يقنع ماكيبي بمغادرة كوخه، تناءى إلى سمعه أصوات حركة. التفت جيفري، فارتعشت عضلات ذراعيه بشدة. الزعيم ماكيبي "الرجل الجميل" هو "حارس النار" وفي كوخه يوجد أكثر من مائة مشعل، يُبرّد رأس كل واحد منها بواسطة صمغ كثيف ولزج. يحصل البوركيون على هذا الصمغ من الأشجار الواطئة في المنطقة، ويسمونه "زيت النار". لكن لغة البوركيين يمكن أن تكون في بعض الأحيان مراوغة بشكل غريب، شأنها في ذلك شأن معظم اللغات الخاصة بمنطقة واحدة بشكل رئيس. على أي حال، بغض النظر عن تسمية تلك المادة، فقد كان هناك ما يكفي من المشاعل لإحراق القرية بأكملها. فكّر جيفري: "ستشتعل مثل متفجرات غاي فاوكس...، نعم، يمكن إبعاد ماكيبي عن الطريق".

لقد أوصاه حزقيا، قائلاً: لا تخف بأن تضرب سيد جيفري. ماكيبي يخرج أولاً، لأنه رجل النار. وحزقيا يخرج ثانياً. لذا، لا تنتظر حتى ترى بوقي الذهبي يلمع! اكسر رأس ذلك الفاسد بسرعة!

لكنه عندما سمعهما يخرجان بالفعل، انتاب جيفري شعور بالشك للحظة، بالرغم من الألم الشديد في ذراعيه. افترض أن هذا –

29

توقف قلم الرصاص في منتصف الجملة عند سماعه صوت سيارة قادمة. تفاجأ من رد فعله الهادئ بالرغم من مقاطعته في اللحظة التي بدأ فيها يطير مثل الفراشة ويلسع مثل النحلة. سمع وقع أقدام آني تخبط بسرعة في الممر.

كان وجهها مشدوداً ومتجهماً. وكانت الحقيبة الكاكية معلقة على كتفها، ومفتوحة. "ابتعد عن مجال الرؤية. ابتعد عن مج –"

صمتت قليلاً عندما رأت بأنه كان قد ابتعد بالكرسي من تلقاء نفسه. نظرت لتتأكد من أن أياً من أغراضه لم تُترك على رف النافذة. ثم هزت برأسها دلالة عن الرضا.

بدت مشدودة الأعصاب، ولكن رابطة الجأش. كانت الحقيبة متدلية على كتفها بشكل يسمح ليدها اليمنى بالوصول إليها بسهولة. "إنها شرطة الولاية. هل ستتصرف بشكل حسن يا بول؟"

"أجل".

تفحصت وجهه بتمعن.

"سأثق بك". ثم خرجت من الغرفة وأغلقت الباب وراءها لكنها لم تقفله.

انعطفت السيارة ودخلت إلى الطريق الفرعي. عرف بول من صوت المحرك الناعم والهادئ بأنه من نوع بلايماوث 442. سمع صوت باب الشبك الخاص بالمطبخ يُغلق فدفع الكرسي وقبع في مكان مظلل قريب من النافذة يسمح له بالرؤية من دون أن يُرى. توقفت سيارة الشرطة حيث كانت تقف آني وانطفأ المحرك. ثم خرج السائق

مـــن السيارة ووقف تقريباً في نفس المكان الذي كان يقف فيه الشرطي الشـــاب عندما نطق كلماته الأربع الأخيرة... لكن الشبه انتهى عند هذا الحـــدّ. فذلك الشرطي كان شاباً نحيلاً بالكاد تجاوز العشرين من عمره. شـــرطي مبـــتدأ خرج يبحث عن آثار كاتب تعس تحطمت سيارته في حادث مروع.

أمـــا هـــذا الشـــرطي الذي يقف الآن بجانب السيارة، فقد كان في الأربعين من عمره تقريباً، وذا كتفين عريضتين، ووجه مربع صلب مع بعض الخطوط الدقيقة بجانب عينيه وزاويتي فمه. لقد بدت آني – رغم ضخامتها – صغيرة الحجم أمام هذا الرجل الضخم.

وكـــان هـــناك اختلاف آخر أيضاً. فالشرطي الذي قتلته آني كان وحيداً. أما هذه المرة فهناك اثنان. والرجل الثاني الذي خرج من المقعد المجـــاور لمقعد السائق كان صغير الحجم، مائل الكتفين، ذا شعر أشقر ســـابل، ويرتدي ثياباً مدنية. فقال بول في نفسه: *ديفيد وغولياث. مات وجيف. يا الله.*

لم يكن الرجل الذي يرتدي ثياباً مدنية يمشي حول السيارة بقدر ما كـــان يـــنزلق بخفة حولها. بدا وجهه مسناً ومرهقاً، وجه رجل نصف نائم... باستثناء عينيه الزرقاوين. فقد كانت عيناه صاحيتين ومفتوحتين على وسعهما، وتحومان في كل الاتجاهات.

كانـــا يطوقـــان آني من الجانبين، وهي كانت تقول لهما شيئاً ما، فـــترفع رأسها عندما تتحدث مع غولياث، ثم تخفضه عندما تجيب على ديفـــيد. تســـاءل بـــول ماذا سيحدث إذا كسر النافذة ثانية وصرخ طالباً الـــنجدة. كان يعتقد بأن فرص نجاحهما في الإمساك بها تبلغ ثمانية من عشرة. صحيح أنها كانت سريعة، لكن الشرطي الضخم بدا أسرع منها، وقويـــاً بمـــا يكفي لاقتلاع شجرة نصف مكتملة النمو من جذورها بيديه العاريتين. أما الرجل الآخر فقد تكون مشيته الرقيقة مخادعة مثل نظرته الذابلـــة. كـــان يعتقد بأنهما يستطيعان التكفل بأمرها... باستثناء أن ما

سيفاجئهما لن يفاجئها، وهذا سيمنحها فرصة إضافية.

كان معطف الرجل المرتدي ثياباً مدنية مزرَّراً بأكمله بالرغم من الحــر الشــديد. لــو تمكنــت من قتل غولياث أولاً، فقد تستطيع وضع رصاصــة في وجه ديفيد قبل أن يتمكن من فك أزرار معطفه وإخراج مسدسه اللعين. والأهم من ذلك هو أن هذا المعطف المزرّر يوحي بأن ما قالته آني كان صحيحاً: إنها عملية تحقق روتينية فقط.

حتى الآن.

أنـــا لم أقتله. وأنت تعرف ذلك. أنت من قتله. لو أبقيت على فمك مقفــلاً، لكنت قد تركته يمضي في حال سبيله. كان يجب أن يكون حياً الآن...

هــل كان يصدق ذلك؟ لا، بالتأكيد لا. ولكن، كان ما يزال هناك شــعور مؤلــم وقوي بالذنب يعذبه. هل سيبقي فمه مغلقاً بسبب وجود احتمال نسبته اثنين من عشرة بأن تتمكن من قتلهما أيضاً إذا ما فتحه؟

لا. مــن الجمــيل أن يقــنع نفسه بأنه يفكر بهذه الطريقة الناكرة للــذات، لكــنها لم تكن الحقيقة. كان يريد أن يتكفل بأمر آني بنفسه. *قد يــزجوك فــي السجن وحسب أيتها الساقطة، أما أنا فأعرف جيداً كيف أؤذيك.*

30

بالطــبع، هــناك دائماً احتمال بأن يشتما رائحة فأر. فعملها، في الــنهاية، هو اصطياد الفئران، أليس كذلك؟ وإضافة إلى ذلك، فقد يكونا علــى علم بتاريخ آني. إذا انتهت الأمور على هذا النحو، فليكن... لكنه كان يعتقد بأن آني سوف تتملص من القانون للمرة الأخيرة.

كــان بول في ذلك الوقت يعرف الكثير مما كان يريد أن يعرفه. وقــد عرف ذلك من المذياع، إذ إن آني كانت تستمع إليه باستمرار منذ

أن أفاقــت مــن تلك الساعات الطويلة التي قضتها نائمة. كان الاهتمام باختفاء ذلك الشرطي الشاب، الذي كان يُدعى دوين كوشنر، كبيراً جداً. ومــع أنهــم أذاعوا في تقاريرهم أنه كان يبحث عن ذلك الكاتب الناجح المدعــو بول شيلدون، إلا أنهم لم يربطوا اختفاء كوشنر، ولو من باب التخمين، باختفاء بول. حتى ذلك الحين على الأقل.

عرف بول من المذياع بأن المياه التي نتجت عن ذوبان الثلوج في الربــيع جرفــت سيارة الكامارو مسافة خمسة أميال على طول مجرى الجُــدول. وكان يمكن أن تبقى في تلك الغابة دون أن يكتشفها أحد لمدة شــهر آخــر أو ســنة أخــرى لولا الصدفة المحضة. حيث رأى قائدا مروحــية تابعة للحرس الوطني، أُرسلا في مهمة تمشيط تتعلق بمكافحة المخــدرات (بحثاً عن مزارعي المخدرات في المناطق الريفية النائية، بكلمــات أخرى)، انعكاس ضوء الشمس على ما تبقى من لوح الزجاج الأمامــي للكامارو، فحطا في منطقة مكشوفة بالقرب منها لإلقاء نظرة عــن كثــب. لــم يكــن بالإمكان معرفة مدى فداحة الحادث نفسه بعد الضربات العنيفة التي تلقتها السيارة خلال رحلتها الطويلة قبل أن تستقر فــي مكانها النهائي. لم يذع الراديو أي شيء عن إيجاد بقايا دم صالح للفحص الجنائي في السيارة. كان بول يعرف بأنه حتى لو أُجري فحص دقــيق، فلــن يكون بالإمكان العثور إلا على كمية ضئيلة جداً من الدم، فالســيارة أمضــت معظــم فترة الربيع والمياه الذائبة تجتاحها بسرعة الطوفان.

وفــي كولورادو، كان معظم الاهتمام والقلق ينصب على الشرطي دويــن كوشــنر؛ هذا ما يثبته وجود هذين الزائرين. حتى ذلك الوقت، كانت كل التخمينات تتركز على ثلاث مواد ممنوعة: موون شاين (نوع قوي جداً وممنوع من الكحول)، وماريجوانا، وكوكايين. بدا محتملاً أن يكــون كوشــنر قد اكتشف بالصدفة عملية زراعة أو تقطير أو تخزين لواحــدة مــن هــذه المواد خلال بحثه عن آثار الكاتب المشهور. ومع

تضاؤل الأمل بالعثور على كوشنر حياً، بدأت الأسئلة ترتفع حول سبب إرساله وحيداً إلى ذلك المكان الخطر في المقام الأول. فمن الواضح أن شرطة ولاية كولورادو لم تعد تريد المخاطرة الآن، فبدأت تمشط المكان بحثاً عن كوشنر بدوريات مكونة من شخصين.

أشار غولياث بيده نحو المنزل، فهزت آني كتفيها ثم هزت رأسها. ثم قال ديفيد شيئاً ما. وبعد لحظة أومأت برأسها دلالة الموافقة وقادتهما باتجـــاه باب المطبخ. سمع بول صرير مفصلات باب الشبك، وبعد ذلك دخلوا إلى المنزل.

ســـألها غولياث *(لا بد أنه غولياث)*: "ماذا كانت الساعة حين مر بك؟" كان صوته جهورياً وخشناً نتيجة للتدخين وكانت لهجته تنبئ بأنه من سكان الغرب الأوسط.

"حوالـــى الساعة الرابعة. أكثر بقليل أو أقل بقليل. كنت قد انتهيت لـــتوي من جز العشب ولم أكن أحمل ساعة. كان الطقس حاراً بشكل لا يطاق". *كانت تتذكر ذلك جيداً*.

سألها ديفيد: "كم من الوقت بقي سيدة ويلكس؟"

"آنسة ويلكس، إذا كنت لا تمانع".

"عذراً".

"لا أســـتطيع أن أتذكـــر بالضـــبط كم بقي هنا. لكنه لم يبقَ لفترة طويلة، ربما خمس دقائق".

"هل أراك صورة؟"

"نعم، ولهذا السبب هو جاء". اندهش بول من هدوء أعصابها.

"وهل رأيت الرجل في الصورة؟"

"بالتأكـــيد. إنه بول شيلدون. لقد عرفته على الفور. أنا أحب جميع كتـــبه، أحـــبها كثيراً. لقد خاب أمل الشرطي كوشنر. قال بأنه إذا كان الوضـــع علـــى هذا النحو فهو يعتقد بأنني أعرف عما أتكلم. بدا خائب الأمل تماماً. كما بدا منزعجاً جداً من الحرارة".

قال غولياث: "أجل، كان يوماً حاراً بالفعل". تفاجأ بول من مدى قرب صوته. في صالة الاستقبال؟ نعم، من المؤكد أنه من صالة الاستقبال. وعندما أجابته آني بدا صوتها أيضاً أقرب. يبدو أن الشرطيين دخلا إلى صالة الاستقبال، ثم تبعتهما آني. لم تطلب منهما الدخول، لكنهما دخلا من تلقاء نفسيهما، لتفحص المكان.

بالرغم من أن كاتبها المدلل كان يبعد عنهم أقل من خمسة وثلاثين قدماً في ذلك الحين، إلا أن صوت آني بقي هادئاً: "سألته إذا كان يود الدخول لشرب كوب من القهوة المثلجة، لكنه قال بأنه لا يستطيع. لذا سألته إذا كان يحب أن يأخذ عبوة باردة من –"

قاطعت آني نفسها فجأة: "أرجوك لا تكسر هذه. أنا أحب أغراضي، وبعضها هش جداً".

"آسف سيدتي". لا بد أن ذلك كان صوت ديفيد لأنه كان منخفضاً وهامساً، ومتواضعاً ومتفاجئاً في آن معاً. ذلك الصوت الصادر عن شرطي كان سيبدو مضحكاً في ظروف أخرى، لكن هذه الظروف لم تكن تلك الظروف الأخرى وبول لم يشعر بأي رغبة بالضحك. سمع بول صوت شيء يوضع بحذر على الطاولة (لعله البطريق ذو القاعدة الثلجية). كانت يداه تتشبثان بقوة بذراعي الكرسي المتحرك.

سألها ديفيد: "ماذا كنت تقولين؟"

"قلت إنني سألته إذا كان يود أن يأخذ معه زجاجة بيبسي باردة من الثلاجة لأنه كان يوماً حاراً. أنا أحتفظ بها بالقرب من مقصورة التجميد، وهذا يحفظها باردة دون أن تتجمد. قال بأن هذا لطف كبير مني. كان فتى لطيفاً للغاية. لماذا سمحوا لمثل هذا الشاب بالخروج لوحده، هل تعرفان؟"

فسألها ديفيد متجاهلاً سؤالها: "هل شرب المياه الغازية هنا؟" أصبح صوته أقرب أكثر من قبل. لقد اجتاز صالة الاستقبال. لم يكن بول بحاجة لإغلاق عينيه كي يتخيله واقفاً هناك، ينظر إلى الممر

القصـــير الـــذي يمر بحمام الطابق السفلي الصغير وينتهي بباب غرفة النوم الإضافية المغلق.

قالـــت آنـــي بصوت ما زال هادئاً: "لا، بل أخذها معه. قال بأنه مضطر لمتابعة عمله".

قـــال غولياث: "ماذا يوجد هناك؟" سمع بول صوت خبطتي كعبي حذائه، عندما تخطى سجادة صالة الاستقبال وداس على الألواح العارية للممر.

"حمـــام وغرفة نوم إضافية. أنام أحياناً هناك عندما يكون الطقس شـــديد الحـــرارة. ألـــقِ نظرة إذا كنت تحب، لكنني أعدك بأنك لن تجد شرطيك مقيداً إلى السرير".

فقال ديفيد: "لا يا سيدتي، أنا متأكد من ذلك".عندئذ بدأ وقع أقدامهم وأصواتهم يبتعد بشكل تدريجي حتى وصلوا إلى المطبخ.

"هل بدا متأثراً بشيء ما عندما كان هنا؟"

"على الإطلاق. كان يشعر بالحر وخائب الأمل فقط".

"مشغول الذهن بشيء ما؟"

"لا".

"هل ذكر إلى أين سيتجه بعد ذلك؟"

أحس بول بتردد آني في تلك اللحظة، بالرغم من أن الشرطيين لم ينتـــبها لذلك؛ أغلب الظن. لكن آني قالت أخيراً: "لقد اتجه غرباً، ولهذا أعتقد بأنه ذهب باتجاه طريق سبرينغير والمزارع القليلة هناك".

قال ديفيد: "شكراً لتعاونك سيدتي. قد نضطر للتشاور معك ثانية".

"لا بأس. كونا على راحتكما. أنا لا أرى الكثير من الرفقة في هذه الأيام، على أي حال".

ثـــم ســـألها غولـــياث فجـــأة: "هـــل تمانعين إذا ألقينا نظرة على حظيرتك؟"

"على الإطلاق. ولكن تأكدا من قول مرحباً عندما تدخلان".

فسألها ديفيد: "مرحباً لمن يا سيدتي؟"

"لميزري. خنزيرتي".

31

وقفت في الممر تنظر إليه بإمعان؛ بإمعان إلى درجة أحس فيها بالحر واعتقد بأن وجهه اصطبغ باللون الأحمر. كان الشرطيان قد غادرا منذ خمس عشرة دقيقة.

سألها أخيراً: "هل لاحظت شيئاً جديداً؟"

لقد رفع الشرطيان قبعتيهما لها عندما دخلا سيارتهما، لكنّ أياً منهما لم يبتسم. وكانت هناك نظرة في عيونهما تمكّن بول من رؤيتها حتى من تلك الزاوية الضيقة التي أتاحها له موقعه بجانب النافذة. كانا يعرفان من هي آني ويلكس، كانا يعرفانها تماماً. "لماذا لم تصرخ؟ كنت أتوقع بأنك ستصرخ في كل لحظة. كانا سيسقطان عليَّ مثل انهيار ثلجي".

"ربما نعم، وربما لا".

"ولكن لماذا لم تصرخ؟"

"آني، إذا قضيت عمرك كله وأنت تعتقدين بأن أسوأ شيء تتخيلينه سيقع، فلا بد أن تكوني مخطئة في بعض الأحيان".

"لا تتذاكَ معي!" أدرك بول حينئذ بأنها، تحت تلك البرودة المصطنعة، كانت مضطربة بشدة.

"من الذي يتذاكى؟ أخبرتك بأنني سأبقي فمي مغلقاً وهذا ما فعلته. أريد أن أنهي كتابي بهدوء. وأريد أن أنهيه من أجلك".

نظرت إليه بشيء من عدم اليقين، تريد أن تصدقه، وتخشى أن تصدقه... لكنها صدقته في نهاية المطاف. وقد كانت محقة في تصديقه، لأنه كان يقول الصدق.

"فلتعمل إذاً. اعمل على الفور. رأيت كيف نظرا إليّ".

32

خـــلال اليومين التاليين عادت الحياة كما كانت قبل دوين كوشنر؛ حـــتى أنـــه كان من الممكن تصديق أن كوشنر لم يدخل حياتيهما على الإطـــلاق. كـــان بول يكتب بشكل متواصل تقريباً، وقد تخلى عن الآلة الكاتبة في الوقت الحاضر. فوضعتها آني على رف الموقد تحت صورة قـــوس النصـــر بدون أي تعليق. ملأ بول ثلاث كراسات من الورق في ذيـــنك اليوميـــن. ولـــم تبقَ إلا كراسة واحدة. وعندما ملأها، انتقل إلى أوراق الملاحظات. كانت آني قد شحذت (برت) ستة أقلام رصاص له فبليـــت كلهـــا، فأعـــادت شحذها من جديد. كانت الأقلام تتقلص بشكل مضـــطرد أثـــناء جلوسه في الشمس بجانب النافذة، منكباً على الكتابة. وكان في بعض الأحيان يحك بإبهام قدمه اليمنى الهواء في المكان الذي كانـــت فـــيه ذات يوم قدمه اليسرى، شارداً في الثغرة الذي انفتحت من جديد في الورقة. كان الكتاب يسير بقوة باتجاه ذروته وكأنه كان محمّلاً علـــى صـــاروخ. كان يرى كل شيء بوضوح شديد؛ ثلاث مجموعات تســـعى للوصول إلى ميزري في الممرات المفرّغة وراء جبهة الصنم، اثنـــتان مـــنها تريد قتلها، والثالثة – تتألف من إيان وجيفري وحزقيا – تحـــاول إنقاذهـــا... وفي الوقت نفسه كانت قرية البوركيين تحترق في الأسفل، أما الناجون منهم فقد كانوا متجمعين في نقطة الخروج الوحيدة – الأذن اليسرى للصنم – لقتل أي شخص يخرج حياً.

اهتزت حالة الاستغراق الشبيهة بالتنويم المغناطيسي هذه – لكنها لم تُقطَع – بعد ثلاثة أيام من زيارة ديفيد وغولياث عندما دخلت سيارة فـــورد مغلقة طحينية اللون، كُتب على جانبها *KTKA/Grand Junction*، إلـــى الطـــريق الفرعـــي المؤدي إلى منزل آني. كان القسم الخلفي من

السيارة ممتلئاً بمعدات التصوير التلفزيوني.

قال بول، مشدوهاً: "أوه يا الله، ما هذا؟"

قبل أن تتوقف السيارة بقليل انفتح أحد أبوابها الخلفية ووثب منه رجل يرتدي سروالاً يليق بمن يعانون من اضطرابات نفسية بعد خوضهم معارك حربية وقميص "تي شيرت" رخيص. كان يمسك بيده شيئاً كبيراً أسود اللون كما تُمسك البندقية، فاعتقد بول لوهلة بأنها بندقية لإطلاق قنابل الغاز المسيل للدموع. رفع الرجل ذلك الشيء ووضعه على كتفه ثم وجّهه نحو المنزل، فعرف بول بأنها كاميرا تصوير صغيرة الحجم. بعد ذلك، نزلت شابة جميلة من المقعد الأمامي، وهي تصفف شعرها الأنيق بحركات سريعة من يديها، ثم توقفت قليلاً لتلقي نظرة أخيرة على ماكياجها في المرآة الخارجية الخاصة بالرؤية الخلفية قبل أن تنضم إلى "الكاميرا مان".

دفع بول كرسيه إلى الخلف بسرعة آملاً بأن يكون فعل ذلك في الوقت المناسب.

فكّر بول في داخله: حسناً، إذا لم تكن متأكداً تماماً، ما عليك إلا أن تستمع إلى نشرة أخبار الساعة السادسة. ثم وضع يديه على فمه لكبت قهقهاته.

انفتح باب الشبك ثم أُغلق بقوة.

صرخت آني: "اخرجوا من هنا! اخرجوا من أرضي!"

"آنسة ويلكس، لو أننا فقط نستطيع أن نأخذ –"

"يمكنك أن تأخذي رصاصتين في مؤخرتك اللعينة إذا لم تخرجي من هنا!"

"آنسة ويلكس، أنا إلينا روبرتس من KTKA –"

"لا أكترث ولو كنت جون كيو، أو من كوكب المريخ! اخرجوا من أرضي وإلا فستموتون!"

"ولكن –"

يووووم!

أوه آنـي يا الله لقد قتلت المذيعة الحمقاء.

رجــع بول إلى النافذة ونظر من خلالها – كان مضطراً، لم يكن لديه أي خيار – فأحس بشعور غامر بالارتياح. لقد أطلقت آني النار في الهواء. في تلك الأثناء، كانت إلينا روبرتس تقذف بنفسها – رأسها أولاً – داخــل الســيارة، لكن المصور كان ما يزال يوجه الكاميرا إلى آني، التــي وجهــت بدورها بندقيتها إليه. فانسحب المصور على الفور وقفز داخل الباب الخلفي من السيارة التي انطلقت راجعة إلى الوراء حتى قبل أن يتمكن من إغلاق الباب.

وقفــت آني تراقبهما وهما يغادران، حاملة بندقيتها بيد واحدة، ثم قفلــت راجعــة بــبطء إلــى المنزل. سمع بول صوت ارتطام البندقية بالطاولــة عــندما وضــعتها آني عليها. ثم جاءت إلى غرفة بول. كان وجهها شاحباً ومرهقاً، وكانت عيناها لا تتوقفان عن الحركة.

قالت: "لقد عادوا".

"هوّني عليك".

"كنت أعرف بأن كل أولئك الفئران سيعودون. وها قد عادوا".

"لقد رحلوا يا آني، لقد أرغمتهم على الرحيل".

"إنهم لا يرحلون *أبداً*. لقد أخبرهم شخص ما بأن ذلك الشرطي مر بآني ويلكس، فعادوا إلى هنا".

"آني –"

"هل تعرف ماذا يريدون؟"

"بالتأكــيد. لقــد تعاملت مع الصحافة من قبل. إنهم يريدون دائماً شيئين اثنين لا غير: أن يثيروا غيظك أثناء دوران الكاميرا، وأن يدفعوا شخصــاً آخــر فــي مكان ما إلى شراء زجاجة مارتيني أثناء عرض الشريط. ولكن، آني، عليك أن تهدأ –"

"هــذا ما يريدونه". رفعت يداً معقوفة إلى جبهتها ثم جذبتها بحدة،

وبشـــكل مفاجـــئ، إلـــى الأسفل، فاتحة أربعة شقوق مدماة في جبهتها. انسال الدم على حاجبيها، ثم تفرق على جانبي أنفها، نازلاً على خديها.

"آني! توقفي!"

"وهذا!" صفعت نفسها بيدها اليسرى على خدها الأيسر، بقوة كافية لـــتخلِّف علامـــة هـــناك. "وهذا!" ثم الخد الأيمن، بقوة أكبر جعلت الدم يتطاير من بين أظافرها.

صرخ بول: "توقفي!"

فصـــرخت آنـــي في المقابل: "هل ،هذا ما يريدونه!" رفعت يديها ووضـــعتهما علـــى جبهتها وضغطتهما على الجروح فتلوثتا بدمائها. ثم مدتهما في وجهه لبرهة، ثم خرجت من الغرفة.

بعـــد فـــترة طويلـــة، طويلة جداً، عاد بول إلى الكتابة مجدداً. بدأ بشكل بطيء في البداية – لم يفارقه منظر آني وهي تجرح نفسها بنفسها – لكن القصة جذبته في النهاية فسقط في الحفرة ثانية.

كان في تلك الأيام يعمل بشعور جميل بالراحة.

33

جـــاء المزيد من رجال الشرطة في اليوم التالي، لكنهم كانوا من الشرطة المحلية. كان بينهم رجل نحيل يحمل حقيبة صغيرة بالكاد تتسع لدفتر ملاحظات. وقفت آني معهم على الطريق الفرعي وتبادلوا الكلام لبعض الوقت، ثم قادتهم إلى المنزل.

جلس بول بهدوء وعلى حضنه كراسة من الأوراق الخاصة بكتابة الملاحظـــات (كـــان قـــد أنهى آخر كراسات الورق في الليلة السابقة) واستمع إلى صوت آني وهي تدلي بإفادتها التي كانت مشابهة تماماً لكل مـــا قالته لديفيد وغولياث. فكَّر في نفسه: *هذا إزعاج صريح*. واندهش لأنه وجد نفسه يشعر بقليل من الأسى على آني ويلكس.

بدأ الشرطي المحلي، الذي طرح معظم الأسئلة، كلامه بإخبار آني بـأن باسـتطاعتها التكلم بحضور محامٍ إذا أرادت ذلك. لكنها رفضت وأعادت سرد قصتها بدون أي تغيير.

بقـوا في المطبخ نصف ساعة تقريباً. وقبيل الانتهاء سألها أحدهم كيف أُصيبت بهذه الخدوش القبيحة في جبهتها.

"لقد فعلت ذلك بنفسي في الليل. لقد حلمت حلماً بشعاً".

"وما كان ذلك الحلم؟"

"حلمت بأن الناس تذكروني بعد كل هذا الزمن وبدأوا بالعودة إلى هنا من جديد".

بعد مغادرتهم، جاءت آني إلى غرفته. كان وجهها شاحباً وشارداً.

"بـدأ هـذا المنزل يتحول إلى محطة غراند سينتر. كم من الوقت بقي؟"

تـردد قليلاً. نظر إلى كومة الأوراق المطبوعة التي تعلوها كدسة غـير منـتظمة من الصفحات المكتوبة بخط يده، ثم نظر ثانية إلى آني وقال: "يومان، ربما ثلاثة".

"فـي المرة القادمة التي سيأتون فيها سيكون معهم مذكرة تفتيش". ثم غادرت قبل أن يتفوه بكلمة.

34

عادت في الثانية عشرة والربع من ذلك المساء وقالت: "كان يجب أن تكون في السرير منذ ساعة يا بول".

نظر بول إليها كمن استيقظ لتوه من حلم عميق. والحلم هو قصته بالطـبع، التي يلعب فيها جيفري هذه المرة دور بطولة شبه مطلقة. لقد وصـل جـيفري إلى اللحظة التي يقف فيها وجهاً لوجه مع ملكة النحل المخيفة. وكان عليه أن يقاتلها حتى الموت من أجل إنقاذ حياة ميزري.

"لا يهــم. ســأخلد إلى النوم بعد قليل. في بعض الأحيان يتوجب علــيك أن تدوّنـــي الفكــرة علـــى الفور وإلا فإنها ستضيع". نفض يده المــتألمة، بسبب بثرة كبيرة – نصفها جلد سميك – برزت على باطن سبابته حيث يمسك بالقلم. كان بإمكانه ابتلاع المسكنات، التي يمكنها أن تقضي على الألم، لكنه لم يفعل لأنها كانت ستشوش أفكاره أيضاً.

"هل تعتقد بأنه جيد؟ جيد حقاً؟ لم تعد تقوم به من أجلي فقط، أليس كذلك؟"

"أوه لا". كان على وشك أن يقول شيئاً آخر، مثل: إنه *لم يكن من أجلــك أبــداً يــا آنـي. ولا من أجل كل أولئك الأشخاص الذين يوقّعون رســائلهم بـــ "معجبك رقم واحد". حالما تبدئين الكتابة يصبح كل أولئك الأشــخاص فـــي الطــرف الآخر من المجرة. إنه لم يكن أبداً من أجل زوجتي السابقتين، ولا من أجل أمي، ولا من أجل أبي. والسبب الوحيد تقريــباً الذي يجعل الكتاب يضعون إهداءاتهم في كتبهم يا آنـي، هو لأن أنانيتهم ترعبهم في النهاية.*

ولكن، لم يكن من الحكمة أن يقول لها مثل هذا الشيء.

ظـــل يكتب حتى مطلع الفجر ثم ذهب إلى السرير ونام لمدة أربع ســـاعات. كانت أحلامه مضطربة وبشعة. رأى في واحد منها والد آني يصـــعد ســـلماً مرتفعاً وهو يحمل بين ذراعيه سلة فيها قصاصات من أوراق الصحف. حاول بول أن يصرخ، محذراً إياه، لكنه كلما كان يفتح فمه، لم يكن يخرج منه إلا مقطعاً قصصياً منمقاً. ورغم أن هذا المقطع كـــان مختلفاً في كل مرة كان يصرخ فيها محاولاً تحذيره، إلا أنه كان يبدأ دائماً بنفس الطريقة: "ذات يوم، بعد نحو أسبوع..." وبعد ذلك تأتي آني ويلكس صارخة، وهي تنزل بسرعة على السلم لتدفع أباها وتقتله... كانـــت صـــرخاتها تتحول إلى أزيز غريب، وجسدها يتموج ويتقوص ويتغـــير تحـــت تـــنورتها وكنزتها الصوفية، لأن آني كانت تتحول إلى نحلة.

35

لـــم يأتِ أي موظف رسمي في اليوم التالي، لكن العديد من الناس العاديين أتوا. إحدى السيارات كانت مليئة بالمراهقين. عندما دخلت الطريق الفرعي لتغير اتجاهها، خرجت آني مسرعة وصرخت بهم طالبة منهم الخروج من أرضها قبل أن تطلق النار عليهم.

صرخ أحدهم: "اغربي عنا أيتها السيدة التنين!"

فيما صاح آخر أثناء رجوع السيارة التي أثارت زوبعة من الغبار: "أين دفنته؟"

ورمى ثالث زجاجة بيرة. وأثناء مغادرة السيارة، استطاع بول أن يرى لاصقة على نافذتها الخلفية كُتب عليها: "ساندوا شياطين سايدويندر الزرق".

بعد ساعة شاهد آني تمشي بوجه متجهم مرتدية قفازات مخصصة للعمل ومتوجهة نحو الحظيرة. خرجت بعد فترة من الوقت جارة وراءها السلسلة الفولاذية التي أصبحت الآن مجدولة مع سلك شائك. وبعد قطع الطريق الفرعي بها، مدت يدها إلى جيب قميصها وأخرجت عدة قطع من القماش الأحمر. ربطت قطع القماش في عدة حلقات من السلسلة كي تثير الانتباه.

عندما دخلت الغرفة ثانية، قالت لبول: "لن تبعد الشرطة، لكنها ستبعد بقية الفئران".

"أجل".

"يدك... تبدو متورمة".

"أجل".

"أكره أن أكون لجوجة يا بول، ولكن..."

"غداً".

أشرق وجهها في الحال. "غداً؟ حقاً؟"

"أجل. أظن ذلك. ربما حوالى الساعة السادسة".

"بول، هذا رائع! هل يمكنني أن أبدا بالقراءة الآن، أو -"

"أفضل أن تنتظري".

"سأنتظر إذاً". ارتسمت تلك النظرة الرقيقة على وجهها مجدداً. تلك النظرة التي يكرهها بول أكثر من أي شيء آخر. "أنا أحبك يا بول. تعرف ذلك، أليس كذلك؟"

"أجل. أعرف". ثم انكب على أوراقه ثانية.

36

في تلك الليلة جلبت له قرص كيفليكس - لأن التهاب المجاري البولية كان يتفاقم، وإن ببطء شديد - ودلواً من الثلج. ووضعت منشفة مطوية بشكل أنيق بجانب الدلو ثم غادرت دون أن تنطق بكلمة.

وضع بول قلم الرصاص جانباً، وأنزل يده اليمنى في الثلج. اضطر لاستخدام أصابع يده اليسرى من أجل تقويم أصابع يده اليمنى وجعلها مستقيمة. تركها هناك حتى أصبحت خدرة تقريباً. وعندما أخرجها، رأى أن الورم خف قليلاً. لف المنشفة حولها وجلس، ينظر إلى الظلام في الخارج، إلى أن بدأت توخزه. وضع المنشفة جانباً ثم مرَّن يده لبعض الوقت (في المرات الأولى جعلته هذه الحركة يئن من الوجع، لكنها بعد ذلك بدأت تسخن وتسترخي)، وعاد إلى الكتابة من جديد.

عند الفجر جر كرسيه على مهل ورفع نفسه إلى السرير ونام على الفور. حلم بأنه كان ضائعاً في عاصفة ثلجية، لكنها لم تكن ثلجية تماماً، بل كانت عاصفة من الصفحات المتطايرة تملأ العالم في كل الاتجاهات، وكل الصفحات كانت مغطاة بالكتابة الطباعية، وكل أحرف النون والتاء والألف كانت ناقصة، فأدرك بأنه إذا كان سيبقى حياً بعد انتهاء

العاصفة، فسيتوجب عليه أن يملأها كلها بنفسه، يدوياً، ويحل شيفرة الكلمات التي كانت بالكاد كلمات.

37

استيقظ حوالى الساعة الحادية عشرة، وحالما سمعته آني يتحرك في مكانه، دخلت الغرفة وبيدها كأس من عصير البرتقال، ودواؤه، وطاسة من حساء الدجاج الساخن. كان وجهها مشرقاً من الابتهاج. "إنه يوم خاص جداً يا بول، أليس كذلك؟"

"أجل". حاول أن يرفع الملعقة بيده اليمنى فلم يستطع. كانت متورمة وحمراء.

صاحت آني: "أوه، يا ليدك المسكينة! سأحضر لك قرصاً آخر! سأحضره في الحال!"

"لا. هذه هي المرحلة الختامية. أريد أن يكون رأسي صاحياً".

"لكنك لا تستطيع الكتابة ويدك على هذه الحال".

أيّدها بول، قائلاً: "لا، أصبحت يدي عاجزة. سأنهي هذا الكتاب بالطريقة التي بدأته بها، بتلك الرويال. ثماني أو عشر صفحات قد تعلن نهايته. أعتقد بأنني أستطيع أن أملأ أحرف النون والتاء والألف العديدة بنفسي".

كانت تبدو حزينة بصدق، حتى أن الدموع لمعت في عينيها. "كان يجب أن أجلب لك آلة أخرى. لقد أخطأت. يصعب عليَّ أن أعترف بذلك، لكنها الحقيقة. لقد أخطأت لأنني لم أشأ أن أعترف بأن تلك المرأة دارتمونغر هزمتني. أنا آسفة. يدك المسكينة".

أمسكتها بيدها وقبّلتها برقة عاشقة.

قال بول: "لا بأس. سنتدبر أمرنا. داكي دادل وأنا. أكرهه، لكنني أشعر بأنه يكرهني أيضاً، ولهذا فنحن متعادلان".

"من الذي تتكلم عنه؟"

"الرويال. لقد سميتها باسم شخصية كارتونية".

"أوه..." بـدت وكأنهـا كانت تتوقع شيئاً آخر، فلم تقل أي شيء، وخف الاهتمام الذي كان بادياً على وجهها شيئاً فشيئاً حتى انتهى تماماً. ثـم شردت في ملكوتها. انتظرها بول بفارغ الصبر كي تعود من جديد بيـنما كان يأكل حساءه، ممسكاً الملعقة بشكل أخرق بين إصبعيه الأول والثاني من يده اليسرى.

أخـيراً عادت ثانية ونظرت إليه، مع ابتسامة مشرقة على وجهها وكأنها استيقظت لتوها من النوم وهي متيقنة من أنه سيكون يوماً جميلاً. "كاد الحساء أن ينتهي؟ لديَّ شيء آخر خاص جداً. إذا كان فعلاً كذلك".

أراهـا الطاسـة الفارغة إلا من بعض قطع المعكرونة العالقة في القعر ثم قال، بدون حتى أثر من ابتسامة: "هل ترين أيَ نَهِم أنا يا آني؟"

"أنـت أفضـل نَهِم في العالم يا بول. في الواقع... انتظر! انتظر لترى هذا!"

خرجت من الغرفة. نظر بول إلى التقويم أولاً ثم إلى قوس النصر ثـم رفـع رأسه ونظر إلى أحرف W على السقف. وبعد ذلك نظر إلى الآلة الكاتبة والكومة الكبيرة وغير المرتبة من الأوراق المكتوبة. وقال فـي نفسه: *الوداع لكل هذه الأشياء*. عندئذ دخلت آني إلى الغرفة بشكل صاخب حاملة صينية أخرى.

كانـت هـناك أربعـة أطباق على الصينية: طبق فيه شرائح من اللـيمون الحـامض، وآخر يحتوي على بيضة مفرومة، وثالث يحتوي على قطع من الخبز المحمص. وفي الوسط، طبق أكبر حجماً فيه كومة كبيرة وطرية من الكافيار.

قالـت بخجـل: "لا أعرف إن كنت تحب هذه الأشياء أم لا. حتى أنني لا أعرف إن كنت أحبها أنا أيضاً. فأنا لم آكلها أبداً من قبل".

بدأ بول بالضحك. ومع أن ضحكه تسبب بألم في المنطقة الوسطى

مـــن جسده وساقيه، وحتى يده – وبعد قليل قد يتألم أكثر من ذلك، لأن آني ستعتقد ربما بأنه يضحك عليها – إلا أنه لم يستطع التوقف. ضحك حـــتى أنه بدأ بالسعال واحمر خداه وانهمرت الدموع من زاويتي عينيه. المـــرأة التي قطعت قدمه بواسطة فأس، وحزَّت إبهامه بسكين كهربائية تأتيه بطبق كبير من الكافيار كاف لقتل خنزير بري. ومما أثار تعجبه، أن نظرة *الشق* السوداء تلك لم تظهر على وجهها. بل إنها بدأت تضحك معه.

38

مـــن المفترض أن يكون الكافيار من الأشياء التي إما يحبها المرء أو يكرهها، لكن بول لم يكن يشعر لا بهذا ولا بذاك. فعندما كان يسافر فـــي الطائـــرة في مقصورة الدرجة الأولى وتأتيه المضيفة بصحن من الكافـــيار وتضعه أمامه، كان يأكله ثم ينسى بأنه أكل شيئاً مثل الكافيار إلـــى أن يســـافر مرة ثانية وتأتيه مضيفة أخرى بصحن آخر منه. لكنه الآن كـــان يأكلـــه بـــنهم شديد، إضافة إلى كل الأطباق المرافقة، وكأنه اكتشف للمرة الأولى في حياته الأهمية العظمى للطعام.

قضـــمت آنـــي قطعة من الخبز المحمص كانت قد دهنتها بملعقة صـــغيرة من الكافيار، فالتوى وجهها من القرف ثم وضعتها جانباً. في حين تابع بول الأكل بحماس لم يفتر. خلال خمس عشرة دقيقة أكل بول نصـــف جـــبل الكافـــيار، ثم تجشأ، فوضع يده على فمه ونظر إلى آني بشيء من الإحساس بالذنب، فراحت تضحك من جديد.

فكَّر بول وهو يبتسم لآني: *أعتقد بأنني سأقتلك يا آنـي. أعتقد ذلك حقاً. قد أموت معك – أو بالأحرى، سأموت معك – لكنني سأموت مع معدة مليئة بالكافيار على الأقل. الأمور قد تكون أسوأ من ذلك.*

قال بول: "كان رائعاً، لكنني لا أستطيع أن آكل المزيد".

ابتسمت له في المقابل وقالت: "قد تتقيأ إن فعلت، لأن هذه المادة غنية جداً. هناك مفاجأة أخرى. لديَّ زجاجة من الشراب من نوع دون بيريغنون. إنها تكلف خمسة وسبعين دولاراً! زجاجة واحدة! لكن تشوكي يودر الذي يعمل في مخزن المشروبات قال بأنها الأفضل".

قال بول وهو يفكر في نفسه بأن دوم بيريغنون كانت السبب في إقحامه في هذا الجحيم أساساً: "تشوكي يودر على حق". صمت لبرهة ثم تابع كلامه: "ثمة شيء آخر أود أن أفعله أيضاً، عندما أنتهي من الكتاب".

"أوه، ما هو؟"

"قلتَ ذات مرة بأنك تحتفظين بكل أغراضي".

"بالفعل".

"حسناً... هناك علبة من الدخان في حقيبتي. أود أن أدخن سيجارة عندما أنتهي".

تلاشت ابتسامتها بشكل تدريجي. "تعرف بأن هذه الأشياء تضر بصحتك يا بول. إنها تسبب السرطان".

"آني، هل تقولين بأن السرطان هو الشيء الذي ينبغي عليَّ أن أقلق بشأنه الآن؟"

لم تجب.

"أريد فقط سيجارة واحدة. اعتدت دائماً أن أرجع إلى الوراء وأتكئ على ظهري وأدخن عندما أنتهي. وتلك السيجارة تكون دائماً أفضل السجائر نكهة، صدقيني؛ حتى أفضل من تلك التي تعقب وجبة دسمة. على الأقل هذا ما اعتدت القيام به. أعتقد بأنها هذه المرة ستجعلني أحس بالدوار والرغبة بالتقيؤ، لكنني أود أن أشعر بذلك الرابط الصغير الذي يربطني مع الماضي. فماذا تقولين يا آني؟ تحلَّي بروح رياضية. فقد تحليت بها *أنا*".

"حسناً... ولكن قبل الشراب. لن أشرب زجاجة ثمنها خمسة

وسبعين دولاراً في غرفة واحدة تتفث فيها هذا السم".

"هذا جيد. إذا جلبتها لي حوالى منتصف الظهيرة، سأضعها على رف النافذة كي أنظر إليها بين الحين والآخر. وعندما أنتهي، سأملأ الأحرف الناقصة، وبعدها سأدخنها إلى أن أشعر بالدوار، وبعد ذلك سأطفئها. ثم سأناديك".

"حسناً. لكنني ما زلت غير سعيدة بخصوص ذلك. حتى لو لم تُصب بسرطان الرئة بسبب هذه السيجارة. لست سعيدة. وهل تعرف لماذا يا بول؟"

"لا".

"لأن الحمقى فقط يدخنون". وبدأت بجمع الأطباق.

39

"سيدي إيان، هل هي -"

أسكته جيفري على الفور: "هششش!" فالتزم حزقيا الصمت. كان جيفري يحس بالدم يخفق بسرعة كبيرة في حنجرته. ومن الخارج، كان يُسمَع صرير الحبال والبكرات الخافت والثابت، ورفرفة الأشرعة الناعمة، وهبوب طلائع نسائم الرياح الاستوائية المنعشة، وصياح طيرٍ بين حين وآخر. كما كان باستطاعة جيفري أن يسمع، من الجهة الخلفية من ظهر السفينة، زمرة من الرجال يغنون أغنية خاصة بالبحارة بأصوات هادرة وغير متناغمة. ولكن هنا، كان الصمت يخيم على المكان، حيث كان الرجال الثلاثة - اثنان أبيضان وواحد أسود - ينتظرون ليعرفوا ما إذا كانت

ميزري ستموت... أو -

تأوه إيان بصوت مبحوح، فأمسكه حزقيا من ذراعه. أما جيفري فقد كان ما يزال ممسكاً أعصابه بقوة. هل يمكن أن يكون الله حقاً قاسياً إلى درجة أن يسمح بموتها بعد كل ما حدث؟ في السابق، كان سيرفض هذا الاحتمال بثقة، وبشيء من المرح بدلاً من الاستياء. في تلك الأيام كانت فكرة قسوة الله ستبدو سخيفة جداً بالنسبة إليه.

لكن تصوراته عن الله - مثل تصوراته عن الكثير من الأمور الأخرى - قد تغيرت الآن. لقد تغيرت في إفريقيا، التي اكتشف فيها أن العالم لا يحكمه إله واحد فقط بل العديد من الآلهة، وبعض هذه الآلهة كانوا أكثر من قساة؛ كانوا مجانين، وهذا غيَّر كل شيء. فالقسوة في نهاية المطاف كانت مفهومة، أما الجنون، فلم يكن مبرراً على الإطلاق.

إذا تبين أن ميزري ميتة فعلاً، كما كان يخشى، فإنه كان ينوي الصعود إلى مقدمة السفينة ورمي نفسه في الماء. فقد عرف طوال عمره أن الإله يمكن أن يكون قاسياً وتقبَّل ذلك، لكنه لن يعيش في عالم تكون فيه الآلهة مجنونة.

قُطعت هذه الأفكار العبثية المشؤومة بواسطة شهقة عالية وشبه خرافية من حزقيا.

"سيدي إيان! سيدي جيفري! انظرا! عيناها! انظرا إلى عينيها!"

عينا ميزري، ذلك اللون الأزرق الرائع القريب من زرقة وردة الذرة، رفرفتا قليلاً ثم

انفتحتا. تنقلتا من إيان إلى جيفري ثم عادتا إلى إيان ثانية. لوهلة، رأى جيفري مجرد حيرة في تينك العينين... لكن التمييز أشرق فيهما بعد ذلك، فأحس بسعادة تغمر روحه.

"أين أنا؟" قالت ميزري وهي تتثاءب وتمط جسدها. "إيان، جيفري، هل نحن في البحر؟ لماذا أنا جائعة جداً؟"

انحنى جيفري، وهو يضحك ويبكي، وضمها بين ذراعيه، مردداً اسمها مرة بعد مرة بعد مرة.

وبشيء من الحيرة، والسرور، عانقته ميزري بدورها. أما جيفري، وقد تأكد الآن من أنها بخير، فقد وجد نفسه بأنه قادر على تحمل حبهما، الآن وإلى الأبد. وأدرك بأنه من الآن فصاعداً سيعيش وحيداً مع نفسه، في سلام تام.

لعل الآلهة لم تكن مجنونة في النهاية... ليس كلها، على الأقل.

ربّت بيده على كتف حزقيا وقال له: "أعتقد بأننا يجب أن نتركهما لوحدهما يا صديقي، أليس كذلك؟"

"أعتقد ذلك سيدي جيفري". ابتسم حزقيا في تكشيرة كبيرة فلمعت أسنانه الذهبية السبعة كلها.

استرق جيفري نظرة أخيرة إليها، فالتفتت إليه عيناها الزرقاوان الباهرتان للحظة واحدة فقط، لكن تلك اللحظة كانت كافية لتبث الدفء فيه، وتملأ روحه، وتكمّله.

قال جيفري في نفسه: أحبك يا عزيزتي، هل تسمعينني؟

لعل الجواب الذي أتاه لم يكن سوى صوتاً آتياً من عقله فقط، لكنه لم يكن يظن ذلك، لأنه كان واضحاً جداً، ويشبه صوتها إلى حدٍّ بعيد، بل إنه صوتها هي.

أنا أسمعك... وأنا أحبك أيضاً.

أغلق جيفري الباب وصعد إلى مؤخرة السفينة. وبدلاً من إلقاء نفسه من فوق السور، كما كان سيفعل، أشعل غليونه ودخن كرة من الدخان على مهل، وهو يراقب غياب الشمس خلف غيمة بعيدة آخذة بالتلاشي. تلك الغيمة كانت ساحل إفريقيا.

بعد ذلك، ولأنه لم يكن يستطيع أن ينهض ويقوم بأي شيء آخر، أخرج بول شيلدون الصفحة الأخيرة من الآلة الكاتبة وخط بقلمه العبارة المحبوبة والمكروهة في آن واحد بالنسبة لأي كاتب:

النهاية

40

لم تكن يده المتورمة ترغب بملء الأحرف الناقصة، لكنه أرغمها علـــى العمـــل خلال الأيام القليلة الأخيرة بالرغم من ذلك. وإذا لم يكن باســـتطاعته إيجـــاد حل لبعض التيبّس - على الأقل - فيها، فلن يكون باستطاعته تنفيذ ما هو مقدم عليه تالياً.

عـــندما انتهى من ملء الأحرف الناقصة، وضع قلمه جانباً ونظر إلى عمله لبرهة. أحس كما كان يحس دائماً عند الانتهاء من كتاب؛ بأنه فـــارغ على نحو غريب، محبط، ومدرك بأن كل نجاح حققه دفع مقابله ضريبة عبثية.

ولكن، مع ذلك، يبقى إنجاز العمل، أي عمل، أمراً جيداً. من الجيد إنتاج شيء ما، ابتداع شيء ما. عندئذ، وبطريقة خدرة، أدرك بول وقدَّر الشـــجاعة في هذا العمل، شجاعة ابتداع شخصيات حية صغيرة لم تكن موجودة، وإيجاد وهم بالحركة والدفء غير واقعيين. وفهم بول - الآن، أخيراً - بأنه لم يكن ماهراً إلى الحدّ الكافي في القيام بهذه الحيلة، لكنها كانـــت الحـــيلة الوحيدة التي يعرفها، ومع أنه كان يقوم بها دائماً بشكل غير متقن، إلا أنه على الأقل كان يقوم بها بحب. في تلك اللحظة، لمس بول كومة مخطوطته وابتسم قليلاً.

تركـــت يـــده الكومـــة الكبيرة من الأوراق وانسلت إلى سيجارة المارلـــبورو التـــي وضعتها آني من أجله على رف النافذة. وبجانبها، كانـــت هـــنا منفضة سجائر خزفية طُبع على قعرها قارب نزهات آلي محـــاط بالكلمـــات التالية: *تذكار من هانيبال، ميزوري - موطن كتابة القصص في أميركا!*

وفـــي داخل المنفضة كانت هناك علبة ثقاب، من النوع الذي يُفتَح كالكتاب، ولكن لم يكن فيها سوى عود واحد فقط. هذا ما سمحت له به

آني. بيد أن عوداً واحداً ينبغي أن يكون كافياً.

كــان باستطاعته سماع حركة آني في الطابق العلوي. وهذا كان مريحاً، لأنه يتيح له الوقت الكافي للقيام بتحضيراته الصغيرة.

هــا هي الحيلة الحقيقية يا آنـي. دعينا نرى إذا كان بإمكانـي القيام بها. دعينا نرى، هل يمكننـي؟

انحنى إلى الأمام، متجاهلاً الألم في ساقيه، وبدأ محاولة نزع ذلك القسم المخلوع من ألواح الأساس.

41

ناداها بعد خمس دقائق، وأصغى لوقع خطواتها الثقيلة على السلم. كان يتوقع أن يشعر بالرعب عند بلوغه هذه المرحلة، فأحس بالارتياح لاكتشــاف أنـــه كان يشعر بهدوء تام. كانت الغرفة مليئة برائحة سائل الإشـــعال، الـــذي كان يقطر من أحد جوانب اللوح القابع فوق ذراعي الكرسي المتحرك.

صاحت آني وهي ما تزال في الممر: "بول، هل انتهيت حقاً؟"

نظر بول إلى كومة الورق الموضوعة فوق اللوح بجانب الرويال الكــريهة. كانت كلها متشربة بسائل الإشعال. ثم قال: "حسناً. فعلت ما بوسعي يا آني".

"واو! أوه، عظـــيم! يا الله، بالكاد يمكنني أن أصدق! بعد كل هذا الوقت! دقيقة واحدة فقط! سآتي بالشراب!"

"جيد!"

ســـمعها تمشـــي فوق أرضية المطبخ، متوقعاً كل صرير سيصدر قـــبل لحظـــة مـــن صـــدوره. فكّر بول: *أنا أسمع هذه الأصوات للمرة الأخـــيرة*. فـــأحس بالارتياح. كان هناك خوف في داخله ... ولكن كان هناك شيء آخر أيضاً. اعتقد بول بأنه ساحل إفريقيا المبتعد.

انفـــتح باب الثلاجة، ثم انغلق بقوة. ها هي تأتي من المطبخ ثانية، ها هي تأتي!

إنـــه لم يدخن السيجارة، بالطبع، فلقد كانت ما تزال مستلقية على رف الـــنافذة. لكـــن عود الثقاب هو الشيء الذي كان يريده. ذلك العود الوحيد.

ماذا لو لم يشتعل عندما تقدحه؟

لكن الأوان كان قد فات لأخذ مثل هذه الأسئلة بالحسبان.

مدّ يده إلى منفضة السجائر وأخذ علبة الثقاب. ونزع عود الثقاب الوحيد. أصبحت في الممر الآن. قدح بول العود، لكنه لم يشتعل.

على مهلك! على مهلك!

قدحه ثانية، فلم يشتعل أيضاً.

ثـــم قدحـــه للمرة الثالثة على ظهر الكتاب (علبة الثقاب) الخشن، فبرقت شعلة صفراء باهتة في نهاية العود الخشبي.

42

"آمل فقط أن –"

توقفـــت آنـــي، وانســـحبت الكلمة التالية إلى داخلها عندما أخذت شـــهيقاً. كـــان بول يجلس في كرسيه المتحرك خلف حاجز من الورق المكـــوَّم وآلة الرويال القديمة. وكان قد قلب عمداً الصفحة الأخيرة كي تتمكن من قراءة هذه:

عودة ميزري
بول شيلدون

كانـــت يد بول اليمنى تلوّح فوق كومة الورق الرطبة تلك، ممسكة

بعود الثقاب المشتعل بين الإبهام والسبابة.

وقفت آني في الباب وهي تحمل زجاجة الشراب الملفوفة بقطعة منشفة. كان فمها فاغراً، لكنها زمّته بسرعة.

ثم قالت بحذر: "بول، ماذا تفعل؟"

"لقد انتهى يا آني. إنه جيد. لقد كنت محقة. أفضل كتب *ميزري*، وربما أفضل شيء كتبته على الإطلاق، حتى لو كان هجيناً. والآن سأقوم بحيلة صغيرة معه. حيلة تعلمتها منك".

فصرخت آني بفزع لإدراكها ماذا يريد أن يفعل: "بول، لا!" فتحت يديها في تلك الأثناء فسقطت زجاجة الشراب على الأرض وانفجرت مثل توربيد. فتطايرت سحب من الرغوة في كل مكان. "لا! لا! أرجوك لا –"

قال بول مبتسماً: "من المؤسف جداً أنك لن تقرئيه أبداً". كانت أول ابتسامة حقيقية له منذ شهور، ابتسامة صادقة ومشرقة. "لندع التواضع الزائف جانباً، أجد نفسي مضطراً للقول بأنه أفضل من جيد. إنه عظيم يا آني".

بدأت حرارة العود تصيب أطراف أصابعه. فأسقطه من يده. وللحظة مرعبة اعتقد بول بأنه انطفأ، لكن شعلة زرقاء من اللهب شبّت بسرعة في صفحة العنوان مصدرة صوتاً مسموعاً. *ففوووومب!* مشت الشعلة على الجوانب، متذوقة السائل الذي تجمّع على طول الحافة الخارجية من كومة الورق، ثم ارتفع لسان اللهب متحولاً إلى اللون الأصفر.

زعقت آني: "أوه يا الله لا! ليس ميزري! ليس ميزري! لا! لا!"

أصبح وجهها الآن يرتعش من وراء ألسنة اللهب. فصاح بول بها: "هل تريدين أن تتمني شيئاً يا آني؟ هل تريدين أن تقولي أمنية، أيتها الشيطانة اللعينة!"

"أوه يا الله أوه بول ماذا تفعل؟" حاولت أن تتقدم، لكن النار

أصـــبحت شـــديدة جداً الآن لدرجة أن الجانب الرمادي من الرويال بدأ يــتحول إلـــى اللـــون الأسود. كما بدأت ألسنة اللهب تتصاعد من بين مفاتــيحها جراء تجمّع سائل الاشتعال تحتها. أحس بول بأن وجهها كان يُشوى وجلدها ينكمش.

صاحت آني منتحبة: "ليس ميزري. لا يمكنك أن تحرق ميزري، أيها الفأر اللعين، لا يمكنك أن تحرق ميزري!"

عـــندئذ فعلت آني ما كان بول يعرف بأنها ستفعله. أمسكت كومة الـــورق المحترقة واستدارت بسرعة حول نفسها، تريد ربما أن تركض إلى الحمام وتضعها في الحوض ثم تغمرها بالماء.

عـــندما اســـتدارت، أمسك بول بالرويال، غير آبه بسخونة جانبها الأيمـــن وبالحـــروق التـــي بدأت تحدثها في يده اليمنى المتورمة سلفاً. ســـقطت قطـــرات مـــن النار من قاعدتها، فلم يعرها اهتماماً أكبر من اهـــتمامه بـــالألم الذي نشب في مكان ما من ظهره. قذف الآلة الكاتبة، فطارت في الهواء وأصابت مباشرة مركز ظهرها الصلب العريض.

لـــم تكن صرخة تلك التي أطلقتها آني، بل نخيراً مروعاً وهادراً. سقطت آني على الأرض فوق كدسة الأوراق المحترقة.

ضـــرب بـــول بيده اللوح الخشبي الذي بدأ يحترق وأسقطه على الأرض، ثم دفع نفسه ووقف يترنح على قدمه اليمنى.

كانـــت آنـــي تتلوى وتئن عندما انبثق لسان من اللهب في الفراغ الواقع بين ذراعها اليسرى وجانبها، فصرخت. عندئذ، فاحت رائحة جلد مقلي ودهن محترق.

حاولت آني الاستناد على ركبتيها. في ذلك الوقت، أصبحت معظم الأوراق علـــى الأرض - بعضـــها ما زال يحترق والبعض الآخر كان يصـــدر هسيساً وهو ينتقع شيئاً فشيئاً في برك الشراب - لكنها كانت ما تـــزال ممســـكة ببعضـــها، رغـــم أنها كانت ما تزال مشتعلة. وكنزتها الصـــوفية كانت تحترق أيضاً. رأى بول قطعاً معقوفة من الزجاج على

ذراعيها، وشظية أكبر حجماً تبرز من خدها الأيمن مثل نصل فأس من النوع الذي كان الهنود الحمر يستخدمونه في الحروب.

"سأقتلك أيها الكاذب اللعين". مشت ثلاث خطوات على ركبتيها ثم سقطت فوق الآلة الكاتبة. فرمى بول بنفسه فوقها. أحس بالزوايا الحادة للآلـــة الكاتبة بالرغم من وجود جسدها بينهما. كانت تصرخ مثل قطة، وتتلوى مثل قطة، وتحاول أن تنشب أظافرها فيه من تحته مثل قطة.

حاولـــت أن تدفعه عنها فتشبث أكثر. عدّل وضعيته فوقها إلى أن أصبح مستلقياً مباشرة عليها مثل رجل يحاول ارتكاب جريمة اغتصاب، ووجهـــه تقريـــباً فوق وجهها. مدّ يده يتلمس الأرض بجانبه، باحثاً عن شيء في ذهنه.

"ابتعد عني!"

وجد ورقة ساخنة مسودّة.

"ابتعد عني!" نظر إلى الحفرة الرطبة المحمرّة جوانبها في الإلهة.

"ابتعد عني أيها الفأر اللعي –"

حشـــر على الفور الورقة المتفحمة في ذلك الفم الصارخ المفتوح. فتوسعت حدقتاها فجأة من الدهشة، والرعب، والألم.

أطبقـــت يده على ورقة أخرى، لكنها هذه المرة كانت مبللة وتفوح منها رائحة الخمر المراق. ثم قال لها وهو يلهث: "ها هو كتابك يا آني". كانت ما تزال تتلوى تحته وتحاول دفعه عنها. ارتطمت قبة الملح التي حلـــت محل ركبته اليسرى بالأرض فانتفض من الألم، لكنه ظل فوقها. *سأغتصـــبك، ما رأيك يا آنـي؟ سأغتصبك، لأن كل ما يمكنني فعله هو أســـوأ مـــا يمكننـــي فعله. مصّي كتابي إذاً. مصّي كتابي. مصّيه حتـى تختنقـــي.* ضغط بقبضة يده على الورقة الرطبة وحشرها في فمها دافعاً الكرة الأولى نصف المتفحمة إلى الداخل أكثر.

"هـــا هـــو يا آني، هل أعجبك؟ إنها طبعة أولى أصلية، إنها طبعة آني ويلكس، هل أعجبتك؟ كليه يا آني، مصيه. كلي كتابنا كله".

ثم أدخل حشوة ثالثة، ورابعة. أما الخامسة فقد كانت ما تزال تحترق، لكنها انطفأت براحة كفه أثناء حشرها في فمها.

كان هناك ضجيج غريب مكتوم يصدر من داخلها. هذه المرة تمكنت بعد سلسلة من الانتفاضات القوية من دفعه عنها. ثم رفعت نفسها بصعوبة حتى استندت على ركبتيها وهي تمسك بيديها حنجرتها المسودة والمنتفخة. لم يكن قد بقي من كنزتها إلا حلقة العنق المتفحمة. كان لحم بطنها وحجابها الحاجز مغطيين بفقاعات حمراء. وكان الشراب يتقطر من حشوة الورق البارزة من فمها.

وقفت آني على قدميها وهي تترنح، وتنعق، وتنخر. كانت ما تزال تقبض بيديها على حنجرتها. دفع بول نفسه مبتعداً عنها دون أن يبعد عينيه عنها.

مشت خطوة باتجاهه، ثم تبعتها بخطوة أخرى. ثم تعثرت بالآلة الكاتبة. أثناء سقوطها، التوى عنقها في زاوية مائلة فشاهد عينيها تنظران إليه نظرة متسائلة رهيبة، وكأنها كانت تقول له: *ماذا حدث يا بول؟ كنت أجلب لك الشراب، أليس كذلك؟*

ارتطم جانب رأسها بحافة إطار الموقد وهوت على الأرض مثل كيس مفتوح من الحجارة في سقطة هائلة هزت المنزل برمته.

43

جاءت سقطة آني فوق كتلة من الورق المحترق، فأطفأتها بجسدها. كانت تبدو مثل كومة سوداء مدخنة في منتصف الأرضية. وكانت برك الشراب قد أخمدت معظم الأوراق المنفردة، لكنّ اثنتين أو ثلاثاً منها طارت باتجاه الحائط وهي تحترق، فاشتعل ورق الجدران في عدة أماكن... لكن النار لم تكن قوية جداً.

زحف بول إلى سريره، دافعاً نفسه بمرفقيه، ثم أمسك بمفرش

السرير. ثم عاد وزحف باتجاه الحائط مبعداً شظايا الزجاج المكسور بجانبي يديه. صحيح أنه آذى ظهره، وأحرق يده اليمنى بشدة، لكنه أصبح حراً. لقد ماتت الإلهة وعاد حراً.

وضع ركبته اليمنى تحته ثم بدأ يضرب بالمفرش ألسنة اللهب. وبعد الانتهاء من إخماد النار، رمى المفرش على الأرض ونظر إلى الحائط. كانت هناك بقعة كبيرة مدخنة في المنتصف. وكانت الصفحة السفلى من التقويم مجعدة. ولكن، هذا كل شيء.

بدأ بول بالزحف باتجاه الكرسي. كان في منتصف الطريق عندما فتحت آني عينيها.

44

حملق بول، وهو لا يكاد يصدق ما تراه عيناه، بينما كانت آني تسعى جاهدة للنهوض والاستناد على ركبتيها. كان بول مستنداً على يديه، مجرجراً ساقيه وراءه.

لا... لا، أنت ميتة.

أنت مخطئ يا بول. لا يمكنك أن تقتل الإلهة. فالإلهة خالدة. الآن عليَّ أن أنظف.

كانت عيناها تحملقان بشكل مرعب. وعلى الجانب الأيسر من رأسها كان هناك جرح ضخم باد من خلال شعرها، وكان الدم يسيل منه بغزارة وينزل على وجهها.

صرخت آني من خلال حنجرتها المليئة بالورق. ثم بدأت تزحف نحوه. "أوووه، أيها القذر!"

دار بول حول نفسه نصف استدارة ثم بدأ بالزحف باتجاه الباب. كان يسمع صوتها وهي تلحق به. وحالما دخل بول منطقة الزجاج المكسور، أحس بيدها تطبق على أسفل ساقه اليسرى وتعصر بقوة على

المنطقة التي بُترت عندها قدمه، فصرخ من الألم.

صاحت آني صيحة انتصار: "أيها القذر!"

نظر من وراء كتفه، فشاهد وجهها يتحول ببطء إلى اللون الأرجواني، وبدا وكأنه كان ينتفخ. عندئذ أدرك بول بأنها كانت تتحول إلى صنم شعب البوركا.

جذب ساقه المفتقدة للقدم بكل قوته فانزلقت من قبضتها، التي نجحت فقط بالإمساك بالحلقة الجلدية التي غطت بها منطقة البتر.

تابع زحفه وهو يبكي، والعرق ينضح من خديه. جذب نفسه بواسطة مرفقيه مثل جندي يتقدم تحت نيران رشاش ثقيل. سمع خبطة ركبة واحدة وراءه، ثم الركبة الثانية، ثم الأولى. كانت ما تزال خلفه. لقد حرقها، وكسر ظهرها، وحشا حلقها بالورق وما تزال خلفه.

"قذر! قذر.... قذر!"

وبينما كان يزحف، انغرزت شظية معقوفة من الزجاج في ذراعه، لكنه استمر بالزحف بالرغم من ذلك.

كانت ما تزال وراءه، تزمجر بشكل مرعب. التفت إلى الوراء فرأى أن لون وجهها أصبح أسود، إجاصة متعفنة سوداء نتأت منها بجحوظ بشع عيناها النازفتان. وكانت حنجرتها النابضة متورمة مثل الإطار الداخلي للسيارات، وكان فمها يتحرك ويتلوى، فاعتقد بأنها تحاول أن ترسم تكشيرة.

أصبح الباب بمتناول يديه فمدّ واحدة منهما وتشبث به بقوة.

"آوو...ووو...آووو!"

أصبحت يدها اليمنى على فخذه الأيمن.

اقتربت أكثر. ظلها... كان ظلها يهوي فوقه.

فصرخ بول باكياً: "لا!" أحس بها تجره، تسحبه، فتشبث أكثر بإطار الباب وأغمض عينيه.

كانت يداها تمشيان، مثل عنكبوتين، بخطوات قصيرة وسريعة

فوق ظهره، إلى أن استقرتا فوق رقبته.

"آوو... ووو... طير... قذر!"

بدأ نفَسه ينقطع لكنه ظل ممسكاً بإطار الباب. كان يشعر بيديها تنغرزان في عنقه فصرخ بقوة: *موتـي ألا تموتين ألا تموتين أبداً ألا تمو* –

"آوو...آ –"

ارتخــت قبضــتها فجأة. فسحب نفساً عميقاً. ثم تهاوت آني فوقه، مثل جبل من اللحم الرخو، فانقطع نفَسه تماماً هذه المرة.

45

جـــاهد بول بقوة كي يخرج من تحتها مثل رجل يشق طريقه من تحت انهيار ثلجي. وقد فعل ذلك مع آخر نفَس له.

زحـــف خارجـــاً من الباب، متوقعاً أن تمسك يدها بكاحله في أية لحظـــة، لكـــن ذلـــك لـــم يحدث. كانت آني ممدة بلا حراك هناك على الأرض ووجهها إلى الأسفل، بين الدماء وبرك الشراب المراق وشظايا الـــزجاج الأخضر. هل كانت ميتة؟ لا بد أنها ميتة. بيد أن بول لم يكن يصدق أنها ميتة.

أغلـــق الباب وراءه. كانت السقاطة التي وضعتها آني تبدو عالية وبعـــيدة مـــثل شيء يقع في منتصف جرف شاهق الارتفاع، لكنه تمدد حتى وصل إليها وأغلقها، ثم سقط على الأرض بجانب الباب.

ظل فاقداً للوعي لمدة غير معروفة من الزمن. ولم يخرج من تلك الحالة إلا عندما سمع صوت خربشة واطئة. *إنها الفئران... الفئر* –

إلـــى أن تسللت أصابع آني الثقيلة المغطاة بالدماء من تحت الباب وأمسكت بقميصه.

زعـــق ونفـــض نفسه حتى أفلت منها، فاشتعل الألم من جديد في

ساقيه. ثم ضرب بقبضة يده على أصابعها. ارتعشت الأصابع قليلاً ثم توقفت عن الحراك.

فلتكن هذه نهايتها. أرجوك يا الله فلتكن هذه نهايتها.

زحف بول ببطء باتجاه الحمام، ولكن مع ألم شديد هذه المرة. توقف في منتصف المسافة ونظر إلى الخلف. فرأى أصابعها ما تزال بارزة من تحت الباب. لم يستطع تحمل النظر إلى ذلك المنظر، أو حتى التفكير فيه، ولهذا السبب، عاد وزحف في الاتجاه المعاكس وأجبر نفسه على دفع أصابعها من تحت الباب. كان متأكداً من أنها ستقبض عليه في اللحظة التي سيلمسها فيها.

أخيراً وصل إلى الحمام. كل جزء فيه كان يؤلمه. دفع نفسه حتى أصبح في الداخل وأغلق الباب عليه.

يا الله، ماذا لو أنها نقلت المخدر من هنا.

لكن الصناديق المبعثرة كانت ما تزال هناك، وبعضها كانت تحتوي على علب النوفريل المجانية. ابتلع ثلاثة أقراص منها على الفور، ثم زحف إلى الباب واستند عليه، يريد سدّه بوزن جسده.

ثم غط في النوم.

46

عندما أفاق من نومه كان الظلام قد حل، وفي البداية لم يعرف أين كان؛ كيف أصبحت غرفة نومه صغيرة إلى هذا الحدّ؟ ثم تذكّر كل شيء، لكنّ صوتاً داخلياً قطع ذكرياته وهمس إليه بنبرة متيقنة: *إنها لم تمت، حتى الآن لم تمت. إنها تقف خارج هذا الباب حاملة بيدها الفأس، وعندما سأخرج ستقطع رأسي به. سيتدحرج في الممر مثل كرة بولينغ وهي ستنظر إليه وتضحك.*

لكنه قال لنفسه: "هذا جنون". عندئذ سمع – أو تخيل أنه سمع –

صوت حفيف خفيف، ربما صوت احتكاك تنورة امرأة بالحائط.

إنك اختلقت الأمر وحسب يا رجل. إنها مخيلتك... إنها واسعة جداً.

لا، لقد سمعت ذلك.

لكنه لم يسمع شيئاً، وهو يعرف ذلك. مده يده إلى مقبض الباب ثم تراجع وقد اعتراه الشك ثانية. صحيح، إنه يعرف بأنه لم يسمع شيئاً... ولكن، ماذا لو أنه سمع بالفعل؟

لعلها خرجت من النافذة.

بول، إنها ميتة!

الإلهة لا تموت أبداً.

أدرك حينئذ بأنه كان يعض على شفتيه بعصبية فمنع نفسه. هل هذه هي بداية الجنون؟ نعم. لقد كان قريباً جداً من الجنون بالفعل. لكنه إذا استسلم للأمر، إذا عاد رجال الشرطة أخيراً غداً أو بعد غد ليجدوا آني ميتة في غرفة الضيوف وكتلة من الخلايا الحية الباكية في حمام الطابق السفلي، كرة من الخلايا الحية التي كانت ذات يوم كاتباً يُدعى بول شيلدون، ألن يكون هذا انتصاراً لآني؟

بالتأكيد. والآن يا بولي، هل ستكون رجلاً صلباً وتمضي في ما كنت تخطط له؟

حسناً.

مدّ يده إلى مقبض الباب مجدداً... ثم تراجع من جديد. لم يستطع المضي في خطته الأساسية، كانت خطته الأساسية تقتضي إشعال الأوراق بالنار، الأمر الذي سيدفعها إلى التقاطها ومحاولة إطفائها، وهذا ما حدث بالفعل. (لو أنه فقط سحق رأسها بالآلة الكاتبة بدلاً من إصابة ظهرها بها). وبعد ذلك، كان ينوي الوصول إلى غرفة الاستقبال وإشعال النار بالمنزل. كانت الخطة تتطلب منه أيضاً الخروج من نافذة غرفة الاستقبال، بالرغم من أن ذلك كان يعني السقوط على الأرض

بقوة. على أي حال، فالسقوط أفضل من الاحتراق.

في الرواية تسير الأمور كلها حسب الخطة... لكن الحياة الواقعية اللعينة فوضوية جداً ولا يمكن السيطرة على مجريات أحداثها تماماً.

صحيح أن زجاجة الشراب لم تكن من ضمن الخطة، لكنه أمر ثانوي بالمقارنة مع قوة المرأة الهائلة ووضعه الحالي المزري، ومع الشك الذي يعتريه.

بيد أنه لم يكن يستطيع إحراق المنزل بالنار - مع أن ذلك كان سيحوله إلى ما يشبه إشارة إنذار ستجلب المساعدة على عجل - ليس الأمر لأن آني قد تكون ما تزال حية، فهو قادر على شيِّها وهي على قيد الحياة، وبدون أي إحساس بالشفقة.

نعم، لم تكن آني هي التي تمنعه من فعل ذلك، بل المخطوطة. المخطوطة *الحقيقية*. فما أحرقه في الواقع لم يكن سوى وهماً - مجرد صفحات بيضاء تتخللها صفحات مكتوبة لا قيمة لها وعلى رأسها صفحة العنوان لا غير. أما مخطوطة *عودة ميزري* الحقيقية، فقد كانت محفوظة بأمان تحت السرير، وما تزال هناك.

إلا إذا كانت ما تزال حية. لأنها إذا كانت ما تزال حية، فلعلها تقرأها الآن.

ماذا ستفعل إذاً؟

نصحه جزء متعقل منه: أنتظر هنا، أنتظر هنا بأمان.

لكنّ جزءاً آخر أكثر شجاعة من ذاك حثه على المضي فيما كان يخطط له، أو على الأقل إلى الحدّ الذي يستطيع تنفيذه منها. الوصول إلى غرفة الاستقبال، وكسر النافذة، والخروج من هذا المنزل الكريه. ثم بلوغ حافة الطريق والتلويح لسيارة عابرة. في الظروف السابقة، قد يعني هذا الأمر الانتظار لأيام، ولكن ليس الآن، فمنزل آني أصبح محجاً للفضوليين.

استجمع كل شجاعته ومدّ يده إلى مقبض الباب وأداره. انفتح الباب

بــبطء و... نعــم، كانت آني هناك، كانت الإلهة واقفة هناك في الظل، شكل أبيض بزي ممرضة –

أطــبق عينــيه بقوة ثم فتحهما مجدداً. مجرد ظلال. آني؟ لا. لم يسـبق له أن رآهــا بــزي الممرضات إلا في صور الصحف. مجرد ظلال. ظلال و

مخيلة

(نابضة بالحياة).

زحــف بــبطء في الممر ونظر إلى الخلف باتجاه غرفة الضيوف فوجدها مغلقة. ثم تابع زحفه نحو غرفة الاستقبال.

كانــت الأريكــة هناك، وآني يمكن أن تكون خلفها. وهناك باب المطبخ المفتوح، وآني يمكن أن تكون خلفه أيضاً. كانت ألواح الأرضية تصر من ورائه... بالتأكيد! إنها آني آتية خلفه!

التفــت إلى الوراء بسرعة. كان بإمكانه سماع ضربات قلبه تدق بقوة. كانت آني تقف فوقه رافعة الفأس بيدها، ولكن للحظة واحدة فقط، لأنهــا تــبددت بعد ذلك وتحولت إلى ظلال. دخل إلى غرفة الاستقبال، وفــي تلــك اللحظــة ســمع صوت هدير محرك يقترب. ورأى ضوء المصــابيح الأمامية يضرب النافذة فيضيئها. سمع صوت مكابح السيارة فعرف بأنهم رأوا السلسلة الشائكة التي قطعت بها الطريق الفرعي.

انفتح باب ثم انغلق.

"اللعنة! انظر إلى هذا!"

زحــف بســرعة أكبر، ونظر إلى الخارج، فرأى ظلاً يقترب من المنزل. كان ظل القبعة واضحاً تماماً. إنه شرطي من الولاية.

تحسس بول بيده طاولة التحف فانقلب بعضها على الطاولة، وسقط بعضــها الآخــر علــى الأرض. وانكسر. اقتربت يده من واحدة منها وأمســكها. هــنا بدا الأمر مثل رواية، لأن المصادفات المحسوبة التي تقدمها الروايات نادراً ما تحدث في الحياة الواقعية.

إنه البطريق الخزفي على قاعدته الثلجية.

تقــول الأسطورة على قاعدته الثلجية: الآن أخبرت حكايتي. فقال بول في نفسه: نعم! الحمد لله!

اســتند علــى يده اليسرى، فيما كانت يده اليمنى ما تزال ممسكة بالــبطريق. انفتحت القروح وخرج القيح منها. أرجع ذراعه اليمنى إلى الــوراء وقذف بالبطريق الخزفي نحو نافذة صالة الاستقبال، كما رمى المنفضة نحو نافذة غرفة النوم قبل وقت ليس بطويل.

صـــرخ بول شيلدون بكل ما أوتي من قوة: "هنا! هنا، رجاء، أنا هنا!"

47

وفـــي هذه الخاتمة أيضاً كانت هناك مصادفة روائية أخرى: كان الشـــرطيان هما نفس الشرطيين اللذين جاءا لاستجواب آني بخصوص كوشنر في ذلك اليوم، ديفيد وغولياث. لكن سترة ديفيد الرياضية الآن لم تكـــن غير مزررة فقط، بل كان مسدسه ظاهراً أيضاً. تبيَّن أن ديفيد هو ويكـــس، وغولـــياث هو ماكنايت. وكانا يحملان مذكرة تفتيش معهما. عـــندما اقـــتحما المنزل أخيراً استجابة للصرخات المذعورة الآتية من صالة الاستقبال، وجدا رجلاً بدا مثل كابوس تحول فجأة إلى حقيقة.

قـــال ويكس لزوجته في وقت باكر من صباح اليوم التالي: "هناك كتاب قرأته عندما كنت في الثانوية. أعتقد أنه *كونت مونت كريستو* أو ربمـــا *ســـجين زيندا*. على أي حال، هناك رجل في ذلك الكتاب قضى أربعيـــن عاماً في حبس انفرادي. لم يرَ أي شخص لمدة أربعين عاماً. وهذا ما كان يبدو عليه ذلك الشخص". صمت ويكس قليلاً. كان يريد أن يعـــبِّر بشكل أفضل عما رآه، عن المشاعر المتضاربة التي أحس بها – رعب وإشفاق وحزن وقرف – والأهم من ذلك كله هو الاستغراب من

كيفــية بقــاء شــخص يبدو على هذه الصورة على قيد الحياة. لكنه لم يســتطع أن يجــد الكلمات المناسبة. "عندما رآنا أجهش بالبكاء". توقف مرة أخرى، ثم أضاف: "لم يتوقف عن مناداتي ديفيد، ولا أعرف لماذا".

"لعلك تشبه شخصاً يعرفه".

"ربما".

48

كانــت بشرة بول شاحبة وجسده نحيلاً. وكان منكمشاً على نفسه بجانــب الطاولــة يحدق إليهما بعينين لا تتوقفان عن الحركة وجسد لا يتوقف عن الارتعاش.

قال ماكنايت: "من –"

فقاطعــه بول: "إلهة". ثم لعق شفتيه وتابع قائلاً: "عليكما أن تحذرا منها. غرفة النوم. لقد احتجزتني هناك. كاتب مدلل مثل الكلاب المدللة. غرفة النوم. إنها هناك".

قال ويكس: "آني ويلكس؟ في غرفة النوم؟" أومأ برأسه إلى رفيقه باتجاه غرفة الممر.

"نعم. نعم. مقفول عليها في الداخل. ولكن بالطبع، هناك نافذة".

قال ماكنايت مرة ثانية: "من –"

فقاطعه ويكس هذه المرة: "يا الله، ألا ترى؟ إنه الشخص الذي كان يبحث عنه كوشنر. الكاتب. لا أتذكر اسمه، لكنه هو".

قال بول: "الحمد لله".

انحنى ويكس مقطباً جبينه: "ماذا؟"

"الحمد لله أنك لا تستطيع تذكر اسمي".

"إنني لا أتابع أعمالك يا صديقي".

"لا بــأس. لا عليك. فقط... عليكما أن تكونا حذرين. أعتقد بأنها

ميـــتة. ولكـــن كونا حذرين. إذا كانت ما تزال حية... خطيرة... مثل الأفعـــى ذات الأجـــراس". ثـــم حرك ساقه اليسرى الملتوية بجهد جهيد باتجـــاه شعاع الضوء الكاشف الذي كان يحمله ماكنايت. "قطعت قدمي. فأس".

"يا أرحم الراحمين".

عـــندئذ قـــال ويكس وهو يسحب مسدسه: "هيا". ثم توجه الاثنان ببطء نحو باب غرفة نوم بول المقفل.

صرخ بول بصوت مبحوح: "انتبها منها! كونا حذرين!"

فـــتحا الباب ودخلا. سحب بول نفسه إلى الوراء وأسند رأسه إلى الحـــائط وأغمض عينيه. كان يشعر بالبرد، فلم يستطع إيقاف نفسه عن الارتعـــاش. مـــن الممكن أن يصرخا ومن الممكن أن تصرخ هي. قد يحدث عراك. وقد يحدث إطلاق نار. حاول بول تحضير ذهنه لكل هذه الاحتمالات. ومر الوقت، بدا وقتاً طويلاً جداً بالفعل.

وأخيراً، سمع صوت وقع خطوات في الممر. كان ويكس.

فقال بول: "كانت ميتة. كنت أعرف ذلك. الجزء الحقيقي مني كان يعرف ذلك. لكنني ما زلت لا أستطع أن أصد –"

قاطعـــة ويكـــس: "هـــناك دم وزجاج مكسور وأوراق متفحمة في الداخل... ولكن لا يوجد أحد على الإطلاق في الغرفة".

نظـــر بـــول شيلدون إلى ويكس ثم بدأ بالصراخ، ولم يتوقف عن الصراخ حتى غاب عن الوعي.

IV

إلهة

قالت المرأة الغجرية لميزري: "سيزورك شخص غريب طويل وأسمر". أجفلت ميزري وأدركت على الفور أمرين اثنين، أولهما أن هذه المرأة لم تكن غجرية، والثاني هو أنهما لم يكونا لوحدهما في الخيمة. استطاعت أن تشم رائحة عطر غويندولين تشاستين قبل لحظة واحدة فقط من إطباق يدي المرأة المجنونة على رقبتها.

قالت الغجرية، التي لم تكن غجرية: "في الواقع، أعتقد بأن هذا الشخص هنا الآن".

حاولت ميزري أن تصرخ، لكنها لم تستطع حتى أن تتنفس.

– طفل ميزري

قال حزقيا: "إنها تبدو دائماً على هذا النحو، سيدي إيان. من أي مكان كنت تنظر إليها، إنها تبدو وكأنها تنظر إليك. لا أعرف إن كان ذلك صحيحاً، لكنّ البوركيين يقولون بأنك حتى عندما تكون خلفها، فإن الإلهة تبدو وكأنها تنظر إليك".

قال إيان معترضاً: "لكنها في النهاية مجرد قطعة من الحجر".

قال حزقيا: "نعم يا سيدي، هذا ما يعطيها قوتها".

– عودة ميزري

1

رقممم واااحد

أنت المعجبة رقممم واااحد

أصوات: تأتي حتى في حالة من التشوش.

2

عليّ أن أنظف الآن. هذا ما قالته، وهذه هي الطريقة التي تُنظف بها:

3

بَعــد تســعة أشــهر من إخراجه من منزل آني على نقالة مؤقتة ارتجلهــا ويكس وماكنايت على عجل، كان بول شيلدون يقسم وقته بين مستشــفى الأطــباء فــي كوينز وشقة جديدة له في الجانب الشرقي من مانهاتن. لقد أُعيد كسر ساقيه. وكانت ساقه اليسرى ما تزال موضوعة فــي قالــب جبسي من الركبة إلى الأسفل. قال الأطباء له بأنه سيعرج طــوال حياته، لكنه سيمشي، وفي نهاية المطاف سيمشي بدون ألم. كما أخــبروه بأن عرَجه كان سيكون أسوأ وأكثر وضوحاً لو أنه كان يمشي علــى قدمه بدلاً من قدم اصطناعية مصنوعة خصيصاً لأجله. يبدو أن آني قد أسدت له معروفاً.

كــان يشــرب الكحول كثيراً ولا يكتب أبداً. وكانت أحلامه بشعة جداً.

عـــندما خـــرج من المصعد في الطابق التاسع، ذات يوم من شهر أيـــار، لـــم يكـــن يفكر في آني – على سبيل التغيير – بل في الرزمة الكبـــيرة التي يضعها تحت إبطه. كانت تحتوي على تجربتين طباعيتين خاصـــتين بـــرواية عـــودة *ميزري*. كان ناشروه يريدون طبع الكتاب بســـرعة، وكان ذلك مستغرباً، نظراً للأخبار التي تناقلتها الصحف في كل أنحاء العالم عن الظروف الغريبة التي كُتبت فيها الرواية. حتى أن دار هاســتينغ للنشر طلبت بشكل غير مسبوق مليون نسخة من الطبعة الأولـــى للكتاب. "وهذه ليست إلا البداية. سيباع هذا الكتاب أكثر من أي شـــيء آخر في العالم. ينبغي علينا أن نركع على ركبنا ونحمد الله لأن القصـــة فـــي هـــذا الكـــتاب كانت لا تقل جودة عن القصة التي تكمن وراءهـــا". هذا ما قاله له محرره، تشارلي ميريل، على وجبة غداء في ذلك اليوم؛ الغداء الذي كان بول آتياً منه حاملاً التجربتين الطباعيتين.

لـــم يكن بول يعرف إذا كان ذلك صحيحاً أم لا، ولم يكن يكترث للأمـــر في الواقع. كان يريد فقط أن يرميه خلفه ويجد الكتاب التالي... ولكـــن، مـــع تحول الأيام الجافة إلى أسابيع جافة وأشهر جافة، بدأ بول يتساءل ما إذا كان سيؤلف أي كتاب بعد ذلك أساساً.

كـــان تشارلي يتوسل إليه بأن يكتب سرداً واقعياً غير روائي عن محنـــته القاسية، مؤكداً له بأن مثل هذه القصة ستتفوق في مبيعاتها حتى على رواية عودة *ميزري* نفسها. وعندما سأله بول، بدافع الفضول فقط، عـــن عوائـــد حقوق الطبع التي سيحققها مثل هذا الكتاب، أزاح تشارلي شـــعره الطويل عن جبهته، وأشعل سيجارة كاميل، ثم قال: "يمكنني أن أقـــول بأننا نستطيع أن نحقق عشرة ملايين دولار كحدٍّ أدنى". لم ترف عيـــنا تشارلي عندما قال ذلك، لكن بول لم يكن متأكداً ما إذا كان جاداً في كلامه أم لا.

ولكـــن، لم يكن بالإمكان كتابة مثل هذه القصة الواقعية، ليس بعد على الأقل، وربما لم يكن ممكناً أبداً. فعمله هو كتابة الروايات. صحيح

أنــه يســتطيع كــتابة القصة التي يريدها تشارلي، لكن ذلك كان يعني التسليم بأنه لن يكتب أي رواية بعد ذلك أبداً.

وفـــي وجبة الغداء تلك، قال بول لتشارلي ميريل: "النكتة هي أنها ســتكون روايـــة في نهاية المطاف". لكنه أحجم عن إكمال فكرته. لكن النكتة *الحقيقية* هي أن تشارلي ميريل لم يكترث للأمر.

كانـــت شقته تحمل رقم 9-E، وتقع في الجانب البعيد من المصعد، وفـــي ذلك اليوم، بدا الممر وكأن طوله يبلغ ثلاثة أميال. بدأ يشق بثقل طــريقه عــبره مســتنداً علـــى عكازين على شكل حرف T. *كلاك*... *كلاك*... *كلاك*... *كلاك*. يا الله، كم كان يكره هذا الصوت.

كانت ساقاه تؤلمانه بشكل فظيع ويحن إلى النوفريل، حتى أنه كان في بعض الأحيان يعتقد بأن الأمر يستحق التواجد مع آني فقط من أجل المخدر. والشراب كان الحل البديل لمشكلته، وعندما سيدخل إلى الشقة، ســيتناول كأسين من الشراب. وبعد ذلك سينظر لبعض إلى الوقت إلى شاشة الكمبيوتر.

كلاك... *كلاك*... *كلاك*... *كلاك*.

والآن، علـــيه أن يخرج المفتاح من جيبه بدون أن يسقط المغلف الذي يحتوي على التجربتين الطباعيتين أو العكازين. وبينما كان يحاول إســناد العكازين على الحائط، أفلتت التجربتان من تحت ذراعه وسقطتا على البساط. وتمزق المغلف.

"اللعنة!"

وزيـــادة فـــي الطيـــن بلة، سقط العكازان بدورهما على الأرض مصدرين صوت قعقعة عالية.

أغمـــض بول عينيه وهو يترنح فوق ساقيه الملتويتين المتألمتين. كـــان علـــى وشك أن يفقد عقله أو يجهش بالبكاء. وكان يرجو بأن يفقد عقلـــه، لأنـــه لم يكن يريد أن يبكي هناك في الممر. لكنه بكى في نهاية المطاف. كانت ساقاه تؤلمانه طوال الوقت وهو كان يريد دواءه المخدر،

وليس الأسبرين القوي الذي أعطوه إياه في صيدلية المستشفى. كان يريد جرعــته الفعالـــة. جرعة آني. وفوق ذلك، كان سئماً طوال الوقت، فما كان بحاجة إليه ليدعمه ليس ذينك العكازين اللعينين، بل قصصه وحيله الخيالية. كانت تلك هي جرعته الفعالة، جرعته التي لا تفشل أبداً. لكن قدراته كلها هربت منه. يبدو أن وقت المرح انتهى إلى غير رجعة.

شـــرد بول في أفكاره وهو يدخل إلى الشقة: *هكذا تبدو الأمور في النهاية. ولهذا لا أستطيع أن أكتب. لأن الحياة أصبحت كئيبة جداً. كان يجب أن تموت بعد أن ملأت رأسها بالأوراق المتفحمة، وكان يجب أن أمــوتَ أنـــا أيضـــاً بعد ذلك مباشرة. في تلك اللحظة، كنا سنكون مثل شخصـــيات أفـــلام آني المتسلسلة. لا يوجد لون رمادي، إما أبيض أو أسود، طيب وشرير. أنا كنت جيفري وهي كانت إلهة النحل البوركية. هذا... حسناً، لقد سمعت بالخاتمة، ولكن هذا سخي* –

توقــف عن التفكير فجأة. تسنى له الوقت الكافي ليدرك بأن الشقة كانـــت مظلمة، وأن هناك رائحة تنبعث منها. رائحة مزيج من القذارة ومسحوق للوجه.

بـــرزت آني من وراء الأريكة مثل شبح أبيض، لابسة زي وقبعة الممرضـــات. كانـــت تصرخ والفأس في يدها: *حان الوقت للتنظيف يا بول! حان الوقت للتنظيف!*

زعق بول وحاول الفرار على ساقيه المعطوبتين، فوثبت من وراء الأريكـــة مـــثل ضفدع أبرص. كان صوت احتكاك زيها الخشن، يُسمَع بوضوح. أول ضربة من الفأس لم تصب إلا الهواء؛ هذا ما كان يعتقده بـــالفعل قـــبل أن يسقط على السجاد ويشتم رائحة دمه. نظر إلى جسده فوجد أنه شُطر إلى نصفين.

زعقت آني: "*أنظف!*" وقطعت يده اليمنى.

زعقت ثانية: "*أنظف!*" وقطعت اليسرى.

زحـــف باتجاه الباب المفتوح على ما تبقى من ذراعيه، فوجد أن

التجربتيـــن الطباعيتيـــن ما تزالان هناك، التجريتان اللتان أعطاه إياهما تشارلي ميريل أثناء تناولهما الغداء في مطعم مستر لي.

حاول أن يصرخ *"آنـي يمكنك أن تقرأيها الآن!"* لكن لم يتمكن من قــول إلا "آني" قبل أن ينفصل رأسه من جسده ويتدحرج نحو الحائط. آخر شيء رآه من العالم كان جسده المتداعي وحذاء آني الأبيض يحيط به من الجانبين.

إلهة. ثم مات.

4

السيناريو: خلاصة. خلاصة الحبكة.

– نيو كوليجييت في ويبستر

الكاتب: أي شخص يكتب، وخاصة إذا كانت مهنته.

– نيو كوليجيت في ويبستر

الظروف الخيالية: متخيلة أو خيالية.

– نيو كوليجييت في ويبستر

5

بولي، هل يمكنك؟

6

نعم، بالتأكيد يستطيع. "تتمثل خلاصة الكاتب في أن آني كانت ما تزال حية، بالرغم من أنه كان يدرك بأن ذلك لم يكن سوى خيال".

7

لقد ذهب بالفعل ليتناول طعام الغداء مع تشارلي ميريل. وكل الحديث الذي دار بينهما كان هو نفسه. لكن المرأة التي شاهدها عندما دخل إلى الشقة لم تكن سوى عاملة التنظيف التي كانت قد فتحت الستائر لتوها. وهو سقط على الأرض بالفعل كاتماً صرخة رعب كادت أن تخرج منه عندما اعتقد بأن آني برزت من خلف الأريكة مثل قابيل، لكنها لم تكن سوى قطة، القطة السيامية الحولاء، دامبستر، التي حصل عليها قبل شهر من مجمع الحيوانات الضالة.

لم يكن هناك أي وجود لآني لأن آني لم تكن إلهة على الإطلاق، بل مجرد امرأة مجنونة آذت بول لأسباب خاصة بها. لقد تمكنت آني من إخراج كل الأوراق التي حشرها بول في حلقها وخرجت من نافذة غرفة بول عندما كان نائماً بفعل المخدرات التي تناولها في الحمام. ثم وصلت إلى الحظيرة وانهارت هناك. كانت ميتة عندما وجدها ويكس وماكنايت، ولكن ليس بسبب الاختناق، بل بسبب كسور في الجمجمة تسبب بها ارتطامها بإطار الموقد. ولهذا، إلى حدٍّ ما، يمكن اعتبار أن الآلة الكاتبة التي كرهها بول بشدة هي التي قتلت آني.

لكنها كانت تنوي القيام بشيء ما. وهذه المرة لم يكن الفأس كافياً. فقد وجداها خارج حظيرة الخنزيرة ميزري، ويدها تمسك بمقبض منشارها الكهربائي.

ومع أن ذلك أصبح كله من الماضي، وآني الآن مستقرة في قبرها، إلا أنها، مثل ميزري تشاستين، كانت ما تزال موجودة داخله، في أحلامه وتخيلات يقظته. فأنت لا تستطيع أن تقتل الإلهة. يمكنك ربما أن تخدرها بكأس من الشراب، ولكن لا أكثر.

نظر إلى زجاجة الشراب، ثم التفت ونظر إلى حيث توجد

الالتجربتان الطباعيتان والعكازان. فألقى نظرة وداع إلى الزجاجة وعاد ليتناول دواءه.

8

أنظف.

9

بعد نصف ساعة كان يجلس أمام الشاشة السوداء، معتقداً بأنه كان ولا بـد مـن النوع الذي يحب إتعاس نفسه. لقد أخذ الأسبرين بدلاً من الشـراب، لكـن ذلك لن يغير ما سيحصل معه الآن؛ إنه سيجلس لمدة خمـس عشرة دقيقة أو نصف ساعة، ينظر فقط إلى مؤشر يومض في الظلمـة، ثم سيطفئ الجهاز، وفي نهاية المطاف سيحتسي ذلك الشراب نفسه.

لولا...

لولا أنه شاهد شيئاً غريباً في طريق عودته إلى المنزل من الغداء مـع تشارلي، وهذا الشيء أوحى له بفكرة. ليست فكرة مهمة بل مجرد فكـرة صـغيرة، فالحدث كان بسيطاً في الواقع. لقد رأى طفلاً صغيراً يدفـع عـربة تسـوق في شارع th 48. هذا كل شيء. ولكن، كان في العربة قفص، وفيه حيوان فروي كبير إلى حدٍّ ما، اعتقد بول في البداية بأنـه قطـة. لكـن نظرة أقرب إليه أظهرت خطاً عريضاً أبيض فوق ظهره.

قال بول للصبي: "هل هذا ظربان يا بني؟"

أجابه الصبي: "أجل". ثم دفع عربته بسرعة أكبر بقليل. لا يمكنك التوقف وتبادل حديث طويل مع الناس في المدن، وخاصة إذا كان شكلك

غريباً وتحمل كيسين بحجم حقيبتي سامسونايت وتسير على عكازين معدنيين. دار الصبي حول المنعطف وغاب عن النظر.

تابع بول طريقه. كان يريد إيقاف سيارة أجرة، ولكن كان يُفترَض به أن يمشي ميلاً واحداً كل يوم. ولكي يشغل ذهنه عن الميل الذي يتوجب عليه قطعه بدأ يتساءل بينه وبين نفسه: من أين أتى الصبي، من أين أتت عربة التسوق، ومن أين أتى الظربان؟

سمع جلبة خلفه فالتفت إلى الوراء من مكانه خلف الشاشة السوداء ليرى آني آتية من المطبخ مرتدية سروال جينز وقميص تي شيرت من النوع الذي يرتديه قاطعو الأخشاب، وتحمل المنشار الكهربائي في يدها.

أغمض عينيه، ثم فتحهما، فلم يرَ شيئاً كالعادة، فأحس بالغضب فجأة. استدار ثانية نحو الشاشة وكتب بسرعة، وبعنف تقريباً:

-1-

سمع الصبي صوتاً آتياً من خلف المبنى، وبالرغم من أن الفئران خطرت بذهنه، إلا أنه سلك المنعطف على أية حال، فلقد كان الوقت ما يزال مبكراً للعودة إلى البيت لأن المدرسة التي هرب منها منذ وقت الغداء لن تنتهي إلا بعد ساعة ونصف.

ما شاهده مقرفصاً بجانب الجدار تحت ضوء الشمس المغبرّ لم يكن فأراً، بل قطة كبيرة جداً ذات ذيل لم يرَ في حياته بمثل كثافته.

10

توقف بول عن الكتابة، وفجأة، بدأ قلبه ينبض بقوة.

بولي، هل يمكنك؟

لم يجرؤ على الإجابة عن هذا السؤال. انحنى فوق لوحة المفاتيح ثانية، وبعد لحظة بدأ بالنقر على المفاتيح... ولكن بنعومة أكثر هذه المرة.

11

لم تكن قطة. صحيح أن إدي دزموند عاش في مدينة نيويورك سيتي طوال حياته، لكنه ذهب ذات يوم إلى حديقة الحيوان في برونكس. وفوق ذلك، هناك كتب مصورة، أليس كذلك؟ كان يعرف ما اسم ذلك الحيوان، ولكن لم تكن لديه أدنى فكرة عن كيفية وصول مثل هذا المخلوق إلى هذا المبنى الكائن في شارع 105th المهجور. إن الخط الأبيض الموجود على ظهره يمثل علامة فارقة: إنه ظربان.

12

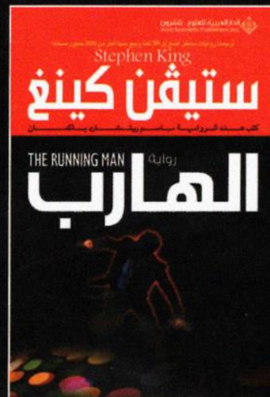
نعم، إنه يستطيع. إنه يستطيع.

وهكذا، تمكن بول من استعادة قدرته من جديد. انفتحت الثغرة في الورقة ونظر إلى ما فيها، غير مدرك بأن أصابعه كانت تزداد سرعة، غير مدرك بأن ساقيه المتألمتين كانتا موجودتين معه في نفس المدينة

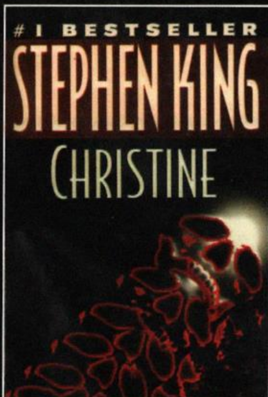
لكنه لم يكن يحس بهما وكأنهما كانتا على بعد خمسين شارعاً منه، غير مدرك بأنه كان يبكي وهو يكتب.

لوفـــيـــل، مايـــن: 23 أيلول 1984/بانغور، ماين: 7 تشرين الأول 1986: الآن أخبرت حكايتي.

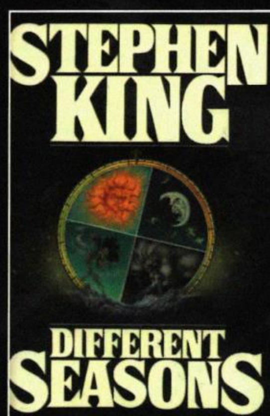
صدر وسيصدر للروائي ستيفن كينغ



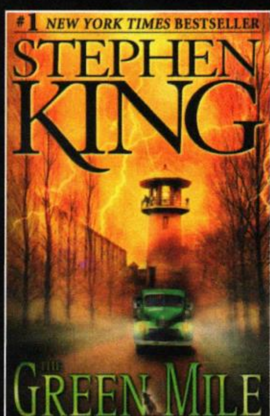
الهارب



كريستين



فصول مختلفة



9 789953 871875

الدار العربية للعلوم - ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com